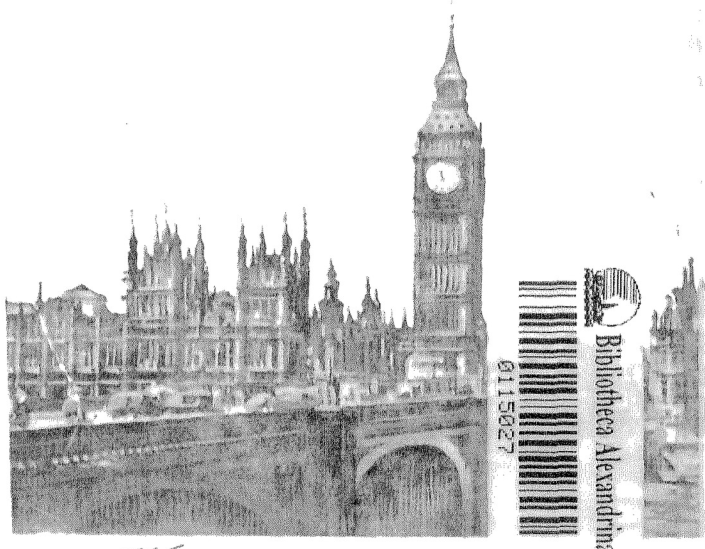
ريتشارد كروسمان
وزير الاسكان البريطاني
١٩٦٤ - ١٩٦٦

يوميات وزير



ترجمة

العميد الركن صبحي الجابي



للدراسات والترجمة والنشر

الجمهورية العربية السورية

دمشق

بوابة الصالحية ــ دار المهندسين

هاتف ٢٢٨٨٥٥ ــ ٢٢٨٢٥٥

أرباح الدار مخصصة
لصالح مدارس أبناء الشهداء
في القطر العربي السوري

يوميات وزير

الطبعة الأولى
شباط ١٩٨٤

ريتشارد كروسمان
وزير الاسكان البريطاني
١٩٦٤ - ١٩٦٦

يوميات وزير

(في جزءين)

الجزء الأول

ترجمة
العميد الركن صبحي الجابي

مقدمة المؤلف

هذا الكتاب هو جزء من يوميات احتفظتُ بها منذ عام ١٩٥٢ وحتى نهاية عام ١٩٧٠ . وعندما شرعت في كتابتها ، كانت النزاعات تمزق حزب العمال بسبب قضية بيفان ، Bevan[1] وكنت أحد الاعضاء النشيطين في اللجنة التنفيذية القومية . وشعرت انه اذا لم يقم أحد بتسجيل الوقائع التاريخية لتلك النزاعات ، فمن المستحيل لأي مؤرخ ان يحصل على صورة متكاملة ومستمرة لما حدث داخل صفوف كتلة بيفان خلال مدة عشرين عاماً .

أزعجني هذا الشعور ، ومع انني كنت عضو مجلس مدينة أكسفورد في الثلاثينات وانتخبت بصورة رتيبة عضو برلمان عن دائرة كوفنتري Coventry في عام ١٩٤٥ ، إلا انني لم أكن مجرد رجل سياسي فقط . فعلى النقيض من معظم زملائي في البرلمان كنت مراقباً للأحداث ومؤثراً فيها ، كما كنت متخصصاً بالعلوم السياسية وعضو برلمان صحفي . ومع انني كسبت معاشي وخدمت قضية بيفان عن طريق الكتابة في

(١) هو آنورين بيفان Aneurin Bevan .

صحيفتي بكتوريال صانـدي Sunday Pictorial ونيوستيتسمان New Statesman، فقد كنت اطمح في وضع كتاب يكمل لجيلنا الدستور الانكليزي الذي وضعه باجهوت Bagehot منذ مائة عام ، وذلك بكشف النقاب عن الأعمال السرية للحكومة ، المخبأة تحت أكوام كثيفة من الاوراق والتي نطلق عليها : اسطورة الديمقراطية . انني على يقين بأن اي رجل أكاديمي لايستطيع ان يضع مثل هذا الكتاب . وأنه يستطيع كتابته فقط رجل يعرف سياسة الحزب من الداخل ، ويعرف سياسة مجلسي العموم واللوردات ، كما يعرف ان امكن سياسة الحكومة البريطانية ، ومايدور في المقر الرسمي لرئيس مجلس الوزراء .

في عام ١٩٦١ جمعت معلومات مؤكدة ووافية لتأليف كتاب عن عمل نظام الحزبين داخل وستمنستر Westminster [١] وخارجها ، لكن معرفتي بأعمال الحكومة كانت مستقاة من الكتب الاكاديمية ومن الأحاديث التي كانت تدور داخل غرفة التدخين . والأسوأ من ذلك ان حظي كان قليلاً في الحصول على مكان لي في الوزارة (الوظيفة الوحيدة التي كان عليّ ان اقبلها آنذاك) . وبسبب تنظيمي لمعارضة سياسة بيفن Beven [٢] ، فقد أُقصيت عن كل وظيفة بزعامة أتلي Atlee .وفي الحقيقة أُبعدت عن أي دور في المقاعد الأمامية للمعارضة خلال السنوات الاثنتي عشر التالية . وعندما حلّ غيتسكل Gaitskelle محل أتلي ، قدّرت ان حظي لن يكون افضل من ذي قبل . فقررت ان أجد وظيفة أكاديمية أستطيع فيها

(١) مقر مجلسي العموم واللوردات

(٢) هو ارنيست بيفن Ernest Bevin .

تأليف كتبي ومتابعة نشاطي التعليمي الذي اشعر فيه بمتعة كبيرة . وكما قال هارولد لاسكيHarold Lasky : « في السياسة البريطانية يظهر الأمل أيضاً حيث تحدث الكارثة » . مات غيتسكل وخلفه هارولد ولسون Harold Wilson. فانتعشت آمالي وطموحاتي . وشكّلتُ انا وبيفان داخل كتلته جماعة فرعية هي « يسار الوسط » . ومررنا سوية ببعض التجارب غير السارّة دون ان تتأثر صداقتنا لان كلاًّ منا تعلّم ان الصداقات ، لكي تدوم ، ينبغي ان تظل في منأى عن الخلافات . وبعد ان ساعدت في انتخاب هارولد زعيما، وقبلت مكاناً متواضعاً في وزارة ظل[1] هارولد (كنت وزير ظل للتعليم التعالي والعلوم) ، وكنت واثقاً تماماً بانني سأكون موضع اختيار هارولد في الوزارة ، لانني كنت أختلف عن معظم الأشخاص الذين اجبرته الظروف على قبولهم .

لم يطل انتظارنا . فالانتخابات جاءت في الخريف ، وعندما ذهبت الى مقرّ رئيس الوزراء في السابع عشر من تشرين الاول أُخبرت بان هنالك تغييراً مفاجئاً في الخطة ، انني لن اكون وزير دولة للتعليم بل وزيراً للإسكان . ولم اكن اعرف عن هذه الوظيفة شيئا . وفي الحقيقة ، فان الترتيبات الوحيدة التي اتخذتها والتي كانت ذات فائدة هي تلك التي تتعلق بيومياتي . وافقت سكرتيرتي جيني هولJennie Hall على العمل أمينة للمحفوظات (الارشيف) الخاصة بي والاعتناء باشرطة التسجيل التي سوف تسجل عليها اليوميات في كل نهاية اسبوع في منزلي شمال

---

(١) وزارة ظل Shadow Ministry : مجموعة من زعماء المعارضة البرلمانية المحتمل اشتراكهم في الوزارة الجديدة التي ينتظر ان تؤلف عندما يتولى حزبهم مقاليد الحكم .

اكسفوردشير Oxfordshire . ولاسباب أمنية لم يُشرع في النسخ عن الأشرطة حتى اواخر أيام الحكومة . وعندما اتخذت هذا الاجراء كنت مدركاً انني اذا استطعت ان انجز تسجيلاً متواصلاً لحياتي الوزارية ، وان يكتب هذا التسجيل والذاكرة متوقدة ، دون ان يحرَّف « بالتحسينات » ، فان هذا الجزء من اليوميات سيصبح ذا قيمة تاريخية خاصة . في البداية كنت افكر فيها ــ بشكل رئيسي ــ كمادة خام لكي تستخدم في كتابي . ولكن لم يمضِ وقتٌ طويل حتى اتحقق من فائدة يوميات تعطي صورةً يومية عن كيفية قضاءِ وقت وزيرٍ في حكومة ولسون ، وماذا يفعل تماماً في وزارته ، وفي اللجنة الوزارية وفي مجلس الوزراء نفسه ، وكم من الوقت الرسمي يقضيه خارج مكتبه في زيارة مرؤوسيه ، وأخيراً ماذا يترك من الوقت لأسرته في نهاية الاسبوع .

إن الاعتماد على الذاكرة ــ حتى مع وجود يوميات ــ يغير كثيراً في الحقائق تحت تأثير النزعات الشخصية الكامنة في النفس . وهذا هو السبب في ان السيرة الذاتية للسياسي (حتى عندما يمارس حقوقه ويستعمل اوراق الوزارة الرسمية) لايمكن الاعتماد عليها البتة . فلو انني ، على سبيل المثال ، تركت هذا الجزء من يومياتي ولم انشره لمدة خمسة عشرة عاماً ثم اعتمدت عليه في كتابة الفصول الرئيسية لمذكراتي ، لحصلت في أحسن الاحوال على كتاب تكون درجة الاعتماد عليه مشابهة لدرجة الاعتماد على مذكرات هيو دالتون Hugh Dalton أو هارولد ماكميلان Harold Macmillan . ولكنني اذا استطعت ان انشر يوميات السنوات التي قضيتها كوزير بدون أي تعديل أو تنقيح بحيث تكون تسجيلاً صادقاً لكيفية

تفكير وشعور وزير ، فانني اكون قد حققت شيئاً في كشف النقاب عن النقاط السرية للسياسة البريطانية وتمكين أي ناخب ذكي من الحصول على صورة واضحة عما يجري خلف الكواليس بين الاعوام ١٩٦٤ ــ ١٩٧٠ . ان التسجيل ، طبعاً ، ليس كاملاً ، ولن يكون كذلك أبداً . ولكنه مترع بالمعلومات بشكل أكبر بكثير من الاوراق الموجزة التي يعتمد عليها معظم السياسيين في مذكراتهم . ولكتابة التسجيل (العمل الذي كرست له معظم مساء السبت وصباح الاحد من كل أسبوع) ، كان يوجد أمامي مجموعة مختارة من جميع الاوراق المتعلقة بمجلس الوزراء ووزارتي ــ هذا العمل الذي كلفت به عضواً من مكتبي الخاص . كذلك يوجد لديّ تسجيل مفصل عن حياتي اليومية ــ بقدر مايعرف مكتبي الخاص . ولكن هذا طبعاً لايشمل عملي الحزبي ، واجتماعاتي الخاصة مع الوزراء الآخرين والنشاطات خارج وستمنستر .

ان الصورة التي تعطيها هذه اليوميات ، طبعاً ، هي انها ليست موضوعية ولا عادلة ــ مع انني كعالم سياسي قديم حاولت ان أكون موضوعياً .

وحاولت بشكل خاص أن أتجنب خداع النفس ، خاصة فيما يتعلق بنزعاتي الشخصية ، كأن أعزو الى الاخرين أسوأ عيوبي ، أو أحذف الأشياء التي تجعلني أبدو سخيفاً في نظر القراء . وقد ألحَّ علي الكثيرون لكي أحذف العبارات الجارحة التي تمس الزملاء أو الرسميين . لكنني لم أفعل لان ذلك يجعل الكتاب غير صادق ، وآمل عندما يجدني بعضهم

غير عادل يشكل لايحتمل ، إن يتذكروا الحماقات والاخطاء التي سجلتها عن نفسي بإخلاص . إن تسجيل عمل الحكومة يوما بيوم كما يراه أحد المشتركين فيها ، يعتبر عملاً من جانب واحد ومتميزاً جداً . واذا لم يكن كذلك ، فانه سوف لايعكس الصورة الصحيحة .

ولكن لماذا ينشر هذا التسجيل بهذه السرعة وكثير من المعنيين فيه لايزال نشيطاً في الحكومة ؟ هناك إجابتان على هذا السؤال الذي أمعنت فيه الفكر كثيراً .

في المقام الاول ، مضى حتى الآن مدة عشر سنوات بين التاريخ الذي بدأت فيه كتابة اليوميات وبين تاريخ النشر . وعندما قرأت هذه اليوميات وجدت ان معظمها بدا وكأنه تاريخ قديم ، فهو أبعد بكثير من فشل السويس عندما نشر اللورد آفون Avon دفاعه الشخصي ، بمساعدة جميع اوراق الدولة الرسمية ، بعد مرور سنة او سنتين على الحادث . وهو بعيد حقاً مثل بُعد حادثة بروفيومو Profumo[1] ، عندما قدم هارولد ماكميلان وصفاً خلاباً لها في مجلده السادس . ومنذ عهد تشرتشل ، توجد سوابق لاتنتهي لاهمال « قانون الثلاثين عاماً » الذي يعتبر عبئاً للمؤرخين الانكليز المحترفين .

وبما انه كان باستطاعة وزراء المجلس السابقين الاستفادة من الوثائق السرية عندما يرغبون في نشر مذكراتهم ، وانهم كانوا يعتمدون بشكل رئيسي على الذاكرة فيما يتعلق برواياتهم عن اعمال الوزارة ، دون ان

(١) حادثة اوفضيحة بروفيومو هي الحادثة المعروفة المتعلقة بالعلاقة الغرامية لوزير الحربية البريطاني بروفيومو مع احدى موظفات السفارة السوفيتية في لندن (المترجم) .

تتدخل الحكومة بحجم ماينشر ، فان قانون الاسرار الرسمية أصبح غير ذي مشكلة بحد ذاته ، وأصبح الموضوع يتعلق بالذوق والضمير الشخصي . وكان جميع زملائي يعرفون عن اليوميات التي كنت احتفظ بها ويعرفون عزمي على نشرها باسرع وقت ممكن . ولم يكن لدى احد منهم اعتراض أدبي باستثناء المحامين الذين يثرون بطرق مختلفة . وفي الحقيقة سبقني في النشر المستر ولسون واللورد جورج براون George Brown ، فالاول كتب تاريخاً شخصياً يتضمن كثيراً من الفقرات التي تثير الجدل ، والثاني كتب مذكراته في كتاب بديع يفوق مذكرات اللورد ويغ Wigg . اذن ، يوجد كثيرون ممن سبقوني في الكتابة الامر الذي جعلني اتخذ قراري بالنشر .

ولكن بما ان هذه اليوميات تقدم كثيراً من المعلومات الجديدة ، البسيطة والهامة ، فقد شعرت بانني ملزم باستشارة زملائي — وخاصة المستر ولسون والمستر كالاهان Callaghan . ورجاني كل منهما ان اعده بانني لن انشر اليوميات « قبل الانتخابات القادمة » . وقد ازالت انتخابات هيث Heath المفاجئة عام ١٩٧٤ معارضة النشر التي كنت ساعتبرها أمراً خطيراً فيما لو فرضت هذه المعارضة علي تأخيراً أكثر .

وهنالك سبب آخر . لماذا ينبغي ان لايكون الفاصل الزمني طويلاً جداً . في بلادنا تعتبر هذه اليوميات الاولى من نوعها التي تظهر للطبع ، كما انه من غير المحتمل ان يتم نشر المجلدات التالية قبل سنة على الاقل من نشر المجلد الاول . وبما ان كثيراً من الفقرات سوف يتم تحديها بشدة ، فمن المفضل للأشخاص المعنيين وللمؤرخ ان يحدث مثل هذا التحدي والمذكرات مازالت طازجة . هذا علاوة على ان النقاط الحقيقية ليست هي

التي سوف تتعرض للهجوم فقط . وقد اخذت على عاتقي في هذا الكتاب ان أطبق نظرية الديمقراطية البريطانية الحديثة وأنا مدين جدا وفي هذا المجال للبروفسور جون ماكنتوش John Mackintosh . وقد تم تحدّي هذه النظرية التي وضحت بشكل معقول نتيجة للجدل الأكاديمي . وأعتقد ان هذه اليوميات سوف تزود علماءَنا السياسيين بمادة كبيرة تعتبر أساساً يمكن ان يستمر الجدال عليه مدة أطول .

يبقى هناك اعتراض أخير ينبغي ان أتحدث عنه قبل ان اختتم هذه المقدمة . فسوف يعلن احدهم بأن أحداث المجلد الأول بعيدة جداً ، فلماذا لم أقتطع منه الوصف التافه لزيارة السلطات المحلية ، والروايات المفصلة للمباحثات في اللجان الوزارية ، والحديث عن كيفية وصول وثائقي الى البرلمان ، لكي أركز على الأسرار السياسية للحكومة ، وماذا حدث حقيقة داخل الوزارة ، وكذلك الدسائس الشخصية التي كانت تحاك وراء الكواليس ؟

وجوابي هو : مع ان هذا النوع من اليوميات قد يوفر مادة مثيرة لمسلسل ينشر في صحافة الأحد ، فانه يتوقف عن كونه رواية صحيحة لحياة وزير الاسكان ، بين اعوام ١٩٦٤ ــ ١٩٦٦ . وعندما كنت أملي الحجم المحدد من اليوميات كل نهاية اسبوع ، كنت أضمنه جميع مايجول في خاطري خلال نشاطات الاسبوع المنصرم وكذلك الملاحظات او المحادثات التي لصقت في ذاكرتي . ومن شدة اهتمامي بهذه اليوميات اصبحت اهتم بالمسائل الصغرى المتعلقة بوزراتي وأهملت المسائل الكبيرة التي كانت تقرر في مجلس الوزراء وانا شارد الذهن او غافياً في مقعدي .

في الحقيقة إن هذه اليوميات تعكس بأمانة الحقائق الكاملة ، وهذا باعتقادي يعطيها قيمة خاصة . وبعد استشارة المستر جراهام جرين Graham C.Green ، كان قراري عدم حذف شيء من اليوميات الا عندما تكون العبارات تافهة او تشهيرية او غير دقيقة . وعلى أية حال ، فقد ضمّنت اليوميات اختياراً غنياً بالمبادىء العامة التي أؤمن بها وبالتنبؤات التي تكون أحيانا تمريناً في عقاب النفس لأن بعضها يبدو سخيفا اليوم .

لذا ، يمكن التأكيد للقارىء بأن هذا المجلد قد اختصر بشكل طفيف جداً ، وهو نقل كامل لليوميات التي احتفظت بها خلال الاثنين والعشرين شهراً التي قضيتها في وزارة الاسكان . وبما ان الأصل لم يكن مطبوعاً على الآلة الكاتبة لانني كنت أملي يومياتي اسبوعياً بالقدر الذي أريده وغالباً مايكون لمدة ساعتين او ثلاثة . فعندما تمّ نسخه وجدت ان قراءته صعبة ، وكان مملوءاً بالعبارات التي هي مجرد تكرار للاسبوع الذي سبقه ، لانني عندما كنت أتلمس الجمل الصحيحة كنت اكرر ماسبق ان ذكرته دون ان أشعر ، كما انني عندما كنت اشعر بالتعب استمر في الأملاء وأنتج كراسات مطولة مكتوبة باسلوب خالٍ من قواعد اللغة وكذلك من الأحساس .

لذلك قررت ان أعيد املاء النسخ الاصلية بلغة مفهومة وسهلة . ولكي اكون متاكداً بانني لم احرّف النص ، أقنعت الدكتورة جانيت مورغان Janet Morgan من كلية نفيلد Nuffield لتكون مؤرختي ، وان تقوم بمقارنة النصّ الذي اقترحته للنشر مع النسخة الأصلية ، وان تتأكد من ان النقل الثاني كان أميناً للأول . كذلك كانت الدكتورة مورغان مسؤولة

بشكل كامل عن ترابط العبارات ، وعن الحواشي ، وعن الملاحظات المتعلقة بسيرة الشخصيات . اما الملاحظات المتعلقة بالشخصيات البارزة فقد كانت من مسؤوليتي . وبالنسبة للطلاب الذين يهتمون بالنصوص ، فان النص الكامل للنسخة الاصلية متوفر بشكل دائم في جامعة وورويك Warwick .

شباط ١٩٧٤

ريتشارد كروسمان

(Richard Crossman)

الجزء الأول

يوميـــات

الفترة

(٢٣/١٠/١٩٦٤ - ٣١/٨/١٩٦٥)

القسم الأول

يوميـــات

الفترة

(٢٣/١٠/– ٣١/١٢/١٩٦٤)

انتهى حكم حزب المحافظين الذي دام ١٣ عاماً عندما فاز حزب العمال في الانتخابات العامة التي جرت عام ١٩٦٤ . وكان حكم المحافظين يبدو في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات وكأنه جلب الازدهار لبريطانيا في الداخل ، وتحررت بعض الدول عن الامبراطورية بهدوء في الخارج ، هذا الى جانب سياسة التحالف القوي مع امريكا ومع منظمة حلف شمال الاطلسي . لكن عام ١٩٦٣ كان عاماً غير سعيد بالنسبة للمحافظين . فبريطانيا أُبعدت عن الجماعة الاقتصادية الاوروبية بالفيتو الذي استعمله ديغول ، وكانت هنالك تعقيدات حول حلف شمال الاطلسي ، كما لم تستطع زعامة هارولد ماكميلان البارعة إخفاء ارتباك المحافظين حول فضائح الصيف الأمنية . وكان ماكميلان يأمل في متابعة قيادة الحزب حتى الانتخابات العامة القادمة ، لكن المرض المفاجيء أجبره في تشرين الاول (اكتوبر) على الاستقالة وهو في ذروة نجاحه بعد توقيع معاهدة منع التجارب النووية . وهذه الاستقالة عجّلت في حدوث نزاعات حادّة داخل الحزب وخارجه استمرت حتى ظهر في النهاية السير ألك دوغلاس هيوم خلفاً له .

وقد جعلت المنافسة مع المعارضة موقف الحكومة يبدو اكثر ضعفاً . لقد اصبح هارولد ولسون زعيماً لحزب العمال بعد موت غيتسكل في عام ١٩٦٣ وقدَّم مع فريقه برنامج سياسة اشتراكية فعّالة مع تطويرٍ علمي وتقني لهذه السياسة . وكان المستر ولسون نفسه مستشاراً اقتصادياً في مجلس التجارة ، وكان اصغر من السير أَلِك بثلاثة عشر عاماً . وكان متحمساً للعمل مع رجالٍ جدد وللسياسات الجديدة وكان يشبه في ذلك الرئيس كنيدي الذي أثر في جمهور الناخبين الامريكيين عام ١٩٦٠ .

قرَّر السير أَلِك ومستشاروه ان لايجروا الانتخابات حتى خريف عام ١٩٦٤ ، حيث تنتهي المدة القانونية لبرلمان عام ١٩٥٩ . ومع ان العمال حصلوا على عدد كبير من المقاعد في انتخابات الربيع لمجلس مدينة لندن الجديد ، وحققوا بعض الانتصارات البارزة في مجالس المقاطعات الاخرى وفي انتخابات بعض الدوائر الانتخابية ، فقد أظهرت النتائج الاولية للانتخابات توازناً نسبياً بين العمال والمحافظين . فالمحافظون ، بخلاف العمال ، كانوا يملكون أموالاً تكفي للقيام بحملة دعائية انتخابية خلال الصيف وكان زعيمهم يأمل في تشرين ان يتمكن من جمع شمل حزبه .

كان الموقف الدولي بعيداً عن الهدوء ، وكان نواب الحزبين مؤيدين للسياسة البريطانية ولدور قواتها في مناطق النزاع في بورنيو ، وعدن ، وقبرص . وكان طلب روديسيا الجنوبية الاستقلال قبل منح سكانها السود حقوقهم كاملة يثير قلق المحافظين ، فأقطار الكومونولث السوداء كانت تتوقع من بريطانيا ان تصرّ على تأجيل الاستقلال ، بينما كان ناخبو

المحافظين داخل البلاد يتعاطفون مع قضية المستوطنين البيض في روديسيا ، لانهم يشعرون بروابط القربى معهم . وكان السير ألك قادراً على تلطيف القضية خلال مؤتمر الكومونولث ، الذي انعقد في لندن في ذلك الصيف ، فاتفق مع رئيس الوزراء الروديسي على اجراء استفتاءٍ رسمي حول هذه القضية ، لكن بعض المراقبين شعروا بان المجابهة قد تأجلت فقط .

على اية حال ، كان الرأي العام مهتماً بالحالة الاقتصادية داخل البلاد اكثر من اهتمامه بالمشاكل الخارجية . فقد خُططت ميزانية الربيع للمحافظة على التوسع بدون تضخم ، وكانت البنود الجديدة في الميزانية قليلة . وظهرت الثقة في سوق الاوراق المالية ، وقلّت البطالة خلال الصيف ، وحتى شهر حزيران توفر احتياطي من العملات الصعبة ، لكن احتياطي الذهب في ذلك الشهر انخفض بمقدار عشرين مليون جنيه استرليني ، وحدثت ثغرة كبيرة في التجارة وانخفضت ارقام الصادرات ، واستمر الموقف في التدهور في شهري تموز وآب . وعلاوة على ذلك ، كان الانتاج الصناعي راكداً خلال عام ١٩٦٤ . ولم يهاجم زعيمُ المعارضة السجل الاقتصادي للحكومة حتى شهر ايلول ، وذلك في منتصف الحملة الانتخابية . ولم يرغب المستر ولسون في ان يلام على التعجيل باثارة ازمة ثقة بالاسترليني ، وبالتأكيد فان زعامة حزب العمال راودتها الشكوك في اوائل العام بأن يلقي عليها جمهور الناخبين بعض المسؤولية بسبب ضعف الانتاج الصناعي لبريطانيا نتيجة الاضرابات والتهديد بها التي قامت بها الاتحادات . فاضراب عمال الصلب تبعه اضراب عمال صناعة التجهيز بالكهرباء ، واضراب الفنيين في التليفزيون ، وحصلت اضطرابات

في معامل تجميع المحركات في مدينة بيرمنجهام قبل ثلاثة أسابيع فقط من بدء الانتخابات . وقد أظهر استفتاءٌ لاستطلاع رأي الجمهور اختلافاً بسيطاً في المقارنة بين الحزبين الرئيسيين وذلك في الاسبوع الأول من شهر تشرين الاول . وكان الفرق البسيط لصالح المحافظين ، لكن ربما كانت معنويات العمال أعلى .

جرت الانتخابات يوم الخميس ، الخامس عشر من تشرين الاول . وكانت نسبة المقترعين ٧٧٪ ، وهي أقل من نسبة المقترعين في الانتخابات العامة السابقة . وحصل حزب العمال على غالبية اجمالية بمقدار أربعة مقاعد وأزاح المحافظين في النهاية . فقد حصل العمال على ٣١٧ مقعداً (١ر٤٤٪ من عدد المقترعين) ، وحصل حزب المحافظين على ٣٠٣ مقاعد (٤ر٤٣٪) ، وحصل حزب الاحرار على ٩ مقاعد (٢ر١٪) ، وبذلك انتهت الانتخابات ليس بفوز العمال وانما بهزيمة المحافظين .

إن هذا التقارب في النتائج ، على اية حال ، بدا كأنه تأييد شخصي للسير أِلِك ، فلو ان الناخبين كانوا يعلمون ، كما علموا في السادس عشر من تشرين الاول ، بسقوط خروتشوف وبتفجير سلاح نووي في الصين ، لكان من الممكن ان يفوز المحافظون مع تأييدهم المعلن لوجود قوة ردع مستقلة . كانت الازمة الاقتصادية اكثر اشتداداً . فقد اظهرت مذكرة رفعتها وزارة المالية الى رئيس الوزراء الجديد وجود عجز في ميزان المدفوعات لما وراء البحار قدره ٨٠٠ مليون جنيه استرليني . وقد نصح رئيس الوزراء ، والوزير الاول ، وقاضي القضاة مجلس الوزراء بفرض ضريبة

اضافية مقدارها ١٥٪ على جميع الواردات ، باستثناء المواد الغذائية والمواد الاولية ، وذلك لفترة مؤقتة قدرها ستة اشهر ، وقد أثارت هذه النصيحة شكاوى غاضبة من اللجنة الاقتصادية الاوروبية ومن اتحاد التجارة الاوروبي الحر .

وقد وعد البيان الانتخابي لحزب العمال باعادة تأميم الفولاذ ، وبتوسيع قدرات شركة خدمات الطرق البريطانية الوطنية ، وبإلغاء قانون الايجارات ، وبتعيين عضوٍ برلماني لتقصي الشكاوى ضد دوائر الحكومة . كما وعد البيان باعادة تنظيم التعليم الثانوي على أسس واضحة ، وبإنشاء مجالس تخطيط اقليمية ، وتحريك المشاريع عن طريق تغيير الضرائب . كما وعد بمنح الموظفين ميثاق حقوق ، وباعادة النظر في قانون اتحاد العمال ، وبتقديم مشاريع جديدة للضمان الاجتماعي . وقد استعرض مجلس الوزراء هذه الوعود عند اجتماعه لبحث خطاب الملكة الذي ستلقيه لدى افتتاح البرلمان في الثالث من تشرين الثاني .

وكانت الحالة السيئة للاقتصاد سوف تسبب الارتباك لحكومة العمال خلال فترة توليها الحكم . فبدون موارد ، لاتستطيع الحكومة ان تنفذ مشاريعها الجريئة وعليها ان تختار اختيارات صعبة . فالزيادات الموعودة في معاشات المتقاعدين كبار السنّ كانت من بين هذه الاختيارات .

ووعد حزب العمال في بيانه الانتخابي إحداث ٤ وزارات جديدة : للتخطيط الاقتصادي ، وللتكنولوجيا ، وللتطوير فيما وراء البحار ، ولمقاطعة ويلز ، وكانت القائمة الوزارية التي نشرها المستر ولسون ، والتي تضم ٢٣ وزيراً ، تشبه وزارة السير أِلك من حيث كبر سنّ

اعضائها ، وحتى أكبر إذ أن المعدل الوسطي لسن الوزراء يبلغ ٥٦ عاماً . وكانت هنالك بعض المفاجآت : جورج براون اصبح وزيراً أول[١] مسؤولاً عن الوزارة الجديدة للشؤون الاقتصادية ، وتولى جيمس كالاهان وزارة المالية . وعلى الرغم من هزيمة باتريك غوردون ووكر في الانتخابات اصبح وزيراً للخارجية . وأصبح دنيس هيلي وزيراً للدفاع ، وهربرت بودن رئيساً لمجلس العموم . وتولت بربارة كاسل وزارة تطوير ما وراء البحار ، وفرانك كوزينز وزارة التكنولوجيا . وكان هذا التعيين الاخير مفاجأة ، وكذلك التغيير الذي أجراه المستر ولسون بين وزيري ظله للاسكان والتعليم . فتولى مايكل ستيوارت وزارة التعليم ، وريتشارد كروسمان وزارة الاسكان . ومن هنا تبدأ اليوميات .

الخميس ٢٢ تشرين الأول :

عُينت وزيراً للاسكان يوم السبت ، السابع عشر من تشرين الاول عام ١٩٦٤ ، واليوم هو الثاني والعشرون من تشرين الاول فقط ، ولكن آه ياعزيزي ، تبدو هذه الفترة وكأنها زمن طويل جداً . ويبدو ايضاً انني قد نقلت نفسي كلية الى هذه الحياة الجديدة كوزير . وهي كما توقعتها الى حد ما . ان الغرفة التي اجلس فيها الآن هي نفسها التي رأيت فيها بيفان لاول مرة عندما كان وزيراً للصحة ، وأدركت مدى الجهد الكبير الذي عليّ ان ابذله كوزير لئلا أضيع في متاهات العمل في الادارة المدنية . كانت غرفتي

(١) يعادل الوزير الاول في بريطانيا نائب رئيس الوزراء في البلدان الاخرى .

في الوزارة كالزنزانة المزخرفة ، وكنت اشعر في بعض الاحيان انني شخص مجنون رسمياً ، وضع في هذ الغرفة الكبيرة بعيداً عن الحياة الواقعية ، محاطٌ بالذكور والاناث والممرضات المدربات والخدم . وعندا أكون في حالة نفسية حسنة فانهم يسمحون للشخص العادي أن يأتي ويزورني ، لكنهم حريصون ان اتصرف بشكل صحيح ، وان يتصرف هذا الشخص ايضاً بشكل صحيح ، وهم يعرفون كيف يتقدمون لي . وهم لايتصرفون ، طبعاً كالممرضات تماماً لان الخدمة المدنية تختلف عن ذلك — « نعم معالي الوزير ! كلا معالي الوزير ! اذا رغبت في ذلك معالي الوزير ! — ويرافق هذا حرصٌ مستمر للتأكد بأن معالي الوزير تصرف بشكل صحيح . فوظيفة السكرتير الخاص هي الوصول الى يقين بأن الوزير سوف يتصرف طبقاً لقواعد وتقاليد المؤسسة الحكومية عندما يذهب الى « وايت هول »[1] .

ويبدو صحيحاً ان على الشخص ان لا يتصرف مخالفاً للأصول مهما كان كي تسير أموره على مايرام . حقاً لقد نسيت ماهو اليوم ، فحياتي كلها خلال الأيام الاربعة الأخيرة برزت في يوم واحد غامض — عندما التفتُّ الى سكرتيري الخاص ، جورج موسليGeorge Moseley وقلت له : « يجب ان تعلمني الآن كيف أتصرف بهذا البريد » . وجلس أمامي بعينيه الشبيهتين بعيني البوم وقال لي « حسناً معالي الوزير ، هنالك ثلاثة طرق للتصرف . يمكنك ان تجيب على رسالةٍ ما بشكل

(١) Whitehall — مقر الحكومة البريطانية .

شخصي بخط يدك ، او يمكن ان نكتب نحن الاجابة التي تتضمن ردّك الشخصي وانت توقعها ، او يمكن ان نكتب إجابة رسمية اذا كانت الرسالة لاتستحق اجابتك الشخصية . فسألته :« وماهي الاجابة الرسمية ؟ » فقال المستر موسلي :« حسناً إن نصّ الاجابة هو : تسلّم الوزير رسالتك ، وسوف يصلك الردّ . وعلى كل حال ، سوف نكتب لك الانواع الثلاث وانت تخبرنا فقط ايها تختار . » فسألته : « وكيف افعل ذلك ؟ » فقال : «حسنا ، تضع البريد الوارد بعد توقيعك على نوع الاجابة التي تختارها في سَبَتِ البريد الصادر . واذا وضعت البريد بدون تدوين ملاحظاتك عليه فنحن نتعامل معه ولن تراه ثانية . » .

اعتقد انني سجلت كلامه حرفياً . فالمطلوب مني ان انقل كل البريد الموجود في سَبَتِ الوارد الى سَبَت البريد الصادر بدون ان ادوّن عليه اية ملاحظة للتأكد بأن سكرتيري الخاص سيتعامل معه — وكل مايهتم به مكتبي الخاص هو ان يرى ان الروتين يسير سيراً حسناً ، وان حياة الوزير تسير بطريقة صحيحة .

ماذا عن داخل المكتب ؟ يوجد فيه فتاتان ترتديان ملابسهما بشكل أنيق . وهما طبعاً ، ليستا ضاربتي آلة كاتبة او عاملتي اختزال ، بل لاتستطيعان في الحقيقة الضرب على الآلة الكاتبة . وهما أعلى درجة من الموظفات المدنيات ، انهما مساعدتان شخصيتان . ويجلس مع هاتين الفتاتين وراء منضدة كبيرة الشاب المستر بونسفوردPonsford ، وهو مساعد رئيسي . وفي مكان ما في الخلف توجد سيدة كبيرة في السن ، هي كاتبة اختزال . حاولت أن استخدمها مرة هذا الاسبوع لكنها

اضطربت وارتبكت لانها لاتستطيع ان تتقدم لي بطريقة عادية كوني وزيراً . وهي تقبع في غرفة صغيرة بعيدة نسبياً بينما يشتمل المكتب الخاص الحقيقي على الفتاتين ، واحدة تعدّ اوراقي الوزارية ، والاخرى تنظم مواعيدي ، وهنالك مستر بونسفورد ، وفي غرفة قريبة مني يوجد جورج موسلي ، الذي ينبغي علي ان اقنعه ان يكون انساناً واقعياً . فهو ، ياعزيزي ، يغمز بعينيه بشكل لاإرادي ، ولايدرك ماذا يفعل . وهو غير مبالٍ وعنيد لأبعد الحدود ، وهو حريص جداً على منعي من القيام باعمال ما بطريقة خاطئة . وعندما كتبت ملاحظة بخط يدي — ذلك اليوم — طالباً من احد الأشخاص ان يحضر ويقابلني ، وجدت ملاحظة في صندوقي الأحمر[1] مساء ذلك اليوم تقول : « من حقك طبعاً ان تفعل ذلك . لكننا نود ان تتصرف بالطريقة الفلانية » . ان جورج موسلي هناك ، في الغرفة المجاورة لغرفتي ، يراقبني طيلة الوقت ، لكي يتأكد ان كل ما أفعله يتم بصورة صحيحة . انني اجلس في غرفتي الكبيرة وحيداً . ولاتوجد فيها طبعاً مغسلة او دورة مياه[2] . وفوق رفّ المدفأة ساعة حائط فوقها نسخة من صور الرسام هولباين Holbein[3] . وفي الزاوية البعيدة

---

(١) الصندوق الاحمر ، هو صندوق يلاحق الوزير ، وقد اصبح جزءاً هاماً من حياتي . ففيه توضع جميع الكتب والرسائل التي ينبغي ان اوقعها ، وكذلك جميع الملخصات التي ينبغي ان اقرأها ، وهي مكدسة فوق بعضها البعض مع اوراق صغيرة جدا دونت عليها ملاحظات من سكرتيري الخاص .

(٢) توجد مغسلة ودورة مياه في الجانب الآخر من الغرفة لكنني لم اكتشفهما الا بعد مضي بضعة أيام ، ولم يطلعني احد عليها .

(٣) هولباين (Holbein) رسام ألماني (١٤٩٧ — ١٥٤٣) ، عاش في انكلترا وأصبح رسام الملك هنري الثامن . وهو يرسم الاشخاص بالاسلوب الواقعي — (المترجم) .

توجد صورة صغيرة باهتة . ولايوجد شيء آخر على هذه الجدران الحديثة المزخرفة ، وفي هذه الغرفة الكئيبة الواسعة اسمع ، اذا فتحت النافذة ، الضجيج القادم من جهة مبنى الوايت هول . انني أجلس هنا معزولاً عن العالم مع أناس يتعاملون معي بالطريقة التي ترغب فيها وزارة الاسكان والحكومة المحلية .

والآن ، كيف قضيت وقتي في الاسبوع الاول ؟ لقد قضيته في مقابلة الموظفين ذوي المناصب العالية ، على التوالي . فجاء اولاً أمين السر (السكرتير) المستر جونزJones ، وهو رجل ذكي وحاذق ، من مقاطعة ويلز ، مسؤول عن التخطيط في الوزارة ، وهو صديق حميم للسيدة إيفلين شاربEvelyn Sharp ، وهو سكرتير دائم . ثم جاء السكرتير المستر وادِل Waddell ، وهو مسؤول عن الإسكان . وجاء بعدهما أمناء السر المساعدون المسؤولون عن الاقسام المختلفة في الوزارة . ثم عقدت اجتماعاً خاصاً مع كبير المهندسين ، ومع ضابط الانشاءات الذي اخبرتني السيدة إيفلين بانه يدير جوانب الإسكان ثم التخطيط ، وهو شخص ظريف يتولى عن غيره مهمة القيام بالشؤون الروتينية المزعجة ، وقد استقر أخيراً في الانشاءات . ثم عقدت جلسة في الوزارة حول الماء ، وقد تم بحث هذا الموضوع باهتمام بالغ لان الوزارة ارادت ان تتأكد أننا كحزب نعارض تأميم الماء ، وفي الحقيقة نحن لسنا معارضين لذلك . لانه توجد لدينا مدن جديدة ستنشأ .

في كل اجتماع من هذه الاجتماعات ، التي كانت تستغرق من ساعة ونصف الى ساعتين ، كنت قادراً على استخدام فنون المناقشة التي

اعتدت عليها : فكنت اطرح الأسئلة لأجعلهم يتكلمون ، كي اكتشف ماذا يدور في الوزارة . وكنت ، طبعا ، اشعر بالقلق التام خلال المناقشات بسبب جهلي التام للمواضيع التي تطرح للمناقشة (شكرا لله انهم لم يكتشفوا ذلك) . كنت اخصائياً في الضمان الاجتماعي لعدة سنوات مضت ، واعرف مافيه الكفاية عنه . اما العلوم والتربية فقد عرفت عنها في الأشهر التي كنت فيها وزير ظل . لكنني كنت دائماً بعيداً عن مجال تخطيط الريف والمدينة ، وعن كيفية تنظيمه وعمله ، وعن كيفية اعطاء رخص التخطيط ـــ كل هذا كان بعيداً عني وخلافاً لما توقعت . وكنت استيقظ مبكراً ، بين الحين والآخر ، وافكر كيف يمكن ان اتصرف ؟ ألا يمكن ان تكتشف حقيقة امري في اول خطاب لي ؟ وكان عقلي الباطن يتأهب طيلة الوقت من اجل إلقاء خطابي الأول في البرلمان . وكنت افترض انه سيكون حول سياسة الإسكان عندما يناقش خطاب الملكة .

إن الشخصية التي تسيطر على جميع الاجراءات في الوزارة هي السيدة ايفلين طبعاً . فهي سكرتيرة دائمة منذ عشر سنوات ، وتبلغ من العمر ٦١ عاماً وبذلك تكون قد تجاوزت سن التقاعد بسنة واحدة ، وهي الآن موجودة في الوزارة لانها فقط لاتستطيع ان تتحمل ترك العمل . وهي امرأة ضخمة الجسم نسبياً ، يبلغ طولها خمسة أقدام وعشرة بوصات (١٧٧ سم) ، ولها عيون زرقاء مخيفة . لونها شاحب ، ووجهها بدون تزيين ، ولاتضع حمرة على شفتيها . اما لباسها فيشبه لباس الطبقة المتوسطة او الراقية ، وهو غالي الثمن لكن يعوزه الذوق . إنها في الحقيقة شخصية قوية ومسيطرة . عملت مع وزراء مشهورين عديدين قبلي : مع

الوزير سِلكِنْSilkin والوزير ريثReith ، وهما من حزب العمال توليا وزارة تخطيط المدن والريف في حكومة العمال في الفترة من ١٩٤٥ ـــ ١٩٥١ . وهي تنظر للأشياء من الزاوية التخطيطية . كما انها تشبه بياتريس وِبْBeatrice Webb [1] في نظرتها للحياة ، ولليسار على أساس تحقيق التقدم والعدل الاجتماعي بشكل هادىء ومع ذلك فهي ارستقراطية عنيفة متعجرفة ، وتنظر الى جهاز الموظفين كأطفال عليها ان تراقبهم وتوبخهم على ذنوبهم . وهي ترى ان الانسان العادي غير قادر على اتخاذ قرار معقول . فعندما كنت أسألها عن رأيها في شخص ما ، وكنت اسمع عنه انه رجل جيد ، كانت تنعته بأنه لايساوي شيئاً . فمثلا ، أخبرني ريتشارد تتمُسRichard Totmos بأن البروفسور دافيد دونيسون D.Donnisonهو انسان جيد يمكن ان يساعدني في إعداد قانون الايجارات ، وان بيتر سِلفP.Selv ، من اتحاد تخطيط الريف والمدينة ، يستحق الاعتبار . فسألتُ السيدة إيفلين عنهما فاخبرتني ان اتحاد تخطيط الريف والمدينة عبارة عن صِفْر ، وأن دونيسون رجل نظري الى درجة خطيرة . فدعوتهما الليلة الماضية على العشاء ، ومع انني وجدت سِلْف مضجراً بعض الشيء ، الا انهما بدون شك قديران ، كما ان دونيسون في رأيي رجل مدهش وذكي وحيوي . لكنها بهذه الطريقة تبعد كل شخص . وهي طبعاً متفرغة لدائرتها وتسيطر على الجميع لارضاء وزيرها . وماذا هي صانعة بالنسبة لي ؟ حسناً ، الحقيقة اني سعيد لظرف واحد ، ففي

---

(١) تنتمي بياتريس هي وزوجها الى الجمعية الفابيّة وهي جمعية انكليزية (انشئت عام ١٨٨٤) يسعى اعضاؤها الى نشر المبادئ الاشتراكية بالوسائل السلمية .

اللحظة التي قابلتني فيها ايفلين كانت لحظة أزمة لان دائرتها كانت في خطر .

عندما عينت وزيراً ، يوم السبت الماضي ، عادت ايفلين من كوخها الريفي في لافنهام واخبرتني لحظة وصولها الى لندن بان دائرتها قد قضي عليها بسبب قرار هارولد ولسون بأن يتولى فرِدْ ويلي-F.Willey مسؤولية التخطيط وان أتولى أنا مسؤولية الإسكان . وعندما اخبرني هارولد بهذا القرار كان شعوري الداخلي بأن ذلك سيكون عوناً لي ، لانه اذا تولّى فرِدْ ويلي التخطيط سوف لااكون مسؤولا عن مشروع قانون لجنة الاراضي المريع في التعقيد . على اية حال ، شرحت لي السيدة بأن مافعلتُه بدون أن أشعر سوف يدمر قواعد دائرتها ، لانه من وجهة نظرها — التي أشك الآن أنها صحيحة — يستحيل تماماً اعطاء التخطيط الطبيعي ، وسياسة الاراضي الى وزارة جديدة بدون اعطائها السيطرة الكاملة على الإسكان . وانني اذا قبلتُ مااخبرني به هارولد فان « فرِدْ ويلي » سوف يدير سياسة الاراضي جميعها ، وان شارلي بانلCh.Pannell ، بوصفه وزيراً للأشغال ، سوف يدير جميع جوانب العمل في الإسكان وسأترك أنا حاملاً للقب الشرف .

وحالما علمت إيفلين بالقرار فتحت معركة مع وايت هول لانقاذ دائرتها من غبائي وجهلي . واستمرت المعركة خلال أيام السبت ، والاحد ، والاثنين ، والخميس ، وحُسمت المعركة في الحقيقة هذا الصباح فقط . واعتقد ان القرار النهائي قد اتخذ بعد حديث شخصي أجريته مع هارولد هاتفياً صباح الأحد ، عندما شرحت له ماذا اخبرتني السيدة

ايفلين . وقد أكد لي بأنني سأتولى جميع شؤون الاسكان وان كل شيء سيكون على مايرام . وفي صباح الاثنين اتصلت به مرة ثانية فأكّد لي مرة أخرى ان كل شيء سيكون على ما يرام . وفي المحادثتين وبّخني أنا والسيدة ايفلين على الطريقة التي شنَّت بها المعركة في الوايت هول ، وقال لي :

« إنك لاتعرف ايفلين ماذا تشبه ، وهي تذهب الى الموظفين من وراء علمي » . إنني اعرف تماماً ماذا تشبه ايفلين ، واعرف ايضاً انها ذهبت الى هلسبيHelsby رئيس الخدمة المدنية ، والى إريك رولE.Roll رئيس دائرة الشؤون الاقتصادية الجديدة التابعة لجورج براون . وعلى الرغم مما قاله هارولد ، استمرت في حربها ، وأسَرَتْ « فْرِدْ ويلي » ووضعته في غرفة بوزارتنا ، وأمسكت بسكرتيره الدائم الجديد ، المستر بيشوبBishop وألقت عليه محاضرة . نعم انها حاربت وحاربت . وعندما التفتُّ اليها بعد ظهر الاربعاء ، اثناء احدى الاجتماعات ، وقلت : « حسناً ، سيدة ايفلين ، لقد كسبت المعركة .» أجابت : « لقد كانا اسوأ يومين مرّا في حياتي كلها » . فقلت : «نعم ، لكنك أنقذت لنا التخطيط الطبيعي » . فقالت : « طبعاً ، اني افوز دائماً ، لكن هذه المعركة كانت مضنية » .

وفي غضون ذلك ، كانت تعتني بي ، وتسوسني . حسناً ، ان كلمة « تسوسني » خطأ لانها كانت صارمة جداً كالغرانيت ، لكنها كانت تراقب وتنظم وتلقي المحاضرات . إن عقلها ذكي واعتقد انها وجدت فيّ ، لااقول نداً لها ولكن شخصية يحسب لها حساب . ونظرا لكوني مثقفاً صعب المراس ، ومع انني ابدو اقل جدلاً منها ، فقد كنت ادرك في

بعض الاحيان ان الجدل ليس مفضلاً ، وان على المرء ان يحافظ على السلام مع الآخرين .

حسناً ، اظن اني اصبحت على وئام معها ، وأريدها ان تقف بالتأكيد بجانبي ، وهي مسرورة ايضاً لانها ربحت المعركة . واعتقد انها ستنصرف الآن كلية لادارة الدائرة معي كمساعد رقم واحد . وفي اليوم التالي سألتني فيما اذا كنت اريد الاحتفاظ بجورج موسلي فقلت لها انني ارغب في التفكير بالموضوع . ولكن وجدت في اليوم التالي على منضدتي رسالتين مكتوبتين على قصاصتي ورق بخط يد المستر موسلي : « هل تتفضل بتوقيع هاتين الرسالتين اذا كنت تريدني أنا وبونسفورد ؟ » حسناً ، لقد وقعتهما ! كنت أُفضّل كثيراً شابا اكثر حيوية ونشاطاً اثق به ، لكنني قد استغني في المستقبل عن جورج موسلي . ربما كانت سكرتيرتي ، جني هول ، هادئة ووديعة كما رأيتها لأول مرة ، لكنها مخلوقة غنية الصفات ، فهي نشيطة ورائعة ومليئة حيوية بالمقارنة مع موسلي هذا . انني آمل ان اتخلص من موسلي في المستقبل ، لانني وقّعت الآن على الرسالتين الخاصتين به وبالسيد بونسفورد الذي لااستسيغه كثيراً أيضاً .

يجلس موسلي الآن في الغرفة المجاورة لغرفتي ، وهو هادىء الطبع ، وصادق ، ورسمي في عمله ، يعلمني تدريجياً كيف اكون وزيراً . من احدى مشاكلي اني لا أقابل اي شخص سوى القلة من كبار الموظفين . والى جانب هؤلاء كنت ارى الحجّاب ، الذين يدخلون غرفتي ويحملون حقيبتي الى الخارج ، وأري موليّ (Molly) سائقتي ، وهي امرأة ظريفة

ومحترمة تضع نظارات على عينيها ، وشعرها ذو لون أحمر . وأرى من باقي الوزارة فقط الموظفين الذين تريدني السيدة ايفلين ان أراهم . واعتقد جازماً بانه ينبغي على المرء ان يكون ذكياً جداً كي لايهوي بسبب سلطة الـ وايت هول المذهلة والطريقة التي تجذبك فيها هذه المؤسسة الحكومية الى صدرها . اظن انني حتى الآن صمدتُ بنجاح ، اولاً بسبب اسلوب المناقشة الاستجوابي الذي اتبعته ، وثانياً بسبب وجود مجموعة أشخاص خارج الوزارة كنت اتحدث معهم عندما اغادر مبنى الوزارة . كان هناك آرنولد غودمان (Arnold Goodman) ، الذي سيقدم لي مساء الاثنين مديراً من شركة ويمبي (Wimpey) ، وهذا من الممكن ان يضاف الى هيئة اركاني ويصبح مديراً لتنفيذ الإسكان . وهناك أيضاً دونّيسون ــ الذي ثبّتُ موعداً معه ومع خبراء آخرين في الأسكان آمل ان أُعيِّنهم لادارة وحدة تخمين ، لانني متأكد تماماً ان احدى مشاكلنا في الوزارة أنها لاتعرف حقيقة مايجري . انني احاول ان أُحقق شيئين كأهداف قريبة المدى وهما : اولاً ، ان أُعين في الوزارة رجلاً لمتابعة التطور ، ومن الممكن ان يكون هيامز (Hyams) ، وثانياً ، ان أُنشيء وحدة تخمين تكون خليطاً من التكنولوجيين والاقتصاديين الذين يكونون عيوناً وآذاناً لي ويمكنونني من الاشراف على الوزارة بالطريقة التي احتاجها .

خلال هذه الفترة ــ من الاثنين حتى الخميس ــ من اسبوعي الأول في الوزارة ، عقد اجتماعان لمجلس الوزراء . كان الأول مجرد اجتماعاً عادياً لبحث الازمة الاقتصادية ، وللحقيقة فاننا لم نُعلم عنها سوى القليل مثلما أُعلمت عنها اللجنة التنفيذية الوطنية للحزب . ومن المهازل ان يقول

جورج براون : « من الطبيعي أن ليس من المفروض ان تأخذوا علماً بها ، وذلك خوفاً من تسرب المعلومات بان الموقف خطير . وليس من الضروري ان تأخذوا علماً أيضاً بالأساليب التي ستتخذها . »

كان الاهتمام الرئيسي في اجتماع مجلس الوزراء هذا هو الوصول الى داوننغ ستريت[1] Downing Street ، والتقدم خلال حشد من المصورين ودخول المبنى رقم (١٠) ، الذي دخلته فقط مرة او مرتين من قبل ، والسير في الممر الذي يوجد على الجانب الأيسر منه التماثيل النصفية ، ورؤية الغرفة الصغيرة في الأمام والى اليسار التي يوجد بداخلها سكرتيرات هارولد : مارشيا ويليامز Marcia Williams ، وبرندا Brenda ، وأمناء السر : جورج ويغ George Wigg ، وتومي بالوغ Tommy Balogh ، وقد شحبت ألوان وجوههم بسبب شعورهم بأنهم اصبحوا تحت وطأة ضغط العمل في مقر الحكومة .

اما الاجتماع الثاني لمجلس الوزراء الذي عقد هذا الصباح ، فكان اكثر أهمية . وكان جدول الاعمال يتضمن : اولاً أزمة روديسيا ، ثم الفولاذ ، ثم خطاب الملكة ، ثم الازمة الاقتصادية . كان تهديد الروديسيين بأنهم سيعلنون الاستقلال على رأس جدول الاعمال . وكنا قد استمعنا الليلة الماضية الى مذكرة ايضاحية من لجنة الدفاع . ووجدت في صندوقي الأحمر مسودة كتبها أرثر بوتوملي Arthur Bottomley قبل سفره الى زامبيا ، حاول فيها ان يرهب الحكومة الروديسية بسبب تهديدها بالثورة ، وقال ان

---

(١) داوننغ ستريت هو اسم الشارع الذي يوجد فيه المقر الرسمي لرئيس الوزراء (المبنى رقم ١٠) ، والمقر الرسمي لوزير المالية في لندن — المترجم .

هذا سوف تكون له نتائج خطيرة . وكنت قادراً أن أسأل في مجلس الوزراء لماذا يتحدث آرثر هكذا عن التمرد والثورة بينما هذا يسمى في مذكرة لجنة الدفاع اعلان الاستقلال من جانب واحد . وكان هذا اول تدخل لي في مجلس الوزراء وقلت ببساطة : « بالتأكيد ليس من الحكمة لنا ان نستخدم لغةً توحي بأننا سوف نتخذ اجراءً لانستطيع ولا ننوي تنفيذه ، اعني ان نعاملهم كثائرين . » وكما قلت ، كان هذا أول تدخل فعلي لي في مجلس الوزراء ، وقد اثنى هارولد على كلامي ، واخذ المجلس برأيي .

ثم انتقلنا الى مذكرة فِرِدْ لي (Fred Lee) حول الفولاذ ، والتي ذكر فيها انه لأسباب فنية مختلفة ينبغي ان يؤجل التأميم الى الجلسة الثانية . وفي اللحظة التي سمعت فيها الاقتراح ادركت انه ميئوس منه . وتدخل جورج براون قائلاً ان التأميم أمر لامفرّ منه ، ويجب ان يبحث موضوع الفولاذ في الجلسة الاولى . وانعكست وجهة نظر براون هذه في كلمات الأعضاء ، وأكد كل واحد منهم :(آ) من المستحيل اسقاط بحث الفولاذ من جدول الاعمال ،(ب) واذا أبقيناه في الجدول علينا ان ننجزه باسرع وقت ممكن حتى اذا ذهبنا الى الريف او اذا هُزمنا فيكون ذلك بسبب لجنة الاراضي او الرقابة على الايجارات او التقاعد وليس بسبب الفولاذ . وكانت هذه اولى مناقشاتنا الحقيقية في مجلس الوزراء . واشترك فيها معظم الاعضاء . كان هارولد يجلس في منتصف المنضدة ويواجه الحرس الملكي خارج المبنى ، وفي أقصى يسار المنضدة الرفيعة البيضوية كانت تجلس بربارة ، وفي أقصى يمين المنضدة كنت أجلس أنا وفردْ لي . وكنا نحن الاثنان أصغر الاعضاء في مجلس الوزراء ، فالاعضاء الأقدمون يجلسون في منتصف المنضدة .

وكان جورج براون يجلس قبالة هارولد ، وعلى جانبه كان يجلس قاضي القضاة جيرالد غاردينر Gerald Gardiner . وكنت الاحظ أن هارولد كان يجلس ويمضغ غليونه ، وهو حريص جداً ، مثل أتلي ، لايقول شيئاً في البداية ويدعنا نصنع القرار جميعاً . في الحقيقة لم يتعاطف احد مع فْرِدْ لي سوى دوغلاس هوتون Douglas Houghton . وعندما هُزم فْرِدْ كليّةً التفت اليّ وقال : « لقد هُزمت » .

بعد ذلك انتقلنا الى خطاب الملكة . وكان هذا شغلي الشاغل في الوزارة خلال الأيام الاربعة الماضية . وكنت عارفاً منذ البداية ان مهمتي الرئيسية في المرحلة الأولى من البرنامج التشريعي ، الذي سيدور حوله خطاب الملكة ، ستكون الدفاع بشدة عن ضرورة مراقبة الايجارات . ومع ان حزب العمال كان ملتزماً منذ خمس سنوات بالغاء قانون ايجارات إينوك باول Enoch Powell ، فقد وجدتُ بعض الملاحظات القليلة التي اعدّها مايكل ستيوارت[1] Michael Stewart حول الموضوع . وكان هذا كل ماهنالك . وماعدا ذلك سيفكر فيه في حينه .

وقد أكدت السيدة ايفلين الآن أن هذه الملاحظات تكفي لنا في الجلسة الاولى . وكانت سعيدةً للتخلص من مشروع قانون لجنة الاراضي والقائه على عاتق فْرِدْ ويلي . وأوجزت لي الموضوع لكي اذهب الى مجلس الوزراء وأقول ان الاجراء الثالث المتطرف والمعقد ، وتحرير الاراضي المستأجرة ، ينبغي ان يؤجل بحثها الى الجلسة التالية ، ومهمتي في مجلس الوزراء ان

(١) كان وزير ظل للاسكان عندما كان العمال على مقاعد المعارضة .

اقاوم بأي ثمن المحاولات الهادفة الى تقديم اقتراح ببحث تحرير الاراضي المستأجرة (التي هي من مهمة وزارتنا) في هذه الجلسة . وكان هذا الموضوع ذا أهمية كبيرة لاعضاء البرلمان الذين هم من مقاطعة ويلز ، وذا أهمية أقل لاعضاء البرلمان من بيرمنجهام . ولكنني وجدت نفسي في مجلس الوزراء تحت ضغط كبير لكي اوافق على اضافة اصلاح الاراضي المستأجرة الى خطاب الملكة . وشكراً للقرار السابق القاضي ببحث قضية الفولاذ في هذه الجلسة كي استطيع ان اؤكد بان علينا ان لانبحث موضوع الاراضي المستأجرة .

أدهشتني اللهجة الرسمية في اجراءات مجلس الوزراء ، التي جرت ببساطة . وقد تبين لي بأنه ينبغي ان لانخاطب بعضنا بـ : ديك ، وهارولد ، وجورج ، كما نفعل في اللجنة التنفيذية الوطنية ، بل : « وزير الاسكان » ، او « رئيس الوزراء » ، وهذا ينطبق مع اسلوب مجلس العموم ، وله تأثير ايجابي ويساعدنا في التصرف بتهذيب تجاه بعضنا البعض .

كان انطباعي الأول ، بالنسبة لمجلس الوزراء كهيئة تتخذ القرارات ، انه منبر حقيقي للمناقشة الحرة اكثر مما توقعت واكثر مما وصفت في مقدمتي الى باجهوت[1] . من جهة اخرى ، كان واضحاً تماماً ان التحضيرات لبحث الأزمة الاقتصادية ، وهي الفقرة التي تلت خطاب الملكة ، قد أُعدت كلية من قبل هارولد ولسون شخصياً بمساعدة جيمس

---

(١) مقدمة كروسمان الى « باجهوت ـــ الدستور البريطاني » وهي وصف لمجلس الوزراء ، صدرت عام ١٩٦٣ .

كالاهان ، وجورج براون ، وعلى مااعتقد دوغلاس جاي Douglas Jay في مجلس التجارة . وقد فُرض برنامج الأزمة على بقيتنا . وأعترف بأنني لم استسغ ذلك كثيراً . فقد أُعطيتْ لنا مسودة حول الازمة واجراءات مواجهتها يوم الاثنين التالي . انني شخصياً لااهتم كثيراً بالمسودة لكن مجلس الوزراء ككل ليس لديه علم مسبق ، لذا كان يتوجب علينا ببساطة : إما ان نقبل الأمر الواقع او نستقيل . ولكي نحكم على الامور على ضوء الاجتماع الأول فإن رئيس الوزراء يستطيع ان يستشير من يشاء في أزمة ما ، وبعد ان تنتهي الاستشارة ينبغي على مجلس الوزراء ان يناقش ويصل الى قرار . وعلى النقيض بين هذه الطريقة وتلك التي تناول فيها هارولد قضية الفولاذ والتي كانت مثيرة حقاً . وعلى مااعتقد ، كانت تتوفر امكانيةٌ لاتخاذ قراراتٍ في مجلس الوزراء اكثر مما تَحقّق ، كما توجد امكانية اكثر لديكتاتورية رئيس الوزراء .

انني أشعر الآن كوزير بنفس الشعور الذي عشته عندما قرأت رواية موريس آيديلمان (Maurice Edelman) . وسبب هذا الشعور هو كون الوزارة لاتزال شيئاً لم تدخل في واقعي بعد . وقد قوي هذا الشعور بسبب الحقيقة التي مثلت أمامي وهي أنه كلما تركنا « داوننغ ستريت » او سرنا على امتداد « هوايت هول » كان يقف حشد من الناس ينظرون ، ويحيّون ، ويصفقون عندما ندخل وعندما نخرج ـــ كأننا نشارك ليس في الحياة العامة ، وانما في مهمة تحقيق صحفي عن النظام الدستوري البريطاني .

والحادثة الخيالية في هذه الرواية هي موضوع تقبيل الايدي واجراء

(البروفة) على ذلك بدون شك . وقد حدث ذلك يوم الاثنين الماضي عندما جُمعنا ، نحن الوزراء الجدد ، في مكاتب مجلس شورى الملكة لعمل « تجربة » للاحتفال بتسميتنا اعضاء في مجلس شورى الملكة ولا اعتقد انه يوجد أسخف مما حدث . كنا هناك ستة عشر رجلاً ناضجاً . ودُرِّبنا لمدة تزيد عن الساعة كيف نقف ، وكيف نركع على ركبة واحدة على وسادة ، وكيف نرفع يدنا اليمنى وهي ممسكة بالانجيل ، وكيف نتقدم ثلاث خطوات نحو الملكة ، وكيف نأخذ يدها ونقبلها ، وكيف نرجع للخلف عشر خطوات دون ان نقع على الكراسي التي ليس لها مساند ـــ والتي رُتِّبت بعناية كي لا نقع عليها حتماً . آه ياعزيزي ! لقد قمنا بهذه التجربة من الساعة ١٠ر١١ وحتى الساعة ١٥ر١٢ . وبعد هذا التدريب خرجنا جميعاً ، كل واحد الى سيارته ، واتجهنا الى القصر الملكي . وهناك دخلنا الى قاعة استقبال كبيرة . وكان يقف في الطرف الآخر من هذه القاعة المرأة[1] الصغيرة الحجم ذات الخصر الجميل ، وكان عليها ان تقف ويدها على المنضدة لمدة ٤٠ دقيقة بينما نمرّ نحن خلال هذا الاجراء المعقّد . كنا نحن غير طبيعيين ، وكانت هي أيضاً غير طبيعية . ثم انفرط في النهاية عقد الرسميات وقالت : « لقد تحرك جميعكم الى الخلف برشاقة » ، وضحكنا جميعاً . ثم ضغطتْ على جرس فتركناها وانصرفنا . وهكذا أصبحنا اعضاء في مجلس شورى الملكة : لقد قبّلنا الأيدي .

كان ذلك صورة ذات بعدين رقيقة للغاية تشبه رسماً ملوناً في كرة بعيدة جداً عن الحياة الواقعية ، ان رقتها هي التي مازالت تدهشني ، وهذا

---

(١) يقصد الملكة ـــ المترجم .

صحيح ليس بسبب تقبيل الأيـدي فقط ولكن بسبب اجتماعات مجلس الوزراء .

وقد بدأت في وزارتي أخرج تدريجياً من نطاق البعُدين الى نطاق الأبعاد الثلاثة . وأصبحت السيدة (ايفلين) تظهر كشخصية حادة الطبع أكثر فأكثر بينما بدأنا تدريجياً نقترب نحو نوع من التعاون الجاف .

ربما كان الاجتماع الذي عقدته لبحث مشروع قانون الايجارت اكثر الاجتماعات نجاحاً . جلسنا في غرفتي في موعد تناول الشاي وبحثنا الملاحظات التي أُعدّتها ايفلين . كنت جالسا في مقعدي ـــ وأنا أجلس دائماً فيه ، وصوتي يُنصت اليه دائماً ـــ وأنا الذي أدير الاجتماع . ويجب ان اقول ان الاجتماع سار على مايرام ، لانه عندما وصلنا الى النقطة الحرجة اخرجت من جيبي نصّ خطاب هارولد عن الموضوع وقلت : « إن مهمتنا كسياسيين ان نعطيكم توجيهاً واضحاً ، لذا سأتلو هذا بصوت عالٍ . لنرَ فيما اذا كان يوجد فيه ثغرات او غموض او فراغات لكي نملأها » .

والشيء الرائع بالنسبة لي طبعاً ، هو انني طرحت الفكرة ، وحالما فهمها الموظفون أعلنوا : « هذا يكفي ، ايها الوزير » ، وذهبوا يعملون بوحي هذه الفكرة طيلة اسبوع ـــ وقد استطاعوا ان يؤمنوا لي جميع العمل التفصيلي الذي اعتدت ان أقوم به بنفسي .

حسناً ، لقد سردتُ أحداث الاسبوع الأول . وذكرتُ تقريباً كافة مسائل النقاش الحاسمة ، والازمة الاقتصادية ، وردود فعل الحكومة نحوها ، كل ذلك لانني أريد ان أتخلص من التأثير الذي تحدثه فيّ حياة الوزير

الوظيفية ، ومن الشعور بانني معزول عن العالم . وكنت كلما انزل هذه الدرجات الكبيرة مغادراً مبنى الوزارة ، كنت اتنفس الصعداء ، وأشعر بانني أعود الى الحياة الواقعية مرة أخرى . وأقول لنفسي يجب ان لاأعزل هناك . ولكن في اللحظة التي أعود وأدخل فيها الوزارة وتؤخذ الحقيبة من يدي ، أشعر بأنني أُدفع الى الداخل ، وأصبح معزولاً عن العالم ووحيداً . إنني لااستطيع ان أُحضر زوجتي الى الوزارة ، ولا استطيع ان أُدخل سكرتيرتي ، جني هول ، الى مكتبي ، واصدقائي كذلك بعيدون عني ، ووايت هول تمسك بخناقي . لقد تخليت سلفاً ، عن اي نوع آخر من الحياة . وفي المساء كنت اعود الى فنست سكوير[1] Vincent Square لتناول عشاء خفيف ، ولم تستطع آن[2] Anne النوم مدة يومين هذا الاسبوع ، وهي بجانبي تشاركني طعامي . ومع ذلك فأنا أشعر بالوحدة نوعا ما حتى عندما اكون معها في البيت ، لان عبء الوزارة بدأ يعزلني عن الحياة الواقعية بالاوراق والصناديق الحمراء التي كنت أجلبها معي الى المنزل .

الاثنين ٢٦ تشرين الأول :

ذهبت هذا المساء لتناول العشاء مع آرنولد غودمان Arnold Goodman لكي اقابل هيامز Hyamz ، المليونير مدير شركة ويمبي Wimpey ،

(١) يقع منزل آل كروسمان في « فنسنت سكوير » الذي يبعد ١٥ دقيقة سيرا على الاقدام من وستمنستر .

(٢) آن هي السيدة كروسمان .

الذي يعتقد آرنولد ان بامكانه ان يكون مستشاراً لي في الاسكان ، او مديراً لتنفيذ مشاريع الاسكان ، ويبلغ هيامز السادسة والثلاثين ، وهو ذو لحية سوداء مشذّبة ، وزوجته جميلة صارمة ، وهو غير مصقول الذكاء لكنه يبدو ناعماً في مظهره . وقد حاول في نهاية السهرة ان يظهر عواطف اشتراكية نحوي . وكان واضحاً بعد ان بحثنا اشياءً كثيرة انه كان مهيأً مع جنيهاته المليون الموجودة في البنك ، ومنزله المفعم بلوحات رامبرانت وبيكاسو ، ان يجرب سياسة حزب العمال كعمل اضافي . انني لاازال افكر في امكانية تعيينه في الوزارة .

الثلاثاء ، ٢٧ تشرين الأول

أقمنا حفلة عشاء للسيدة ايفلين ، وريتشاردRichard ، وباتريشا ليولين ـــ دافيسPatricia Llewelyn - Davies ، واللورد باودنPowden ، الذي يشغل الآن وظيفة وزير دولة للتعليم والعلوم ومسؤول عن التعليم العالي ومجالس البحوث . وقد رتبت هذا العشاء لكي ابحث سبب عدم وجود بحوث ومعلومات يتم على أساسها تقييم راسخ يعتمد عليه . وكنت أشك بوجود ذلك قبل دخولي الوزارة ، لكن مارأيته حينئذ اكد شكوكي .

اجتمعت في صباح احد الأيام مع توماس بالوغThomas Balogh وقابلنا الخبير الرئيسي في الاحصاء الخاص بالوزارة . وهو موجود في وظيفته منذ تسعة شهور لكن قسمه أنشيء فقط منذ عامين ولايتوفر في هذا القسم العدد اللازم من العناصر . تصوروا ان وزارة الاسكان والحكومة المحلية ليس

لديهما خبير إحصاء من قبل . وحصلت على حقائق مذهلة من هذا الرجل حول نقص العناصر . ليس فقط في الوزارة ولكن في دائرة أمين السجل العام ، الذي هو تحت ادارتي أيضاً ، وكيف ان الارقام الحيوية من الاحصاء الرسمي ، التي نحتاجها لسياستنا الأسكانية ، لن تكون متوفرة قبل اربع سنوات من الآن ، لان وزارتي تأتي في آخر لائحة استئجار الحاسب الالكتروني من المكتب الحربي في وزارة الدفاع . وفي كل مرة يُريد المكتب الحربي ان يحسب المصروفات ، يَخرج برنامجنا من الحاسب . لذا فانني مصمم على إنشاء وحدة تقييم مركزية ، وعلى تنظيم عقود مع الجامعات للبحوث ، وعلى عقد دورات إنعاش للموظفين بالاتفاق مع الجامعات . كان هذا هو الهدف من حفلة العشاء .

لحسن الحظ ان السيدة ايفلين وريتشارد ليولين ــ دافيز استوعبا الموضوع بشكل جيد . لكنني كنت على يقين بأن علاقات ايفلين معي ستكون صعبة . وقد تسير العلاقات على مايرام ولكن سيكون هناك دائماً توتر بسبب حالة اخرى من الحياة الوزارية . في البداية كنت أشعر كأنني شخص موضوع في زنزانة مزخرفة ، ولكنني سأعدّل وصف هذا الشعور الآن . في الحقيقة ، أشعر الآن كشخص يطفو على مسند مريح . فجهاز الوزارة جميعه موجود لمساعدة الوزير . ففي البريد الوارد تأتي الملاحظات ساعة بعد ساعة مع اقتراحات بالحلول . كل شيء يتخذ لدعم الوزير في المسار الذي يعتقد الرسميون انه ينبغي ان يتخذه . ولكن اذا كان المرء حريصاً وواعياً عليه ان يعلم بأن هذا الشكل من المساعدة للوزير على شكل توصيات انما هو نتيجة مداولات سريّة كثيرة بين الموظفين

المرؤوسين . كما يدور عادة جدل مستمر حول كيفية نصح الوزير ، او يمكن ان نقول ، حول كيفية توجيهه ودفعه بتملق الى الخط الذي تنشده الوزارة . ويوجد تعصب رهيب في الوزارة ، وتوجه الأمور للمحافظة على السياسة المخططة للوزارة . اذ ان كل وزارة لها سياسة خاصة بها ، وهذه السياسة تستمر ، في حين يأتي ويذهب الوزراء . وفي هذا الجو ، بالرغم من ان الموظفين يكنّون الاحترام للوزير ، نرى ان اخلاصهم للوزارة أقوى . فاذا تجرأ الوزير وبدّل من خط سير سياسة الوزارة ، فقد لايحدث توتر رسمي في البداية ، وانما الذي يحدث هو قدر كبير من المقاومة الهادئة . لذلك فانني اراقب دائماً كيف تسير آرائي ، والى اي حدّ تتحملها الوزارة ، والى اي حدّ تنطبق سياسة الوزارة مع افكاري .

الأربعاء ، ٢٨ تشرين الأول :

من السمات الغريبة لهذه الحياة الوزارية الجديدة أن الوزير لايستطيع ان يميّز يوماً عن آخر أو حتى النهار من الليل . ويبدو ان الحياة تسير في استمرارية مذهلة ، جديدة وغريبة ، تنزع الشخص من العلاقات الانسانية الطبيعية . فمثلا أخذ الاطفال[1] هذا الاسبوع عطلتهم الانتصافية . وعندما وصلتُ مساء الاحد بالقطار لتجنب ازدحام المرور ، أحضرت آن الطفلين بالسيارة ومكثنا في فنسنت سكوير يومي الاثنين

(١) يقصد طفليه : فرجينيا (Virginia) وعمرها ٥ سنوات ، وباتريك (Patrick) وعمره ٧ سنوات .

والثلاثاء . كان باتريك مع تام داليلTam Dalyell في الطابق العلوي ، وفرجينيا في غرفة ملابسي تجلس على ارض الغرفة . وفي الحقيقة تصرفا بشكل جيد وطبيعي . وقاما بجولاتهما المعتادة ، يوم في متحف العلوم مع والدتهما ، وآخر في سانت بولSaint Paul مع جني ، وتسوقا ثم عادا الى البيت وأخذا يلعبان الألعاب المسلية في غرفة الجلوس ، يركضان ويندفعان هنا وهناك . لهما حياتهما الخاصة ويعرفان بغرابة ان لي حياتي ، وهاتان الحياتان تسيران بشكل متوازٍ في البيت حتى انهما لايريدان أن أقرأ لهما كثيراً عندما اعود للبيت . هذا هو نمط الحياة التي نعيشها . انهما هناك يعيشان معي بآنٍ واحد ولكن بأبعاد مختلفة .

البارحة ، صباح الثلاثاء ، احضرتهما الى الوزارة مع سائقتي مولّي في سيارة الوزارة السوداء الفارهة ، وسمحتُ لهما ان يصعدا الى غرفتي الكبيرة التي يعمل فيها « بابا » ، لكنهما عرفا انهما موجودان في عالم « بابا » الحزين وانهما غريبان قادمان من كوكب آخر .

استيقظت هذا اليوم وانا مصاب ببرد شديد وذهبت بعد تناول الفطور الى (وزارة) النقل لحضور الاجتماع الأول للجنة التنفيذية الوطنية الذي يعقد بعد الانتخابات العامة . بدأنا الاجتماع بمناقشة متنافرة حول نتائج الانتخابات ، واخذت اقرأ اوراقي الوزارية اثناء ذلك وأُعدّ نفسي لعمل اليوم . انني موجود في اللجنة بينما افكاري تدور حول وجهات النظر التي قدمتها لي السيدة ايفلين حول الخط الذي يجب ان أسير عليه في اجتماع مجلس الوزراء الذي سيعقد في الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر .

استطعت ان اغادر اجتماع اللجنة التنفيذية الساعة ١٥ر١١ لحضور اجتماع هام مع جونزJones وجيمس ماك كولJames Mac Col[1] لبحث اقتراح شركة سْبانSpan الخاص بنموذج قرية جديد في الحزام الاخضر في كِنْت (Kent)[2] . قرأت في الصحف الموجودة في صندوقي الأحمر حول رفض مجلس مقاطعة كِنْت السماح بهذا التطوير . واستأنفت الشركة ضد هذا الرفض ، وعَيَّنت الوزارة مفتشاً كالعادة . وقد ناصر المفتش مجلس المقاطعة وهنا اقترح عليّ كبار موظفي الوزارة ان اعارض هذه النتيجة واسمح لنموذج القرية الجديد بالإنشاء . كان هذا اول اكبر قرار تخطيطي عليّ ان اتخذه وكنت اعرف انه يجب ان افكر بهذا القرار ملياً . كانت قضية سْبان تتلخص في انه عندما تُنشأ مثل هذه القرى في الحزام الأخضر فان الضغط السكاني على لندن يخف وبالتالي يتوقف عن الانتشار أبعد من ذلك ويمتد بدلاً عن ذلك شريط من القرى النموذجية . كانت غريزتي تطلب مني ان لااوافق على اقتراح كبار موظفي الوزارة ، لان ذلك يعني انني أُبطل قرار المفتش وعلى المرء ان لايفعل ذلك دون سبب جوهري ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ظهر لي أن الأسباب المقدَّمة لعدم الموافقة على انشاء القرية في الحزام الأخضر تفوق في اهميتها قضية تصدير الفائض السكاني من لندن .

وعرفت بنتيجة هذه المناقشة الجيدة ان سبب المشكلة القائمة حول

---

(١) جيمس مكوّل هو سكرتيري البرلماني .

(٢) اسم القرية هو هارتلي (Hartley) . وسنرى فيما بعد المشاكل الكثيرة التي اثارتها هذه القضية في الوزارة .

تصاريح التخطيط هو عدم وجود قانون محدّد او مبدأ للعمل بموجبه . فالوزير هو كل شيء وهو الذي يقرر مايشاء . لذلك أجّلت الموضوع على أساس ان يذهب جيمس ماك كول ويستطلع موقع القرية ، وبعد ذلك اتخذ القرار النهائي في الاسبوع القادم .

ذهبت الى « نادي المزارعين » لتناول طعام الغداء مع توماس بالوغ وبيتر شور Peter Shore . وكنت اتمنى لو استطعنا استئناف تناول وجبات الغداء القديمة لوزارة المطبخ[1] مع بيتر ، وتومي ، وجون ألن John Allen[2] الذي يعمل الآن في مكتب مجلس الوزراء ، وطوني بِنْ ، وجورج ويغ . لكن هارولد سمع بذلك ، فقال إن هذا التجمع غير ملائم وملفت للنظر وأمر بمنعه . والتقيت مع توماس وبيتر ، كما ذكرت ، على الغداء وكان اللقاء فاتراً لانه طالما كان بيتر يعمل في « دائرة النقل » فلن يكون هناك حديث صريح . كنت أنا وتومي مكبوتين بشكل يدعو للقنوط بسبب موقف بيتر . لكن شيئاً هاماً حدث في هذا الغداء . فقد زوّدني تومي بالوغ بمعلومات سرية واكيدة لاتقبل الشك ، وهي أن جورج براون يفكر في منح رخص لبناء المكاتب الحكومية . وهذه المعلومات قيمة لاتقدّر بثمن لانني كنت على وشك ان اعقد اول مؤتمر صحفي لي . وفي الساعة الثانية بعد الظهر عدت الى الوزارة فوجدت حوالي مائة صحفي

---

(١) وزارة المطبخ (Kitchen Cabinet) : مجموعة غير رسمية من المستشارين المحيطين برئيس الحكومة .

(٢) كان جون ألن مستشاراً لحزب العمال عندما كان الحزب في المعارضة ، وعمل مستشارا سياسيا في مكتب مجلس الوزراء من تشرين الاول ١٩٦٤ وحتى أيار ١٩٦٥ .

بانتظاري أنا ومليشMellish وماك كول . كان علي ان اجتمع بهم مدة ٣٥ ـــ ٤٠ دقيقة ، واعتقد اني كنت خلال المؤتمر متحمساً بعض الشيء . وفي بداية المؤتمر كنتُ بالتأكيد متوتراً بعض الشيء ، على الرغم من الساعات التي قضيتها البارحة مع بيتر براونPeter Brown ، الذي حضرني لهذا المؤتمر وحذّرني من جميع الاشياء التي يُحتمل ان أُخطىء بها . وبيتر براون هو الموظف الصحفي الأقدم في وزارتي . وهو شخصية فذّة ، وقد علمت انه كان أفضل ضابط علاقات عامة في وايت هول ، واكتسب هذه الشهرة بالتأكيد بسبب مساعدته لماكميلان في تقديم خطته لانشاء ٣٠٠ ألف منزل ونجاحه بتحقيق ذلك . على اية حال ، كان اول عمل له معي هو تعليمي كيف أُدير المؤتمر . وشعرت بعد المؤتمر بالامتنان الشديد له . لم يكن المؤتمر مهمة صعبة وشكراً لله ، فقد كانت لدي معلومات تومي بالوغ السريّة .

طبعاً ، تكلمت ضد خلفيات سياسة الحكومة لمعالجة الازمة ، التي طرحها جورج براون وجيمس كالاهان في المؤتمر الصحفي الذي عقد صباح الاثنين ، وهارولد على شاشة التلفزيون مساء الاثنين . اعترف ان مقترحاتهم لمعالجة الأزمة كانت جيدة وهي تماثل مقترحات مودلينغ Maudlingفي الحكومة السابقة . وكان حديث هارولد على التليفزيون مساء الاثنين قوياً ، ومرشداً للأمة ، فقد اقترح ان نكون مستعدين للوقوف بحزم في معالجة فضيحة مثل الكونكورد او في ايقاف تبديد موارد البناء على انشاء المباني الحكومية . لذا كنت في مؤتمري الصحفي حريصاً على الاشارة الى حديث هارولد والقول ان مباني الحكومة هي منطقة ينبغي

التفكير جدياً بفرض الرقابة المادية فيها لمعالجة الفضائح ، على الرغم من كوني لا أُحبّذ السياسة التقييدية .

بعد ان انتهيت من المؤتمر الصحفي توجهت مباشرة لحضور اجتماع مجلس الوزراء ، وبينما كنا ننتظر في الخارج علمت عن طريق الصدفة أن لجنة الشؤون الداخلية[1] سوف تبحث رخص البناء لأنشاء المباني الحكومية يوم الاثنين القادم ، وذلك بناءً على اوامر جورج براون . انني لااعرف كيف يمكن لأي رجل على سطح الارض ، ليس عضواً في مجلس الوزراء ، ان يأخذ فكرة حقيقية عما يجري . وكنت قد سمعت في وقت سابق من طوني ويدجوود بِنْ Tony Wedgewood Benn كيف أنه يشعر بالعزلة في وزارته . وبالنسبة لي ، لولا اجتماعاتي في اللجان الوزارية ، واكثر من ذلك الاجتماعات غير الرسمية قبل وبعد اجتماعات مجلس الوزراء لما استطعت ان أبقى على علم بما يحدث .

جئت الى اجتماع مجلس الوزراء بعد الظهر . وماحدث كان في الحقيقة شيئاً مقرّراً في مصطلحات لجنة مجلس الوزراء الخاصة ببحث المسائل المالية من خطاب الملكة التي تطرقتُ اليها البارحة . ترأس هذه اللجنة قاضي القضاة ، وكانت اللجنة تضم جميع الوزراء الذين لهم علاقة بالإنفاق . تحدثنا بصراحة عن المعاشات التقاعدية لكبار السنّ ، وعن رسوم حق وضع اليد ، وعن الاعانات المالية للرهونات العقارية ، وجميع

---

(١) هي لجنة وزارية . وتشكل اللجان الوزارية إما لبحث مسألة معينة ، او بشكل دائم لبحث تفاصيل مشاريع القوانين والمسائل السياسية المتعددة قبل بحثها أمام مجلس الوزراء بكامله . ورئيس الوزراء هو الذي يعين الاعضاء ورئيس كل لجنة ، ويترأس بعض اللجان الرئيسية بنفسه .

اوجه الإنفاق التي وردت في البيان الانتخابي والتي يمكن ان تُذكر في خطاب الملكة . كان واضحاً اننا جميعاً نريد زيادة ١٢ شلناً و٦ بنسات في معاشات المتقاعدين كبار السن ، والغاء رسوم حق وضع اليد ، بينما كان قاضي القضاة على استعداد للوصول معنا الى ١٠ شلنات فقط ، وعدم الغاء رسوم حق وضع اليد . اوضحت في اجتماع اللجنة ، بصفتي وزيراً للأسكان وللحكومة المحلية ، انني لأُصرّ في الوقت الحاضر على اعطاء اي إعانات لراهني العقارات او لدافعي الضرائب طالما ان اختيار الأفضليات الصحيحة يُعتبر أمراً هاماً . وأوضحتُ بأن علينا ان نعطي الأهمية للأشياء الضرورية ، وان نجاهر علناً بأن علينا ان نعطي كل شيء في الوقت الحاضر لكبار السنّ ، والمرضى ، والعاطلين عن العمل ، وأن نطلب من كل شخص آخر ان يبتعد .

نحن الآن في مجلس الوزراء المنعقد بكامل اعضائه ، والنقاش يدور مرة اخرى . وقد بدأ النقاش هذه المرة بمذكرة قدّمها جيمس كالاهان يصرّ فيها على ان ١٠ شلنات هي كل مايمكن اعطاؤه . وبعد ان شرح وجهة نظره ، ألقى دوغلاس هوتون Douglas Houghton خطاباً اوضح فيه لماذا يريد ١٢ شلناً و ٦ بنسات [كان دوغلاس هوتون ، بوصفه قاضياً للقضاة في مقاطعة لانكستر ، ممثلاً في مجلس الوزراء لوزيرين هما : بيجي هربسون Peggy Herbison وزير الضمان الاجتماعي ، وكينيث روبنسون Kennith Robinson وزير الصحة . لذلك فان دوغلاس كان سيداً أعلى عتيق الطراز ، اي وزيراً بدون مسؤولية ادارية لكنه كان مسؤولاً عن وزارتين) . وكان بيجي هربسون وكينيث روبنسون حاضرين في هذا

الاجتماع مع انهما لم يكونا عضوين في مجلس الوزراء . أيّد بيجي هربسون وجهة نظر دوغلاس في اعطاء ١٢ شلناً و ٦ بنسات ، ثم عَرَض كينيث روبنسون قضية إلغاء رسوم حق وضع اليد . إحتدم النقاش في مجلس الوزراء تدريجياً وبدا واضحاً ان الغالبية المطلقة تؤيد وجهة النظر القائلة بجعل الزيادة ١٠ شلنات فقط . ان ايقاف موجة المدّ لن يكون كافياً حتى يتم تقديم قانون التقاعد الوطني ، عندئذٍ تعطى منحة ثانية وهذه تشكل نفقات لاتصدق . اما بالنسبة لرسوم حق وضع اليد ، فاننا اذا فشلنا في الغائها فان ذلك سوف لايؤثر على احد منذ البداية . هاتان هما المشكلتان اللتان تمَّ بحثهما . وكنت مندهشاً لما حدث لانني كنت اتصور ان مجلس الوزراء لايبحث ميزانية قبل ان توضع . ومع ذلك فنحن هنا نبحث أسرار الميزانية ، ونقرر ماهي المخصصات التي يجب اقرارها ، والضرائب التي ينبغي زيادتها . لقد تم هذا في مجلس الوزراء بكامل اعضائه ـــ هذا وقد حذّرنا هارولد من تسرب المعلومات الذي حدث في نهاية الاسبوع . وأعتقد أنه أدار هذه الجلسة بطريقة غريبة ، وكان عليه ان يفعل ذلك . وانني سوف اندهش اذا لم تتسرب بعض المعلومات الى الصحافة وليس مستبعداً ان تتسرب معلومات بأن فرانك لونغفورد Frank Longford فقط وقف الى جانب قاضي القضاة . وفي النهاية ، وقف هارولد ولسون ، بعد انتظار ، الى جانب البقية . ولاشك انه تذكر مثلنا كيف وفّر هيو غيتسكل (Hugh Gaitskell) في عام ١٩٥١ (١١) مليون جنيه استرليني بشق الأنفس ، بينما كانت حساباته تتوقع توفير (٣٠٠) مليون جنيه[1] .

(١) على هذا الاساس استقال أنورين بيفان ، وهارولد ولسون من الصف الأمامي (Front Bench) لحكومة العمّال .

حدث هذا كله في الاجتماع الكامل لمجلس الوزراء وتحدث هارولد ولسون ، ذاكراً الارقام بنفسه ، وكذلك فعل قاضي القضاة . كان شيئاً مذهلاً ، كما قلت لفرانك لونغفورد الذي كان يجلس بجانبي ، وقال هو أيضاً بأنه لم ير أغرب من هذه الطريقة في ادارة المناقشة على الرغم من خبرته بالمجلس . وفي نهاية الأمر توصلنا تقريباً الى قرار بان هذه هي السياسة التي سننتهجها حتى ولو انها تعني جمع مبالغ كثيرة بفرض ضرائب جديدة في ميزانية الخريف . وعند هذه النقطة ذكر هارولد فكرته القائلة بان التضحيات يجب ان تفرض على المشاريع الخاصة تماماً مثلما تفرض على المشاريع العامة . ثم التفت اليّ وقال لي بأنني مسؤول عن هذه الفكرة .

عندما عدت الى الوزارة أخبرتهم بما يدور . وطلبت ان احصل على مذكرة اخرى تتعلق بمراقبة البناء . لم يكونوا مسرورين جداً لأنهم سبق ولقّنوني بقوة ضد مراقبة البناء . ولم أُخبر السيدة ايفلين بانني بحثت هذه الفكرة على الهاتف مع هارولد ولسون يوم الأحد واقترحتها كمثال على نوع الاجراء القاسي الذي ينبغي ان نتخذه بسرعة ، او أستمر يوم الاثنين في بحث الأساليب العملية لتنفيذها مع دوغلاس جيDouglas Jay . ومع ذلك ، ففي الوقت الذي عدت فيه الى الوزارة يوم الاربعاء كان خطّ ايفلين قد تغيّر ، فإشاعة وايت هول أعطت ثمارها ، وأدركتُ ان الرقابة على المباني ستتم ، وقالت إنها سوف تعدّ مذكرة وستكون جاهزة صباح اليوم التالي .

الخميس ، ٢٩ تشرين الأول :

بما ان الفقرة الرئيسية في جدول اعمال مجلس الوزراء يوم الاربعاء ــ وهي خطاب الملكة ــ قد ضغطت بسبب بحث الازمة الاقتصادية ، فاننا سنبحثها هذا الصباح الساعة ٣٠ر١١ . كنا مشغولين الى حدّ ما في الوزارة حيث كنا نبحث موضوع الرقابة على البناء ، وقبل ان أصل الى مكتبي في الوزارة كانت ايفلين قد أعدّت المذكرة التي تبيّن الأسلوب العملي الذي اقترحه عليّ « دوغلاس جي » يوم الاثنين ، وقد اخبرتني بأنه اسلوب غير عملي بالمرة . ثم ذهبت الى اجتماع مجلس الوزراء لبحث فقرة خطاب الملكة .

كان الاجتماع مشابهاً لاجتماع اللجنة التنفيذية الوطنية . كنا ٢٣ وزيراً نجلس مثل لجنة صياغة ، نقرأ خطاب الملكة سطراً سطراً . وكان منظراً خيالياً أن ترى رئيس مجلس الوزراء يجلس هناك ، يكتب المسودة ، ويشاركه في ذلك أشخاص آخرون . استمر الاجتماع وأُجريت تعديلات كثيرة على نص الخطاب وأُعيدت الصياغة مرات عديدة . انتابني شعور بالضيق فتركت الاجتماع وذهبت للتحدث مع مارشيا وبرندا في الغرفة الصغيرة في الخلف ، حيث انتظرت هارولد الذي كنت مرتبطاً معه على الغداء في مجلس العموم بعد الظهر . وفي الساعة ٢٥ر١ بعد الظهر جاء وهو يفرك يديه ويقول : ما أروع خطاب الملكة الذي توصلنا اليه . وكنت أنا افكر بالمشهد المفزع الذي شاهدته في الصباح . إنه لايزال يشعر بأنه حقق مايريد وكان مسروراً للغاية . وجاء جورج ويغ ، وهو

لايزال يعرج بسبب كاحله المكسور ، وكان سعيداً للغاية . ومن الأشياء التي حدثت هذا الاسبوع تعيين جورج ويغ وتومي بالوغ في المبنى رقم (١٠)[1] . فقد عُيِّن جورج مسؤولاً عن الانفاق ، وكان يقدم المشورة لهارولد في كل شيء وخاصة فيما يتعلق بالأمن . وعيِّن تومي موظفاً ملحقاً بمكتب مجلس الوزراء لكنه كان قريباً من هارولد . واستلم تومي هذا الاسبوع مع نيكي كالدور Nicky Kaldor كمية كبيرة من المادة الدعائية لسياسة هارولد . ومن الاحداث الكبيرة التي جرت هذا الاسبوع انضمام باتريك بلاكت[2] Patrick Blackett الى تشارلز سنوْ[3] Charles Snow وفرانك كزنز في وزارة التكنولوجيا ، كما ان ألون غوين جونز Alun Gwwyne Jones مراسل جريدة التايمز الحربي[4] ، وتومي بالوغ اصبحا مستشارين لرئيس الوزراء ، واصبح نيكي كالدور مستشاراً في الضرائب لجيمس كالاهان . وكان لدى رسامي الكاريكاتور ومحرري الأعمدة في الصحف وقت وافر إما للاستهزاء بنا او لمقارنة نظام ولسون بجبهة كنيدي الجديدة .

ركبت السيارة مع هارولد وجورج ويغ وانطلقت بنا الى مجلس العموم . وهناك تجمهر الناس مرة أخرى وهم يتزاحمون ويحيّون . تذكرت

---

(١) المقر الرسمي لرئيس الوزراء — المترجم .

(٢) كان استاذا فخريا وباحثاً في كلية أمبريال للعلوم والتكنولوجيا منذ عام ١٩٦٥ ، ومستشارا للوزارة لبعض الوقت .

(٣) شخصية فذة ، زميل في جامعة كامبردج ، وروائي ، وسكرتير برلماني ، في وزارة التكنولوجيا من ١٩٦٤ — ١٩٦٦ .

(٤) كان ذلك منذ عام ١٩٦١ . وفي عام ١٩٦٤ اصبح وزير دولة للشؤون الخارجية عن نزع السلاح .

مقالة كتبتها في صحيفة صاندي ميرور (Sunday Mirror) قبل الانتخابات مباشرة قلت فيها ان الاختلاف الوحيد الذي ستجلبه الانتخابات اذا فزنا هو ان السياسة سوف تنتعش مرة اخرى . حسنا ، لقد حدث هذا بالتأكيد . ويوجد الآن جماهير في داوننغ ستريت وصفوف خارج مجلس العموم . وأصبحت حقيبة الرسائل التي احملها أثقل كثيراً عن ذي قبل . واشعر بوجود احساس حقيقي لدي بالتجديد ، وانطباع بان الحكومة تفعل شيئاً ما ، وأن هارولد ولسون يتصرف جيداً . فقد ارتفعت اسهمه خاصة بسبب نجاحه في معالجة أزمة روديسيا . وهذه مسألة تتطلب حرصاً كبيراً كما نصحت بذلك في مجلس الوزراء . لكن هارولد اخبرني على الغداء بأن يسجل اعجابه للصياغة الماهرة التي صاغها جيرالد جاردنر ، قاضي القضاة ، فقد استطاع ان يحرج أيان سميث ويجعله يبحث عن مخرج وأظن ان هذا اول نجاح كبير لهارولد .

عندما دعاني هارولد الى تناول طعام الغداء قال : « علينا ان نذهب مباشرة الى مجلس العموم » ، وعندما جلس في ركن غرفة طعام الاعضاء قال لي : « إن الطباخ في داوننغ ستريت مريض لذا لانستطيع تناول الطعام هناك » . فقلت في نفسي : « يا إلهي ، هذا رئيس وزراء لايستطيع تناول الطعام في منزله لان طباخه مريض » . لكن هارولد كان بادي السرور لكل شيء . واثناء حديثي معه عما يجري في وزارتي قال :« حسناً ، انكم أناس مشغولون بشكل يدعو لليأس . اما أنا فلدي وقت أفضل منذ أجيال مضت لانني لم اعد رجلاً اعمل لوحدي . فلدي

المعاونون والمستشارون .» وأضاف بانه سيتركنا ندير وزاراتنا بحرية كبيرة . وكل مايريد ان يعرفه هو مايجري ، وانه يأمل عندما يحصل على المقر الصيفي[1] أن نحضر مع زوجاتنا ونقضي اليوم معه ، وسوف يتعرف اثناء ذلك على تفاصيل أعمال وزاراتنا[2] . فقلت له انه لم يحن الوقت بعد للتمكن من التحدث كثيرا عن الاسكان ، لكنني اعتقد ان المؤتمر الصحفي الذي عقدته في اليوم السابق ، بناءً على آراء الصحف الصباحية ، حقق نجاحاً متواضعاً .

بدأنا الغداء في الساعة ١٫٣٠ ، وكان علينا ان ننتهي في الساعة ٢٫٢٠ كي استطيع ان اذهب الى اجتماع جورج براون الخاص بمنح الرخص لانشاء المباني الحكومية . كان هذا الاجتماع شاذاً لأن جورج براون بدأه بالقول : « علينا ان نفعل شيئاً مفاجئاً ودراماتيكياً . هل هناك اي اعتراض ؟ » وعاملني كزميل يريد ان يسير معه نحو هدف واحد . وكحقيقة واقعة ، فان فرض المنع على المبَاني الحكومية في لندن يمكن ان يوفر عمال البناء لبناء منازل اكثر ، لذلك فان معارضة وزير الاسكان لاتعني شيئاً . وقد ذكرت ، على أي حال ، ان هناك أخطاراً كبيرة تكتنف القضية وهي أننا بذلك سوف نجعل أُناساً يخسرون الملايين والبعض الآخر يكسب الملايين بدون حق . وقد اوضحت لي هذه الفكرة السيدة ايفلين عندما كنت على وشك الذهاب الى الاجتماع .

---

(١) المقر الصيفي لرئيس الوزراء .

(٢) ان هذه الفكرة لم تتحقق ابدا .

لم أنته من هذا الاجتماع حتى الساعة ٢٫٥٥ حيث انطلقتُ مباشرة الى اجتماع لجنة القوانين[1] ، حيث دعيت للاجتماع لدراسة مشروع قانون الايجارات المؤقت المقدم من قبلي . وكان مشروع القانون هذا هو إحدى الافكار التي درسناها في الوزارة . وبما اننا كنا نعدّ مشروع قانون مفصّل للايجارات لتقديمه الى البرلمان في عيد الفصح القادم ، فاننا سوف نحتاج الى مشروع قانون مختصر[2] لتوفير سلامة سندات المُلكية في الفترة بين المشروعين . وقد خانتني معرفتي بالجغرافيا ووجدت نفسي في طريق خاطيء ، لذا تأخرت ١٠ دقائق عن الاجتماع . كان الجوّ مكفهراً وكان استعدادي سيئاً عندما بدأتُ بشرح خصائص مشروع القانون المؤلف من مادة واحدة . لقد كنت قد تلقّيت شرحاً ممتازاً من الوزارة لكنني لم اكن على مايرام في ذلك الوقت ، وكانت لحظات عصيبة تعرضت فيها لأسئلة إلوين جونز (Eluyn Jones) ، المدعي العام ، وقاضي القضاة . ولم أستطع أن أجيب على اسئلتهما بشكل مناسب وشعرت بأنني سألقى المتاعب فيما بعد .

على اية حال ، استطعت بعد انتهاء الاجتماع ان استرخي واعود الى الوزارة لبحث الامور مع السيدة ايفلين ، ثم طلبت من تشارلز بانل Charles Panel وسكرتيره الدائم ان يحضرا لبحث مشاكل الإسكان التي أثارتها مقترحات جورج براون . طبعاً كان الموقف يتطلب حفظ سرية المعلومات

---

(١) هي لجنة وزارية تبحث تفاصيل وأسبقيات القوانين .

(٢) سمي مشروع القانون المختصر بالحماية من مشروع قانون الانتزاع لتمييزه عن مشروع قانون الايجارات الاساسي المتعلق بتحديد ومراقبة الايجارات .

لأن اي تسرّب لها الى الصحافة سوف يجعل الناس يباشرون ببناء المكاتب ويحققون أرباحاً طائلة . على اية حال ، شعرت بأن من الضروري ان أُخبر تشارلز بانل ، على الرغم من تحذير الموظفين لي بأن لا أفعل . وأصرّت السيدة ايفلين أن بامكانها التحدث الى موظفيه وليس من الضروري ان أُخبر الوزير بذلك . فقلت إن ذلك لن يفيد . كما اني لااستسيغ فكرة التحدث بين الموظفين نيابة عن الوزراء المختصين .

استطعت ان اوضّح الامور وأضعها في نصابها ، ثم ركبت سيارتي وتوجهت الى اوليمبيا (Olympia) لمقابلة مدير مزرعتي دنيس برتشت (Dennis Pritchett) ، وقضاء ساعتين في معرض الألبان . وكان هذا عملاً ساراً لي لأننا قررنا في برسكوت[1] (Prescote) ان نطبق سلسلة النَّسَبِ ونؤكد حكمنا على نوع ماشيتنا . وقد فعلنا ذلك ، وشعرنا بأن نوع بقر الفريزيان (Friesians) لم يكن جيداً ، وكان البقر البلدي أجود ، لكن العجول التي كانت تربّى من اجل لحومها أثارت اعجابنا ، وشاهدنا تجارب مثيرة . وبعد ذلك عُدت مع دنيس برتشت لتناول شرائح من لحم البقر في كارلتون تورز (Carlton Towers)[2] .

الجمعة ، ٣٠ تشرين الأول :

قررت ان أستقل قطار الساعة ١٠ر٤ الى بانبري (Banbury)

(١) مزرعة عائلة كروسمان .

(٢) اسم مطعم .

وقضاء وقت قصير في البيت قبل الذهاب الى بيرمنغهام (Birmingham) يوم السبت . وهذا يعني ان وقتي سيكون ضيقاً في الصباح لانني سأجتمع أنا وكالاهان بجمعيات البناء لنطلب منهم عدم رفع معدلات الفائدة .

وهذا بحدّ ذاته يُعتبر قصة مشوِّقة . فبصفتي وزيراً للاسكان عليّ ان أهتم جداً بمعدل الفائدة ، خاصة لراهني العقارات في المستقبل . وبما ان اكثر من نصف المنازل المبنية معروضة للبيع لراهني العقارات فان معدل الفائدة يلعب دوراً كبيراً في حجم برنامج البناء . وقد سمعت منذ أيام أن كالاهان يريد ان يذهب ليجتمع بممثلي اتحاد جميعات البناء ، وقد أقنعه موظفو وزارتي ليطلب مني ان أحضر واجتمع بهم ايضاً . بحثتُ كلّ هذا مع هارولد أثناء تناولنا الغداء في اليوم السابق واخبرته عن مخاوفي من ان يتحدث كالاهان مع جميعات البناء عن تنازلات في ضريبة الأرباح . وقلت : « علينا ان نقرأ قانون الشَّغب ، ونخبرهم بانهم اذا تجرؤوا على رفع معدلات الفائدة فاننا سنتخذ اجراءات رسمية لمنعهم ، فليس هذا وقت الضعف » فوافق هارولد وطلبت منه ان يتكلم مع كالاهان ، واصبح واضحاً في مناقشة الإيجاز الخاص التي تمت هذا الصباح ان عليه ان يكون مهيأً لاستلام التوجيهات مني .

وفي النهاية قابلنا جمعيات البناء في الساعة ١١٫٠٠ . وكانت السيدة إيفلين قد حذَّرتهم مما قد يخبأ لهم ، وبذلك تراجعوا قليلاً وفشلت مساعيهم . واعتقد اننا استطعنا ان نفهمهم ما نريد . وشعرت بالتأكيد انني لست محترفاً وشعرت أن كالاهان كان ضعيفاً وغير فعال . وكان

احساساً غريباً ان نشعر باننا كنا ننطق بلسان حكومة جلالتها ونخبر هذه المنظمة الكبيرة بان لاترفع معدلات الفائدة بينما كانت تنوي ان تفعل ذلك . وقد اجابوا طبعاً بأنهم اذا لم يرفعوا معدلات الفائدة ويحصلوا على الأموال فان عدد المنازل الذي سيبنى سيكون قليلاً ومن الممكن حدوث زيادة سريعة مفاجئة في عدد العاطلين في مضمار البناء . ومع ذلك ، فقد طلبنا المحافظة على التعليمات بشدة .

لقد جعلني الاجتماع مع كالاهان ومع جميعات البناء ، بعد اجتماع جورج براون لبحث بناء المكاتب الحكومية ، أُدرك كيف كنا نطور سياسة حكومتنا . ولكن كان ينقصنا استراتيجية واضحة وشاملة ومدروسة . وكانت السياسات مختلطة مع بعضها البعض وملقاة بدون ترتيب ، ومع ذلك فقد كان ذلك أفضل من لاشيء .

السبت ، ٣١ تشرين الأول :

كانت اول زيارة رسمية لي الى بيرمنغهام . كان هاري واطون (Harry Watton) ، زعيم جماعة العمال موجوداً في مكتب السيدة إيفلين في الاسبوع الماضي . فقد جاء ليراني ، فقلت له اثناء الحديث انني ارغب في الذهاب الى بيرمنغهام . فشرع في الاعداد لذلك ، لذا توجهت اليوم الى بيرمنغهام في سيارة رسمية ، وقد رافقتني الشرطة عند مدخل المدينة ، واستقبلني رئيس البلدية في قاعة البلدية . وأقام مأدبة لمائة شخص . وقد قبلت الدعوة على أساس ان لاتلقى خطابات ، لكن بدا واضحاً من

الكلمات التي ألقاها رئيس البلدية وهاري واطون — فقد تكلم كل منهما عشر دقائق — أن عليّ أيضاً ان اقول شيئاً ما ، واعتقد انني ارتجلت إجابة جيدة بدأتها بشرح سياسة الإسكان لحزب العمال وانها تقوم على الحقائق لا على العواطف . كانت المناطق التي زرتها في الصباح هي نفس المناطق التي زرتها عام ١٩٣٧ ، عندما كنت مرشحاً لعضوية حزب العمال في الانتخاب الذي تم بعد موت اوستن شمبرلن (Austen Chamberlain) ، واستطعت ان الاحظ ان احد شوارع المدينة كان بنفس الحالة التي رأيته فيها عام ١٩٣٧ ، وهذا يعني انه قد ساء بمقدار ثلاثين عاماً تقريباً . وبعد الظهر ذهبت الى قاعة المجلس البلدي حيث كان يوجد حوالي خمسين من الموظفين واعضاء المجلس . فشرحوا مشاكلهم وأبديت ملاحظاتي وأجبت على أسئلتهم . ثم ذهبت مباشرة الى مؤتمر صحفي حيث وجّه حوالي ١٢ صحفياً أسئلتهم لمدة نصف ساعة ، ثم حضرتُ حفلة شاي واجريت حديثاً غير رسمي مع جماعة حزب العمال ، وبعد ذلك ذهبت بسيارة بريد بيرمنغهام الى كوفنتري لحضور الاحتفالات بفوزنا في منطقة شرق كوفنتري .

من اجل هذا العرض الصغير طلبنا من ١٥٠ عضواً من الدائرة الانتخابية للحزب لأمسية غير رسمية . وعقدنا هذه الأمسية في قاعة المجلس . جهّزتُ أنا وآن المشروبات ، وجهّز الاعضاء الطعام . وذهبت آن بالسيارة واحضرت جِني وزوجها كريس هول (Chris Hall) . ووصلت وكيلة الحزب وِني لاكِن (Winnie Lakin) متأخرة ساعة بعد ان انجزت جمع اموال التأمين . وكان ألبرت روز (Albert Rose) ، سكرتير الحزب ،

أنيقاً في هندامه ، وقد اعيد انتخابه ضد منافسه من مقاطعة والسْغريف (Walsgrave) ، وبعد العرض الرسمي ، الذي استمر من الساعة ٤٥ر٧ وحتى الساعة ٠٠ر١٠ ذهب عدد قليل منّا الى الغرفة الجميلة الواقعة فوق بوابة من القرون الوسطى حيث يعيش رون مورغان (Ron Morgan) وزوجته (رون صانع خزف ماهر) ويعرضان معروضاتهما وتناولنا فنجاناً من الشاي ثم عدنا الى بيتنا في برسكوت في جو من الضباب ، ووجدت هناك رسائل كثيرة موجودة في صندوقي الأحمر الثالث .

يجب ان أُضيف هنا انني اثناء مجيئي للبيت الليلة الماضية اكتشفت فقدان مفاتيحي . والذي حدث هو انني عندما وضعت اوراقي في عربة القطار وأنا في طريقي الى بانبري أحكمت حقائبي وسقط المفتاح اثناء ذلك . فاتصلت بجورج موسلي لكن شرطة السكة الحديد في وُلفر همبتون (Wolver Hampton) عثرتْ على حمالة المفاتيح ، وهذا أثار دهشة موسلي ، وبونسفورد ، وبيتر براون .

الأحد ، ١ تشرين الثاني :

كنت آمل ان اقضي وقتاً حراً هذا اليوم لكنني وجدت نفسي مشغولاً طيلة ساعات الصباح بامور تتعلق بالحماية من مشروع قانون الانتزاع . أُرسلت إلي مسودة مشروع القانون في وقت متأخر الليلة الماضية وطُلب إلي ان أُصدّق عليها ، وكان الموظفون يعتقدون ان هذا التصديق مجرّد شكليات . ولكن عندما قرأتها شعرت بالقلق ، خاصة

عندما وجدت انه لا يوجد اي نوع من الحماية للمستأجرين خلال الفترة الواقعة بين نشر مشروع القانون واعتباره قانونا ، والتي من المحتمل ان تكون خمسة او ستة اسابيع . وكنت حريصاً لايجاد طريقة تجعل مشروع القانون يسري على الماضي او على الاقل ان يكون ساري المفعول من يوم نشره . اتصلت اولاً بالسكرتير المساعد في الوزارة ، فاخبرني انه لايوجد محامون يوم الأحد ، ثم حاولت ان اجد المحامي العام ، إلوين جونز ، لكنه لم يكن موجودا . واخيراً اتصلت بآرنولد غودمان . ان هذا الرجل الواسع الحيلة يزخر بالأفكار . وفي نهاية ساعات الصباح كان لديّ عددٌ من الأفكار التي ناقشتُها مع الوزارة والتي حقّقتْ على الأقل تدبيراً لسدّ الثغرة . واعتقد انه كان امراً غريباً بالنسبة لوزير جديد غير مجرب ان يتدخل في هذه المرحلة المتأخرة في صياغة مسودة مشروع القانون وكان واضحاً ان الوزارة لم تتوقع مني ذلك . انني اجرؤ على القول أنني سوف اجد بعض الصعوبات غداً صباحاً عندما اعود .

استمر الوزير الأول وقاضي القضاة في الصراع مع أرقام التجارة والرثاء لحالة الجنيه السيئة . وفي اوائل الشهر وافق « نادي باريس » لرجال المصارف المركزية ان يوفر مبلغ ٤٠٠ مليون دولار (١٤٢ مليون جنيه) على الفور ووعد صندوق النقد الدولي بتوفير مبلغ ٦٠٠ مليون دولار (٢١٥ مليون جنيه) فيكون المجموع ٣٥٧ مليون جنيه . واعطت ميزانية الخريف قليلاً من الطمأنينة للمراقبين الأجانب . زيدت المعاشات التقاعدية بمقدار ١٢ شلناً و٦ بنسات للشخص الواحد اسبوعياً ، وبمقدار ٢١ شلناً للزوجين ، وألغيت رسوم حق وضع اليد . ومن اجل تغطية هذه

النفقات فقد زيدت ضريبة التأمين الوطني ، فزادت الضريبة على البترول كما ان معدل ضريبة الدخل سيرتفع اعتباراً من الربيع القادم . كذلك فان ضريبة الدخل وضريبة الارباح ستستبدلان بضريبتي أرباح رأس المال والشركات . وحدث انخفاض في سوق الاوراق المالية لكن ارقام التجارة في شهر تشرين الأول ، التي نشرت في منتصف تشرين الثاني ، كانت مشجعة وحاول باتريك جوردون ووكر ، ودوغلاس غي التأكيد لدول اتحاد التجارة الاوربي الحرّ بأن الضريبة الاضافية هي مؤقتة لكن رجال المصارف والمستثمرين الاوروبيين كانوا غير مطمئنين واستمرت قيمة الجنيه بالانخفاض .

في هذه الظروف ، شعر رئيس الوزراء بان مصادقته على بيع ١٦ طائرة من طراز بوكانير (Buccaneer) الى جنوب أفريقيا لها مايبررها ، ومع ان قيمة الصفقة ٢٠ مليون جنيه إلا انها تتعارض مع سياسته المعلنة بحظر بيع الاسلحة الى جنوب افريقيا . إن هذا الموضوع بالاضافة الى تأجيل الزيادات في المعاشات التقاعدية الى مابعد الشتاء ، هدّدا باحداث بلبلة لاعضاء الحزب في البرلمان .

كذلك فان سياسة الدفاع كانت مشكلة بالنسبة لرئيس الوزراء . وكانت حكومة العمال الجديدة تأمل في التخلي عن الرّادع المستقل . كما انها لاترغب في الانضمام الى الامريكيين في قوة متعددة الأطراف قد تضم ألمانيا الى القوى النووية . وكان يترتب على هارولد ولسون ان يذهب الى واشنطن لاجراء محادثات مع ليندون جونسون ، الرئيس الامريكي المنتخب حديثا ، لبحث شؤون حلف الاطلسي .

الاثنين ، ٢ تشرين الثاني :

بدأت أتعرف على مشاكل المسؤولية الوزارية ، وبدأ ذلك في محطة السكة الحديد حيث التقينا بناظر المحطة وكان الناس ينظرون الينا ويقولون : « لماذا يحتاج هذا الرجل المرتبك مقصورة كاملة لنفسه ؟ » وكان التعليل منافياً للعقل . وكان رجال الامن قد أوضحوا بأننا إذا اردنا فتح الصناديق الحمراء وقراءة الوثائق في القطار فينبغي ان يتم ذلك في مقصورة تُحجز لنا ، لأن حجز مقعد لايفي بالغرض . على اية حال ، فبعد ان أثرت موضوع الأمن القومي مع جورج ويغ قررت أن أكون حريصاً جداً في كل شيء أفعله شخصياً . لذا أعددتُ خزائن حديدية وصناديق خاصة في لندن وفي برسكوت ووافقت على حجز مقصورة كاملة على الرغم من غضب الركاب المسافرين .

كنت متوتر الاعصاب قليلاً صباح الاثنين بسبب وجود الضباب الكثيف ولخشيتي من الوصول متأخراً الى اول اجتماع لي في اللجنة الوزارية . وكان هذا الاجتماع مخصّصاً لبحث التطوير الاقتصادي . وكنت قادراً ان أرى المشهد الخاص بجورج براون وجيمس كالاهان ، حيث كان جورج يجلس كوزير اول ووزير مسؤول عن دائرة الشؤون الشخصية ، وجيمس كالاهان كوزير للخزانة . وكان واضحاً منذ البداية ان جورج هو الرجل الفعّال . فهو الذي يقرر ، ويصنع الاشياء ، أما جيمس فكان يجلس بجانبه ينقل اليه شعوره بوداعة .

تناولت الغداء مع فيفيان بودن (Vivian Bowden) ، وتام (Tam) وزوجته كاتلين (Kathleen) . رتَّبتُ هذا الغداء من اجل ان أحاول مساعدة فيفيان على الوقوف على قدميه في دائرة التعليم والعلوم . فهو رجل نشيط ، كثير الكلام ، لامع ، تِقَني ، وقد جئنا به الى مجالسنا[1] بعد ان ذكره لي تومي بالوغ وقد حضر احدى حفلات العشاء التي كنا نقيمها في نادي الإصلاح[2] (Reform Club) . وفي هذه الحفلة جلس فيفيان بجانب هارولد ولسون الذي سُرَّ به وفي الحال حجزه كعضو محتمل في الحكومة . وعندما رفض باتريك بلاكت ان يذهب الى مجلس اللوردات[3] ، حصل فيفيان فجأة على لقب نبيل مدى الحياة وعلى وظيفة وزير دولة لدائرة التعليم والعلوم . والمشكلة انه كانت توجد شلة هناك مع مايكل ستيوارت ، وريغ برنتس (Reg Prentice) ، وجم بويدن (Jim Boyden) ، وجميع الاتحاد الوطني للمعلمين ، ونماذج من نقابات العمال ، بينما كان فيفيان المسكين يقبع وحيداً في مكتبه في رتشموند تيرّاس (Richmond Terrace) . إن فيفيان رجل يعرف طريقه فيما يتعلق بالعالم الأكاديمي ولجنة المنح الجامعية ، وفجأة وجد نفسه لاحول له ولا قوة في « دهاليز القوة » ، كما يقول تشارلز سنو (Charles Snow) في روايته الجديدة .

---

(١) يقصد الكاتب المجالس البلدية لحزب العمال .

(٢) يشير كروسمان الى الاجتماعات التي كان يعقدها ، كوزير ظل ، للعلماء والمهندسين لبحث السياسة العلمية لحزب العمال في المستقبل .

(٣) أذعن في عام ١٩٦٩ واصبح نبيلاً مدى الحياة .

حاولت ان أُقنعه على الغداء ان يصرّ على رؤية مايكل ستيورات لوحده لمدة ساعة في كل اسبوع ليجهّز المشاريع له ، وذكّرته بأنه يعرف جميع مشاريعنا للتعليم العالي عن ظهر قلب بينما مايكل ستيورات لايعرفها . لكنني ذهبت لحضور احتفالٍ في منزل عائلة بلاكت . وكان العدد قليلاً في الحفلة ، كان يوجد أُلن غوين جونز ـــ كان سابقا مستشاراً لحزب الاحرار والآن ، شكراً لجورج ويغ ، اصبح وزيرنا الجديد في وزارة الخارجية يعالج مسألة نزع السلاح ، وكان يوجد ايضاً باتريك بلاكت ، وهو سعيد للغاية الآن لانه حصل على الوظيفة التي يريدها في وزارة التكنولوجيا ، وبدا واضحاً ان فيفيان المسكين كان كالسمكة الخارجة من الماء . وكنت أتساءل بيني وبين نفسي كم من الوقت سيبقى في منصبه .

اعتقد انه من الملائم هنا أن أضيف ملاحظة على وزير التكنولوجيا الجديد ، فرانك كزنز . إنه احدى الشخصيات العظيمة غير المعروفة في مجلس الوزراء . كان تعيينه صدمة كبيرة ، مع انني اظن أنه من الدرجة الاولى . وقد أظهر مؤهلات جيدة خلال عضويته في دائرة البحث العلمي والصناعي ، ومجلس البحث العلمي والتطوير ، كذلك فاننا نحتاج الى زعماء نقابيين في مجلس الوزراء . وفي الحقيقة رفض ان يتولى وزارة النقل او العمل ورغب في وزارة التكنولوجيا فقط . وكان من الخطأ تعيين تشارلز سنو سكرتيراً برلمانياً له . وهذا التعيين أيضاً كان نتيجة حضوره احدى حفلات العشاء في نادي الاصلاح حيث جلس بجانب هارولد ولسون وأسره في الحديث . وكنت الوحيد الذي عرف أن سنو البالغ من العمر ٥٩ عاماً ـــ بعد أجتماعي به في نهاية الاسبوع في مزرعتي في

برسكوت ـــ لن يكون فعّالاً في العمل ولن يقدم شيئاً لفرانك كزنز الذي ليست له خبرة في مجلس العموم والذي ليس له مقعد هناك بعد ، فالاتصالات في وستمنستر مطلوبة لتهيئة النجاح للوزارة بالرغم من بلاغته الروائية .

كان فرانك ، الذي أراه حالياً في اللجان الوزارية العديدة (فهو يجلس عادة بجانبي) يبدو مرحاً وحسّاساً وليس ثرثاراً كما يمكن ان يتوقع المرء . وقد أخبرني في احدى المرات انه لم يقبل الوزارة في الحقيقة إلا على أساس ان اكون وزيراً للتربية والعلوم . ولو عدنا الى الوراء ، لما سمحت لنفسي ان أُحوَّل الى الإسكان لو كنت أعرف أن فرانك سيكون وزيراً للتكنولوجيا . وكنت اتمنى العمل معه واعتقد انه لو تمّ ذلك لحقّقنا فائدة كبيرة . ولو جاء مايكل الى الإسكان الذي يعرف الكثير عنه وعن رقابة الايجارات وقانون تخطيط المدينة والريف ، لَحَقّق الكثير أسرع مما فعلت ولكان فرض خططه أيضاً . كانت مشكلتي الرئيسية في الوزارة هي انني أستغرق وقتاً لكي اكتشف طبيعة العمل . بدأت اكتشف مثلاً ان تسمية الوزارة باسم : « وزارة الإسكان والادارة المحلية » هي تسمية خاطئة . في الحقيقة إن الوزارة لاتقوم ببناء المنازل على الاطلاق . فالذين يقومون بالبناء إما السلطات المحلية او متعهدو المشاريع الخاصة . فوزارتنا هي وزارة لاعطاء رخص البناء ، واصدار الأنظمة ، اي عبارة عن وزارة إدارية ينبغي ان يكون الوزير فيها عبارة عن شخص مهتم بالنشاطات القضائية لاتخاذ القرارات او بإعطاء رخص البناء او بمستقبل المدن الجديدة . إنها وزارة بعيدة جداً عن

اي شيء اقترحه هارولد عندما تكلم عن تنظيم مشاريع الإسكان . كان الوزراء في الماضي طبعاً ، يتكلمون عن مشاريع الاسكان ويتظاهرون بتنفيذها . لكن الشيء الحقيقي الذي يفعلوه هو اضافة الأرقام وأخذ الاعتمادات لبناء المنازل التي هي من مسؤولية وزارة الأشغال العامة والبناء التي تتعامل مع صناعة الإسكان هذا من جهة ، ومن جهة اخرى هي من مسؤولية وزير الخزانة ، الذي يحدّد معدل الفائدة التي تلعب دوراً كبيراً في حجم المنازل التي يقوم ببنائها القطاع الخاص . وكان من بين الأشياء الهامة التي يجب ان اتخذ فيها قراراً هي هل ينبغي ان احاول (لانني من غير المحتمل ان أبقى في الوزارة طويلاً) اعتبار الوزارة هي وزارة انتاج ، ام ينبغي ان أبذل غاية جهدي على أساس ان تبقى الوزارة كما هي مع تحسين علاقاتها العامة .

إن ذلك قد اوصلني الى الشيء التالي الذي بدأت اكتشفه حول حياة الوزير . فهو معنيّ جداً بالعلاقات العامة وبالصراع داخل مجلس الوزراء من اجل حصته من القوانين ومن الدعاية . واستطيع الآن أن أرى وظيفة الوزير من وجهة نظر الموظفين . فهي ليست مجرّد الصراع بنجاح في مجلس الوزراء ، الذي كنت استطيع عمله . وهي ليست مجرّد توضيح نفسه في مجلس العموم ، الذي لاازال غير متأكد بانني أستطيع عمله . وهو مطلوب منه ان يبيع نفسه للجمهور بالاذاعات والتصريحات الرسمية ، ومع انها لاتقدم سياسة جديدة إلا انها تعطي انطباعاً بأنه يفعل شيئاً . لذا فانني أرى جميع زملائي في مجلس الوزراء يناضلون ويتسابقون لكي يتكلموا عن خطاب الملكة ، ويضعون مذكرات في اللجان الوزارية التي

لاتحوي في الحقيقة شيئاً هاماً لكنها لاظهار موقع الوزير على الخريطة .

ومن العجيب أنني ، مهما قيل عن اندفاعي وقوة شخصيتي ، فلست ماهراً في هذه الاساليب ولست مندفعاً فيها . كما انني لست مزاحماً سياسياً . وكنت اخشى الظهور في حفلات العشاء العامة وكنت غير محبوب جداً في الوزارة لتهربي من حضور حفلة عشاء اتحاد مجالس المقاطعة التي ستقام يوم الاربعاء ، حيث ستكون الملكة موجودة ، على أساس أن أتناول الشاي معها بعد ظهر ذلك اليوم ولايمكنني ان أراها مرتين . وكنت غير ايجابي في جميع مسائل الظهور في الحفلات العامة . كما كنت غير خبير على المقعد الامامي[1] لذا كنت محجماً عن الخوض في المناقشات التي تدور في مجلس العموم . وبالنسبة لإصدار التصاريح الرسمية ، او لوضع مسائل على جدول اعمال اللجان الوزارية لكي أُظهر نفسي على الخريطة[2] ، فإنني اشعر بالاشمئزاز من مثل هذه الافعال الزائفة . انني افعل الشيء الذي أشعر ان من المصلحة عمله ، وبالنسبة لوزارتي الآن فان الشيء الوحيد الذي أسعى لتحقيقه بسرعة هو مسألة الرقابة على الايجارات .

ماذا عن مشروع الإسكان الذي يتحدث عنه هارولد ؟ وصلت الى نتيجة الآن وهي انه بالامكان بناء (٤٠٠٠٠٠) منزل في الاشهر الاثنتي عشر التالية إلا اذا حدثت أزمة مالية تمنع جمعيات البناء من الحصول على الأموال ، او اذا اتخذت قرارات سياسية ، مثل قرار الرقابة

---

(١) يقصد الصفوف الامامية في مجلس العموم التي يحتلها الوزراء ــ المترجم .

(٢) تعبير انكليزي يقصد به : حُبّ الظهور ــ المترجم .

على إنشاء المباني الحكومية الذي يخلق أزمة في صناعة البناء ، او اذا انهارت صناعة البناء نفسها بسبب عدم انتاج قوالب الطوب الأحمر . فاذا لم يحدث احد هذه الاحتمالات الثلاث ــ ولايمكنني السيطرة على واحدٍ منها ــ فان المنازل ستُبنى . وأي قرار اتخذه الآن لعمل اي خطة جديدة تغيّر في توازن الإسكان بين القطاعين العام والخاص لما بعد الأشهر الاثنتي عشر سوف يُدخلني في عملية حسابية معقدة . وكان واضحاً لي جيداً ماذا ينبغي ان تكون الخطة بعيدة المدى . وكان واضحاً لي ايضاً ان القرار يعني تجديداً شاملاً للعمران في المدن . وكان علينا ان نركّز على ست او سبع أماكن : ليفربول ، ومانشستر ، وبيرمنغهام ، وغلاسكو ، ولندن ، حيث ان مشكلة الإسكان فيها سيئة لدرجة ان السلطات المحلية عاجزة عن حلّها . ومن السخرية ان مجموعة المناطق التي نحتاج فيها الى رقابة على الايجارات هي دائماً نفسها . وعلى وزير حزب العمال ان يفرض قيادة مركزية ، ويجعل تَدَخُّل الدولة على نطاق واسع ، في هذه المناطق السيئة التي كانت في يوم ما من المناطق الجميلة المحترمة والتي تدهورت الآن ، حيث يسكنها مواطنون من الكومونولث[1] (Commonwealth) وحيث توجد المشاكل العنصرية .

إن قوانين الإسكان الحالية ، والتطوير الحالي لبرامج الاسكان الجديدة ، والمشروع الحالي لتحسين مناطق الإسكان القديمة ، جميعها جيدة ــ باستثناء المناطق السيئة التي ذكرتها ــ وينبغي الاستمرار فيها بدون تغيير .

---

(١) رابطة الشعوب البريطانية .

لكن هذه المشاريع والقرارات لاتظهر نتائجها قبل ثمانية عشر شهرا . حتى اذا أردتُ ان أُلقي خطاباً مسؤولاً حولها فان ذلك يحتاج لوقت اطول من الأسابيع الثلاث التي قضيتها في الوزارة حتى الآن . لذا فانني لو طلبت تخصيص يوم لبحث مسألة الاسكان اثناء مناقشة خطاب الملكة في مجلس الوزراء لوجدت نفسي اخوض في مسائل متشابكة تتعلق بمشروع حماية المستأجر واقول أشياءً غامضة من هنا وهناك عن مستقبل الإسكان ، وهذا أمر لا أقبله لنفسي . وهذا هو سبب عدم اندفاعي لتخصيص يوم لبحث الإسكان .

المشكلة الأخرى التي كانت لدي بالاضافة الى تنفيذ مشروع الإسكان الجديد في المناطق الكبيرة السيئة واقرار مشروعي قانوني الايجارات ، هي مسألة إصلاح الأراضي المستأجرة . لذا فقد حرصت على أن يكون تسلسل الافضليات في خطاب الملكة : الرقابة على الايجارات (وهذا من اختصاصي) ولجنة الاراضي – (وهذا من اختصاص ويلي) ، وإصلاح الاراضي المستأجرة (وهذا ايضاً من اختصاصي) . مع ذلك كنت تحت ضغط مستمر من كتلة مقاطعة ويلز لبحث مسألة اصلاح الاراضي المستأجرة في وقت مبكر . لكنهم لا يدركون طبعاً ان ملايين الناس يتأثرون بالرقابة على الايجارات ، وان لجنة الاراضي هي مسألة حيوية من اجل تخفيض أسعار الاراضي ، ومن العبث بحث اصلاح الاراضي قبل اقرار لجنة الاراضي . لكن كتلة مقاطعة ويلز تجاهلوا جميع هذه الاعتبارات لانهم تعهدوا بإصلاح الاراضي منذ عدة سنوات وينبغي الاسراع باقرار هذه المسألة لإرضاء أنصارهم . وفي الحقيقة لايوجد سبيل الآن لاقرار إصلاح

الاراضي وتهيئة الظروف للمُستأجرين لشراء الاراضي التي استأجروها بعقود ايجار طويلة وعدم فرضها على المستأجرين الذين لايستطيعون تحمل الأسعار العالية . ونحن نرى في وزارتنا انه سيكون هناك امتعاض شديد اذا سمحنا بربط الاسعار بالقيمة الحقيقية للاراضي في الاسواق ، ولكن بنفس الوقت اذا حاولنا ان نطرح مسألة إصلاح الاراضي في آخر لحظة فاننا سنجد صعوبة كبيرة في التصديق على مشروع القانون . لذلك توجد أسباب عديدة وملحة من اجل تأجيل مشروع قانون إصلاح الاراضي الى الجلسة الثانية . حاولتُ كثيراً وَرَجَوت مجلس الوزراء ، لكن الضغط كان شديداً عليّ . واستطيع القول أنني فعلت شيئاً لمنع اعطاء مشروع قانون إصلاح الاراضي أولوية على مشروع قانون الايجارات ، ومع ذلك فانني لست متأكداً بأنني نجحت . ومن الخير ان صحافة الأحد سوف تذكر ان هارولد يخطط لانتخابات الربيع وانه يريد ان يبحث مشروع قانون الاراضي المستأجرة بسرعة قبل تقديم مشروع قانون الايجارات الرئيسي الثاني .

سأضيف هنا أن سلوكي يوم الأحد ، حول مشروع قانون حماية المستأجر ، قد سبب ذعراً كاملاً للسيدة ايفلين . وتأخرتْ هذا المساء لتتحدث معي حول أمورٍ أخرى ، وقالت بأنها لم تتعرّض في حياتها لمثل هذه الإهانة وأنها كانت على وشك الاستقالة بسبب تصرفي هذا . إن فكرة إستشارة آرنولد غودمان بدلاً من استشارتها كانت تسبب لها الضيق . فقلت لها إنني غاضب منها لانني اعتقد ان الوزارة خذلتني بشكل رديء . كما ان مشروع القانون غير مرض بالمرة . وبما انني

استشرتُ كلَّ امرىءٍ حولي ولم يكن هناك نصيحة قانونية اضطررت ان ابحث خارج الوزارة هذا مع العلم انها تعرف انني استشير آرنولد غودمان دائما واعتبره مستشاراً لايقدّر بثمن . ولم تقل السيدة ايفلين شيئاً سوى انها تريد ان تتكلم معي بهدوء حول مستقبلها . وانا لست متأكداً ماذا سيكون .

الثلاثاء ، ٣ تشرين الثاني :

مَثَلْتُ اليوم أمام اللجنة القانونية للمرة الثانية لبحث مشروع قانون حماية المستأجر . وكنت مندفعاً جداً . عقد الاجتماع الساعة ٩ر٣٠ في غرفة المؤتمرات الوزارية بمجلس العموم وهنا وجدت حول المنضدة المجموعة المعتادة من المحامين . كنت حريصاً هذه المرة ان استيقظ الساعة ٦ر٣٠ صباحاً وان اقرأ كافة التفاصيل الدقيقة . وقد فعلتُ جيداً ، لأنني أجبت على اربع نقاط من النقاط الثمانية ، التي طلب قاضي القضاة بحثها ، بشكلٍ مرضٍ . ثم تابعنا بعد ذلك البحث . ولم يكن هناك وقت كافٍ ، وفي الحقيقة كان لدينا ٢٥ دقيقة لبحث مشروع القانون امام مجلس الوزراء ، الذي استمر اجتماعه لمدة ساعة فقط بسبب الافتتاح الرسمي للبرلمان الساعة ١١ر٣٠ .

كان مجلس الوزراء مكرّساً وقته لبحث الخطة السرية التي أعدّها جورج براون وأنا ، لايقاف بناء المباني الحكومية في لندن . وفجأة قُدِّمت الخطة للمجلس . فتكلم جورج . وشَرحتُ التفصيلات المتعلقة

بالأسباب الحقيقية لعمل هذه الخطة ، وعلى الرغم من تنبؤات وزارتي بأ نه سيكون هناك معارضة شديدة للخطّة فلم يحدث شيء البتة . فلن يعترض اي شخص في وزارةٍ عمالية على خطة عمل لها شعبية كبيرة جداً خارج لندن والتي تدمر فقط مصالح مضاربي العقارات ، وعملياً من المحتمل ان لاتفعل حتى ذلك لان عدداً كبيراً منهم سيحقق ارباحاً من الايجارات المرتفعة التي تدفع الآن للمكاتب الحكومية المبنية سابقاً . وسارت المناقشة بضوضاء ولكننا استطعنا ان ننجز الخطة بارتياح . وذهب جميع الوزراء لحضور الافتتاح الرسمي للبرلمان ، وعدت أنا الى وزارتي لتقديم تقرير عن الاجتماع الذي تم في مجلس الوزراء ، وفي الساعة ١٢ر٣٠ ذهبت الى دائرة الشؤون الاقتصادية لكي أبحث مع جورج براون تفاصيل النص الفعلي الذي ينبغي ان نقدمه للمجلس بعد ظهر يوم الخميس .

ومن هناك ذهبت لتناول الغداء مع جوديث هارت (Judith Hart) في نادي المزارعين ثم عدت للنقاش حول الخطاب . وبعد ان ألقى دوغلاس هيوم خطاباً قصيراً بارعاً ، ألقى هارولد خطابه الأول كرئيس للوزراء ، وتَضَمَّن الخطابُ الهجوم التشهيري على العضو البرلماني المنتخب عن منطقة سمثويك[1] ، والذي أطلق عليه اسم المنبوذ السياسي ، وأظهر للعيان مشهداً من مشاهد مجلس العموم . تحدثت اليه فيما بعد ، ومما

(١) انتخب ألدرمان بيتر غريفثز (Alderman Peter Griffiths) عضو برلمان عن حزب المحافظين في منطقة سمثويك (Smethwick) في عام ١٩٦٤ ، بعد ان فاز على منافسه باتريك غوردون ووكر بتأييد من الناخبين الذين كانوا يعارضون هجرة الملونين الى بريطانيا . وخسر المقعد البرلماني عام ١٩٦٦ .

لاشك فيه ان هذا المقطع من خطابه كان مخططاً لكنه كان مقصوداً لإرباك السير أِلِكْ وفصله عن بويل[1] (Boyle) واظهار الاختلافات في وجهات نظر المحافظين في برمنغهام . لم يتنبأ هارولد بالتأكيد ان المضمون الرئيسي لهجومه على حكومة المحافظين لن يستمع اليه ، بعد الانفجار المدوي الذي أحدثته ملاحظته ، حتى ولم يطبع في الصحف في اليوم التالي . وكان هذا مثالاً على ان المرء يدفع غالياً ثمن سرده لحادثة ثانوية لاتتصل بالموضوع والتي تطمس الغرض الرئيسي للخطاب .

الاربعاء ، ٤ تشرين الثاني :

ذهبت البارحة مساءً مع جورج ويغ الى جناح ابراهام لنكولن في فندق سافوي للاجتماع بفريق صحيفة نيوزويك لمعرفة نتائج الانتخابات الامريكية . كانت النتائج مزعجة لأننا عرفنا منذ البداية ان هناك غالبية كبيرة لصالح جونسون[2] ، لكن آرنولد غودمان ، وجورج ويغ ، وأنا كان علينا ان نبقى وتناولنا الفطور الساعة الثالثة صباحا قبل ان نذهب الى

(١) هو إدوارد بويل (Edward Boyle) ، عضو برلماني محافظ عن بيرمنغهام ــ هاندسويرث (Handsworth) من عام ١٩٥٠ ــ ١٩٧٠ ، وله وجهات نظر مستقلة حول بعض المسائل مثل الهجرة ، والتعليم . ترك مجلس العموم ليصبح اللورد بويل عن منطقة هاندسويرث واصبح نائب رئيس جامعة ليدز (Leeds) عام ١٩٧٠ .

(٢) انتخب ليندون جونسون الآن رئيسا للولايات المتحدة ليقضي مدة الرئاسة الكاملة بعد ان انتخب رئيسا إثر اغتيال جون كنيدي في تشرين الثاني عام ١٩٦٣ . وقد نال الديمقراطيون في هذه الانتخابات ٦١٪ من اصوات الناخبين ، كما دخل الكونغرس اكبر عدد من الديمقراطيين منذ عام ١٩٣٦ .

البيت ونأوي الى الفراش . وقد تعلمتُ درساً مفيداً وهو ان الوزير في مجلس الوزراء العمالي ينبغي ان لايغادر منزله ــ لانني شعرت بانني كئيب جداً هذا الصباح على الرغم من أنني كنت حريصاً وكثير الشكوك فيما أكلت وشربت .

وجدنا اليوم فجأة ان جورج براون سيتكلم بعد ظهر هذا اليوم وليس يوم الخميس ، لذا كان من الضروري إعداد كلّ شيء من اجل التصريح الكبير حول بناء المكاتب الحكومية . وكان لدينا عمل إضافي آخر في وزارتي وهو الاستماع الى ايجاز حول الموضوع لانه كان يترتب عليّ ان أحضر مؤتمراً بعد ذلك في الردهة الكبرى في مجلس العموم مع جورج براون . ذهبت بعد الظهر وجلست بجانبه ، وهذه أول مرة آخذ فيها مكاني على المقعد الأمامي . بعد ذلك تناول جورج براون الايجاز الرئيسي وتحدث جيداً في المؤتمر . وبعد ان انتهى من حديثه شرحتُ عدداً من التفاصيل التي جمعتها بكل عناية . وبينما كنت اقوم بالشرح قال جورج ضاحكا :« لا تكشف سرّ كل خطابي الذي سأُلقيه في القراءة الثانية » . لكنني كنت متأكداً وعلى صواب بأن الوقت الملائم لاصدار التبرير هو في الصباح بعد اذاعة التصريح . وفي الحقيقة كان هذا نجاحاً هائلاً . فالصحافة نشرت وقائع المؤتمر دون ان تنتقد شيئاً مما دار في المؤتمر . لم أحصل على رصيد خارج مجلس الوزراء ، ولو انني حصلت على رصيد قليل داخله .

في المساء تناولت طعام العشاء مع دونيسون مرة ثانية . انني افكر فيه اكثر فاكثر كرجل أريد ان استخدمه وقتاً كاملاً .

الخميس ٥ تشرين الثاني :

عندما كنت اقرأ اوراقي في الصباح الباكر لاحظت فجأة ان البيان الابيض[1] المرفق بمشروع القانون الخاص بتخزين الغاز تحت الارض قد يزيد التهديد بالخطر بدلاً من التهدئة التي يفترض ان يحدثها . أثَرتُ هذه النقطة في لجنة الشؤون الداخلية وكانت النتيجة أن اضْطُرَّ فْرد لِي المسكين ، وهو الوزير المسؤول ، ان يسحب البيان الابيض . حسناً ، لقد فُزت . ولكن هل كسبت من جراء ذلك ؟ في الحقيقة لقد كسبت عدواً . لماذا اجلس هناك وافعل ذلك ؟ لقد ادركتُ شيئاً هاماً الان حول مجلس الوزراء : ينبغي على المرء ان يبحث دائماً عن اصدقاء وانصار ، وليس عن اعداء . وهذا هو السبب في ان الوزير يمتنع عن التدخل في امور كثيرة . واستطيع القول ان أنورين بيفان ، ومانيّ شِنْويل (Manny Shinwell) قد اعتادا على ذلك . وهل يفترض فيّ ان أكون وزيراً من النوع الذي يتدخل في كل شيء ولا يهتم بكسب الاصدقاء ام الاعداء ؟ او هل أكون من النوع الحريص الذي يحسب لكل شيء حسابه ، ويعدّ الاوراق ليظهر نفسه على الخريطة ، ويعاضد او يعارض ليس على اساس وقائع القضية وانما على أساس عدد الأصدقاء الذين يكسبهم لا الاعداء ؟ يبدو لي بوضوح ان ثلثي زملائي هنا ، كما في اللجنة التنفيذية الوطنية ، يتصرفون بالطريقة الثانية . وآمل ان اتصرف بالطريقة الاولى ولكن بحرص شديد وبتحفظ اكثر مما كنت افعل منذ ٥ سنوات .

---

(١) تقرير حكومي رسمي .

أدركت في نهاية هذا الاسبوع ان هناك بعض المشاكل التي توهن العزيمة . وأشعر بأنني في عزلة ، وان هارولد قد حفر لي خندقاً بتسليمي وزارة لااستطيع الفوز فيها . هناك صعوبات مع السيدة ايفلين : إنها إمرأة عظيمة لكنها تريد ان تُدار وزارتها بطريقتها ويوجد صراع مستمر بيننا . إنها تعارض اي شخص أُريد ان استخدمه في الوزارة . جاء هذا الاسبوع الى الوزارة صديقي هيامْز ، المليونير مدير شركة ويمبي ، الذي اقترحه آرنولد غودمان . ولسوء الحظ ، فان الوقت الذي حددته له تصادف مع الوقت الذي كان علي ان اجلس على المقعد الأمامي بجانب جورج براون لبحث مشروع قانون الرقابة على البناء[1] . كان عليّ ان اترك هيامز مدة عشرين دقيقة تحت رحمة السيدة ايفلين ، ووادّل (Waddell) وكلاهما كان يعارض في استخدامه باي شكل من الأشكال . ومن جهة اخرى اعتقد انني أعلمتهما بأن آرنولد غودمان هو محور المجموعة الاستشارية لي خارج الوزارة فيما يتعلق باصلاح قانون الايجارات .

كان الاسبوع المنصرم صعباً ، ولم اقم بعملي كما يرام . فلم أتأكد حتى من مشروعي القانونين ، مع انني أحرزت بعض التقدم هناك . ولم اعمل اي نشاط فيما يتعلق بالإسكان . انني لم اقتنع بخطاب الملكة خلال الأيام الستة التي تم بحثه فيها ، كما انني لم اقم بنشاط في مجلس العموم . على اية حال ، فان هذه الاشياء جميعها قادمة .

---

(١) سقط مشروع القانون هذا بعد مرحلة صعبة من النقاش في اللجنة . ثم قُدّم المشروع مرة ثانية في برلمان عام ١٩٦٦ الجديد ، وفي النهاية اصبح قانوناً في آب ١٩٦٦ .

السبت ، ٧ تشرين الثاني :

ان هذا افضل خريف استطيع ان اتذكره ، فأشعة الشمس الجميلة تبعث الدفء في جميع الارجاء ، وكان الضباب ينتشر في ساعات الصباح ، والجفاف يكتنف المزرعة . وقمنا مع الاطفال بعد الظهر بنزهة السبت الرائعة سيراً على الاقدام . ولم أر قطّ اجمل من منظر الهلال وهو يبزغ اثناء غروب الشمس خلف معمل الألبان . إن المجيء الى برسكوت ليس هروباً من العمل وانما وسيلة للقيام بالعمل . إنني أُحضر جميع الاوراق التي هي بحاجة الى دراسة ، وجميع تصاريح تخطيط البناء ، مثلاً لان حجم الكتابة قليل نسبياً . وينبغي عليّ ان اتوقع المزيد من الاوراق التي بحاجة للدراسة عندما آتي الى هنا في كل نهاية اسبوع .

هذا صحيح ، طبعاً ، اذا كان لدينا اكثر من بضعة أشهر قبل الانتخابات ، او اذا كان لدي اكثر من بضعة أشهر كوزير . انني لست متأكداً فيما اذا كنت وزيراً بالفطرة ، او انني ساصبح عضواً في مجلس العموم او حتى انني اريد ذلك . كما أنني لست منخرطاً في العمل بشكل كامل . نعم ، انني مشغول في قانون الرقابة على الايجارات وربما هذا هو الشيء الذي اريد ان أُحققه في دورة انعقاد المجلس الحالية ، انني اريد ان أضع قانون الايجارات في سجل القوانين وان استغل وظيفتي لذلك .

الاحد ، ٨ تشرين الثاني :

ذهبتُ الى البيت بعدْ إنتهاء العمل الصباحي في المكتب لتناول الغداء مع بوب مِلِش (Bob Mellish) ، وجيم مَكوّل (Jim MacColl) ، السكرتيرين البرلمانيين لي ، اللذين رتّبت معهما اجتماعاً اسبوعياً في الساعة الواحدة بعد الظهر لتفحص الأمور ومعرفة كيفية سيرها . لقد وصفتُ جيم مكوّل سابقاً ، وهو رجل انيق ، صعب الإرضاء ، وخبير في شؤون الحكومة المحلية وتقاليدها . وأعتقد انه سعيد جداً معي مع انه يكره كونه رقم (٢) بعد بوب مِلش . أما بوب فهو نقابي مرح ، وكان احد منتسبي حركة العمال اللندنية النموذجيين ، وكان يقف ضدي عندما استاءت الاتحادات العمالية من ملاحظاتي في صحيفة الديلي ميرور (Daily Mirror)، التي كتبتها عندما كنا في المعارضة ، وهي انه يوجد اربعة فقط من الاتحادات العمالية يصلحون كوزراء في حكومة عمالية . تسلّم بوب الآن وظيفة في وزارتي ، وطالما انني ناجح ويمكنه الاعتماد على نجاحي فانه سيكون وفياً لي . وهو الآن يذهب الى هنا وهناك ، بدون شك ، ويقول ما اروعني من شخص . وهو يقدم عملاً نافعاً باتصاله المستمر مع ممثلي المدن البرلمانيين في منطقة لندن . لااعتقد انني احبه اكثر او اقل مما فعلت عندما عاملني كرجل سيء وبغيض . وفي الحقيقة اعتقد انني افضل مكوّل ، مع انني لااعرف فيما اذا كنت سأقترب منه اكثر .

بعد الاسابيع الثلاثة هذه ماذا اعرف عن شخصيات اخرى في الوزارة ؟ جورج موسلي هو خريج مدرسة ثانوية ، عبوس ، أشيب ،

منكمش على نفسه ، دبلوماسي ، قدير ،ماهر . وهو في اعماقه انسان ظريف ووفيّ . كان لدي شك نحوه . لكنني اعتقد بأنني سأحبه اكثر وانه يودّ العمل معي وتعلّم أشياءَ مني . ولديّ شعور بأنه من المحتمل ان يكون في جانبنا سياسياً . وهو يختلف عن بريان بونسفورد ، فهو من خريجي اكسفورد الأوائل ، أنيق ، صَلِف ، يتحلى بالشجاعة الادبية في معارضته لي . ويوجد معه الفتاتان : الآنسة غرين (Green) ، وباميلا (Pamela) اللتان تجلسان في المكتب الخاص وتعملان قليلاً ، كما أرى .

أخيراً ، حزمت أمري هذا الاسبوع لكي اقول لجورج بانني أُريد جني هول . فأيد جورج ذلك وقال إنها فكرة ممتازة مما سبّب لي ارتياحاً كبيراً . وأراد ان يضع جني في المكتب حالاً بدلاً من احدى الفتيات واصبح بامكاني ان اتصل بها هاتفياً واخبرها بذلك . اعتقد ان جني وجورج سوف يعملان معاً بشكل جيد ، فهما من طرازين متشابهين في أمور معينة ومن الواضح ان هناك مودّة متبادلة بينهما . ومع انني حقّقتُ ذلك إلا انني خلقتُ أزمة بتقديم تام داليل (Tam Daliel) ليساعد بونسفورد في تهيئة مراسلاتي . وكنت احاول انْ أوضّح لمكتبي أنَّ الناس عندما يكتبون لي شخصياً عليّ ان اردّ على رسائلهم ولكنني لااتوقع ان أُملي الرسائل التي اوقّعها او حتى أقرأها بعناية . ففي الوقت الذي احصل فيه على مساعدين يتفهمون شعوري حول هذه الرسائل فانهم يجب ان يكتبوها لي . ويقول بونسفورد ان هذا مستحيل كما ان تام داليل نفسه قد صَعَّب المسألة . وتام رجل غير لبق ، وعنيد ، لكنه محبوب ، وأشك في امكانية نجاحه في كتابة نمط الرسائل التي أُريدها وسوف يكتبها كما يريد

بونسفورد . لكن لاداعي للشكوى . فوجود تام وزوجته كاتلين في الشقة التي فوقنا، في فنسنت سكوير ، شيء جميل ، فهما يعتنيان بي أثناء غياب زوجتي آن ، ويحضران طعام الفطور لي ويعدان فنجاناً من الشاي ليلاً وعندما تحضر آن الى لندن ، فانهما يتركانا لوحدنا ، لذا فانني افوز بكلا العالَميْن .

بعد ان توسعت في الحديث قليلاً حول شخصيات وزارتي ، سأعود الى احداث يوم الاثنين . أقامت صحيفة نيوستيتسمان (The New Statesman) حفلة كبيرة في قاعة ستيشنرز (Statianers Hall) مساءً . وكانت اول حفلة هامة اذهب اليها منذ تعييني وزيراً . كان هارولد هناك ، وكذلك جميع مؤسسة اليسار[1] . ووجدت انه مما يدعو الى السرور ان اكون احد الاشخاص الذين يتم التودد اليهم والحديث باحترام واهتمام بينما أمسك قدح الشمبانيا في يدي . ومن هناك عُدت الى مجلس العموم لتناول العشاء مع إدي شكلتون[2] . وبينما كنا جالسيْن معاً دخل هارولد ولسون لتناول العشاء مع فرانك كزنز . وعندما كنت اهمّ بالخروج ناداني هارولد وقال : « لماذا بحق السماء تدعو شكلتون على العشاء ؟ » فقلت له : « كان جاري القديم » ، ثم جلسنا مع هارولد بشكل غير رسمي منذ تناولنا الغداء معاً . تكلم هارولد بدون توقف ، وبثقة كبيرة بالنفس . وكان الشيء الرئيسي الذي قاله :« حسناً ، استطيع الآن ان

(١) يقصد حزب العمال اليساري .

(٢) كان اللورد إدي شكلتون (Eddie Shacklton) وزير دفاع للسلاح الجوي الملكي من تشرين الاول ١٩٦٤ ــ كانون الثاني ١٩٦٧ .

اجلس وادرس الاستراتيجية واترككم انتم الشباب تنفذون التكتيك والعمل التفصيلي في دوائركم . ان استراتيجيتي هي ان اجعل المحافظين في موقف الدفاع واضعهم دائماً امام اختيارات صعبة . فمثلاً ، الآن هم امام اختيار صعب حول الميزانية . وهم الآن امام اختيار صعب للتصويت مع او ضد زيادة المعاشات التقاعدية . وهم الآن ايضاً امام اختيار صعب حول إنشاء المباني الرسمية ، والآن فإنك ياديك[1] (Dick) سوف تضعهم امام اختيار صعب بالنسبة لمشروع قانون حماية المستأجرين . ومهما نفعل يجب ان نحتفظ بالمبادرة وان نضعهم دائماً امام اختيارات صعبة .» . وكانت لديه ايضاً احتمالات كثيرة تتعلق بالشؤون الخارجية . استمعت الى حديثه الطويل حول الفرصة الهائلة التي أُتيحت له ليصبح وسيطاً في المأزق الحرج الذي وقع فيه التحالف الغربي حول الاسلحة النووية . وكان انطباعي الرئيسي من حديثه انه يشعر بثقة كبيرة في النفس . وهو يشعر بان الحكومة قد تم تأليفها وأن باستطاعتنا الاستمرار في الحكم حسب رغبتنا ثم نجري الانتخابات في الوقت الذي نختاره .

بعد ذلك ذهبنا للتصويت على « قرار الفولاذ » الذي أثاره بعد ظهر ذلك اليوم أيان مكليود (Iain Macleod) وعارضه فِرِدْ لي . وعاود مكليود الحديث عن المحافظين عندما كانوا في الحكم بطريقةٍ مخيبة للآمال لانه اختار إلقاء خطابٍ فني هادىء وغير واضح . وردَّ فِرِدْ لي باسلوب يبعث على الأسى ، كما اعتقد ، ولكن النقاش مرّ بسلام . ولم يكن التباين في الآراء سيئا كما توقعنا ، فقد حققنا اغلبية مقدارها سبعة أصوات .

(١) يقصد ريتشارد كروسمان .

الثلاثاء ، ١٠ تشرين الثاني :

حضرت اجتماعاً هاماً الساعة ٩٫٣٠ للجنة القوانين من اجل دراسة النصّ المنقح لمشروع قانون حماية المستأجرين . وبذلت جهداً كبيراً مرة اخرى خلال هذه الدراسة . وسررت عندما تمت الموافقة على النصّ بدون تغيير . ثم ذهبت مباشرة الى مجلس الوزراء لبحث الميزانية . وكان المشهد خلال هذا الاجتماع ممتعاً . كان كالاهان يقرأ بصوت مرتفع الاقتراحات حول الميزانية ، والتي شعرت على الفور بأنها لاتشكل ميزانية على الاطلاق . يوجد اقتراح واحد فقط في الميزانية ، وهو فرض ضريبة على البترول ، تمت الموافقة عليه رأساً . فيما عدا ذلك فان هذه المقترحات إما أنها أُعلنت في الاسبوع الاول من تأليف الحكومة او ان بحثها سابق لأوانه حيث انها ستبحث في نيسان القادم مثل : المقاييس الجديدة للاستفادة من الضمان الاجتماعي ، وضريبة الحرف الجديدة ، والزيادات في معدلات ضريبة الدخل . تكلمت في الاجتماع بخشونة وقلت انني أتساءل فيما اذا كانت هذه الميزانية مضغوطة حيث تواجه الأزمة ، واننا اذاكنا نريد فعلاً وضع ميزانية ألا ينبغي ان نؤكد جميع الضرائب والرسوم ، وجميع الصعوبات التي سنمر فيها ، وتساءَلت عن هذه الامور بشكل خاص على ضوء ملاحظة كالاهان بان هذه الميزانية هي ادنى ميزانية يمكن تحقيقها. وسألت :« لماذا نضع الميزانية الدنيا » ؟ ينبغي علينا ان نضع الميزانية القصوى الآن . فأجاب هارولد بأنّ علينا ان نكون حريصين بحيث لانضع ميزانية :«توقّف ــ مسير ــ توقف » ، وان لانرتكب خطيئة

تؤدي الى التضخم النقدي . فالانتاج لم يكن على مايرام ، وعلينا ان نرفع الانتاج ويجب ان نكون حريصين جداً بحيث لانؤثر على الاقتصاد . وكان هارولد يعتقد انه على صواب .

قد يكون الوضع الاقتصادي كما وصفه هارولد . ولكن يجب ان اقول اننا اذا عدنا للوراء من الآن فانني أشعر بان تعليقي آنذاك لم يكن سيئاً . على اية حال ، اكتشفت أن تعليقي لم يثبّت في محاضر الجلسة عندما عدنا في اليوم التالي لاستئناف بحث الميزانية .

بالنسبة لباقي ساعات النهار وجدت نفسي بدون عمل ، وحرفياً ، لم يكن هناك مواعيد لي . وقال لي جورج موسلي أن الشيء الوحيد الذي يمكن ان أفعله هو الذهاب الى البرلمان والاستماع الى النقاش حول الخطاب . كنت غير مرتاح حول عدم وجود عمل وهذا أمر لايمكن احتماله . جلست وأنا في حالة من الغضب واستمعت الى نقاش حادّ بين تِدْ هيث (Ted Heath) ، وجورج براون وكانت نتيجته الوصول الى ورطة شنيعة ، وشعرت بتدهور في معنوياتي ذلك المساء .

الأربعاء ، ١١ تشرين الثاني :

اول شيء فعلته هو الاتصال بهارولد هاتفياً وشرحت له العمل الذي يُخفى عني وانني تحملت من السيدة ايفلين مافيه الكفاية . ثم ذهبت الى السيدة ايفلين في الساعة ١٠ر٣٠ واخبرتها ان هذا الوضع لايمكن

الاستمرار فيه . وقالت على الفور : « انني أيضاً لم أرَ شيئاً من اعمال المكتب . وقد أُبعدتُ عن مسؤولياتي الحقيقية بسبب المعركة الكبرى من اجل مستقبل الوزارة . » عندئذٍ قلت لها « حسناً ، من المحتمل ان يكون ماذكرتيه صحيحاً . لكنني لست متأكداً بأننا عملنا جيداً في خوض المعركة خلال الاسابيع الأخيرة . وكانت مهمتك ان تجعلي وزيرك يمضي في عمله وان ترين انه يتحمل المسؤولية . وقد فشلت في تحقيق ذلك . انني أُصرّ على عقد اجتماعات منتظمة للمعاونين ، وعلى وضع قرارات منتظمة لي من قِبَلِكِ وأُصرّ على تنفيذها بالطريقة التي اريدها ان تُنَفَّذ بها . » فقالت إنها تعرف ان تلك هي غلطتها ويجب علينا أن نضع اسلوباً للعمل . ووجدت ، كما يفعل المرء غالباً ، انني لااستطيع ان اطلب منها تفسيراً ذلك اليوم لانها كانت تعترف بذنبها بالنسبة لجميع الأخطاء ، لكنها كانت تشير الى الظروف لتبرير اخطائها . واستطيع القول بأن الظروف فعلاً لعبت دوراً كبيراً ، فهيجان ولسون في الوايت هول ، وتأليف الوزارة الجديدة ، والشكوك حول مستقبل التخطيط وبيع الاراضي كل هذه الأمور تسبب الازعاج لاي موظف كبير ، فما بالك بالسيدة ايفلين التي تهتم بعملها بشكل عاطفي . وبينما ينتقل معظم السكرتيرين الدائمين من وزارة إلى اخرى ويشعرون بشعور الموظف المحترف نحو جميعها ، فان السيدة ايفلين موجودة في وزارة الإسكان منذ اثني عشر عاماً وهي شخصية مؤثرة في هذا الميدان . وأصبح واضحاً ليَ الآن انه يوجد في الوزارة ، وخاصة في قسم التخطيط ، عدد كبير يشعر بانه يجب وضع نهاية لعهد طغيان السيدة ايفلين ، ويرغبون في رؤيتها وهي تغادر الوزارة . لكنني لاأظن بأنهم

يريدون ان يروْا شخصاً مثلي جاهلاً وبعيداً عن مجال التخطيط يتخلص منها .

إن حفلات الغداء عبارة عن حوادث او مسلسلات مثقلة بالهموم . دعاني سيدني جاكوبسون[١] (Sydney Jacobson) ، ووجدت نفسي في غرفتين خاصتين معه ومع هيو كَدْلِبْ[٢] (Hugh Cudlipp) ، وهارولد هتشنسون[٣] (Harold Hutchinson) . تحدثنا قليلاً عن الأيام الغابرة . وضغطوا عليّ كثيراً لمعرفة الدور الذي لعبته في الانتخابات . قلت لهم الحقيقة ، وهي انني لعبت دوراً صغيراً جداً .

بعد الغداء ذهبت مباشرة الى مجلس العموم كما اخبرني جورج موسلي بأن عليّ ان أُومىء برأسي من اجل اول مشروع قانون لي . جلست في المقاعد الأمامية قبل بحث الميزانية مباشرة ثم تُلي اسمي فأومأتُ برأسي . وبدأ كالاهان بالقاء خطابه . وكان خطاباً جيداً للغاية ، وقُدم بشكل ممتاز . في الحقيقة ، كان الخطاب افضل من الميزانية بكثير . بعد ذلك هرعت الى الوزارة لأتكلم ثانية مع هيامز . انني أُكنّ له كل الودّ . وهو خالٍ من سوء النية نحو الحكومة . وبعد تفكير بدا واضحاً ان افضل عمل هو ان اتخذه مستشاراً لي ، فيدرس أساليبنا ويكتب تقارير لي ،

---

(١) رئيس تحرير صحيفة صَنْ (Sun) من ١٩٦٤ ــ ١٩٦٥ ، ورئيس تحرير صحف شركة بترول العراق منذ ١٩٦٨ .

(٢) نائب رئيس شركة بترول العراق من ١٩٦٤ ــ ١٩٦٨ ثم اصبح رئيسا للشركة ، ثم رئيسا لصحف شركة بترول العراق منذ ١٩٧٠ . وفي نهاية عام ١٩٧٣ تقاعد من شركة بترول العراق .

(٣) مراسل سياسي لصحيفة صَنْ .

حيث من المستحيل عملياً تقديمه للوزارة . هذا مارسمت له وآمل ان يكون مرضياً له .

كان علي ان اغادر الوزارة مسرعاً لانني وافقت على أخذ زوجتي آن الى الملكة لتناول قدح من الشراب . قادتْ مولّي السيارة واتجهنا نحو القصر مارّين بمحاذاة المنتزه . وكان موظفو البلاط واقفين أمام القصر لاستقبالنا وأخذنا الى غرفة فخمة حيث قُدم لنا الجنّ مع الليمون . وبعد برهة دخلت الملكة . تحدثنا حديثاً ودياً مع السّير ادوارد فورد[1] (Sir Edward Ford) الذي كان جاراً لنا في برسكوت ، لكونه مزارعاً في نورثامبتون شاير (Northamptonshire) ، وتحدث كل منا بدوره مع الملكة . كان يوجد حوالي نصف دزينة من الوزراء العماليين : عائلة غونتر (Gunter) ، وعائلة كروسمان ، وعائلة غرينود (Greenwood) ، وعائلة كزنز (Cousins) ، وعائلة كاسل (Castel) . في الدقائق العشر التي تكلمتْ فيها الملكة ، كما أُخبرت بانها تفعل دائماً ، كان حديثها يدور حول كلابها (كان يوجد كلبان ضخمان ، يكاد لونهما يشبه لون السجادة ، يقبعان عند قدميها) . وتحدثتْ عن حبّ الناس للكلاب . وسألتها عن مزايا كلبيها فقالت انهما من نوع كورجي[2] ويُستخدمان لجمع شمل الماشية بواسطة عضّها من أرجلها . ثم تحدثنا فيما اذا كانت الماشية تستطيع ان تطأ الكلاب وقلت ان كلبنا وهو من نوع سوكي[3]

---

(١) كان سابقا سكرتيرا خاصا للملكة .

(٢) تشتهر مقاطعة ويلز بهذا النوع من الكلاب وهو يستخدم في حراسة قطعان الماشية .

(٣) ويسمى ايضا كلب البودل (Poodle) وهو كلب ذكي كثيف الشعر .

(Suki) اسرع بكثير من الكورجي لمنع الابقار من الهرب . ثم انتقلت الملكة الى الحديث عن الأبقار وقالت كيف انها كانت مسرورة جداً عندما ذهبت الى « معرض الألبان » لأول مرة وفازت في البطولة على ابقارها من نوع جرزي (Jersey) . ثم تحدثت عن ابنها الأمير تشارلز (Charles) الذي يدرس في مدرسة غوردونستون (Gordonstoun) وما اذا كانت مدرسة جيدة ، وأبدت ملاحظة ان تشارلز حصل على درجة الدراسة الاعدادية (O - Levels) وهو في سنّ اصغر من المقرر .

تمّت الزيارة القسرية بناء على طلب آن ، واظن انها كانت مسرورة ، وكانت تبدو فاتنة وهي تضع شبكة سوداء صغيرة فوق شعرها وترتدي فستاناً اسود محلّى بجوهرة جميلة ، لكنها شعرت بان فستانها غير ملائم للمساء . رفضت مبدئياً ان أذهب لحضور حفلة عشاء إتحاد مجالس المقاطعة بمناسبة الذكرى الخامسة والستين لانشائه التي ستقام في قاعة مجلس المقاطعة عبر النهر . على اية حال ، فقد ضغطوا عليّ واخيراً وافقت على الذهاب عندما علمت بأن جورج براون ذاهب ايضاً ولكن بدون الفِراك[1] (Tail Coat) . فليس عندي هذه السترة ولا اريد ان ا ستأجر واحدة . وقالت السيدة ايفلين ، التي ستذهب الى الحفلة أيضاً ، بأنها سترتدي فستاناً طويلاً وان من المستحيل ان تذهب آن بفستان قصير ، لذلك ذهبت بعد حفلة القصر الى البيت وغيّرت ملابسي ثم توجهت مع جيم ماكّول الى مجلس لندن الكبير ، وكان كلّ منا يرتدي سترة حفلات العشاء الرسمية ، وتركت آن في البيت .

(١) وتسمى ايضا السترة الخطّافية ، وهي سترة رسمية طويلة مشقوقة الذيل كذيل الخطاف او السنونو .

عندما وصلنا المجلس وجدت صوفي براون (Sophie Brown) ، زوجة جورج براون ، ترتدي نفس الفستان الذي كانت ترتديه عندما كنا في القصر . وكان باستطاعة آن ان تحضر هذه الحفلة بفستانها التي كانت ترتديه في القصر ايضاً واعتقد انها كانت ستسرّ .

كان ذهابي الى الحفلة مفيداً حيث ان جميع الذين كانوا موجودين يهتمون بشؤون الحكومة المحلية ، فقدموني الى رئيس اتحاد المجالس البلدية ، والى رئيس اتحاد مجالس المقاطعة ، والى مدير لجنة حدود الحكومة المحلية ، والى مدير لجنة الحدود البرلمانية . وكان يوجد في الحفلة معظم كتبة المدينة للسلطات المحلية ، وكان الاجتماع مناسباً لي لمقابلة بعض الأشخاص الهامّين . وكان الشيء المزعج الوحيد هو عدم امكانية تناول الطعام حيث اضطررت للشراب مع كمية قليلة من الطعام وشعرت بالانزعاج في صباح اليوم التالي .

الخميس ، ١٢ تشرين الثاني :

عُقد اجتماع آخر لمجلس الوزراء . وكان هذا الاجتماع مخصصاً لدراسة امكانية زيادة رواتب اعضاء البرلمان والوزراء . وكان اجتماعاً مشوّقاً . أرادنا رئيس مجلس الوزراء ان نوافق على تقرير لجنة لورنس[1] (Laurence) وان نعطي اعضاءَ البرلمان زيادة ذات أثر رجعي منذ بداية دورة انعقاد المجلس .

---

(١) شُكلت هذه اللجنة من قبل السير أليك دوغلاس هيوم عندما كان رئيسا للوزراء . واقترحت ان تزيد رواتب اعضاء البرلمان من ١٧٥٠ جنيه الى ٣٢٥٠ جنيه في السنة .

أراد ثانياً ان يُنزل الزيادات المقترحة للوزراء من قبل لجنة لورنس الى النصف ، وهو لن يأخذ شيئاً وترك لنا الحرية في قبول الزيادة او رفضها طيلة فترة البرلمان الحالي . وقد أيده في ذلك مجموعة كبيرة من الأعضاء مثل :بارباره كاسل ، ووزير العمل راي غونتر (Ray Gunter) ، وكذلك وزير الخزانة ، ومايكل ستيوارت ، وآرثر بوتوملي ، وفرانك سوسكايس (Frank Soskice) ، وفرانك لونغفورد .

بدأ المعارضة جورج براون ، وقال إنه يعتقد بأنه في حالة دفع زيادات لاعضاء البرلمان فمن الضروري ان يشمل ذلك الوزراء ، ومن الأهمية بمكان اجراء التصويت على الزيادات للوزراء على الفور ، لان لجنة لورنس ستتخذ قراراً بشأنها واذا لم نوافق على توصياتها غير المتحيزة فاننا لن نحصل على الزيادات للوزراء أبداً . وقال جورج براون بأنه سيوافق على تخفيض ٥٠٪ لكنه يعتقد من جهة اخرى بان الزيادة ينبغي ان تدفع رأساً ، في اول نيسان اذا أمكن ، بنفس الوقت الذي تدفع فيه الزيادة في معاشات تقاعد كبار السن ، ولكن ينبغي عدم بذل أي جهد لاقناع الوزراء بالامتناع عن قبول الزيادة . وأشار ايضاً الى انه اذا امتنع الوزراء عن قبول الزيادة ، فانهم سيحصلون على رواتب اقل من رواتب زملائهم الوزراء ، واذا امتنع وزراء آخرون ليسوا اعضاءً في مجلس الوزراء[1] فانهم

(١) هنالك نوعان من الوزراء : النوع الاول عضو في مجلس الوزراء ويحضر كافة اجتماعات المجلس ، اما النوع الثاني فليس عضوا في مجلس الوزراء ولا يحضر اجتماعات المجلس ولكنه يكلف بمهام خاصة ويقدم تقاريره الى مجلس الوزراء لدراستها واقرارها ، ويتقاضى هؤلاء رواتب اقل من رواتب زملائهم في مجلس الوزراء على الرغم من تسميتهم وزراء .

سيحصلون على رواتب اقل من السكرتيرين البرلمانيين . لذا كانت المسألة ماااذا كنا سنأخذ بتوصيات اللجنة جميعها الخاصة ببنية الرواتب او نتركها. ووقف اللورد قاضي القضاة بجانب جورج براون بشدّة ، ثم تدخل فرانك كوزنز والقى كلمة حول معدّل الرواتب واكّد على ضرورة عدم ربط سياسة الدخل برواتب الوزراء . وأشرتُ الى انه لو كانت حكومة المحافظين موجودة الآن فإن سلّم الرواتب الموصى به من قبل لجنة لورنس لن يكون جذّاباً بالنسبة لها . اما بالنسبة لنا فانه ملائم جداً لذا اعتقد بأن دفع أل ٥٠٪ من الزيادة المقترحة في اول نيسان هو أمر حسن . وقد أيّد وجهة نظر جورج براون ، وفرانك كوزنز ، ووجهة نظري كل من : فرِدْ لي ، وتوم فريزر ، وويلي روز ، وطوني غرينود . وعندما تمّ عدُّ الأصوات أعلن هارولد ولسون ان جانبنا حقّق اصواتاً اكثر من جانبه . لقد هَزَمْنا رئيس الوزراء .

كان علي ان اقابل هارولد ولسون بعد انتهاء اجتماع مجلس الوزراء هذا لكنه امتدَّ حتى الواحدة بعد الظهر ، لانه بعد انتهاء مناقشة رواتب الوزراء انتقل البحث الى موضوع هام يتعلق ببيع الأسلحة الى جنوب افريقيا . قدَّم هارولد بياناً شفوياً ، ولم أُعِرْ اهتماماً للبيان فيما عدا الملاحظة التي ذكرتها حول منع بيع الأسلحة الى جنوب افريقيا وكيف ان ذلك يخفض جزءاً كبيراً من صادراتنا التي يمكن ان تساعدنا في توطيد ركائز الجبهة الداخلية .

وكان عليَّ ان اذهب الى المسرح مساءً لحضور مسرحية « صديق الفتاة » (Boy Friend) لكنني وجدت نفسي ذاهباً مع السيدة ايفلين

لتناول العشاء في « نادي المزارعين » لانها دَعت نفسها لكي تبحث الأزمة القائمة بيننا . وبمجرد جلوسنا على المائدة بدأت بشرح موقفها ببرودتها المعتادة . فقالت :« حسناً ، إنك وزير محظوظ . ولك الخيار إما بالاحتفاظ بي او التخلص مني . فأيهما تختار ؟ » أعرف ان كلامها هذا هو فخّ ولااستطيع ان اقول لها : « سأتخلص منكِ » ، لذا قلت : « اريدكِ ان تعملي من اجلي بأسلوب آخر . » وشرحت لها مرة ثانية ببرود انني اريدها ان تتعامل معي كما يتعامل الضابط الكبير مع رئيس اركانه ، فعليها ان تحضّر الاشياء لي ، وان تكون حريصة حقاً على ان أكون مسؤولاً عن الوزارة . واخبرتها ايضاً انني اعتقد بأنها أساءت تدبير علاقاتنا مع ال وايت هول بشنّها حرباً لاهوادة فيها (هذا شيء أخبرني به جورج موسلي منذ بضعة أيام) ، واعتقد بأنني أستطيع ان أفعل أفضل منها في بعض الأمور حيث ان كلمة أهمسها في اذن ولسون في الوقت المناسب تعادل خمسة اجتماعات عاصفة تعقدها مع زملائها من الموظفين الكبار . والحقيقة ان المعركة التي خاضتها خلال الاسابيع الثلاثة الماضية للدفاع عن مستقبل دائرتها أكسبتها معاداة معظم اعضاء الخدمة المدنية وعدد من زملائي خاصة جورج براون ، وفردْ لي . والاسوأ من ذلك أنها جعلت كل شخص يقول : « السيدة ايفلين تعدو هنا وهناك ، ولكن ماذا يفعل وزيرها ؟ » .

اثناء تناول طعام العشاء ، وجدت انني على الرغم من اقناع نفسي يومي الاثنين والثلاثاء بانني سأُصرّ على التخلص منها وعلى الرغم من انها أقنعتْ نفسها بأنها على استعداد لترك الوزارة ، لم يكن واحد منا في

من غير المعقول الذهاب الى البيت لمجرد قضاء ساعة واحدة ، شكراً لله انني لم افعل ذلك ، لان يوم الجمعة كان يوماً ماطراً . وهطلت الأمطار طيلة اليوم في برسكوت وهنا أيضاً في لندن . وسأُغادر الى ليفربول في قطار الساعة السادسة مساءً بعد ان انجز بعض الاعمال اليومية المفيدة .

حضرنا اجتماعاً في الصباح للجنة الشؤون الداخلية وقد حاول قاضي القضاة ان يقنعنا بالموافقة على مشروع قانون إنشاء لجنة قانونية . واعتقد ان هذه الفكرة معقولة وأنا ارحب بها . واخبرت قاضي القضاة بذلك واثناء النقاش استشهد قاضي القضاة بمقاطع من كلامي . انه سياسي رائع لكنه متسرّع . أخبر احد الأشخاص قبل مناقشة مشروع قانونه هذا بأنه متأكد ان الموافقة على مشروع القانون ستتم خلال نصف ساعة بدون اية صعوبة . ولكن عملياً تبين ان مشروع القانون ، بعد نقاش دام ساعة ، كان على وشك ان يُرفض كلياً مالم يُرسل الى لجنة فرعية لانقاذه . وقد حَمَل وزير الداخلية فرانك سوسكايس على القول بأنه لن يترك القانون الجنائي يشوّه بواسطة اعضاء اللجنة القانونية ، كذلك حَمَل دوغلاس غي ان يعترض على مجلس التجارة بنفس الطريقة . وكانت هذه الاعتراضات بسبب الصياغة الرديئة للوثيقة ، ولكن كان يوجد ايضاً شعور غامض بان اعضاء اللجنة القانونية لن يكونوا مجرد هيئة تنفيذية . وعلى اية حال ، فقد أنقذنا قاضي القضاة بتشكيل لجنة فرعية ووجدت نفسي عضواً فيها .

عُدت مسرعاً الى فنسنت سكوير وأخبرت جِني بأن جورج موسلي وافق على نقلها الى مكتبي الخاص كسكرتيرة لي . وجاء دونيسون

الحقيقة مستعداً لاتخاذ هذا الاجراء خاصة في هذا العام المجيد ، عام ١٩٦٤ ، او في هذا الاسبوع من شهر تشرين الثاني عام ١٩٦٤ . ولم نكن مستعدّين للانفصال ، لاننا في الحقيقة نكن الودّ لبعضنا البعض ونعتبر اننا نختلف عن الآخرين ، فنحن نعرف قيمتنا الحقيقية ونعرف قيمة الآخرين . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان السيدة ايفلين تتبوأ مركزا هاماً في وايت هول فاذا أخرجتُها من الوزارة وجعلتُ منها عدواً لي ، هذا اذا فُصلتْ بمبادرة مني ، فانني أعرف جيداً (حذّرني هارولد عندما اتصلت به هاتفياً صباح الأربعاء واخبرته عن صعوباتي معها) ان جميع المسؤولين في وايت هول سيكونون ضدي . وسيكون هناك استجواب في البرلمان واستنكار شديد . لذا توصلت الى نتيجة وهي ان ماأحتاج اليه هو التعاون معها قدر المستطاع ، والاستفادة منها الى أبعد حدّ ممكن . فاذا شعرتُ بعد ذلك انها لاتستطيع الانسجام بالعمل عندئذٍ أهيىء لها الفرصة لتغادر الوزارة . وفي نهاية العمل المسائي كان واضحاً أننا نعمل سويّة بشكل جيد وقد بذلت جهداً كبيراً للتلاقي مع وجهة نظري واكثر من ذلك حاولت في الحقيقة منذ يوم الثلاثاء الماضي ان تعمل بالطريقة التي ارغبها .

الجمعة ، ١٣ تشرين الثاني :

كان عليّ أن أذهب الى برسكوت لحضور المباراة السنوية للرماية ، ولكن بما أنني سأذهب الى ليفربول (Liverpool) في زيارة رسمية وجدت

الى هناك لتناول الغداء وبذلك استطعت ان أسمع اكثر عن الايجارات ، والرقابة على الايجارات . ثم رجعت الى مكتبي لترتيب الأمور ، ولرؤية السكرتيرة مرة ثانية ، وللتأكد من ان كل شيء معدّ لخطابي الكبير يوم الأربعاء القادم ، عندما اقدِّم القراءة الثانية لمشروع قانون حماية مستأجري الاراضي . ثم انطلقت بقطار الساعة السادسة مساءً الى ليفربول للقيام بالزيارة .

حدثت مقدمة مضحكة لهذه الزيارة الى ليفربول . طلب مني مجلس حزب العمال في المدينة ان آتي لزيارة مدينتهم فقلت لهم إنني سأؤجل زيارتي حتى تخبرني بِسّي برادوك[1] (Bessie Braddock) بأنها تريدني في ليفربول . وعندما حصلت على الدعوة المزدوجة قَبِلْتُها ، واذ ذاك اعتقدت بأنها دعتني وانها تستطيع ان تنظم الزيارة . كما ان ألدرْمان سِفتون (Alderman Sefton) ، زعيم كتلة العمال ، اعتقد انه سينظم الزيارة ، وفعلاً قام باتخاذ الترتيبات اللازمة للزيارة . صُرفت ثلاثة أيام في مشادة كلامية غاضبة : أرادتني بيسّي ان أُصوِّر للصحافة والتليفزيون في شارع كاننغ (Canning Street) ، وهو حيّ فقير في دائرتها الانتخابية ، لاظهار الفضائح المتعلقة بهذا الشارع الفقير ، وأرادني سَفتون ان لاأذهب الى شارع كاننغ بأي ثمن وان لاأعطي الفرصة لبيسّي للدعاية المنتظمة التي تقوم بها ، لأن من المضحك ان يصوَّر كل وزير في هذا الشارع بالذات . طبعاً هو على حق . ولكن من جهة اخرى ، فان اعضاء البرلمان سواء

(١) عضوة برلمان عن ليفربول من عام ١٩٤٥ ـــ حتى موتها عام ١٩٧٠ . كما كانت عضوا في مجلس مدينة ليفربول من عام ١٩٣٠ ـــ ١٩٦١ .

بيسّي او غيرها لهم الحق في الطلب من الوزير الزائر ان يذهب ويرى شيئاً ما في دائرتهم الانتخابية . لذا سأحاول أن اوفق بينهما وافرض السلام . وعندما وصلت الى ليفربول الساعة العاشرة مساء الجمعة وجدت ان المعركة لاتزال محتدمة . فبيسّي واقفة امام درجة باب عربة القطار وهي تهدّد بتنظيم مظاهرة واغلاق الشارع وايقاف الاوتوبوس الذي سأركب فيه أنا واعضاء المجلس أثناء الزيارة . فكّرت بحلٍّ وسط وهو ان تركب الباص عندما ندخل حدود دائرتها الانتخابية وان تغادر الباص عندما نترك دائرتها للجانب الآخر . وقد أرضى هذا الحلّ كبرياءَها . فوافقت على ذلك هي وسِفْتون ايضاً.

الأحد ، ١٥ تشرين الثاني :

يبدو أن هذه اليوميات تمر بفورة نشاط اسبوعية منتظمة . فهذا اليوم هو يوم أحد ، والوقت بعد الظهر ، والطقس جميل جداً . لكن معدتي ليست على مايرام ، لذا سمحت لولدي شقيقتي نكي (Nicky) وتوم (Tom) ان يخرجا للنزهة مع آن في ارجاء المزرعة بينما بقيت داخل المنزل الدافىء لكتابة اليوميات .

ملاحظة :

في الحادي والعشرين والثاني والعشرين من تشرين الثاني بُحثت مسائل الدفاع في شكرز (Chequers) . اقترح المستر ولسون استبدال القوة متعددة الاطراف بقوة نووية أطلسية، تشمل غواصات بولاريس

الامريكية ، وقاذفات القنابل البريطانية من طراز (٧) ، (عناصر مشتركة ، وتجهيزات مشتركة) وغواصات بولاريس البريطانية التي لن يتخلص منها حزب العمال برغم كل شيء .

وفي السادس من كانون الأول طار رئيس الوزراء الى واشنطن ، وبرفقته باتريك غوردون ووكر ، ودنيس هِلي ، وسكرتير مجلس الوزراء ، ورئيس اركان الجيش ومجموعة من كبار الموظفين من وزارة الخارجية ووزارة الدفاع . وبحثت مسائل سياسية واقتصادية مع الرئيس الامريكي ، ولكن احاديثهم دارت بشكل رئيسي حول الدفاع والسياسة الخارجية . وبدا أن الرئيس ومستشاريه يوافقون على اقتراح إنشاء قوة نووية أطلسية . وعاد رئيس الوزراء الى لندن في الحادي عشر من كانون الأول ، بعد محادثات يومين في أوتاوا . لكن مسألة القوة النووية الأطلسية لم تقرَّر باي شكل من الأشكال . وكان الجناح اليساري لحزب العمال يُدين باستمرار الرادع المستقل وغير سعيد فيما يتعلق باعادة تسليح ألمانيا ، كما ان عدداً كبيراً من اعضاء البرلمان في المقاعد الخلفية[1] كانوا قلقين لفشل الحكومة في ادانة السياسة الامريكية في فييتنام . وتساءل عدد من الوزراء كيف سيتلقى الحزب مقترحات الدفاع الجديدة . وكانت الضجة حول زيادة المعاشات التقاعدية محتدمة بين اعضاء حزب العمال البرلمانيين .

كما ان الموقف الاقتصادي السيء قد بُحث ايضاً في شكرز (Chequers) في نهاية الاسبوع ، في نهاية شهر تشرين الثاني ، وفي يوم الاثنين ٢٣ تشرين الثاني ، وارتفعت الفائدة المصرفية من ٥٪ الى ٧٪ .

(١) يقصد اعضاء البرلمان الذين لاتسند اليهم وظائف وزارية في الحكومة .

لكن الجنيه استمر في الهبوط ، ومع ان تخفيض قيمة العملة كان أمراً ممنوعاً في مجلس الوزراء إلا ان الفكرة انتشرت بالتأكيد بين الملأ . أُنقذ الموقف ، بشكل مؤقت على الأقل ، عندما نظّم مصرف إنكلترا في ٢٥ تشرين الثاني اعتماداً قدره ٣٠٠٠ مليون دولار مع مصارف مركزية اخرى .

لذلك ظهرت اهمية تخلي الحكومة عن المشروع الأنكلو ــ فرنسي الباهظ التكاليف لبناء طائرة الكونكورد التي تفوق سرعتها سرعة الصوت .

الاثنين ، ١٦ تشرين الثاني :

أخذت قطار الصباح كالعادة ووجدت نفسي في الوقت المحدد داخل الاجتماع المقرر للجنة التطوير الاقتصادي حول طائرة الكونكورد . وكان هذا اول اجتماع لنا وأُعلمنا ان شيئاً ما دراماتيكياً يجب ان يتم وينبغي التخلي عن الكونكورد بسبب الأزمة الاقتصادية . ومنذ ذلك الحين ، جرت المشاورات بعناية زائدة . فوجدنا ان من المستحيل التخلي عن المشروع دون ان نلغي ليس عقداً تجارياً بل معاهدة ، وفي هذه الحالة فاننا سنعرّض انفسنا لدفع تعويض الى الفرنسيين اكبر من التكاليف التي سندفعها فيما لو تابعنا المشروع . ووجدنا ايضاً أن الفرنسيين مسرورون لتصعيبهم موضوع الاتفاق على الكونكورد . وفي هذه الجلسة وضع روي جنكنز (Roy Jenkins) [وهو وزير لكنه ليس عضواً في مجلس الوزراء] وثيقة حول العمل الواجب اتخاذه .

أعتقد ان هذه أول مسألة هامة تُحال الى لجنة وزارية منذ تولّينا

للحكم . وهذا يعني ان هارولد ولسون قرّر انه اذا استطاع الحصول على حلّ متفق عليه في اللجنة الوزارية فانه لن يضيع وقته في معالجته في مجلس الوزراء . قدّمتْ لنا الوثيقة التي وضعها رُويْ خمسَة اختيارات تتراوح بين الإلغاء الكامل لمشروع الكونكورد وبين إثارة اهتمام الامريكيين بالمشروع وجعْله مشروعاً ثلاثياً . وسرعان ماتضح أن وزيرين مختصين بالشؤون الاقتصادية هما قاضي القضاة ، والوزير الأول ، قد صمما على إلغاء العقد بأي ثمن وقد سخرا من المدعي العام ، إلوين جونز (Elwyn Jones) ، عندما حذّرهما من النتائج الخطيرة التي تترتب على الغاء اتفاقية الكونكورد . ومن جهة اخرى كان واضحاً ان دوغلاس غي ، وزير التجارة ، الذي قضى وقتاً عسيراً وهو يدافع عن الضريبة الاضافية التي مقدارها ١٥٪ ضد اعضاء الاتحاد الاوروبي للتجارة الحرة ، كان منزعجاً من نقض اتفاقية اخرى . واصبح لدينا الآن فريقان ، فريق يتوخى الاقتصاد بشكل عنيف وفريق آخر يفكر في العلاقات والاعراف الدولية ، وكان وزير الخارجية من بين هؤلاء . وبين هذين الفريقين كان بقيتنا يراقبون بحرص ويبحثون عن الحل الأمثل . ووجدت نفسي اقف بجانب انطوني كروسلاند[1] . وشعر كلانا بأن جورج براون كان حرّ الارادة فيما يتعلق بالغاء العقد وكان فعّالاً في معارضته للمشروع وهو على استعداد كامل لالغائه . ووقف فرانك كزنز الى جانب جورج براون بقوة وقال بأننا اذا ركّزنا جميع مواردنا التكنولوجية على هذه الطائرة فان العقد سيشوّش الاقتصاد وافضل وسيلة هي التخلص من العقد كلية . وربما كان الاقتراح

(١) توفي في شباط عام ١٩٧٧ وهو بمنصب وزير خارجية .

الذي قدمه رُويْ جنكنز افضل الاقتراحات . وقد أيَّده في وجهة نظره دوغلاس غي ، وآخران من ضمنهما أنطوني كروسلاند ، وأنا ، وهذا الاقتراح يتبنى وجهة نظر معتدلة . فاذا كان مستعداً ان يقترح بأننا ينبغي ان ننتج الطائرة المشتركة ، فانني اعتقد بأنه سيحصل على التزام ثابت من اللجنة . وكما هي ، ذهب ومعه تعليمات للتفاوض من مركز مستحيل غالباً .

تناولت الغداء الاسبوعي مع بوب مِلِشْ وجيمس مكوّل في فنسنت سكوير . كان بوب يعمل بدأب ، وينفذ مشروعاً حقيقياً للإسكان في لندن ، وكان يتجول في المدن ذات الدوائر الانتخابية ، يَقيِّم الناس ويجري اتصالات معهم . وكان داهية في محافظته على العلاقات الحسنة مع اعضاء حزب العمال البرلمانيين . اما جيم مكوّل فكان منطوياً على نفسه ، ولايحب الاختلاط بالناس ، لكنني لازلت أشعر بأنه افضل سكرتير برلماني لديّ . فهو يركِّز على اعمال التخطيط التي أبعثها اليه واعتقد انه يتمتع بالحياة . قررنا يوم الأربعاء أننا عندما سنتلو القراءة الثانية لمشروع قانون حماية المستأجرين ، فان جمي مكوّل ، الذي دعي لحضور احدى حفلات الشاي التي لاتنتهي ، ينبغي ان يذهب للعشاء اما بوب مِلِش فيبقى . لذا ذهبتُ أنا وبوب لرؤية الموظفين بعد الظهر لنأخذ إيجازاً عن مشروع القانون . اقترحت على الموظفين ان يحضِّروا مسودة من اربع فقرات من اجل خطابي الذي سأُلقيه يوم الأربعاء وأنا اضع المقدمة السياسية بنفسي .

ذهبت بعد ذلك لتناول العشاء مع جورج ويدنفلد[1] . لقد كنت مدعواً الى حفلة العشاء التي أقامها رئيس البلدية ولكن بما انني لااملك ربطة عنق بيضاء وجاكيت « فراك » رفضت ان اذهب . ويجب ان اعترف ان عدم ذهابي قد لوحظ على شاشة التليفزيون من قبل اكثر من معلّق . على اية حال ، قضيت أمسية سارّة للغاية . وكان بام بِري (Pam Berry) هناك وجلست بجانب زوجة نويل أنّان[2] (Noel Annan) ، وكانت حفلة ممتعة ، وشعرت بالسرور بصحبة هؤلاء الناس .

الثلاثاء ، ١٧ تشرين الثاني :

مكثت في فنسنت سكوير وجاءت جني ، وأعددنا سوية القسم الأول من خطابي . وكنت على وشك الانتهاء من كتابة الخطاب عندما ذهبت لتناول الغداء حيث سأذهب بعد ذلك الى مجلس العموم في الساعة ١٥ر٣ من اجل الردّ على الأسئلة . مرة ثانية لم تصل الاسئلة التي ستوجه لي .

وكان علي ان اذهب الى اجتماعُ لجنة القوانين التي ستنظر في القوانين للمستقبل . وكان هذا الموضوع منمّقاً . فقد احتشد حوالي ثلاثين شخصاً ، وكان يوجد حوالي ثمانين الى تسعين مشروع قانون مدوّنين

(١) هو رئيس دار نشر « ويدنفلد ، ونكلسون » ، وهو مشهور باقامة الحفلات الادبية والسياسية .

(٢) كان نويل أنّان رئيس كلية الملك في جامعة كامبردج . وفي عام ١٩٦٥ مُنح لقب لورد ، وفي تشرين الاول ١٩٦٦ اصبح رئيسا لاحدى كليات جامعة لندن .

حسب اسبقيات مختلفة ومتنوعة . دُهشت وأنا أرى مشروع قانون لجنة الاراضي في الاسبقية الثالثة ومشروع قانون اصلاح الأراضي المستأجرة في الأسبقية الثانية بعد ان عملت جهدي لوضع مشروع قانون الايجارات في الاسبقية الاولى . فأدركت ان هذا الترتيب تمّ نتيجة ضغط كتلة مقاطعة ويلز التي يتزعمها جيم كالاهان (Jim Callaghan) ، وجيم غريفتز (Jim Griffiths) على رئيس المجلس الضعيف . كان الاجتماع شيئاً مضحكاً : كان من المفروض ان ندرس الأسبقيات لكننا لم نستطع ، لأن من الواضح ان كل امرىءٍ موجود في اللجنة ينظر الى الموضوع من وجهة نظر مختلفة فالبعض يعتقد ان المسألة عبارة عن اصلاح قانوني بسيط او إقرار مشروع صغير يتضمن منح الاستقلال الى غامبيا (Gambia) . والبعض الآخر يتساءل هل برنامج العمل هام لهذه الدرجة . واذا ذهبت الى اجتماع اللجنة ومعك ايجاز من وزارتك فباستطاعتك ان تقول فقط : « إن مشروع قانوني لايقل اهمية عن باقي مشاريع القوانين .» على اية حال ، اعترضتُ على ادراج لجنة الاراضي في أسفل الجدول وأيدتُ فِرِدْويلي باعطائها افضلية ووضعها في اعلى الجدول . وأيدني في ذلك مايكل ستيوارت ، سَلَفي كوزير ظل للاسكان ، وكذلك وزير الدولة لشؤون إسكتلندة ويلي روس (willie Ross) ومما اثار دهشتي ان المدعي العام أيدني أيضاً . لذا لم يضع الوقت سُدىً . .

ثم ذهبت الى مكتبي مباشرة وطلبتُ من جورج موسلي ان يحضّر كاتبة اختزال ، وكانت جني موجودة ، من اجل إعداد الخطاب . بدأنا العمل الساعة ٧٫١٥ مساءً وانتهينا الساعة الواحدة صباحاً عندما كان

النقاش حول الهجرة لايزال دائراً في لجنة مشروع المحافظة على استمرارية القوانين القديمة . استغرق إعداد الخطاب وقتاً أطول مما كنت أظن لان جميع الفقرات المكتوبة من قبل الدائرة كانت عديمة الجدوى باستثناء أشياء طفيفة . مع انني ، مثلاً ، كنت افترض ان بإمكان شخص ما ان يكتب لي مسودة على شكل عبارة تلو عبارة مما هو مذكور في مشروع القانون ، وعندما تنتهي المسودة تصبح كالمذكرة المأخوذة تماماً عن الأصل وبعد ذلك يمكنني ان اكتب الموضوع بالتفصيل . وقد فعلت ذلك .

الأربعاء ، ١٨ تشرين الثاني :

عندما وصلت مكتبي الساعة ١١,٠٠ كانت المسودة جاهزة وأيقنت أنه أصبح لدي خطاب استطيع أن أُلقيه . وكانت الطريقة التي اتبعتها في اعداد الخطاب احدى الدروس المستفادة . والحقيقة ان الوزير الذي يعتمد على إيجاز من وزارته يحصل على بيان هزيل لمشروع قانونه .

على أية حال ، عندما كانت أفكاري وعواطفي متجهة نحو ظهوري الأول على المنصة للتكلم كوزير كان عليّ ان اركز على احد الموضوعات الهامة التي تقض مضجع الوزير. وكان هذا الموضوع يتعلق بمستقبل خدمات الأطفال المنوطَة بمجلس مقاطعة لندن ، عندما أخذ مجلس لندن الأكبر هذه المسألة على عاتقه[1] . وكان اول شيء فعلته كوزير

(١) جرت اعادة تنظيم حكومة مدينة لندن في عام ١٩٦٣ ، وكان على مجلس لندن الاكبر ومجالس مقاطعات لندن الجديدة ان تقوم بمهامها الجديدة في الأول من نيسان عام ١٩٦٥ .

هو الطلب من زعماء العمال في مجلس مقاطعة لندن ان يأتوا ويخبروني ماذا يريدون . فقالوا إنهم مهتمون جداً بأن يتضمن خطاب الملكة مايشير الى إصلاح قانون مجلس لندن الأكبر . فشرحت لهم ان من غير المحتمل ان يذكر مثل هذا القانون في الخطاب واتفقنا على ان أتعرَّض للموضوع لِماماً ثم بعد ذلك نسعى لاجراء الإصلاح عندما يعاد النظر في النصوص التعليمية للقانون بعد خمس سنوات[1] . وبعد بضعة أيام وجدتهم يبحثون عن أصدقاء قدامى مثل فرانك سوسكايس ، ومايكل ستيوارت ، وبشكل خاص قاضي القضاة ، وهو عضو قديم في مجلس مقاطعة لندن ، وكان الضغط واقعا عليّ في مجلس الوزراء . وبدأ كل شخص يشعر بأنه مهما كان الوقت المُتاح قصيراً ينبغي ان نقدم مشروع قانون لاصلاح قانون مجلس لندن الأكبر واعادة الرقابة على خدمات الأطفال لمجالس المقاطعات التي تخلّوا عنها للسلطة العليا اي الى مجلس لندن الأكبر . حسناً ، لقد وطّدت وزارتنا أقدامها في هذه المسألة ، ومع أنني كنت مؤيداً للفكرة ، إلا انني لم أدرِ لماذا ينبغي ان يأخذ الموضوع أفضلية اولى في برنامج مشاريع قوانين وزارة الإسكان لانني كنت أُحَبِّذ الأشياء الأكثر أهمية.

لذا فقد طرأ نوع من الجمود على الموضوع . وعقد اجتماع هذا الصباح ، بناءً على طلب من وزير الداخلية ، في مكتب رئيس المجلس وحضره الوزراء فقط . ذكّرتني أليس بيكون (Alice Bacon) مرة ثانية ،

(١) كان مجلس لندن الاكبر في البداية مسؤولا عن التعليم في منطقة لندن التعليمية . ويمكن ان تحقق اعادة النظر خدمات ترفيهية للاطفال .

وهي رقم (٢) في وزارة الداخلية ، بالوعود التي أعطاها مايكل ستيوارت ، وآرثر سكفنغتون (Arthur Skeffington) الى الغالبية العمالية في مجلس مقاطعة لندن . فقلت انه ليس عندي شيء ضد إعادة خدمات الاطفال لمجالس المقاطعات ، وهي ببساطة مسألة توقيت وأسبقية . رأيتُ فرانك سوسكايس مرة ثانية وهو متضايق جداً ، فكان كلما يطلب عمل شيء تكون دوافعه المصاعب الشخصية . كان علينا ان نلغي قانون الإعدام لانه لايريد ان ينفذ حكم الاعدام بسارق مصرف . وكان علينا ان ندرس موضوع الهجرة لأن ضميره متأثر بقانون استمرار القوانين التي انقضى أجلها . وعلينا الآن ان نطلب صداقته مع جيرالد غاردنر (Gerald Gardiner) وباقي اعضاء مجلس مقاطعة لندن القدامى لوضع مشروع هذا القانون في برنامج اللجنة القانونية . للدفاع عن وجهة نظري استطيع ان اقول فقط ان الموقف الجديد قد تطور الآن ـــ فقد اوضح عدد من المقاطعات التي تحت سيطرة المحافظين بأنهم سيعارضون مشروع القانون لان الموضوع لم يعد مجرد مشروع بسيط لكنه مشروع مثير للخلافات والجدل ، وببساطة لايوجد وقت لمناقشته . ولا اظن أنني اقنعت أحداً قبل عودتي للوزارة لكي يجهِّز مسودة خطابي . وعندما أخذت المسودة لم أجد اي خطأً فيها . ثم عملتُ على انهائها وذهبت الى البيت لتناول الغداء مع آن وجني ، اللتين ستحضران وتستمعان الى النقاش .

سارتْ قراءتي الثانية لمشروع القانون بشكل مُرضٍ . خططتُ خطاباً لمدة نصف ساعة ولكن بما انني قوطعت ٧ أو ٨ مرات إستمر الخطاب ٤٠ دقيقة ، وكان طويلاً قليلاً . ومع ذلك فقد كان الخطاب في

صلب الموضوع . ولم يثر مشروع القانون اي خلاف ونال موافقة المحافظين ومع ذلك أعطى بعضَ الشعور لأعضاء حزبنا الموجودين في المقاعد الخلفية بأن الوزير كان بجانبهم . ولاأعتقد ان وزيراً واحداً قد انتظر ليستمع لخطابي . كان جورج براون موجوداً هناك في نهاية الوقت المحدد للأسئلة وقال لي : « من الصعب ان تتوقع مني ان انتظر الخطاب ، ايها الأخ العزيز » ، فقلت : « طبعاً لااتوقع . » في الحقيقة كان جميع زملائي مشغولين ، مع انه كان من المناسب وجود بعضهم لمؤازرتي لانني كنت متوتر الأعصاب كثيراً . وكان هذا الخطاب جديداً بالنسبة لي وأنا اجلس في المقعد الأمامي ، والحقيقة أنني غالباً ماكنت غائباً عن مجلس العموم ولديّ خبرة أقل من غيري بالنسبة لشاغلي المقاعد الأمامية في المجلس . وهذا هو سبب توتر اعصابي وهذا هو سبب كتابتي لخطابي كاملاً ، وكلمة كلمة . انني افضّل كثيراً ان اتكلم ارتجالاً وكنت افعل ذلك دائماً عندما كنت في الصفوف الخلفية ، ولكنني اعتقد انني سألجأ الى كتابة خطاباتي في المستقبل بالنسبة لأي مشروع قانون معقّد لان النصّ يمكّن المرء من ذكر كل شيء ، وهذا لايضمنه المرء عندما يرتجل .

هناك ايضاً تحذير وهو عندما أدرس موضوعاً منذ بضعة أسابيع فقط فانني لامحالة سأقع في الفخ أثناء الأسئلة . لقد كان انقاذاً كبيراً لي اجتياز هذه المشكلة . وقد أخبرني تامْ دَاليل بعد جولةٍ في المجلس ان فريقنا اعتبر ان المناقشة جرت بشكل جيد ، وان الكلمات التي قيلت كانت جديدة ولاتتعارض مع الخط الذي سار عليه النقاش . وذكر بوب مِلشْ ان الخطاب سار على مايرام . بعد ذلك اخذت بوب وزوجته الى البيت

لتناول كأس من الشراب في فنسنت سكوير وشعرنا بنوع من الابتهاج الشديد مثلما يشعر المرء بان ليلة اولى قد انقضت .

الخميس ، ١٩ تشرين الثاني :

كانت صحف الصباح مرضية بشكل متواضع . لقد ظهر تشارلز سنو (Charles Snow) في اللحظة التي بدأت فيها الكلام ، وكانت النتيجة عملياً انني لم احصل على دعاية . وكان هذا امراً حسناً . فالمهم من وجهة نظري انه لم يفكر صحفي بوصف ظهوري لأول مرة او تذكير الناس بحداثة عهدي في مجلس العموم .

كان الموضوع الرئيسي في مجلس الوزراء هذا الصباح هو المعاشات التقاعدية . فبعد بضعة أيام من مناقشة الميزانية بدا واضحاً ان أعضاء حزبنا في المقاعد الخلفية لم يكونوا مسرورين على الاطلاق وسيُصرُّون على عدم تأجيل مناقشة زيادة المعاشات حتى نيسان بل ينبغي ان تُدفع قبل هذا التاريخ . فمثلا سيدني سيلفرمان[١] (Sydney Silverman) ، وأيان ميكاردو[٢] (Ian Mikardo) يتذكران جيداً ان هذا كان اول موضوع

(١) عضو برلماني من الجناح اليساري عن مقاطعتي نلسون (Nelson) وكولن (Colne) من عام ١٩٣٥ حتى وفاته في عام ١٩٦٨ . نجح عام ١٩٦٥ في معركته التي دامت ١٠ سنوات بالغاء عقوبة الاعدام .

(٢) عضو برلماني عمالي عن منطقة « ردنغ » (Reading) من عام ١٩٤٥ — ١٩٥٩ ، وعن منطقة « بوبلر » (Poplar) منذ عام ١٩٦٤ . وهو من الجناح اليساري المتطرف ، وعضو اللجنة التنفيذية الوطنية الذي اصبح رئيسا لها من ١٩٧٠ — ١٩٧١ .

جرت من اجله ثورة ناجحة بزعامة حكومة العمال عام ١٩٤٥ ، وهما يأملان بان يكون اول موضوع ايضاً بزعامة هذه الحكومة ايضاً . كان الاجتماع الاول لأعضاء الحزب البرلمانيين فاشلاً لأن دوغلاس هوتون (Douglas Houghton) ، الوزير المسؤول عن المعاشات التقاعدية لم يكن موجوداً كما ان بيجي هيربسون (Peggy Herbison) كانت هناك وحيدة .. وقد تعرضت للهجوم والازعاج وغادرت الاجتماع وهي مضطربة . قررنا في مجلس الوزراء انه اذا عُرض موضوع المعاشات التقاعدية في وقت أقرب ، فينبغي رفع الضرائب في وقت أبكر أيضاً . وعلى أية حال فان القرار النهائي سيؤجل الى الاجتماع الذي سنعقده في الاسبوع القادم .

كنا نتحدث عن العمل البرلماني وفي اثناء الحديث قلت إنه يوجد لدي بعض الصعوبات حول مشروع قانون حماية المستأجرين ، وخاصة مشكلة العمال الزراعيين[1] التي خلق منها المحافظون صعوبات حقيقية . وقلت إن هذه الفقرة ليست جوهرية بالنسبة لمشروع القانون المستعجل ويمكن حذفها عند الضرورة . وقال هارولد ولسون بحدّة : « ان ذلك يعطي انطباعاً بالتردد » ، وقد استعار هارولد هذا التعبير من اللورد أتلي . أجبتُ بأنني مسرور لحسم الأمر . وانني اريد مجلس وزراء يقرر باننا ينبغي

(١) كان العمال الزراعيون يعيشون في مجموعات من الأكواخ وكانوا عرضة للطرد. وكانت هذه المسألة مصدر نزاع سياسي، خاصة وأن الناطق بإسم الاتحاد الوطني للعمال الزراعيين في اللجنة التنفيذية الوطنية لحزب العمال جاء من شرق مقاطعة آنغليا Anglia حيث العمل الزراعي منظم جداً. وقد أدخل كروسمان عبارةً في مشروع قانون حماية المستأجرين تطالب بمهلة ستة أشهر قبل ان تنزع الأراضي من المستأجرين بشكل قانوني ، حيث يتمكن القضاء خلال هذه المدة من تقييم الفوائد المترتبة عليهم.

ان نفعل كذا ، لان ذلك قد يتطلب جلسة تستمر طيلة ليل يوم الخميس القادم عندما يحال مشروع القانون الى لجنة برلمانية .

كان آخر موضوع بحثناه هو برنامج لجنة القوانين . مرة ثانية كنت قادراً على الإصرار على انه مهما حصل ، فان مشروع لجنة الاراضي يجب ان يُبحث في وقت قريب وبدا لي أهمية ماذكره هارولد ولسون بكل حرص وعناية من أن من الملائم بحث مشروع قانون الفولاذ ومشروع قانون الايجارات بالتوازي ، وتقديمهما في نهاية كانون الثاني الى لجان لبحثهما في آن واحد . ومن الواضح ان هارولد كان يفكر باننا اذا هُزمنا فلن يكون سبب ذلك الفولاذ فقط وانما الايجارات ايضاً . وهكذا فهو لايزال لا يستبعد امكانية اجراء انتخابات في أيار ــ وهذا الاحتمال قَوِيَ هذا الاسبوع بنتائج استفتاء معهد غالوب (Gallup) ، وهو أول استفتاء يُجرى بعد الانتخابات . وقد ظهر بنتيجة الاستفتاء ان حزب العمال يتفوق بمقدار ٥ر١١٪ علماً بان التفوق الذي حققه الحزب في الانتخابات الفعلية هو ٥ر١٪ .

عقدتُ بعد الظهر اول اجتماع للمعاونين . وقد جلس معي كل من السيدة ايفلين ، ووادل ، وجونز . واكتشفت وجود اجتماعات منتظمة بين السيدة ايفلين وأمناء السر المساعدين المسؤولين عن الأقسام ، ومن الواضح ان عليّ أن أحضر هذه الاجتماعات من حين لآخر . ثم أبديت ملاحظتي الاولى ، حول الحاجة الى شخص يتابع العمل ويكون مسؤولا ليس عن $\frac{٤}{٥}$ العمل الذي يأتي اليّ من الدائرة بل عن $\frac{١}{٥}$ العمل – المتعلق بقرارات سياسة العمل ــ والذي يأتي من الوزير الى الدائرة . وقلت إنني

أُريد ان أُحضر شخصاً من خارج الوزارة لكي يرى أن افكاري تنفذ جيدا في الدائرة . ولم ألق ردّ فعل . ولم أفاجأ . لكنني توصلت الى اتفاقية هامة حول قرارات التخطيط . فالأوراق التي ترفع لي لكي اتخذ بشأنها قراراً نهائياً في الوقت الحاضر تقدم بشكل لايحتمل . فالاوراق تقدم مكدسة في الملف . وطلبت الآن باصرار أن تقدم الاوراق دائماً ومع كل منها دراسة مؤلفة من صفحتين من قبل المعاونين ، وهذا الأسلوب تعلمته من القيادة العليا للقوات الحليفة[1] . لذا فانني سأُخبر في المستقبل منذ البداية ماهي المشكلة وماهو رأي الدائرة لحلّ هذه المشكلة . وفي نهاية الموضوع ترفق كافة الوثائق التي تساعدني في دراسة المشكلة بتعمق .

أخيراً سألت عن الاجراءات المتخذة من قبل الدائرة حول المذكرة التي ستقدّم الافكار الرئيسية والتوصيات المتعلقة بمشروع قانون ألايجارات . فأُخبرت بان مسودة على وشك الإعداد لكنها غير ملائمة لكي تُرسل الى غودمان والآخرين الذين اردت ان أُريهم إياها . على اية حال ، فانهم يريدونني أن أراها وان آخذها معي . درستُ الآن المسودة وتبين لي أن بالامكان إرسالها الى غودمان والآخرين ، شريطة ان نحذف كلمة « سرّي » منها . وأوضحت خلال الاجتماع انه مهما حدث ، فانني سأبحث جميع الأفكار المتعلقة بسياستنا حول مشروع قانون الايجار بواسطة مجموعتين خارجيتين ، فالمجموعة الاولى تتكون من محامين من

---

(١) كان كروسمان مستشارا للحرب النفسية في قيادة ايزنهاور في الجزائر عام ١٩٤٤ .

حزب العمال برئاسة أشلي برامال[1] (Ashley Bramall)وتشمل جيم مكوّل ، والمجموعة الثانية برئاسة آرنولد غودمان وتشمل صديقه دنيس لويد[2] (Dennis Lloyd) وخبيراً أو خبيرين . أُريد ان استخدم كلا المجموعتين وان امنحهم كامل ثقتي . كرهتْ الدائرة تصرفي هذا لكنني اعتقد انهم سيروْن ان هذا سينفذ .

في الحقيقة يبدو لي ان السيدة ايفلين بدأت تعتاد تدريجياً على أساليبي في العمل . وحتى الآن فهي لاتزال تعتقد بوجهة نظرها التقليدية وهي ان الوزير يجب ان لايشكو اذا كان يجهل مسألة ما حتى يستوعبها . وتختلف وجهة نظري عن ذلك . فأنا لست مستعداً لكي أرى الأشياء تطبخ بدون علمي وان اصبح مجرد محكمة استئناف نهائية للنظر في مسائل قُررت قبل ان أعلم عنها شيئاً .

الجمعة ، ٢٠ تشرين الثاني :

قضيت اليوم بكامله في تصريف أُمور الوزارة ، وبدأتُ باجتماع للجنة الشؤون الداخلية حيث قدّمتُ مذكرةً عن إصلاح الاراضي المستأجرة . وكانت هذه المذكرة تتضمن طريقةً اقترحها علي أحد اعضاء

(١) محامي وعضو برلمان سابق عن منطقة بكسلي (Bexley) من ١٩٤٦ ـــ ١٩٥٠ ، وهو الان عضو في مجلس لندن الاكبر . وأصبح في عام ١٩٧٠ رئيسا لسلطات التعليم داخل منطقة لندن التعليمية .

(٢) استاذ القانون في جامعة لندن .

البرلمان من مقاطعة ويلز ، وذلك لتهدئة كتلة ويلز بسبب عدم تقديم مشروع القانون الفعلي . وجاءت التهدئة من النص الذي يقول بان مستأجري الأراضي الذين تنتهي عقود ايجارهم قبل سنّ القانون يمكنهم ان يستفيدوا من جميع مزايا مشروع القانون . وفي اللحظة التي قدمت فيها الاقتراح بدأ المحامون بشكل ملفتٍ للنظر بايجاد جميع أنواع الصعوبات في نص مشروع القانون ، ولكنني في النهاية حصلت على ما أُريد ــ حصلتُ على إذنٍ بعقد اجتماع لكتلة ويلز لأضع النص أمامهم ولكي اقول لهم بأنني راغب في إضافته اذا كانوا يشعرون بأنه لايسبب تشويشاً ويهدىء مخاوفهم .

كان الاجتماع الآخر الهام يوم الجمعة هو الاجتماع الذي تأخر طويلاً والمتعلق بالحكومة المحلية ، والتي استطاعت السيدة ايفلين تأخيره بذكاء . وقد قدمتْ لي الليلة الماضية مذكرة رسمية مستفيضة إنكببتُ على دراستها . وكلما تمعّنت في هذه المذكرة أُدركت أنها من أهم مسؤولياتي . والمشكلة باختصار هي : منذ ثماني سنوات تقريباً تقوم لجنة حدود الحكومة المحلية (التي أُعيد تشكيلها بعد أن حلّها أنورين بيفان) بعملها ، وتطوف في الريف وتعطي توصيات أساسية لاعادة النظر في حدود الحكومة المحلية ، وخاصة المقاطعات ومدن المقاطعات ، بحيث تكون المقاطعات مستقلة ادارياً . وحققت بعض الأعمال الطموحة في غرب المناطق الوسطى (West Midlands) وفي تنيسايد (Tyneside) . كذلك أوصوا باعادة النظر في حدود مدينة ليسستر (Leicester) ، ومدينة نوتنغهام وكذلك مدينتي كوفنتري . وجاءت الآن جميع هذه المقترحات اليّ ، لانه في الفترة

الأخيرة قبل الانتخابات العامة وجد سَلَفي ، كيث جوزيف (Keith Joseph) ، عذراً لتأجيل أية قرارات[1] . وفجأة تجمّع لدي مجموعة هامة من المسائل التي ينبغي ان اتخذ فيها قرارات — وكان عليّ في كل حالة ان أقرر هل آخذ بتوصية اللجنة ام أُجري عليها تعديلاً بشكل ما . وكانت السيدة ايفلين مهتمة بالطبع ان تجعلني اتخذ هذه القرارات بأسرع مايمكن . ومن جهة أُخرى ، اكتشفت سريعاً ان هذه القرارات بالنسبة لي كسياسي في حزب العمال ليست مجرد قرارات حول حدودِ سلطاتٍ محلية لكنها قرارات سوف تؤثر على حدود الدوائر الانتخابية . والسبب في ذلك بسيطِ : فحدود الدوائر الانتخابية مرسومة إجمالاً طبقاً لحدود مدن المقاطعات ، اي أن الأعضاء البرلمانيين يحاولون بقدر المستطاع الحفاظ على كوفنتري كوحدة مقسمة الى دائرتين انتخابيتين او ثلاث ولتجنب وجود دوائر انتخابية تتبع جزئياً كوفنتري وجزئياً ووريك شاير (Warwickshire) . وهذه الحقيقة تعني أنني كل مرة ، كوزير مسؤول عن حدود الحكومة المحلية ، أُغير حدود مدينة المقاطعة وبذلك يمكن ان أُؤثر على مركز عضو البرلمان المنتخب عن هذه المدينة التي تتمتع بالحكم الذاتي .

بعد أن اصبحت وزيراً سرعان مااتصل بي بيرت باودن (Bert Bowden) ، وهو رئيس المجلس ، وأخبرني بانه اذا تمّ تعديل حدود مدينة

---

(١) كان وزير الاسكان مسؤولا عن البتّ في تقارير لجنة حدود الحكومة المحلية . وكان التوجيه الى لجنة الحدود البرلمانية (وهذا من مسؤولية وزير الداخلية) ينص على ان ترتيبات الدائرة الانتخابية للحكومة المحلية تؤثر على الدوائر الانتخابية البرلمانية .

ليسستر ، فان مقعدين على الأقل من مقاعد حزب العمال ستصبح في خطر ، بما في ذلك مقعده . اكتشفت ايضاً أنه توجد مجازفة أيضاً في كوفنتري ، لكنني استطيع ببعض التعديلات الطفيفة ان أُبقي كوفنتري بشكل عملي ومؤكد بجانبنا . لذا وجدت نفسي كوزير للإسكان سياسياً قوياً بما أملك من صلاحيات . طبعاً ، من الخطأ ان ترتبط التغييرات في حدود الحكومة المحلية بالتقسيمات البرلمانية ويجب ان نتذكر ان لجنة الحدود البرلمانية المسؤولة أمام وزير الداخلية لن تقدم تقريرها قبل خمس او ست سنوات ، اي بعد الانتخابات القادمة[٢] . ومع ذلك ، فان زملائي ملزمون بأن يأخذوا بعين الاعتبار تأثير حدود الحكومة المحلية على حدود دوائرهم الانتخابية ، وعليّ أنا أيضاً ان آخذ بعين الاعتبار الموقف العام الذي ينبغي ان أتخذه أمام لجنة حدود الحكومة المحلية وكذلك الطريقة التي سأُعالج فيها هذه القرارات . بصراحة ، كلما أمعنت النظر في اعمال اللجنة وجدت انها غير ذات جدوى . وعقدت اجتماعاً صاخباً مع قسم الحكومة المحلية في الوزارة حيث قلت انني أرغب في ان أرى اصلاحاً حقيقياً في الحكومة المحلية ، على جدول اعمال الحكومة في اجتماعها المقبل ، يحظى بأغلبية كافية ، وعلينا ان نعدّ لذلك لكي يصبح حقيقة واقعة .

إن هذا الاجتماع الصاخب هو الذي جعل السيدة ايفلين تعدّ المذكرة على أساس البحث الذي نجريه هذا اليوم (الجمعة) . كانت

---

(٢) حاول جيمس كالاهان (كان آنذاك وزير داخلية) ان يؤخر إعداد التوصيات . واصبحت هذه المسألة قضية دستورية شهيرة عام ١٩٧١ .

المذكرة مجهزة بطريقة ماهرة وتوصي بترك الامور تسير كما هي في الوقت الحاضر . وكانت المذكرة تحتوي نصاً يقول بأن لجنة الحدود تبذل مافي وسعها ، وتعمل على أساس ان التضخم في المدينة يوجب التوسع والامتداد في حدودها . ووجدت ان هذا الرأي غير مُرضٍ لانه يعني قبول قيام حربٍ بين مجالس المقاطعة وسلطات مدينة المقاطعة كشيء مستوطن في حياتنا القومية ، وهذا أمر يبطل ويحبط جميع نظامنا الحكومي . لذا قلت بعد حديثنا ان علينا ان نفكر بالأمر ملياً وانني لن اتخذ قراراً قبل ان تتهيأ لي الفرصة كي أتحدث مع اعضاء لجنة حدود الحكومة المحلية وأسمع مرة ثانية من قسم الحكومة المحلية في الوزارة ماذا يرغبون عمله اذا كان لديهم وزير يريد ان يتعهد باجراء اصلاح كبير في الحكومة المحلية .

لست متأكداً ماأذا كانت السيدة ايفلين لاتخرّب جميع الأفكار الجديدة عندما تكون حاضرة في احدى اجتماعاتي . انها حاضرة البديهة بحيث تجيب على الفور على أي سؤال . وهي بالغة الدقة وبعيدة النظر ، وعندما احاول ان أجعل صغار الموظفين يتكلمون بحرية فانني أُنحّيها جانباً كمن يقلب حجراً ويحاول ان يجد الحشرات التي تعيش تحته . انها تكره هذا الاسلوب ، وهم يخافون منها ، ولكن مالم يتكلموا فانني لااستطيع ، في الحقيقية ، ان اكتشف ماهي المسائل التي تتضمنها أية مشكلة .

حصل مثال جيد على ذلك هذا الاسبوع فيما يتعلق بستيفنيج (Stevenage) . طلبت شيرلي وليامز (Shirley Williams) أن تراني لأمر هام وأرادت أن تدلي بشهادة في التحقيق العلني المتعلق بستيفنيج . وهذا الأمر يتعلق باقتراح لتكبير ثلاث من المدن الجديدة : باسيلدون

(Basildon) ، وهارلو (Harlow) ، وستيفنيج ، كجزء من حل مشكلة التضخم السكاني في لندن . وتمت الموافقة بدون معارضة تذكر على مدينتي باسيلدون وهارلو . لكن تمت معارضة الاقتراح الخاص بستيفنيج بشدة وهذا الاقتراح يتضمن مضاعفة حجم المدينة باضافة جزء جديد على الجانب البعيد من الاوتوستراد وطريق السكة الحديد . وطبعاً كانت معارضة الاقتراح صحيحة . فكيف يمكن لمخطط عاقل ان يترك طريق اوتوستراد وخط سكة حديد رئيسي يشطر مدينة الى شطرين ؟ وكانت كل عواطفي مع ستيفنيج ، وهي إحدى المدن الجديدة التي حققت مجتمعاً حقيقياً ومعقولاً وكان سكان ستيفنيج على وشك ان يتلقوا أمراً من الوزارة لقبول تكبير حجم المدينة وهذا من وجهة نظرهم سيدمّر وحدة مدينتهم . وعندما سمعتُ عن ذلك من شيرلي أمرتُ باجراء ندوة لبحث الموضوع ، حيث قام بِدُّوس (Beddoes) ، وكبير المهندسين بتحضير مادة البحث لي . ثم قمت باستشارة كافة كبار موظفي الوزارة حول ذلك وسألتهم رأيهم . فقال جيمس (James) ، كبير المخططين في الوزارة ، بأنه يعارض الاقتراح كما ان شخصين آخرين من قسمه يشكّان كثيراً في صحة الاقتراح . وفي الحقيقة كان الشخصان الوحيدان اللذان يؤيدان السيدة ايفلين هما نائبها الطموح السيد جونز (Mr.Jones) ، والمهندس . وفي نهاية الدراسة التي أجريتها تحققت بأن الجو مكفهرّ وكرهتْ السيدة ايفلين سماحي للموظفين الذين هم أدنى منها رتبة ان يتكلموا ويعطوا رأيهم بصراحة . وإنني اعتقد بأنني على وشك ان ادخل في شِجار كبير مع ايفلين حول ستيفنيج . ترى السيدة ايفلين أن المدن الجديدة هي إنجاز

عظيم لوزارتها وهي مغرمة بهذه المدن لأنها فُرضت من السلطات العليا .
وهي مصممة على المضي في تنفيذها ، ومع ان الوقت المحدَّد لها قد حَلَّ
فقد أُحيل بعضها كليةً الى السلطات المحلية المختصة ، مثل مدينتي كراولي
(Crawley) ، وهِمِل همبستد (Hemel Hempstead) ، وهي مصممة
على إبقاء لجان المدن الجديدة بشكل دائم . وفي تصرفها هذا فهي تقف
ضد سياسة الحزب ، التي تنص بوضوح على نقل المسؤولية الى مجلس
المدينة الجديدة فور تشكيله ، وفور حلّ المصاعب التي ترافق استملاك
الاراضي .

السبت ٢١ تشرين الثاني :

عُدت مساء الجمعة الى برسكوت واشتغلتُ صباح السبت في
أوراقي التي احضرتها معي في صناديقي ، وبحثت في حالات التخطيط
الموجودة امامي وفتشت عن الخطأ في طريقة تنظيم واتخاذ قرارات
التخطيط . ومنذ اصبحتُ وزيراً كنت أُلاحظ كل صباح ان الصحف
تحمل اخبار قرارات اتخذتها تتعلق بالتخطيط ، وتذكر هذه الصحف عادة
انني درست القرارات من الناحية الانسانية قبل اتخاذها . وكنت ارى
دائماً مادة كبيرة في الصحف حول مايفعله الوزير وما يشعر به بينما في
الحقيقة لم يُستشر الوزير في هذه القرارات قط . لذلك اصدرت التعليمات
بأن جميع التصاريح الصحفية وجميع الكتب الرسمية المرسلة الى السلطات
باسمي والتي تتعلق بتصاريح التخطيط ، وأوامر استملاك الاراضي القسرية

يجب ان ترسل لي ، لمدة شهر كامل . وبعد ان قرأت هذه الكتب دُهشت لسببين . اولاً لايوجد اي خطأ في التصاريح الصحفية . فهي معقولة ومكتوبة جيداً . ثانياً ، تبين لي انه لايوجد اي انسجام او سبب لإقحام اسم الوزير من قبل الموظفين الذين يكتبون التصاريح الصحفية . لاشك ان قراراً يتعلق كلية ما اذا كان احد التصاميم لتحسين او تكبير منزل يبدو جميلاً او سيئاً في وسط منطقة سافولك (Suffolk) ، ينبغي ان يقال بأنه قُرِّر نهائياً من قبلي بدون علمي او حتى علم الموظفين لديّ ، لاشك ان هذا الامر سخيف . ومن أجل انهاء هذه السخافة وجدت أن من الممكن إصدار تعليمات بأن تصاريح التخطيط التي تقل قيمتها عن مائة الف جنيه ينبغي ان لاتُرسل إليّ نهائياً . ثم ينبغي بعد ذلك ان ننشئ محكمة استئناف اقليمية لتحل محل الوزير . ولكنني وجدت هنا مشكلة ، تتعلق بالوزارة الى حدّ بعيد ، وهي مدة منح التصاريح التي تصل الى سنة واحياناً الى ثمانية عشر شهراً . وهذه المشكلة تتطلب حلاً ادارياً سليماً .

الاحد ٢٢ تشرين الثاني :

قامت العائلة بعد ظهر السبت برحلة رائعة الى منجم الحديد الصلب الموجود شمال مزرعتنا في بايفيلد (Byfield) . وحفرنا أخاديد في الطبقات المتحجرة حديثاً وقضينا وقتاً ممتعاً . كنت مشغولاً اليوم مع برتشت (pritchett) حول زراعة الاشجار على منحدرات شرول (Cherwell) بين أعالي برسكوت وبرسكوت . دعونا ريتشارد

(Richard) ، وآن هارتري (Ann Hartree) لتناول الغداء في منزلنا مع أطفالهم . الحياة هنا في برسكوت تصبح اجمل كلما مرت الايام . في الحقيقة انني اشعر بنشاط في عملي كوزير وكلما زادت اعبائي شعرت بنشاط اكثر . فالعمل لايرهقني اطلاقاً . انني اشعر بعبء أخف من العبء الذي كنت أشعر به عندما كنت أكتب للصحف المشهورة . ان حياتي الشخصية تسير بشكل بديع . انني لست وزيراً ناجحاً بسبب بذل جهد كبير لاظهار نفسي ، وانما ، كما أظن ، بفضل عملي في وزارتي . إنه لايصدّق ، بالقياس الى الاسابيع القليلة الماضية منذ توليت الوزارة ، ان ادخل بسرعة في خضم العمل الوزاري ، وان اعتاد على نمط وأسلوب العمل ، وعلى السيارات ، ومكتب مجلس الوزراء ، والمكتب الخاص . انه اسلوب عمل روتيني يسير بهدوء ويستولي على المرء كليةً حتى ليصعب عليّ ان اتذكر انني قمت بعمل آخر غير العمل المنوط بي . طبعاً ، إن هذا لايعني انني أجهل عدم خبرتي في سياسة مجلس الوزراء ومكائد وايت هول . وأمامي الكثير من الدروس التي ينبغي ان اتعلمها حول ادارة شؤون الوزارة ، والتصرف في مجلس العموم ، وعرض المسائل في مجلس الوزراء . وإنني أقرّ بأن الروتين قد دخل نظام عملي . إنني لا أشعر بالغرابة بعد عشرين عاماً من العمل في الصحافة لأنني لاأكتب شيئاً ، وإنني لا أقرأ من الصحف سوى المواضيع التي تهمني ، وأن عملي يتألف من : العمل في المكتب ، وإدارة شؤون الوزارة ، واتخاذ القرارات ، وعقد المؤتمرات . في الحقيقة انني أفكر في جميع هذه الامور الآن وأنا في البيت وأنا أشعر بتعب أقل مما كنت أشعر به عندما كنت أعمل صحفياً .

وماذا عن مجلس الوزراء ؟ لاحظتُ ان هناك حديثاً يدور في الصحافة حول وجود مجلسٍ داخل مجلس ، وحدث هذا جزئياً بدون شك بسبب عطلة نهاية الاسبوع للاعبي الدومينو[1] (Chequers) التي حلّت ، والأشخاص المسؤولون عن الدفاع يعدّون موجزاً لهارولد حول زيارته لواشنطن . لااعتقد انه يوجد دليل عملي على وجود مجلسٍ داخل مجلس . لكن الشيء الواضح هو ان هارولد نفسه كان مهتماً كثيراً بالشؤون الخارجية والدفاع . ولاءَمني هذا كثيراً . لكن توجد علاقة حسّاسة جداً بين جورج براون وبيني لانه ، بصفته رئيساً لدائرة الشؤون الاقتصادية ، مهتم بتطوير التخطيط الاقتصادي ، وأنا ، بصفتي وزيراً للإسكان ، مسؤول عن التخطيط المادي . وكان يوجد دائماً تصادم لامفرّ منه بين عملي المنظم وبين الافكار الجديدة لجورج براون . وكنت منذ وقت طويل احاول اقناعه كي يجتمع هو وويلّي وأنا كي نجلس معاً بدون المساعدين لعدة ساعات كي نتباحث فيما وصلنا اليه من اعمال وانجازات . وانني اشك في اننا لو فعلنا ذلك ، فسأجد انه أسند كل مايتعلق بالتخطيط الاقليمي والتنظيم الى بيل رودجرز[2] (Bill Rodgers) كي يقوم بذلك ، لانه في الحقيقة لايعرف عن ذلك إلا القليل . وهذا شيء نموذجي لمجلس الوزراء أيضاً . وهو مجلس وزراء اختصاصي . ولاتوجد نزاعات تقسمنا الى

---

(١) يقصد الوزراء .

(٢) عضو برلمان عن منطقة ستوكتون ــ أُن ــ تيز (Stockton - on - Tees) منذ عام ١٩٦٢ . واصبح سكرتيرا مساعدا في دائرة الشؤون الاقتصادية من عام ١٩٦٤ ــ ١٩٦٧ ، وفي وزارة الخارجية من ١٩٦٧ ــ ١٩٦٨ . واصبح وزيرا للتجارة في عام ١٩٦٩ ووزيرا للخزانة من ١٩٦٩ ــ ١٩٧٠ .

كتل يسارية ويمينية . وكان يوجد نقاش حاد يدور حول مسألتين اثنتين ، احداهما حول المعاشات والأخرى حول الميزانية ، ولدينا ايضاً الاختلاف حول رواتب اعضاء البرلمان . ولكن في كل مسألة من هذه المسائل كان يوجد مجموعة من الواقعيين ضد النظريين ، وفي جميع هذه المسائل فشل رئيس الوزراء في ايجاد حل لها . كلا إنني لااستطيع الآن ان اقول ان هارولد ولسون هو رئيس وزراء رئاسي . ولكنه كان على العكس ، فقد فعل ماوعد به وهو ان يترك كل وزير يدير وزارته دون اللجوء اليه طلباً للمساعدة . وطالما اقوم بعملي بشكل مُرضٍ دون أن أسبّب له متاعب فسيكون راضياً عني . والفرق بالنسبة لي انني اراه اقل بكثير ، حتى اقل مما كنت أراه عندما كان زعيماً للمعارضة . وهو الآن بعيد عني في الحقيقة . حتى ان معرفتي الجيدة لتومي بالوغ ، وجورج ويغ لم تساعدني كثيراً لانني لااعرف طبيعة عمل كل منهما .

جاء هذا المساء نيكولاس دافنبورت[1] (Nicholas Davenport) وأولغا (Olga) لرؤيتنا من هنتون (Hinton) . اتصل بي هاتفياً صباحاً ليخبرني بأنه لن يؤيد ميزانية المحافظين التي تبناها هارولد ، وقلت على الفور : « لماذا لاتأتي لزيارتنا » ، وجاء مع زوجته الساعة السادسة مساءً . وتناقشنا نقاشاً طويلاً . كانت فكرة نيكولاس بسيطة . قال إن حي الأعمال في لندن قد فقد الثقة . علاوة على ذلك ، فان كالاهان كان يهدّد حي الأعمال يومياً بضريبة الشركات وضريبة أرباح رأس المال ،

(١) صحافي شهير بالشؤون المالية من الجناح اليساري وهو يكتب لصحيفة سبيكتاتور (Spectator) .

ويشعر حي الأعمال بأنه لايعرف ماهي الأشياء التي سيخشاها ، لذا فقد الثقة . فقال نيكولاس : « إنك تتجه رأساً نحو تخفيض العملة » . ثم حدث لي شيء . فقد خرجت لأول مرة منذ اصبحت وزيراً من عزلة الوظيفة ونظرت الى العالم الموجود حولي وتحققت انني في مجلس الوزراء بعيد عن الواقع بُعد أُولغا عن الحقيقة وهي ترسم لوحة في شلزيا (Chelsea) . ذهبت الى المدينة ذلك المساء في قطار الساعة التاسعة غير مرتاح لأول مرة وأتساءل هل انطلقت فعلاً من عزلتي . كان واضحاً من كلام نيكولاس ان خطاب كالاهان حول الميزانية كان في الحقيقة إخفاقاً تاماً . لم تعد الثقة ، في حي الأعمال على الأقل ، ورغم البيع والشراء والمضاربة في زوريخ كنا في أزمة مالية تشبه الأزمة التي تتوقعها الحكومات الاشتراكية عندما تتولّى السلطة وتجد خزائن المال فارغة .

الاثنين ، ٢٣ تشرين الثاني :

عندما وصلت مكتبي تلقيت رسالة تفيد بأن قاضي القضاة يريد أن يراني قبل اجتماع لجنة التطوير الاقتصادي . ذهبت الى المبنى رقم (١٠) حيث كان كالاهان موجوداً ، وهو كئيب كالعادة . فقال : « إنني مثل سلوين لويد[١] (Selwyn Lloyd) بالنسبة لهذه الحكومة . » وكان واضحاً انه متخوف من الموقف الناشيء . وكان من المفروض ان يُعلن في الساعة

(١) أحد زعماء المحافظين .

١١،٠٠ الفائدة المصرفية الجديدة وهي ٧٪ ، كما قال لي ، وأراد ان يحذرني من ذلك . وكان في حالة نفسية سيئة ولم يستطع في الحقيقة ان يخبرني بشيء . وسرنا معاً الى مكان اللجنة الاقتصادية حيث قَدَّم الاعلان مرة ثانية الى جميع اعضاء اللجنة قبل ذهابنا الى عملنا المعتاد .

جلستُ بعد الظهر على المقعد الأمامي وسمعت كالاهان وهو يقدِّم الاعلان الى اعضاء مجلس العموم ويؤكد انه سيحاول ان يخفف من تأثير الفائدة المصرفية على الإسكان وبشكل خاص على قطاع الاسكان العام . والله وحده يعلم ماذا عَنَى بذلك . واعتقد ان كلامه هذا لم يكن ضرورياً ، ولو سألني لأخبرته ان لايقول ذلك . وسمعت أن هارولد ولسون وجورج براون كانا يجتمعان بالزملاء في غرفة الشاي لتهدئتهم ولمحاولة بث الثقة في حي الأعمال في لندن وفي نفوس رجال المصارف في زوريخ .

الثلاثاء ، ٢٤ تشرين الثاني :

نحن اليوم في مجلس الوزراء . وبعد تقرير قصير من كالاهان حول أسباب جعل الفائدة المصرفية ٧٪ تباحثنا طويلاً حول المعاشات التقاعدية ، التي كشفت النقاب عن جزء كبير من الأخطاء التي تتعلق بمجلس الوزراء . ففي الاسبوع الماضي كنا واقعين تحت ضغط كبير من اعضاء المقاعد الخلفية ، الذين يريدون ان يكون للزيادة في معاشات المتقاعدين أثر رجعي منذ عيد الميلاد على الاقل . لذلك فان اجتماع مجلس الوزراء يوم الخميس الماضي قرَّر ان يدفع لكل متقاعد مسجل في سجل

المساعدة الوطنية اربعة جنيهات ، وقد اعترضت على هذا القرار لانه يسبب استياءً كبيراً بين ملايين المتقاعدين غير المسجلين في سجل المساعدة الوطنية الذين لاتشملهم هذه الزيادة . وأصدر مجلس الوزراء تعليماتٍ الى بيجي هيربسون لتضع مشروعاً لدفع الزيادة بأثر رجعي . وكنت ضد هذه التعليمات أيضاً ، لانني اعتقد اننا عملنا الشيء الكثير للمتقاعدين . كان الوضع العام في مجلس الوزراء يوم الخميس الماضي يميل الى استرضاء وتهدئة اعضاء المجلس في المقاعد الخلفية ، ولكن الآن ، بين اجتماعي مجلس الوزراء ، ووجهنا بأزمة اقتصادية مفاجئة واوشكنا ان نخفق في معرفة الحقيقة الواضحة وهي أننا اذا اردنا ان ننفذ قرارنا الذي اتخذناه يوم الخميس الماضي حول الفائدة المصرفية علينا ان نرفع الفائدة المصرفية الى ٩٪ او ان نلجأ الى تخفيض قيمة عملتنا .

لذا فان مايدعو للدهشة هو الاختلاف بين الموقفين في اجتماعي مجلس الوزراء . وضعتْ بيجي هيربسون مشروعاً ذا أثر رجعي للمتقاعدين حسب تعليمات مجلس الوزراء لكنها لم تفِدْ منه شيئاً سوى الكراهية الشاملة . وكانت غاضبة جداً بسبب ذلك وقالت إنها لن تشرح المشروع في اجتماع اعضاء حزب العمال البرلمانيين هذا المساء .

كان هذا في الحقيقة اول اجتماع لأعضاء حزب العمال البرلمانيين الجدد في ظل حكومة العمال الجديدة . وكانت تجربة توحي بالخطر . فقد كشفت للمرة الثانية الضعف الكامل لهذه الحكومة . في الحقيقة كان هناك نقطتا ضعف . الاولى هي ضعف الحكومة في الشؤون الخارجية ــ فممثلوها الثلاثة للشؤون الخارجية وهم : باتريك غوردون

ووكر ، ودوغلاس جي ، وآرثر بوتوملي ، كانوا في الحقيقة مخيبين للآمال . والثانية ، وهي تخصني شخصياً ، تختص بالعلاقة بين مجلس الوزراء واعضاء حزب العمال البرلمانيين ، وهذا الضعف مسؤول عنه الزعيم البرلماني تِدْ شورت (Ted Short) ، ورئيس المجلس بيرت باودن (Bert Bowden) . وكما أرى ، فان هذين الرجلين يعوزهما النظام والبراعة في القيادة والاحتكاك بالاعضاء في المقاعد الخلفية ، ونتيجة لذلك نشأ بغض بين مجلس الوزراء ومؤيديه . مضى علينا الآن خمسة أسابيع . ومع ذلك لم تتم اعادة تنظيم اية مجموعة من مجموعات الحزب . واعتقد انني الوزير الوحيد الذي أجرى اتصالاً مع اعضاء الحزب البرلمانيين في المقاعد الخلفية وأسند اليهم الأعمال . ونتيجة للإهمال الذي لمسوه بدأت مجموعة كبيرة من البرلمانيين في المقاعد الخلفية بتشكيل كتلٍ غاضبة على الحكومة . وقد أُثيرت مسألة المعاشات التقاعدية من قبل أعضاء المجلس : مندلسون[1] (Mendelson) ، وتوم دريبرغ (Tom Driberg) ، وإيان ميكاردو (Ian Mikardo) ، وهذا كان متوقعاً منهم . وبدؤوا يقولون بأن المتقاعدين في عام ١٩٤٥ أُيدوا بثورة من جمهور الموظفين ضد مجلس الوزراء ويمكن ان تتكرر هذه الثورة ضد الحكومة في عام ١٩٦٤ .

عُقد الاجتماع لأعضاء الحزب وألقى دوغلاس هوتون (Douglas Houghton) خطاباً بارعاً بطريقته البطيئة المعتادة حول خطة بيجي (Peggy) والصعوبات القائمة ، ثم أشار الى قرار مجلس الوزراء وأخبر

---

(١) جون مندلسون (John Mendelson) هو عضو برلماني عن دائرة بنستون (Penistone) منذ عام ١٩٥٩ .

الحزب بأنه على الرغم من أن خطة زيادة المعاشات التقاعدية بأثر رجعي يمكن تنفيذها من الناحية الفنية إلا ان الموقف المالي يمنع تنفيذها ، بعد ذلك سُمح بطرح الاسئلة لمدة عشرة او اثنتي عشرة دقيقة ثم قدّم دوغلاس إجابة مطوّلة ، وكان واضحاً ان الحزب غير مستعد لتقديم تنازلات كبيرة ، وان الخطر في الخارج ، وخطر تخفيض قيمة العملة هو شيء غير حقيقي بالنسبة لاعضاء الحزب المجتمعين ، كنت جالساً على المنصة ، وعندما دخل جورج براون قال لي : « إن الموقف ميئوس منه ، وهو أسوأ موقف مررنا به » . ثم دخل جيم كالاهان (Jim Callaghan) وجلس بجانبي وقال نفس الشيء ، وجلست هناك وأنا مدرك بأننا على وشك تخفيض قيمة العملة بينما يتحدث الحزب عن منح تنازلات أكثر للمتقاعدين كبار السنّ ويلوم الحكومة لفشلها بالقيام بواجبها نحوهم .

إنه لموقف يدعو للاستغراب عندما يدرك المرء ان سبب كل هذه الأزمة الكبيرة هو محاولة الحكومة إنصاف المتقاعدين . كان الموقف متوتراً . ووقف جورج براون وتكلم كلاماً رائعاً . وأثار حماس الحزب ، وأشار الى الخطر بدون إسهاب ، وطلب من أعضاء الحزب في المقاعد الخلفية ان يقدروا الظرف ويقبلوا بقيادة الحكومة ويتخلوا عن فكرة تقديم تنازلات اخرى للمتقاعدين .

بعد هذا الاجتماع أخذت آن (Anne) لتناول الطعام لوحدنا في قاعة الطعام المخصصة للغرباء . وعندما انتهينا من تناول الطعام نظرت الى الجزء الآخر من القاعة فوجدت هارولد وتومي بالوغ وذهبت للتحدث معهما . وكانت هذه في الحقيقة مناسبة طيبة . لم استطع ان اتكلم كلمة

واحدة الى هارولد قبل ان يقدّم لنا جميعاً البراندي مرّتين . كان يبدو هادئاً ورابط الجأش وتحدثنا عن الموقف الذي نمر فيه . ثم قُرع الجرس للانصراف وبينما كنا نسير في الممر قال لي : « هل تعلم ياديك[1] (Dick) ، إنه في أية حملة عسكرية كبيرة مثل حرب شبه الجزيرة[2] (Peninsular War) على القائد ان يعرف الى أين يتراجع . وعليه ان يكون لديه خط دفاعي مثل خط تورس فيدراس[3] (Torres Vedras) .». فقلت : « حسناً ، إن عدداً من الناس يريدون تخفيض قيمة العملة الآن . » فقد تكلمت مع توماس وهو شأنه شأن نيكي كالدور (Nicky Kaldor) وروبرت نيلد (Robert Neild) ، يشعر بأن تخفيض قيمة العملة هو الشيء الوحيد الباقي وينبغي تنفيذه بأسرع مايمكن . لكن هارولد ولسون غير مقتنع بذلك . فقال لي : « إنك تتكلم شيئاً غير معقول .

فتخفيض قيمة العملة سوف يقضي علينا . وسنقابل الناخبين في المقاطعات ونحن مهزومين . اننا لانستطيع ان ننفذ ذلك . كلا ، إن لديّ خط تورس فيدراس الذي سأنسحب اليه ، وانني مندفع الآن في ردهة المجلس لأنفذ التراجع . » واندفع داخل الردهة .

---

(١) يقصد ريتشارد كروسمان .

(٢) هي حرب جرت ضد نابليون من عام ١٨٠٨ ـــ ١٨١٤ .

(٣) اثناء حرب شبه الجزيرة صدَّ دوق ولنغتون الهجوم الفرنسي بانشاء خط من المتاريس سراً حول احدى المدن المحاصرة وعرفت هذه التحصينات باسم خط تورس فيدراس .

الأربعاء ، ٢٥ تشرين الثاني :

طلب مني جورج براون ان أراه البارحة الساعة العاشرة مساءً ، لكن آن كانت معي ولم أشعر برغبة في الذهاب . وعرفت الآن انه في الفترة من الساعة الحادية عشرة مساءً وحتى الواحدة والنصف صباحاً عمل جورج وهارولد وحاكم مصرف انكلترا تدبيراً لجمع ثلاثة آلاف مليون جنيه لمساعدتنا وبذلك انقذوا حكومة العمال فعلاً وكذلك انقذوا الجنيه .

ذهبت لرؤية جورج اليوم الساعة ٩ر٢٠ ، وفي الساعة ٩ر٣٥ قابلته وهو بحالة إرهاق شديد . ظننت لأول وهلة ان سبب ذلك هو الشراب ، ولكن كلا ، فقد كان مع هارولد وحاكم المصرف الليلة الماضية وقد اخبرني بأنه ليس متأكداً بان الحيلة قد نجحت . دخل فِرِدْ ويلي وبدأنا نتحدث عن التخطيط . شرحتُ ماذا تريد وزارتي ، واعتقد ان جورج براون لم يكن مدركاً بالقدر الكافي بأن إنشاء لجنة الاراضي كان عاملاً رئيسياً في جميع عملية التخطيط التي سيكون مسؤولاً عنها في دائرة الشؤون الاقتصادية .

من هناك ركبت السيارة أنا وجورج ومررنا بميدان سميث (Smith Square) الى اجتماع اللجنة التنفيذية الوطنية حيث وجدنا ان ثلاثة ارباع الأعضاء غائبون ، والمكان شبه مهجور ، فقد مضى وقت طويل منذ انتهاء الانتخابات ، وكأن أحداً لم ينتبه اليه . وهذه نقطة ضعف أخرى خطيرة في حزبنا اليوم . فإذا أهملنا نحن كأعضاء في مجلس الوزراء علاقاتنا مع اعضاء الحزب البرلمانيين فاننا سنهمل أيضاً علاقاتنا مع ادارة النقل ومع

باقي اعضاء الحزب خارج هذه المؤسسات . بصراحة ، ان إدارة النقل تتهاوى على قدميها لأننا لم نواجه المشكلة ولم نسند اليها عملاً تقوم به . ولقد دَلّ اجتماع اللجنة التنفيذية الوطنية على انه لايوجد في الحقيقة عمل للحزب . فنصف الاعضاء الذين هم وزراء غير موجودين ، واعضاء النقابات العمالية يتحدثون أحاديثهم العادية . والموقف برمته ميتاً ، ولهذا السبب فهو خطير .

عدتُ الى الوزارة لحضور اجتماع كبير مع السلطات المحلية لبحث مقدار « المنحة العامة » السنوية . وهذه المنحة هي إحدى الأشياء الادارية الملتوية والتي على وزير الإسكان ان يفهمها . فالمنحة العامة ، كما تعلمتُ الآن ، هي عبارة عن إعانة تدفعها الحكومة المركزية للسلطات المحلية وهي تغطي اكثر من نصف نفقات هذه السلطات . وهي تُحدَّد بموجب أمر وزاري[1] كل سنتين في شهر كانون الأول ، وتصادف أن شهر كانون الأول القادم هو اول دورة السنتين لإقرار المنحة العامة . ونحن كحكومة ليس لدينا وقت لنغيّر المنحة العامة التي أقرَّها المحافظون وسنُعطي الى السلطات المحلية هذه السنة منحة تنقص ١٧ مليون جنيه عن المبلغ المقرر لها . وعندما أخبرتني الوزارة بكل هذا قبلت ذلك وأعطيتُ تأكيداً الى كالاهان بأنني لن أطالب بأية زيادات على الضرائب هذا العام ، مع انه كان واضحاً في برنامجنا الانتخابي بأننا ملتزمون بتخفيف العبء عن دافع الضرائب البلدية خلال فترة البرلمان الحالي . إن

(١) تصدر مثل هذه الأوامر الوزارية بموجب الصلاحيات التي يخولها القانون للوزراء . في بعض الحالات يجب ان يوافق عليها البرلمان ، وفي حالات اخرى تصبح نافذة بصورة آلية مالم يُعترض عليها .

الأمر الذي سأُقدمه الى مجلس العموم يُلزمني ليس فقط لهذه السنة بل للسنة القادمة ، اي ليس فقط للعام ١٩٦٥ ــ ١٩٦٦ بل للعام ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧ ، ونحن ملتزمون ايضاً في السنة الثانية بتخفيض المنحة العامة وزيادة الضريبة على المكلفين لذا فاننا في غضون هاتين السنتين لن نفشل فقط في عدم تنفيذ وعدنا بل سننقض الوعد ونضع مزيدا من العبء على كاهل دافعي الضرائب البلدية . هذا هو الموقف الذي سأعرضه في الاجتماع الرسمي الكبير الذي اهرع اليه والذي سيعقد في غرفة المؤتمرات الكبيرة في الوزارة الكائنة في الطابق العلوي . دخلت الغرفة وأنا محاط بمايكل ستيوارت من التعليم ، وكنيث روبنسون من الصحة ، وأليس بيكون من وزارة الداخلية ، ووجدت على احد جانبي المنضدة الطويلة الضخمة حوالي ثلاثين شخصاً كانوا صامتين عندما دخلت . إنه بلا شك حشد هائل . على أية حال ، حصلت على موافقة ، دون صعوبة تذكر ، بأن السلطات المحلية تقبل اقتطاع مبلغ ١٧ مليون جنيه من المنحة في السنة الاولى شريطة ان ابذل جهداً مخلصاً لاقناع مجلس الوزراء بالسماح لها بالحصول على المنحة كاملة دون فرض إنقاص ١٧ مليون جنيه مرة أخرى . وبدا لي هذا الاتفاق معقولاً ، وبعد الاجتماع مباشرة اعطيت تعليماتٍ باعداد مذكرة حول هذا الاتفاق وتقديمها الى مجلس الوزراء ومحاولة بحثها في الاجتماع الذي سيعقد يوم الثلاثاء .

عندما انتهيت من هذا الاجتماع العسير مع السلطات المحلية كان علي ان أعقد لأأقل من ثلاثة اجتماعات مماثلة في الوزارة ــ وكنت في هذا اليوم لاأزال قلقاً على مصير الحكومة . على اية حال ، فان هذا النوع من

الاجتماعات استطيع القيام به بسهولة . وبعد العشاء عقدت اجتماعاً لجميع اعضاء البرلمان في المقاعد الخلفية المهتمين بمشروع قانون حماية مستأجري الاراضي . واستمر الاجتماع حوالي ثلاث ساعات ، وادهشني هذا ، ووجدت خلال الاجتماع نخبة من محامي حزب العمال مثل : سام سلكن[1] (Sam Silkin) وهو الشقيق الاكبر لجون سلكن ، ومايكل انكلش[2] (Michael English) من نوتنغهام ، وايفور ريتشارد[3] (Ivor Richard) من بارونزكورت ، وربما عشرة منهم ، وكذلك هارولد ليفر (Harold Lever) — جميعهم مصممون على تقديم تعديلات لتحسين مشروع القانون وهم جميعاً لايدركون ان حكومة تتمتع بأغلبية أربعة مقاعد يجب ان تطلب من أعضاء حزبها البرلمانيين في المقاعد الخلفية ان يؤيدونها وينبغي عليهم ان لايشجعوا المحافظين على تقديم تعديلاتهم .

استمعت الى نشرة اخبار منتصف الليل ، فيما بعد ، وسمعت انه تم منح قرض مبلغ أل ٣ آلاف مليون جنيه وادركت ان ازمة تخفيض قيمة العملة قد انتهت .

---

(١) هو الابن الثاني للورد سلكن ، وعضو برلماني عن حزب العمال في مجلس المملكة عن منطقة كمبرويل (Camberwell) منذ عام ١٩٦٤ ، وهو عضو نشيط في المجلس الاوروبي .

(٢) عضو برلماني جديد عن منطقة غرب نوتنغهام (Nottingham) .

(٣) عضو برلماني جديد عن منطقة بارونزكورت (Barons Court) .

الخميس ، ٢٦ تشرين الثاني :

ان وقت مجلس الوزراء مكرّس كليةً لشؤون الدفاع ، وكان هارولد ولسون يحضّر تقريراً في مقره الريفي في شيكرز (Chequers) . ادركت على الفور ان رئيس الوزراء يحاول ان يحصل على تفويض باقتراح بديل بريطاني للقوة الامريكية متعددة الاطراف عندما ذهب الى واشنطن ، والذي أثار اهتمامي هو الفقرة التي تشير الى أننا ننوي الاحتفاظ بقوة نووية ، ليس فقط وسائط الإطلاق بل الرؤوس الحربية ايضاً ، كما ان هارولد ولسون ودينيس هيلي لايعتبران ذلك مخالفاً لتعهداتنا الانتخابية لانهما سيدعيان بان حكومتنا كانت ترمي عن سابق إصرار الى التخلي عن محاولة حصولنا على رادع مستقل . في الحقيقة ، كان هدفهما من الاحتفاظ بالاسلحة هو محاولة اقناع منظمة حلف شمالي الأطلسي بأنه في مقابل تزويدنا بالاسلحة كمساهمة في قوة الردع النووية لحلف شمال الاطلسي ينبغي ان يسمح لنا بتخفيض قواتنا في الراين . يجب ان اقول انني اشك كثيراً في ان حلفاءنا سوف يعطون هذا الاقتراح اهتماماً كبيراً .

على اية حال ، يوجد بعد فقرة الدفاع فقرة اخرى تهمني ، وهي طبعا مصير خدمات الأطفال في منطقة لندن .

ياإلهي ! ماأعظم ضغط مجموعة مجلس مقاطعة لندن في مجلس وزراء عمالي . إنهم هناك جميعاً : جيرالد غاردنر قاضي القضاة ، الذي كان يوماً ما عضواً في مجلس مقاطعة لندن ، وبربارة كاسل — وزوجها تد (Ted) عضو مجلس لندن الأكبر ، ومايكل ستيوارت ، مع زوجته وهي

عضوة أيضاً ، وهم يضغطون ، في محاولة لمساعدة مجلس لندن الأكبر ، على اللورد رئيس المجلس ، وعلى الزعيم النيابي[1] ، وعليّ أنا ، وظللنا نقول لهم بأننا نرغب في تعديل القانون ولكن ليس لدينا الوقت لذلك في دورة انعقاد المجلس هذه . حسناً ، لقد استمر الضغط علينا ولكننا على الأقل اوقفناهم عند حدّهم .

كان عليّ بعد ذلك ان أهرع لتناول الغداء مع جمعيات البناء ووجدتهم قلقين على معدل الفائدة ويريدون ان يسمعوا من كالاهان . ومن هناك ذهبت الى مجلس العموم لحضور اجتماع لجنة دراسة مشروع قانون مستأجري الاراضي . ولكي اكون صادقاً ينبغي ان اعترف بأن هذه اول لجنة لدراسة مشروع قانون اشترك فيها منذ تسعة عشر عاماً في عضوية مجلس العموم ، وكنت غير خبير بذلك . كنا نتوقع ان يستمر الاجتماع طيلة الليل لانه كان يوجد حوالي خمسين تعديلاً ، واكثر من نصفها مقدم من جانبنا . وكان من حسن حظي انني تباحثت الليلة الماضية لمدة ثلاث ساعات مع اعضاء البرلمان في المقاعد الخلفية ، لأنني لو لم أفعل ذلك لأثاروا المسائل بعد ظهر الخميس واستمروا في النقاش طيلة الليل . والذي جرى هو اننا أجرينا بعض النقاش العادي لمدة ثلاث او أربع ساعات حول تعديلات طفيفة وقد استغرق نقاش فريقنا وقتاً مماثلاً لوقت نقاش المحافظين . لذا وصلنا في الساعة السابعة الى القسم الخامس من الفقرة

(١) عضو في البرلمان يعهد اليه حزبه بتطبيق الأنظمة الحزبية ويحمل نواب الحزب على حضور الجلسات الهامة .

الاولى فقط ، وهنا أتينا الى الموضوع الذي يثير الجدال والمتعلق بالعمال الزراعيين ، وانتقلنا من فردوس المحامين[1] الى نقاش كبير بين المحافظين وبيننا . فقد انضم بيرت هازل[2] (Bert Hazell) ، منظم نقابات العمال ، والذي كان يتكلم في جانبنا ، الى المحافظين في شجبي بسبب إقحامي لمسألة اكواخ العمال الزراعيين (التي سبق ذكرها) في مشروع قانون الايجارات . في الحقيقة ، لقد أُدخلت هذه المسألة الآن في مشروع القانون ولن أكون آسفاً اذا حذفت ، حقاً انني لاأعرف كيف جاءت الى مشروع القانون — فهي بالتأكيد ليست اجراءً مستعجلاً . على اية حال ، فكرت كثيراً ودبّرتُ نقاشاً بارعاً وهو أن مسألة الاكواخ الزراعية المكتظة مدرجة في البرنامج الانتخابي مثلها مثل مسألة إلغاء قانون الايجارات لذلك فانني ملتزم بالمسألتين بالتساوي وهما : حماية العمال الزراعيين ، ومستأجري الأراضي في هذه الفترة الانتقالية قبل ان يصبح مشروع قانون الايجارات الرئيسي قانوناً . بقي اعضاء اللجنة جميعهم من الساعة الرابعة بعد الظهر حتى الثانية والنصف صباحاً . في الحقيقة ، بعد النقاش الذي جرى حول الأكواخ المكتظة أُصيب المحافظون بالتعب والارهاق وأنهوا النقاش . ياللسماء ، اننا فريق عاجز بشكل يدعو الى الدهشة ونحن نجلس على المقاعد الأمامية . لقد ارتكبت خطأً جسيماً بقولي للمدعي العام ، إلوين جونز ، بأننا لسنا بحاجة الى محامٍ . ونتيجة

---

(١) يقصد النقاش القانوني الموضوعي — المترجم .

(٢) عضو برلماني جديد عن شمال نورفولك . وهو عضو في الاتحاد الوطني للعمال الزراعيين ، واصبح فيما بعد نائب رئيس الكتلة الزراعية لحزب العمال البرلماني .

لذلك فقد تعرضتُ لهجوم عنيف من السير جون هوبسون[1] (Sir John Hobson) ، الذي كان مدعياً عاماً (ظلاً) للمحافظين جنباً الى جنب مع جون بويد-كاربنتر (John Boyed - Carpenter) . يجب ان أتأكد ان يكون لدينا محام في المستقبل لأننا في الحقيقة لانستطيع ان نعرِّض أنفسنا لمثل ذلك مرة اخرى . وبالنسبة لزعمائنا البرلمانيين فهم لازالوا هواة في اللعبة البرلمانية وتنقصهم الخبرة . لازلنا نعمل في مشروع القانون ، وفي الساعة الثانية والنصف صباحاً ذهبت الى البيت وشعرت بأننا قد انجزنا العمل وانني قمت بواجبي كوزير في البرلمان . لقد تلوت القراءة الثانية ، وانجزت مشروع القانون بواسطة اللجنة المختصة ولم أعُد قلقاً في الحقيقة على التقرير الذي ستقدمه اللجنة .

الجمعة ، ٢٧ تشرين الثاني :

ذهبت الى الوزارة مفعماً بالنشاط والحيوية ، وقضيتُ النهار في اجتماعات في مكتبي مع المعاونين لتطوير العمل ، كما قمت بأعمال روتينية تتعلق بالمكتب الخاص . ويبدو ان المعاونين أصبحوا ملمّين بسياستي في العمل وجعلتهم يوافقون على برنامج مدروس لاجراء مشاورات غير رسمية ومباحثات حول مضمون مشروع قانون الايجارات . وحدَّدتُ أيام الاثنين ، والاربعاء ، والخميس للمباحثات وقسمتهم الى مجموعتين ، واحدة

(١) عضو برلماني من حزب المحافظين عن منطقة وورويك وليمنغتون من عام ١٩٥٧ وحتى وفاته في عام ١٩٦٧ . وكان مدعيا عاما من ١٩٦٢ — ١٩٦٤ .

برئاستي مع آرنولد غودمان ، والثانية برئاسة جيم ماك كول مع دونيسون . وتقوم المجموعتان بدراسة مذكرة أعدَّتها الوزارة . وفي الحقيقة كنت سعيداً لموافقتهم على هذا البرنامج .

أدركتُ القطار المسافر الى كوفنتري مساء الجمعة حيث سألقي أول خطابٍ في حياتي في حفلة عشاء عامة . وأعتقد انني تكلمت بما يلزم . ثم ركبت السيارة وتوجهت الى البيت فوجدت آن في الطابق العلوي مستلقية في فراشها وهي تستمع الى برنامج جديد تبثه محطة الاذاعة والتلفزيون البريطانية (B.B.C) واخبرتني انهم لو أبقوا البرنامج القديم لكان أفضل[1] .

السبت ، ٢٨ تشرين الثاني :

يتوجب عليّ ان أُغادر الى ليسستر (Leicester) في الساعة الثامنة للقيام باحدى زياراتي ، من الساعة ٩٫١٥ صباحاً وحتى الرابعة بعد الظهر . واصبحت هذه الزيارات عملاً روتينياً بالنسبة لي الآن وأجريت محادثاتي الطويلة على المواضيع المعتادة الخاصة بتعدد مُلاَّك الأراضي ، والاعانات المالية الجديدة التي تدفعها الحكومة ، وسياسة الاراضي التي تنتهجها الحكومة .

أعتقد ان الشيء الهام في ليسستر والذي يدعو للإعجاب هو

---

(١) لم يدم البرنامج طويلا على الرغم من العنوان الذي يحمله وهو : الطريق الى الحياة وحلّ محله البرنامج القديم : حول العالم .

الطريقة التي يحاولون ان يحلّوا بها مشكلة الناس المتقدمين في السنّ . فكانوا يأخذون عدداً معيناً من المنازل في كل منطقة ويحولونها الى شقق بطريقة بارعة جداً فيضعون رجلاً متقدماً في السنّ في الطابق العلوي ، وآخر في الطابق السفلي من كل منزل . وكانوا يضعون أيضاً البيوت المؤلفة من طابق واحد والمسماة بالبنغل[1] (Bungalows) لكبار السنّ بجانب منازل المتقدمين في السنّ مباشرة بحيث يستطيع الأشخاص الموجودون في البنغل من تناول الوجبات اذا رغبوا ، في منازل المتقدمين في السنّ . وبدت لي هذه الحلول انها إنسانية ومتمدنة .

الاثنين ، ٣٠ تشرين الثاني :

إن الشيء الوحيد الذي أريد ان اذكره في الحقيقة هو العشاء الذي أُقيم في منزل آرنولد غودمان لمجموعتي من اجل دراسة مشروع قانون الايجارات .

ذهبنا الى هناك بينما كان جيم ماك كول يجمع مجموعته المؤلفة من محامي حزب العمال ، وبعد اجتماع يوم الاثنين قررنا جميعاً ان الشيء الذي ينبغي ان نفعله هو حشد جهودنا معاً مساء الاربعاء .

(١) البنغل هو بيت من طابق واحد (وبخاصة في الريف وعلى شاطئ البحر) ينقل من مكان الى آخر .

الثلاثاء ، ١ كانون الأول :

جرى شجار عنيف في لجنة مجلس الوزراء حول المنحة العامة . وهذه المسألة كنت قد بحثتها طبعاً مع كالاهان ، كما جرى نقاش حادّ بيني وبين جون دياموند (John Diamond) . بعد ذلك تدخل كالاهان لفض النزاع والقى خطاباً عظيماً حول كيفية تحقيق الخدمات الاجتماعية ، لكن دوغلاس هوتون ، وجورج براون أشارا على الفور أن المسألة التي نبحثها هنا هي ليست كيفية تحقيق الخدمات الاجتماعية وانما تحقيق التوازن بين مايدفعه المكلف العادي ودافع الضرائب لصالح هذه الخدمات . وأخيراً قال هارولد ولسون ــ وهو يترأس الاجتماع ــ « لم أسمع قطّ مثل عدم الاتفاق هذا . في الحقيقة يجب ان نضع الأمور الصحيحة في نصابها » . لذا أُحيلت هذه المسألة الى لجنة فرعية اعتقد انها سميت بلجنة تطوير القطاع العام . وأُخبرنا بأنها ستجتمع يوم الجمعة ، ٤ كانون الاول .

إن الموضوع الثاني الذي برز على نحو غير متوقع يوم الثلاثاء لأول مرة هو قضية الغجر . عقدت اجتماعاً لاعضاء مجلس المحافظة الريفي لمنطقة سترود (Strood) ، واعضاء مجلس مقاطعة كِنتْ (Kent) . دعوت اعضاء المجلسين للاجتماع معي بسبب الحرب السافرة التي أُعلنت بينهما حول كيفية التعامل مع الغجر الذين زرعوا أنفسهم في منطقة مجلس المحافظة الريفي لِ سترود . بعد الاستماع الى الجانبين اكتشفتُ أن الغجر أصبحوا الآن مشكلة خطيرة على الصعيد القومي بسبب الحقيقة المُرَّة

وهي أن مقاطعةً مثل كِنْت التي قررت ان تتعاطف مع الغجر وجهزت لهم عَشْر قطع من الأرض ليخيموا فيها ، أصبحت وكأنها تصنع العسل الذي يجذب اليها الغجر من جميع أرجاء بريطانيا . وهذا السلوك من كِنْت سمح للمقاطعات السيئة مثل إِسِّكْسْ (Essex) ان تطرد الغجر من منطقتها وتضيفهم الى مالايقل عن ثلاثين عائلة غجرية تنتظر خارج المخيم الذي يجهّز الآن في سفن اوكس (Sevenoaks) . لذلك فمن الجليّ أنَّ شيئاً ما يجب ان يُتَّخذ على الصعيد القومي اذا كانت كِنْت لاترغب في جذب جميع الغجر في بريطانيا او اذا ارادت ان تتخلى عن سياستها الإنسانية وتصبح رجعية مثل إسِكْس .

الاربعاء ٢ كانون الاول :

طلبتُ من عضوي البرلمان العماليين المهتمين بمشكلة الغجر ان يحضرا لمقابلتي . احدهما كان خصماً قديماً لي وهو المستر نورمان دودس[١] (Mr.Norman Dodds) . وهو احد اعضاء حزبنا البرلمانيين الذين يحبون الظهور وهو يكره حماستي واندفاعي . واصبح بطلاً للغجر ، وهو من انشط الاعضاء في دائرته الانتخابية . جاء مع جارِهِ ألبرت موري[٢]

(١) يعمل سكرتيرا برلمانيا خاصا في مكتب علاقات الكومونولث (رابطة الشعوب البريطانية) . اصبح عضوا في البرلمان عام ١٩٤٥ عن منطقتي إرِث (Erith) وكريفورد (Crayford) من عام ١٩٥٥ حتى وفاته في آب عام ١٩٦٥ .

(٢) عضو برلماني جديد عن منطقة غريفسند (Gravesend) وبقي ممثلا لها حتى عام ١٩٧٠ . بعد عام ١٩٦٥ عمل سكرتيرا خاصا في وزارة الدفاع ، وفي وزارة التكنولوجيا ، وفي وزارة النقل .

(Albert Murray) ، وهو شاب ضئيل الجسم ذو شعر أحمر ومحب للمزاح ، وكان الإثنان يشبهان لوريل وهاردي لأن دودس كان ضخم الجثة وجدياً بينما كان موري ضئيلاً وهزلياً . وجلسا مع بعضهما واخذا يتحدثان بشكل موضوعي . كان نورمان دودس يبدو في بداية الأمر متعجرفاً ومتصلباً بينما كان موري حديث عهد وفتياً وحذراً . اعتقد انني اقنعتهما تدريجياً ان يستمعا اليّ ، وجعلتهما يدركان ان من الافضل ان اقوم أنا بنفسي بعمل ما بواسطة جمع ممثلي المقاطعات الداخلية على الفور . لكنني اخبرتهما ايضاً انه في خاتمة المطاف لايمكن عمل شيء سوى ضمن خطة على الصعيد القومي ، وهذا ماسوف أسعى اليه .

ذهبت رأساً الى مجلس العموم الساعة الثانية عشرة لحضور اجتماع للحزب من اجل الاستماع الى هارولد ولسون قبل سفره الى واشنطن . تكلم لمدة خمس وثلاثين دقيقة وأجاب على أسئلة لمدة عشرين دقيقة ، وأعطى صورة عن كيفية تخطينا للعقبات على الجبهة الداخلية بعد الصعوبات التي اوشكت ان توقف مسيرتنا في التطوير الاقتصادي . والشيء الذي لم يعترف به هو اننا كنا مجبرين على الاختيار بين تخفيض قيمة العملة او انقاص حجم العملة المتداولة ، وأننا اخترنا الحل الثاني وكنا في اسوأ فترة « جمود » مررنا بها ، علماً بأننا كنا نحتج على مثل هذا الوضع اثناء الانتخابات . على اية حال ، كان خطابه واجاباته على الأسئلة حاذقة للغاية واستُقبلت من قبل الأعضاء بترحاب وجرى له وداع حافل لرحلته الى واشنطن . وعندما انتهينا من الاجتماع (بالمناسبة ، كنت الوزير الوحيد الموجود هنا ، وبدا لي هذا أمراً سيئاً) استمعتُ الى ايمانويل

شنويل (Emanuel Shinwell) وهو يردّ بطريقة جنونية على اقتراح بعقد اجتماع حزبي منتظم اسبوعياً ، وهذه الطريقة لاتحسّن العلاقات بين البرلمان ومجلس الوزراء . ان ماني[1] شنويل يتمتع بخيال خصب ، ونشاط كبير ، لكنه يترك في نفسي انطباعاً بأنه عديم الحيلة ومجرد من المبادىء الخلقية . فمن المؤكد انه لم يقنع يوم الاربعاء أياً من بيترشور (Peter Shore) ودافيد إينالــز[2] (David Ennals) ـــ اذا أخذناهـــما كمثال ـــ بأن علينا ان لانعقد اجتماعات حزبية منتظمة اسبوعياً . في الحقيقة ، كان كل شيء يوحي بضرورة عقد الاجتماعات الحزبية المنتظمة . فلو كان لدينا اجتماع منتظم كل يوم أربعاء فان المعنيين سيعرفون ذلك وسيأتون الى الاجتماع في الوقت المحدد . كذلك فان الاتصال بين الحكومة والحزب يبقى قائماً . لكن « ماني » لن يسمح بذلك خوفاً من ان تستخدم الاسئلة التي ستطرح لاثارة المشاكل ـــ حسب قوله . انني اعتبر هذا التصرف احدى مظاهر الضعف لحكومتنا وأتنبأ بانه سيسبب كارثة .

كان مساء الأربعاء مخصصاً لعقد اجتماع كبير لبحث سياستنا المتعلقة بالايجارات . كنت قلقاً بعض الشيء عندما ذهبت الى غرفتي في الوزارة بعد العشاء حيث وجدت حوالي اربعة عشر شخصاً هناك . تأخرنا

---

(١) تصغير إمانويل .

(٢) عضو برلماني عن منطقة دوفر (Dover) من عام ١٩٦٤ ـــ ١٩٧٠ . واصبح سكرتيرا لحزب العمال لما وراء البحار من ١٩٥٧ ـــ ١٩٦٤ . وفي عام ١٩٦٤ اصبح سكرتيرا برلمانيا خاصا في وزارة تطوير ماوراء البحار ، وانتقل الى وزارة النقل في عام ١٩٦٦ .

في الاجتماع كالمعتاد بسبب التصويت على مشروع الموارد المالية . جمعتهم حول المنضدة وبدأنا العمل ، وبحثنا مشروع قانون الايجارات على أساس المذكرة التي أعدَّها آرنولد غودمان ودنيس لويْد على اثر اجتماعنا يوم الاثنين الماضي . كانت المذكرة تحتوي على فكرة الايجارات العادلة لأول مرة . كان الاجتماع في الحقيقة مدهشاً لأننا عملنا على ايجاد صيغة تشبه الاتفاقية بين هؤلاء الاربعة عشر ، ومعظمهم من المحامين ، وجميعهم يعلمون الشيء الكثير عن الموضوع ولديهم الخبرة بدءاً من آرنولد غودمان ، وهو محام مختص بالقضايا التجارية في شارع الصحافة بلندن[1] ، وصديقه البروفسور دنيس لويد ، وهو شخص أكاديمي . وكان يوجد ايضاً محامون شباب من حزب العمال ، وشخص يشتغل في المضاربات التجارية ، وأخيراً يوجد : وادل (Waddell) ، وروجر سون (Roger Son) من موظفينا ، كما يوجد جيم ماك كول ، والسيدة إيفلين ، وأنا . بدأنا العمل الساعة ١٥ر٨ وانتهينا الساعة ٤٥ر١١ . طبعا ، كان لحجة آرنولد غودمان القوية في الاقناع دور كبير ، ولكن فكرة الايجارات العادلة جعلت هذا الحشد من المسؤولين يتفق على رأي موحد . كذلك شعرت بالارتياح عندما وجدت ان بعض المسائل الأخرى الثانوية ، مثل مشكلة اكواخ الخدمة ، والغرف المفروشة ، قد تم الاتفاق عليها بشكل مفصل كما كنت ارغب .

لم استطع ان اخفي شعوري بالفخر وانا أرى هؤلاء الناس يعملون معاً ، وأفكارنا سواء أفكار الاشخاص من خارج الوزارة أو أفكار الموظفين

(١) يسمى Fleet Street .

داخلها تترجم الى عمل ضمن فريق واحد . ويجب عليّ ان اعترف بأنني لم أستطع بأن أخفي سروري الناجم عن التناقض بين ما نعمل في وزارة الاسكان وبين العمل البائس الذي يجري في وزارة الاراضي والموارد الطبيعية . في ذلك الصباح فقط قرأت مسودة المذكرة التي أعدها فرد ويلي بمساعدة سكرتيره الدائم ، ولكي أكون صريحاً ، أعطى للموظفين خطة عمل حزب العمال فقط ليعملوا بموجبها ، لكننا نحن في وزارة الاسكان أعددنا خطة عمل من الأدنى الى الأعلى . بالنسبة للرقابة على الايجارات فقد كان الامر سهلاً نسبياً بسبب عدم وجود افكار معينة ملتزمين بها في بياننا الانتخابي . لذا كنت قادراً على خلق نقاش بنّاء بين مستشارينا خارج الوزارة برئاسة آرنولد وبين موظفي الوزارة ، ومثل هذا الامر يعتبر اكثر صعوبة بالنسبة للجنة الاراضي بسبب الوثيقة التي تم انجازها .

كنت افكر في لجنة الأراضي كثيراً ، وكنت اتساءَل متى يحين الوقت لاقترح على ولسون ، وكالاهان ، وبراون ، بأنه بدلاً من محاولة تأسيس لجنة الاراضي جاهزة في هذه الدورة البرلمانية ، علينا ان نخلق شيئاً يمكن ان نسميه لجنة الاراضي بشرط ان نكلفها بعملها الوحيد في هذه المرحلة وهو جمع الضريبة وصرفها على تحسين الأراضي . ويمكننا ان نقول ان هذا العمل هو المرحلة الاولى في سعينا نحو تأسيس لجنة اراضي حقيقية لها سلطة احتكار شراء جميع أراضي البناء . وهذا طبعاً ، ينبغي ان يكون شيئاً مختلفاً . فاذا أنشأنا هذه اللجنة الآن ، فربما تجمّد جميع الأشغال وتدمّر برنامجنا الإسكاني . ولكن فيما بعد يمكن ان تكون بداية لتأميم الأراضي

وللسيطرة على أسعار الأراضي . والمشكلة طبعاً هي أن جميع هذه المسائل بعيدة المدى لم تذكر في مذكرة فْرد ويلي ولم تُبحث قطّ . ان مذكرته عبارة عن المقترحات الواردة في البيان الانتخابي دون بحث الفكرة الأساسية لهذه المقترحات .

كنت افكر في جميع هذه الأمور وأنا في طريقي الى البيت بعد انتهاء الاجتماع . استلقيت في فراشي وبدأت في دراسة الأوراق الموجودة في الصندوق . لسبب او لآخر أجد نفسي مفعماً بالحيوية وعاجزاً عن النوم . أنام عادة وأدرس الاوراق الواردة في الصندوق الساعة السادسة صباحاً ، اما الآن فانني غارق في اوراقي . توجد بعض المشاكل مع مكتبي ، فهم يكوّمون كل شيء مهما كان تافهاً في الصندوق ، وحاولت ان اجعلهم يفرزون الاوراق الى « عاجل » و « عادي » ، « وأساس الموضوع » ، وهكذا . وكانت النتيجة ان ملؤوا الصندوق بعلب عديدة من الكرتون تحتوي هذا الفرز . فطلبت منهم ايقاف هذه الطريقة . فعادوا الى وضع جميع الاوراق حتى التافهة في الصندوق . وفي هذا المساء وجدت في أسفل الكتب العاجلة ، « كتاباً عادياً » ، وهو عبارة عن ورقة مكتوبة بخط يد بريان بونسفورد (Brian Bonsford) تقول : « قد ترغب في رؤية مايقال بشأنك من قبل المهندس المعماري في استجواب ستيفنيج Stevenage » .

نظرت الى هذه الورقة ، في ساعة متأخرة جداً من الليل ، وادركت في دهشة ان مهندسنا المعماري سوف يذهب الى ستيفنيج في اليوم التالي لاجراء اخطر قضية وهي مضاعفة حجم المدينة . كنت قد أجريت مناقشة حول هذه القضية وأوضحت انني شخصياً

لست ملتزماً باي حال من الاحوال باقتراح الوزارة لمضاعفة حجم مدينة ستيفنيج وانني سأقرر الموضوع بعد الاستجواب . وبعد ان اوضحت موقفي جيداً سُئلتُ من قبل الوزارة ما اذا كنت سألغي الاستجواب . فقلت : « كلا ، انني لا أهتم بالغائه ، فانه مفيد للغايةلاننا عندئذٍ سنكون قادرين على النظر الى القضية بكاملها مرة ثانية واستطيع ان اعلن قراري بشكل مستقل حول الموضوع » . واذكر ان السيدة ايفلين قالت : « ولكن كما تعلم فان كبير المهندسين سيقدم بياناً حول هذه المسألة . ويجب ان نتأكد بانه حيادي » . بعد ان تذكرت هذه الحادثة ، غضبت جداً لاكتشافي ان بيان كبير المهندسين وضع في بريد الاوراق العادية كاجراءٍ روتيني وأنه أُعيد مع البريد دون أن أراه وهذا يعني ان كبير المهندسين سيقدمه غداً صباحاً .

الخميس ، ٣ كانون الاول :

جئت الى المكتب هذا اليوم وانا في حالة من الغضب . لقد خيَّبتْ الوزارةُ أَمَلي . وصَبَبتُ جام غضبي على المسكين جورج موسلي ثم أصْرَرْتُ على إضافة الكلمات التالية في أعلى الصفحة المدون فيها بيان كبير المهندسين : « إن البيان التالي يبين سياسة الوزارة قبل التغيير الحكومي . وينبغي ان لايفهم منه انه إضعاف لوجهة نظر الوزير الحالي حول المسألة .» فنظر جورج موسلي بشيء من الخجل وقال : «ولكن ، ايها الوزير ، من الافضل ان تكون حريصاً لانني أخشى ان يكون البيان قد

خرج لتوّه بتوقيعك . » فادركت انني وُضعت أمام الأمر الواقع . أرسلت في طلب جونز واخبرته رأيي فيه . فقال على الفور : « هناك شيء واحد فقط ــ فإما ان تلغي الاستجواب على الرغم من انه سيتم هذا الصباح او ان تقول الكلمات التي طلبتَ اضافتها على بيان كبير المهندسين . » فقلت انني لن أُلغي الاستجواب ، لذا تقرر ان يُلقى هذا البيان المدهش الذي وقّع من قبلي كافتتاحية للاستجواب . وتمّ ذلك فعلاً ، ولم تلاحظ ذلك أية صحيفة .

ذهبت الى مجلس الوزراء الساعة الحادية عشرة . لم يكن هناك شيء يدعو للاهتمام . فقد سافر هارولد ولسون الى واشنطن منذ قليل ، وتحدثنا حول الذكرى السنوية السبعمائة لبرلمان سيمون دي مونتفورت (Simon de Montfort) . وكان هناك شعور عام بضرورة انجاز الترتيبات اللازمة لهذه الذكرى اثناء غياب هارولد . انتابني شعور بالقلق مرة اخرى بأننا لانجابه المشاكل الرئيسية . ولكي يكون العمل منسجماً ومتكاملاً بين الوزراء وبين رئيس مجلس الوزراء ، ينبغي ان يبحث مجلس الوزراء السياسة العامة . ولكن الذي يتم هو ان نأتي نحن الوزراء الثلاثة والعشرون ، وكلّ منا يحمل معه قضايا ومشاكل وزارته ، ويحاول ان يحصل على مايريد . ونتجنب الخوض في بحث السياسة العامة فيما عدا المسائل المتعلقة بالدفاع والشؤون الخارجية . اما بالنسبة للقضايا الرئيسية المتعلقة بالجبهة الداخلية فلا تبحث ، بشكل عام ، أبداً ــ على مبدأ : بما ان المسائل العامة لاتثار لذا فهي لاتبحث . بحثت هذا الموضوع مع توماس بالوغ من قبل ، وبعد الانتهاء من اجتماع مجلس الوزراء يوم الخميس ذهبت رأساً الى غرفته في

مكتب مجلس الوزراء لبحث ذلك . واظن ان ماحدث في غضون الأيام العشرة التالية هو نشوب نزاع حقيقي بين دائرة الشؤون الاقتصادية برئاسة جورج براون ، وبين الخزانة برئاسة كالاهان . إن هذا النزاع يمكن ان يكون مقبولاً اذا كانت دائرة الشؤون الاقتصادية وأمانة سرّ مجلس الوزراء قويتين لدرجة الإصرار — في حال انتزاع التخطيط من يد الخزانة — على ان يتم التخطيط بصورة فعلية من قبل دائرة الشؤون الاقتصادية ومن ثمّ يقدّم بواسطة أمانة سرّ مجلس الوزراء الى مجلس الوزراء للدراسة والإقرار . وهذا يعني ، على سبيل المثال ، اننا كمجلس وزراء ينبغي ان نبحث الآن التخصيص العام لمواردنا في الموقف الجديد الناشئ عن الفائدة المصرفية التي مقدارها ٧٪ وعن فترة انقاص حجم العملة المتداولة التي وضعت موضع التنفيذ . وليس من الخير ان يعمل مايكل ستيوارت تقديراته المالية المتعلقة بالتعليم ، وان اعمل أنا تقديراتي المتعلقة بالاسكان ، وان يعمل كينيث روبنسون تقديراته المتعلقة بالصحة ، فاذا اردنا نحن جميعاً تحقيق ذلك في فترة انقاص حجم العملة ، علينا ان نمتنع عن الانفاق في القطاع العام وان نخطط لتخفيض الخدمات الاجتماعية وليس توسيعها . ولغاية الآن لا يوجد اقتراح من قبل هارولد او جيمس بتخفيض الخدمات الاجتماعية .

ومما لاشك فيه اننا لانزال نواجَهُ بفقدان الثقة التام في الجنيه في الخارج . ولا نستطيع ان نقنع رجال المصارف في زوريخ بأن وضعنا سليم لأننا لانريد ان ننفذ انقاص حجم العملة المتداولة بالطريقة القديمة المألوفة ، ولاننا لسنا مستعدين لتنفيذ ذلك كوننا لانريد ان نواجه تقهقراً في جبهة الخدمات الاجتماعية . ينبغي ان اضيف هنا ان كل ماذكرته يمكن

القول انه شيء خاص أُسرّ به لنفسي ، واتكلم به لِـ تومي ، وأدوّنه في مذكراتي . كما ان بعض ماذكرته قرأته مثلاً في مجلة ايكونوميست (Economist) هذا الاسبوع وسمعته من نيكولاس دافنبورت (Nicholas Davenport) . وهذه الامور لم تبحث قطّ بين اعضاء الحزب البرلمانيين او في مجلس الوزراء .

كنت أشعر بالكآبة بعد الظهر ولعنت جدول المواعيد عندما رأيت فيه أن علي ان اذهب لزيارة مايسمى بـ « جماعة التطوير » . ووجدت نفسي ذاهباً الى مكتب جديد في شارع دارتماوث (Dartmouth) ، وهو المكان القديم لاجتماعات الفابيين[1] (Fabians) . لم اكن اعلم شيئاً عن هذه الجماعة لكنني وجدت هناك اوليفر كوكس (Oliver Cox) ، نائب كبير المهندسين ، مع حوالي عشرين مهندساً معمارياً وستة من الشبان والشابات الذين يعملون بجدّ ونشاط لتطوير نموذجين من أطرزة البناء : النموذج رقم(٥) ، والنموذج رقم (١٢) . وهم يحاولون الآن بناء أحد هذين النموذجين في اولدهام (Oldham) حيث يقومون ببناء ٧٥٠ وحدة سكنية على ارض جهزت لذلك منذ فترة وجيزة .

لاأستطيع ان أفهم لماذا أن الوزارة بالذات هي التي جلبت هذه المجموعة الرائعة لتعمل في وسطها ، لكنني قضيت وقتاً بهيجاً معهم . قضيت ساعتين او ثلاثة وانا أتعرف على اسلوب عملهم ، وكيفية قيامهم بالدراسات الخاصة بعلم الاجتماع ، وأخبروني عن الجانب الفني من

---

(١) نسبة الى الجمعية الفابية وهي جمعية انكليزية (أنشئت عام ١٨٨٤) سعى اعضاؤها الى نشر المبادئ بالوسائل السلمية .

عملهم . واثناء الحديث سألتهم لماذا هم يبنون ٧٥٠ وحدة سكنية فقط في اولدهام ، لماذا لايبنون جميع الوحدات ؟ ألا يفيد ذلك مجموعة لينغ (Laing) للبناء ؟ فقال اوليفر : « طبعاً انه يفيدها ، ويفيد اولدهام ايضاً . » فقلت : « حسناً ، لماذا لانفعل ذلك ؟ » فقال اولدهام : « يتوقف ذلك على رغبة الوزير » . فضحك كبير المهندسين ، هويتفيلد لويس (Whitfield - Lewis) ، وقلت : « لماذا لانفعل ؟ لماذا لاننفذ ذلك بدلاً من بناء قطعة واحدة صغيرة في وسط اولدهام ونستخدم الأفدنة الثلاثمائة ونُظهر ان نظامنا في البناء مفيد ويخفّض التكاليف ؟ دعونا نرى قطعة واحدة أُعيد تطويرها وأُنجزت فعلاً من قبلنا » .

قُدت السيارة عائداً الى الوزارة (وهي قرب زاوية الشارع) وأنا متحمس وأشعر بنشاط . انني سوف أُصرّ اذا استطعت بانه ينبغي علينا ان نقنع اولدهام لتدعنا نبني جميع الوحدات السكنية ، ولاشك بأن مجموعة لينغ للبناء ستكون مسرورة لانها ستبني مجموعة كبيرة من الوحدات السكنية بشكل مستمر ، وبذلك يمكن تخفيض تكاليف البناء .

عدت في الوقت المناسب لاجتماعي الروتيني مع هيئة اركاني المؤلفة من السيدة ايفلين ، وجونز ، ووادل . وانتقلنا على الفور لبحث مشاكل ستيفنج . أظهرتُ غضبي وجلسوا جميعاً وهم غير مرتاحين ، ثم قالت السيدة إيفلين : « يجب ان آخذ المسؤولية الكاملة » ، وقطّبت جبينها . ثم انتقلنا الى جدول الأعمال المعتاد فبحثنا اولاً المذكرة المتعلقة بالمنحة العامة والتي ستكون كايجاز يقدم من قبلي الى اللجنة الوزارية المختصة صباح يوم الجمعة ، ثم انتقلنا الى مذكرة جورج براون المتعلقة بالحكومة الاقليمية .

انني الآن اتكلم مع جورج في القاعة المخصصة للتصويت والذي قال لي : « هناك مشاكل بيني وبين السيدة ايفلين . إنها تحيك مؤامرة ضدي وتثير جميع السكرتيرين الدائمين عليّ . إنك تعلم كما أعلم انه سيكون لدينا منظمة لغرب ميدلاندز (West Midlands) ، ومنظمة لشرق ميدلاندز (East Midlands) ، لكنها تصرّ على منظمة واحدة للميدلاندز . هل ستقف معها ؟» فقلت : « طبعاً سأقف الى جانبها ، فليس من المعقول ان تقبل شرق ميدلاندز أية منظمة تكون رئاستها في بيرمنغهام ، أو أن غرب ميدلاندز سوف تقبل أية منظمة تكون رئاستها في ليسستر .» وعندما عدنا الى بحث مذكرة جورج أعَدْتُ هذه القصة على أسماع السيدة إيفلين . فقالت إن تشكيل منظمتين اقليميتين للميدلاندز هو خارج الموضوع وبقينا نتناقش لمدة نصف ساعة بلا جدوى . وهذا شيء له دلالته . فهي تسبب مرة ثانية مشكلة ليس لها آخر بسبب محاولة تغيير المنظمة الاقليمية التي انشأها جورج في دائرة الشؤون الاقتصادية . شعرت بالغضب اكثر فاكثر وتمنيت ان ترحل عنا اكثر فاكثر .

أقمنا في ذلك المساء أنا وآن حفلة عشاء في مجلس العموم لبيتر (Peter) وجين لدرر (Jean Lederer) . كانت جين إحدى الفتيات اللواتي شاركن آن في السكن عندما سكنت في حدائق الملكة وقابلت هذا اليهودي التشيكي الذي حصل على الجنسية البريطانية وتزوجته . واصبح بيتر ليدرر احد الشخصيات الكبيرة في شركة كوستين (Costain) للبناء وقضينا أمسية ممتعة . عرفت بيتر جزئياً بصفته زوج جين ولكنني عرفته بشكل اكبر لانه بنى المبنى الضخم في كوفنتري ، المؤلف من (١٥) او

(١٦) طابقاً على شكل برج كبير وقد تم بناؤه بأسلوب فني جديد وهو وضع طابق فوق طابق بعد ان يتم انشاء الطابق الذي تحته . كانت هذه اول محاولة من نوعها في بريطانيا . وكلفت شركة كوستين مبلغاً ضخماً من المال لانها لم تستطع ان تنفذ هذا النوع من البناء بشكل مستمر في أمكنة اخرى وبدأت أُدرك الصعوبات المتعلقة بالابنية ذات الطراز الواحد عندما يكون لديك المئات من السطات المحلية التي يريد كل منها ان يجعل كل بناء يختلف قليلاً عن غيره من المباني ويطلبون الاعتمادات المالية اللازمة لذلك التعديل .

الجمعة ٤ كانون الاول :

انني اعتبر هذا اليوم افضل يوم من الايام القليلة التي مرت بي كوزير . بدأ هذا اليوم باجتماع في لجنة الشؤون الداخلية الساعة العاشرة . وانتهى هذا الاجتماع في غضون خمس دقائق وقضينا نصف ساعة من الوقت الفائض في مكتب الوزراء . سألت عن مكان يقدم القهوة فأرشدوني اليه ، لكنني أضعتُ طريقي ولم يتمكن احد في المبنى من الاهتداء اليه . واخيراً أرشدوني الى مطعم صغير خاص بالسائقين ، وهو مكان ظريف للغاية وفتح لنا ابوابه خصيصاً ، واجتمعنا هناك انا ، ومايكل ستيوارت ، وجوديث هارت وتناولنا القهوة معاً وكانت استراحة لاتقدر بثمن حيث استطعت ان اوجز لهم بشكل كامل مقاصدي في الاجتماع الكبير المتعلق بالمنحة العامة ، كانت جوديث تمثل وزير الدولة لشؤون اسكتلندة ،

ومايكل ستيوارت لديه كثير من المصاعب لأن التعليم يشكل ثلاثة ارباع نفقات السلطات المحلية ، أعني ان ثلاثة أرباع المنحة العامة تذهب للتعليم . لذا ، ونحن نتناول القهوة ، جهزنا أرضيتنا معاً ثم ذهبنا الى الغرفة (ج) حيث كانت تجتمع اللجنة الفرعية المنبثقة عن دائرة تطوير القطاع العام لبحث المنحة العامة .

ولدهشتي وجدت هناك ١٢ وزيراً ، من بينهم مختلفو الطباع مثل بربارة كاسل وزيرة تطوير ماوراء البحار ، وفرد بيرت (Fred Peart) وزير الزراعة ، ودوغلاس هوتون منسّق الخدمات الاجتماعية ، وجوديث من وزارة شؤون اسكتلندة ، وجون ديـاموند السكرتير المالي من الخزانة ، وجيم[1] كالاهان طبعاً ، والوزير الاول جورج براون . بدأ الاجتماع بقول جورج براون لي ، همساً ، بأنه جاء الى الاجتماع لكي يساند كالاهان لكنه يشعر ببعض التعب وعلى كل حال سوف يغادر الاجتماع بعد نصف ساعة ليقابل رئيس وزراء الهند . ثم بدأ كالاهان حديثاً طويلاً وأخذ يقرأ بصوتٍ عالٍ من موجز أعدته له وزارة المالية على ورقة زرقاء باهتة ، ووصف الخطورة الكبيرة في الموقف الاقتصادي .. وقال انه جاء ليذكّرنا بأن الازمة لم تنته بعد ، وأن الخدمات الاجتماعية ستزداد بمعدل ٤٪ سنوياً بينما لم نقترب في اي مجال من معدل انتاج يقارب ٤٪ ، واننا سنواجه الحقيقة ان عاجلاً او آجلاً ــ أي بصريح العبارة سيكون هناك تخفيض كبير في الرقم الاجمالي في النفقات العامة . ثم قلت ان ملاحظاته لاتفيد بشيء مسألة المنحة العامة التي تهمُّ فقط التوازن بين الفوائد والضرائب وليس بفرض

(١) تصغير جيمس .

الكثير من الضرائب . وقلت ايضاً انني اتساءَل هل عمل جورج براون ووزارته خطة قومية وضمنوها ــ كما افترض ــ خطة الاسبقيات للنفقات الحكومية . ولدهشتي أجاب جورج براون بأن هذا لم يقرر بينه وبين قاضي القضاة . وهل هذا معقول ؟ ــ بعد ستة أسابيع ــ من عمر حكومة العمال لازالوا ينتظرون تبادل الرسائل للاتفاق على من تقع مسؤولية وضع خطة أسبقيات النفقات . على اية حال ، انتهى ذلك البحث ، ثم بدأنا بدراسة المنحة العامة وطُلب مني ان أعرض قضيتي . لقد سبق ان اوجز لي الموضوع بعناية تامة وانا اعرف القضية جيداً . وطرحتها بأقوى شكل عندي . في الحقيقة ، أعدتُ بشكل موسَّع ما قالته السلطات المحلية لي في اجتماعنا في الاسبوع السابق . وطرحوا آنذاك القضية بقوة وأوضحوا أنهم لايطلبون طبعاً منحة اكبر في السنة الثانية (كون ذلك غير قانوني) : انهم يطلبون فقط زيادة لسبب خاص ، وهذا السبب الخاص هو بما ان التقديرات في السنة الاولى يمكن ان تكون دقيقة للغاية عندئذٍ يوجد اتجاه في السنة الثانية للمبالغة في التخفيضات ــ وهذه ناتجة عن اختلاف مقداره ٢٪ ــ ٥ر٢٪ (اي حوالي ٢٠ مليون جنيه) بين ما كان مقدراً للسنة الثانية وبين ما يصرف فعلاً . لذلك ، يوجد دائماً نفقات زائدة وهم يطلبون اعادة العشرين مليون جنيه التي سنقتطعها من مخصصات السنة الثانية . فقلت بأنني لا أطلب زيادة بنس واحد للخدمات الاجتماعية ولكن ينبغي علينا فقط ان نتنازل عن العشرين مليون جنيه في السنة الثانية « الآن » لكي نمنع انفسنا من زيادة العبء على دافع الفائدة وكذلك عن دافع الضريبة .

أجابني دياموند بقوله ان الصورة التي اوضحتها بعيدة كلياً عن الحقائق وان الخزانة لاتستطيع أن تقرّ حتى امكانية تحقيق طلبي.وقال يجب ان تعتبر المنحة العامة افضل طريقة فعالة لضبط نفقات الحكومة وأن هذه الطريقة سوف تقوّض اذا مَنَحنا فجأة ٢٠ مليون جنيه في السنة الثانية . ان العشرين مليون جنيه هذه عبارة عن مخصصات زائدة لايستطيع أي امرئ أن يأخذها بعين الاعتبار بصورة جدية . ونشأ عن ذلك نزاع وكنت أنا في موقف الهجوم . بيّنت ان الهدف الحقيقي للخزانة ليس الدفاع عن الدخل القومي بل لتحمي دافع الضريبة ضد دافع الفائدة وفي الحقيقة إن الادعاء بان تلك الضرائب هي نوعاً ما اكثر حساسية وان زيادة الفوائد بدون ازعاج أحد هو أمر شاذ . ساعدني فردْ بيرت ، وجوديث هارت ، واخيراً وبشكل حاسم دوغلاس هوتون . عند هذه النقطة فعل كالاهان ما لا يُصدَّق . قال : « حسناً ، اذن هكذا . كلكم ضدي . من الأفضل ان تواجهوا ذلك . حسناً ، لقد كسبتم المعركة وليس الحرب .» كنت مندهشاً فسألت : « هل يعني هذا اننا ينبغي ان لانذهب الى مجلس الوزراء لمناقشة ذلك الموضوع ؟ » فقال جيمس كالاهان : « كلا ، ليس من الضروري . » وكانت تلك هي النهاية.

كان جون دياموند مذهولاً. وكذلك كنتُ أنا . لم افكّر قط بامكانية احرازي نصرٍ فوري وتوقعت ان يقول لي هارولد ولسون في مجلس الوزراء : « حسناً ، ياديك[1] ، لقد انجزتَ قضية جيدة جداً لكن الموقف

(١) تصغير اسم ريتشارد .

بصراحة خطير جداً ولايسمح بالموافقة على طلبك . » مع ذلك فقد انهار قاضي القضاة فجأة ، واخذ يقول كلاماً هُراءً ، وبالمناسبة ، فان جون دياموند ، مرؤوس قاضي القضاة ، هو الوحيد الذي تكلم عن وضع الخزانة .

ما الذي جعله يستسلم ؟ اعتقد انني أعرف الاجابة . ربما فكر جيداً بأن هارولد ولسون سيكون بعيداً في واشنطن يوم الثلاثاء القادم عند اقرار المسألة وان جورج براون ، الذي سيحل محله ، كان يقف الى جانبي مقدماً وبشكل قوي . وبدلاً من الهزيمة في مجلس الوزراء قرّر ان يحيل القضية الى اللجنة الفرعية المنبثقة عن دائرة تطوير القطاع العام .

نتيجة لذلك ، فان المسألة لن تسجّل في محاضر جلسة مجلس الوزراء . وهذه احدى الاشياء الشاذة في نظامنا . فكلّ مايسجل في محاضر جلسات مجلس الوزراء هو مايُقرّر فعلياً في هذا المجلس . واذا أُحيلت احدى المسائل الى لجنة وزارية ولن تعاد الى مجلس الوزراء عندئذٍ لايسجل شيء في محاضر جلسات مجلس الوزراء حول ماآلت إليه تلك المسألة الخاصة . وقد يظن المرء ان احداً لن يعلم بذلك . ولكن على النقيض ، فكل امرىءٍ في هوايت هول ، حيث تدور الشائعات ، سوف يسمع بهزيمة كالاهان .

بحثت الأمر هذا المساء مع تومي بالوغ من جميع الوجوه هاتفياً ، وكلما فكرت بذلك اكثر كلما ازداد انزعاجي . طبعاً ، كان ينبغي ان يُسمح لي بالفوز . انني ادافع عن قضية عادلة ، ولكن لو كان هناك

سياسة موحدة لمجلس الوزراء لما تهيأت لي الفرصة للفوز . مع ذلك ، بما ان لجنة وزارية فرعية كانت تبحث فقط مسألة تتعلق بالوزارة ، والتي نجم عنها صدام بين وزيرين ، لم اشعر بشيء من المسؤولية تجاه سياسة مجلس الوزراء العامة وعرضت القضية التي تتعلق بوزارتي بقدر ما استطعت . في الحقيقة لم أكن الوحيد المهتم بمصلحة البلد . لكنني كنت الوحيد المهتم برعاية مصالح وزارتي . ولكن ألا يوجد لجنة داخل مجلس الوزراء لتتأكد بأن هناك سياسة لمجلس الوزراء ؟ كلا ، اخشى انه لايوجد . لاتوجد لجنة داخل مجلس الوزراء ، ولا توجد سياسة منسقة حول الشؤون الداخلية ونحن نندفع مع التيار . هذا هو في الحقيقة الدرس المستخلص من هذا الوضع المؤسف .

السبت ، ٥ كانون الأول :

اليوم هو موعد زيارتي الرسمية لِ دودلي (Dudley) ، وستور بريدج (Storebridge) . قررت ان أسافر عن طريق رديتش (Redditch) ، حيث ستُبنى مدينة جديدة ، ثم لالقاء نظرة على ويتهول (Wythall) ، وهي منطقة زراعية قرب بيرمنغهام حيث يحاول اتحاد بيرمنغهام الحصول عليها لاغراض زراعية . ولسوء الحظ كان الجو ماطراً بغزارة : فقد قضى جيمي جيمس (Jimmy James) ، الذي اخذناه معنا من كوفنتري ، وقتاً مُريعاً وهو يحاول ان يريني شيئاً ما ، ومع ذلك فقد اخذنا مجرد لمحة خاطفة للريف الجميل الممتد حول رديتش . ينبغي علينا ان نكون قادرين لانشاء

مدينة كبيرة هناك تعدادها ٨٠٠٠٠ نسمة . ثم ذهبنا عبر مايسمى بالحزام الاخضر لنرى ويتهول . إن مانتساه دوماً عندما نتحدث عن الحزام الاخضر هو ان مساحات كبيرة منه ليست خضراء على الاطلاق . وبالنسبة للمشكلة الحقيقية لي ويتهول ، وهي انها على حدود بيرمنغهام مباشرة ، وصلتُ الى نتيجة وهي اننا اذا أذعنّا هناك فاننا سنجعل جميع التوسع السكاني يمتد خارجاً وسرعان ماتصبح مدينة رديتش الجديدة احدى أحياء بيرمنغهام .

من هناك تابعتُ الى دودلي ، وستوربريدج ، وهي دائرة جورج ويغ الانتخابية . إن التباين بين هاتين المدينتين يدعو للدهشة . إن دودلي عبارة عن منطقة سوداء ترابية ، تشبه جوّ ارنولد بنيت (Arnold Bennet) ، فأعضاء المجلس البلدي يتنازعون ، ويقولون لبعضهم مايشاؤون ، ويسيؤون التصرف معي ، ويشتمون موظفيهم ، ولكن كل هذه الصفات ممزوجة بنوع رائع من الحماس في ارض سوداء وممزوجة بروح النكتة والصلابة . وعلى بعد ثمانية أميال من دودلي تقع مدينة ستوربريدج موجودة خارج الارض السوداء على تخوم وورسسترشاير (Worcestershire) ، وعلى العموم فالجو يختلف كلياً وهو لطيف .

هيأت لي هذه الرحلة بالسيارة أول فرصة للتباحث مع جيمي ، وهو من افضل الموظفين لديّ ، وهو ليس ادارياً محترفاً ولكنه مخطّط يستاء جداً من سيطرة الاداريين في الوزارة . وكنت قادراً بالحديث معه ان اختبر جميع الافكار التي كانت لديّ حول تبسيط نظام التخطيط ، وكذلك ان

آخذ منه بعض الافكار . ونتيجة لحديثي معه ، فقد تكوّن لديّ انطباع بأنه ينبغي ان لايكون لدينا رقابة تتعلق بجمال البناء في الوزارة ولكن رقابة على العمل فقط . كذلك فانني أعتقد أن من المضحك ، كما اخبرني ، أن يكون ثلث تصاريح التخطيط التي تصل الى الوزارة عبارة عن تصاريح لبناء او تغيير منزل واحد . وهذا النوع من التصاريح ينبغي ان يبتّ فيه من قبل مفتش[1] .

بحثت مع جيمي مشكلة اخرى كانت تقلقني كثيراً ، وهي : كيف اتخذ قراراتي بصفتي وزيراً ؟ دعوني اشرح فكرتي هنا . من الناحية الفنية ، كل قرار يتعلق بالتخطيط يتخذ من قبل الوزير شخصياً ، على الرغم من الحقيقة وهي انني في كل تسع حالات من اصل عشرة لا اتخذ فيها قراراً شخصياً . ولكن عندما تكون احدى الحالات هامة بالنسبة لي وتستحق قراري شخصياً ، فكيف اتخذ القرار ؟ هنا لا يوجد قانون ينظم ذلك ، ولا يوجد مجموعة من السوابق القانونية ــ القرارات تتخذ بشكل اساسي وفق المنطق والحكم الشخصي ، لذلك فان مشاهدتي للمنطقة يعتبر حيوياً اذا كنت سأتخذ قراراً هاماً حول السماح بالبناء في الحزام الأخضر . أوضحت كل ذلك لجيمس دنكان جونز ، السكرتير المفوض ، وقلت انني ارغب في الذهاب لمشاهدة الموقف الحقيقي قبل ان اتخذ قراري . فقال لي :« انك لا تستطيع ان تفعل ذلك . فالوزير يجب ان يقرر دون ان يذهب ويرى بنفسه . » فقلت : : « لكن ذلك يعتبر قراراً

(١) تمت التوصية بهذه التغييرات في مشروع قانون قدمه انطوني غرينوود بعد ان اصبحت رئيسا لمجلس العموم .

بدون فهم . وهو يعني حكماً ناقصاً . » وطبعاً كنت على حق . فاذا كنت لااستطيع ان اذهب الى اي مكان لأرى ماهو الموقف الحقيقي فانني لااستطيع ان اتخذ قراراً صحيحاً مبنياً على أسس سليمة ، لكن اعتراض الموظفين مبني على اساس أنني إذا شاهدت موقفاً معيناً فيجب علي أن أرى جميع المواقف. كذلك كان لديهم رأي قانوني آخر وهو أنه بمشاهدة المواقف بنفسي فإنني قد أحصل على دليل جديد لايتوفر للمفتش ويتطلب ذلك استجواباً علنياً آخر . على اية حال ، فانني ارفض ان أُجرف حول هذا الموضوع . في الحقيقة ، بالنسبة للقرية النموذجية التي بنتها شركة سبان في كِنْت[1] (Kent) ، أرسلت جيم ماك كول ليراها بنفسه ، وكنت قد بدأت القيام بزيارات هادئة ومنتظمة ، كهذه الزيارة مع جيمي جيمس ، وبهذا الاسلوب الهادئ من الزيارات الخالية من الضجيج لم تلاحظ زياراتي هذه .

ينبغي ان اضيف ان قرار شركة سبان في هارتلي سَبَّب نوعاً من الذهول ، وبدأ نزاع عنيف بالظهور . في الحقيقة ، عليّ ان ادافع عن نفسي في اول اجتماع تعقده مجموعة الاسكان في حزب العمال الاسبوع القادم . انني متأكد بأنني على صواب في هذه القضية بالذات . وقد أيّد جيمس وجهة نظري بقوة في هذا المجال . جعلني ارى ان المرءَ لايستطيع حقيقة ان يحافظ على جميع هذه الاحزمة الخضراء سليمة ، واذا حاول ، فانه يحدث تسرُّب . والحلّ الافضل هو السماح بالغزو المخطط لهذه الاحزمة الخضراء في بعض اعمال التطوير المركزة ، بقرى نموذجية مثل القرية

---

(١) في هارتلي (Hartley) .

النموذجية لشركة سبان او بمدينة جديدة ، وبعد ذلك يتم المحافظة على باقي المناطق خضراء حقاً .مع ذلك ، سيصبح النزاع حول هارتلي امراً غير ملائم لانه يشمل ارفنغ[1] (Irving) زعيمنا البرلماني المفوض وعضو البرلمان عن المنطقة ، وآرثر سكيفنغتون (Arthur Skeffington) وهو احد اعضاء اللجنة التنفيذية الوطنية ذوي النفوذ : وكلاهما يعيش هناك ولم يُستشر أحد منهما . وأنا متأكد ان جيم ماك كول قد وضع قدمه فيها . بعد ان القى نظرة على المنطقة ، أخبرني أن أقبل بنصيحة الموظفين الرسميين ، لكنه لم يحذرني من السخط السياسي الذي سيحلّ . على اية حال ، فأنا لست خائفاً من ذلك . في الحقيقة انني اتطلع بشكل ايجابي للمجابهة في الحزب .

الأحد ، ٦ كانون الأول :

هذا يوم آخر جميل . ونظراً لإصابة الأطفال بالبرد قررنا البقاء في البيت ، وفي اللحظة التي قمت فيها للقيلولة بعد الغداء قرع جرس الباب ودخل رجل وامرأة ، وقالت آن : « هذا ابن عمك غريت سكوت (Great Scott) الذي اتصل هاتفياً . ونسيت ان اخبرك انه قادم . » وتجولنا داخل المزرعة وبعد تناول الشاي قال الرجل إنه يريد ان يتحدث عن العمل لأنه ــ ثم فجأة كشف عن نفسه ــ « أنا قادم من وزارتك .» فعرفت انه يعمل في شارع غريت كولدج (Great College) حيث يقوم

(١) سيدني ارفنغ عضو برلماني عن منطقة دارتفورد منذ عام ١٩٥٥ .

بتسجيل البنايات التاريخية . ان هذا الشيء الذي أسمعه منه لأعرف في الحقيقة شيئاً عنه رغم كونه جزءاً من عمل الوزارة وعرفت ان هذا القسم يُدار من قبل ابن عم لي . واخيراً اوضح لي بأنه بعد تسجيل منزلي ما ينبغي اعطاء إشعار قبل شهرين لكي يتمكن المالك من اجراء اي تغيير وقال : « لقد سجلنا منزلك ، برسكوت ، في قائمة البنايات التاريخية » . ولم اكن اعرف عن ذلك سوى القليل .

ماهو شعوري وتفكيري خلال الاسبوع المنصرم ؟ اولاً ، في وزارتي . اننا لانتجادل كثيراً واعتقد انهم أخيراً قبلوا قيادتي بالشكل الذي اريده . لكنني أُلاقي صعوبات كبيرة في مكتبي الخاص . فعلى سبيل المثال ، ضبطتُ بريان بونسفورد في حادثة اوشكت ان تسبب سقوطه هذا الاسبوع . كان لديّ عمل صعب وهو الذهاب الى المعهد الملكي للمهندسين المعماريين ومنح الشهادات والجوائز لأحسن تصميم منازل هذا العام . وكانت مناسبة لالقاء خطاب وطلبتُ انجازَ أعمالٍ كبيرة تتعلق بايجازات حول الموضوع . لم تكن هذه الايجازات كافية وكان عليّ ان اتغلب على ذلك في آخر لحظة . وجدت نفسي أتصل باللورد إشَر (Esher) هاتفياً (صديقي القديم ليونيل برت[1] ،Lionel Brett ، الذي سيترأس الاجتماع) وعندما سألته عن الخطاب قال : « لماذا لاتضيف فقرة حول تفوّق إسكان القطاع العام على إسكان القطاع الخاص ، لانه كما تعلم متفوق عليه . » لذا كتبت في الملاحظات : « الاسكان في

(١) مهندس معماري ومخطط لمشاريع كبيرة مثل مشروع مدينة هارتفيلد الجديدة ، واصبح منذ عام ١٩٧١ رئيسا للكلية الملكية للفنون . وورث عن والده رتبة الفيكونت في عام ١٩٦٣ .

القطاع العام متفوق على الاسكان في القطاع الخاص . لماذا ؟ » وعندما وصلت المسودة النهائية هرعت بعد الغداء لألقي عليها نظرة قبل طبعها فوجدت ان الفقرة التي أضفتُها قد حُذفت . فقلت : « لماذا حُذفت الفقرة يابونسفورد ؟ » فقال : « لانها خطأ ياسيدي . انها خطأ ايها الوزير » . فقلت : « ماذا تعني بخطأ ؟ حتى ولو كنت تظن أنها خطأ ينبغي ان تفعل ماأخبرتُك به وان تحضّر الملاحظات لي بقدر ماتستطيع كما هو الحال في نظام الخدمة المدنية . وينبغي عليك ان تقول : « ايها الوزير ، لقد نفذتُ ما طلبت مني لكنني احذرك بأنها خطأ . فلماذا لم تفعل ذلك ؟ » فقال : « لم افعل ذلك ، ايها الوزير ، لانها خطأ . انني لااستطيع ان افعل ذلك . » في هذه اللحظة خرجت من الغرفة غاضباً ووجدت نائب كبير المهندسين المعماريين ، كوكس (Cox) ، فادخلته الغرفة وقلت له : « اخبرني حقيقة ، هل القول بأن البناء في القطاع العام أفضل منه في القطاع الخاص هو ضرب من الجنون ؟ » فقال : « طبعاً لا . انه افضل وكل امرىء يعرف ذلك . ومن أخبرك العكس ؟ » .

هكذا وضعتُ المستر بونسفورد في زاوية . وأخبرتُ جورج موسلي بذلك ثم أخبرتُ السيدة ايفلين ايضاً وكنت اتوقع منهما ان يوافقا على نقله من مكتبي الخاص ، لكنهما كانا متبرمين ، وهما يشعران بأنه رجل قدير ، وان مستقبله ومركزه سيتحطمان اذا اعترفا بفشله واذا نقل . لذا سنرى كيف سيعمل بريان بونسفورد .

بالنسبة للعمل في الوزارة فانني سأصل الى صيغة منظّمة للتخطيط ولكن ببطء . قررت ان اعطي بيرمنغهام منطقة كبيرة للإسكان في

حزامها الأخضر في منطقة ووتر اورتون[1] (Water Orton) ، وأُعلن في الاسبوع الماضي قراري الخاص بانشاء هارتلي ، على نمط القرية النموذجية لشركة سبان ، في الحزام الأخضر في كِنْت (Kent) . انني سانتقل بنفس الطريقة الى قرارٍ كبير آخر وهو : هل نعطي شيفيلد (Sheffield) أو لانعطيها كمية كبيرة من الاراضي للاسكان في منطقة حزامها الاخضر انني اتخذ قرارات التخطيط الثلاثة بتروٍّ لانني قررت ان الحزام الأخضر يمكن ان يسبب اختناقاً للمدينة اذا فُسِّر بصلابة . اننا لانستطيع ان نضع هذا العدد الكبير من الناس الذين يرغبون في الاسكان في مدن جديدة تبعد ثلاثين ميلاً على الجانب الآخر من الحزام الأخضر . علينا ان نجد أماكن اقرب الى المدن لاسكانهم فيها ، حتى ولو اضطررنا في بعض الحالات للاعتداء على الأحزمة الخضراء او لتحويل حزامٍ أخضر الى اربعة او خمسة شرائط . اعرف ان هذا سوف يسبب لي اول مجابهة كبيرة لكنني سعيد بذلك . قررت ان انفذ ذلك واعتقد انها ارضية جيدة للقتال عليها .

تكلمت كثيراً عن شؤون الوزارة . اما بالنسبة لمجلس العموم ، فقد تم انجاز مشروع قانون حماية المستأجرين من خلال اللجنة المختصة . لم اعمل بشكل بارع جداً ولكن بشكل مُرضٍ . وكان عليّ ايضاً ان أُعالج خلال الأسابيع الخمسة الأولى مسألة لجنة حدود الحكومة المحلية . ذكرتُ هذا الموضوع وبحثته مع السيدة ايفلين منذ بضعة ايام ، وتكلمت عن

(١) سميت فيما بعد : شلمزلي وود ، Chelmsley Wood .

ذلك الى زملائي وجعلتهم يوافقون بعد اخذ وردّ بأنني لااستطيع ان أؤخر قراراتي المتعلقة بتوصيات اللجنة اكثر من ذلك وانني ملتزم باتخاذ واعلان هذه القرارات في المستقبل القريب . انها قراراتي الشخصية . ولايستطيع حتى رئيس الوزراء ان يكون له تأثير عليّ في ذلك . إن زملائي يعرفون هذا ، وهذا يعطيني قوة منفصلة غير عادية في معالجتها . علاوة على ذلك فانني استطيع ان أرفع او أُنزل جورج براون في بلبر (Belper) ، وبيرت باودن في ليسستر ، وبيل ولسون[1] في كوفنتري ، وتِدْ شورت في نيوكاسل ، وكل واحد منهم يعرف الآن بأن القرار الذي إتخذه كوزير للإسكان قد يكون بمثابة حياة او موت لهم بالنسبة لتمثيل دوائرهم الانتخابية في وستمنستر .

ماذا عن مجلس الوزراء ؟ حسناً ، لايزال الجنيه يتعرض لهزة وأشعر أن مجلس الوزراء ليس ثابتاً او مستقراً بشكل جيد لان القيادة المركزية ليست موجودة ، وكذلك لايوجد شعور بوجود اسبقيات ، او شعور بفهم مانحتاج اليه . نعم ، لقد حصلنا على رجل شهير بشخصية هارولد ولسون وعلى شخص طيب بشخصية جورج براون ، وحقق كلاهما انجازات فردية هائلة فيما مضى . لكن الشيء الذي لايزال ينقصنا هو السيطرة القوية المتماسكة التي هي عبارة عن سياسة حقيقية . هل أشعر أنا دون زملائي بان برنامجنا التشريعي لايعني شيئاً البتة . اعرف الآن بأننا سنكون قادرين على صياغة اصلاح ملائم في قانون الايجارات سوف يعطينا الثقة ، لكن

---

(١) عضو برلماني عن منطقة جنوب كوفنتري منذ عام ١٩٦٤ ، بعد ان حاول ان يكسب مقعدا نيابيا بدون نجاح في ووروبك وليمنغتون في اعوام ١٩٥١ ، و ١٩٥٥ ، ١٩٥٧ ، و ١٩٥٩ .

مشروع قانون لجنة الاراضي الذي وضعه فرد ويلي يدعو للسخرية . انه لم يفعل اي تفكير أساسي واذا قَدَّم مشروع القانون بشكله الحالي وأصبح قانوناً فسيكون قانوناً فاشلاً . وبالنسبة لتأميم الفولاذ المقدم من قبل « فرِدْ لي » ، فسوف يؤجل حتى شهر آذار لان مشروع القانون مَرَّ بصعوبات ايضاً . اننا نقاسي في هذه الاصلاحات الرئيسية من نقص في التفكير والتصور . وبعد ذلك توجد ايضاً المشكلة التي لم تحل وهي كيفية التعامل بين اعضاء الحزب البرلمانيين من جهة ، وبين ادارة النقل والحزب في الريف من جهة اخرى .

حسناً ، هذه هي يومياتي لهذا الاسبوع . لقد شعرت الآن باستقرار كوزير ، وفي الحقيقة بدأتُ اتساءل ماااذا كان لاينبغي ان اصبح وزيراً ، وان انظم حركة ما في مجلس الوزراء لأؤكد اننا يجب ان نواجه مشاكلنا قبل ان تتغلب علينا وتحطمنا وتجرفنا بعيداً .

الاثنين ٧ كانون الأول :

سيعقد اجتماع هام اليوم للجنة التطوير الاقتصادي ، حيث سيقدم جورج براون مذكرته حول التنظيم الاقليمي . وهذا الموضوع يعتبر حيوياً بالنسبة لي لانه يؤثر على العلاقات بين دائرته الجديدة للشؤون الاقتصادية وبين وزارتي في مجال التخطيط . انني شخصياً منحاز الى جانب جورج براون بصفته وزيراً اول يتحمل مسؤولية الشؤون الاقتصادية ويحقق النجاح لدائرته ولانني مقتنع بأنه ينبغي علينا أن نخفض من أهمية وزارة المالية . وفي

الاسبوع او الاسبوعين الماضيين انزل من قيمة قاضي القضاة ، ولكن كما يحدث دائماً في مثل هذه الحالات على شخص ما ان يدفع الثمن ، وسيكون جزء من هذا الثمن على عاتق جورج لخلقه هذه الدائرة الجديدة ولانه اصبح طموحاً ليستولي على شؤون التخطيط المادي ايضا ، وعلى الصعيدين المركزي والاقليمي . وكان واضحاً ان السيدة ايفلين ستحارب من اجل وزارتها العزيزة وهي وزارة الاسكان ، اما انا فقد اتخذت موقفاً مختلفاً . انني اعتقد انه بدلاً من اللجوء الى المعركة بين دائرة الشؤون الاقتصادية وبين وزارة الاسكان ينبغي ان اقف الى جانب جورج وان أدعِّم حصوله على السيطرة الكاملة في مجال التخطيط ، والآن جاءت المرحلة الثانية : جورج براون يحاول ان يؤسس حكومة اقليمية ، وفي هذا المجال ينبغي استشارة وزارة الاسكان والحكومة المحلية بشكل حقيقي . رجوت جورج ان لاينشر اي اعلانٍ كبير حول الحكومة الاقليمية . لكنه كان هنا مع زملائه الاثني عشر حول المنضدة ، وهو مصمم على المضي قدماً . اخشى ان اتصرَّف بأسلوب ردّ الفعل ، وان اعتمد على قوتي الوزارية واقول ببساطة : « انظر ايها الوزير الاول ، مهما يكن التخطيط الاقتصادي التي تختار ان تفعله ، فانك لاتستطيع ان تمسّ سلطتنا في وزارة الحكومة المحلية المتعلقة بتخطيط موارد الاراضي لهذا البلد .» كانت النتيجة حسنة . فقد اكد لي بأن الكلمة الاخيرة حول الموضوع ستكون لي كما استطيع ان احذف أي شيء لا أريده .

حدث شيء هام بعد الظهر ، وهو اجتماعي الاول بالسير ملنر هولاند (Milner Holland) ، والبروفسور دونيسون (Donnison) ،

راك (Ruck) ، وهم اعضاء لجنة ملنر هولاند . شُكلت هذه اللجنة من قبل سَلَفي كيث جوزيف (Keith Joseph) ، اثناء فضيحة راشمان[1] (Rachman) . كانت شروطهم في دراسة الموضوع هو تقصي حقائق ظروف المالكين والمستأجرين للاملاك الخاصة في لندن ووضع تقرير يتضمن الحقائق بدون توصيات . تحول السير ملنر هولاند ليصبح محامياً كثير اللغو يهتم بنفسه . واصبح واضحاً لي بان التقرير لن ينشر في الوقت المحدَّد أثناء طرح مشروع قانوننا الكبير ، أي في كانون الثاني او شباط . وكانت هذه أنباء سيئة . على اية حال ، فقد سررت لأنني وجدت أن ملنر وزملاءَه متفقون معنا على مبدأين مركزيين — اولاً ، ينبغي ان يكون هناك رابطان في نظامنا الجديد المنظَّم للايجارات وهما : التوفيق ثم مجلس القضاء ، وثانياً يجب ان نجد صيغة لاتعني زيادة قيمة الفائدة . وكانت هناك نقطة ثالثة — وهي نقطة خصام — هل ينبغي ان نضيف المساكن المفروشة الى مشروع القانون ام لا ، وكان ملنر يقف كلية الى جانب اضافة المساكن المفروشة ، وهذه النقطة تسبب لي صداعاً مريعاً لان الوزارة كانت تأمل في استبعادها لمشروع القانون[2] .

(١) استغل راشمان مواد قانون الايجارات لعام ١٩٥٧ واصبح في القمة بعد ان كان مالكا بسيطا في منطقتي نوتنغ ، وبادينغتون .

(٢) برهن استبعاد المساكن المفروشة من مشروع القانون على انه نقص مميت له كما سبّب ضررا غير متوقع . كانت هذه المسألة تثار من قبل الموظفين لاسباب ادارية بحتة . فكانوا يقولون بأنهم لايستطيعون انجاز مشروع القانون في الوقت المحدد . كان ينبغي عليّ ان اكون أشدّ صلابة وان أُصرّ على اضافة المساكن المفروشة لمشروع القانون وفقا لنصيحة ملنر هولاند السليمة . على اية حال ، فان لجنة فرانسيس أوصت باضافة ذلك عام ١٩٧١ ، ووعدت ادارة المحافظين الجديدة بادخالها في مشروع القانون .

ثم سألته ما إذا كانت مجالس القضاء ستكون قانونية أم لا فقال بأنه ينبغي أن لا تكون قانونية مهما يكن السبب . فالمستأجرون لا يثقون بالمالكين . ووقف هنا إلى جانبي ضد السيدة إيفلين . وقال : « كلا ، ينبغي أن تشكل من أُناس عاديين ، مخططي مدن وربات بيوت ، وعلى المرء أن يفعل كل شيء ممكن لابعادها عن التركيب القانوني[1] . وفي الحقيقة ينبغي ان تسمى لجان تخمين الايجارات ، وليس مجالس قضاء تجنباً للمظهر القانوني .»

بعد ان انتهيت من هذا الاجتماع وجدت النائب وادل يحوم حولي ويقول لي : « أيها الوزير ، هل يمكن ان تتقدم بهذه المذكرة الى مجلس الوزراء ؟ » ووضع في يدي مسودة حول مشروع قانون الإيجارات . لقد أنهينا بحثنا الرئيسي المتعلق بسياسة العمل وذلك بالاجتماع الكبير الذي تمَّ في الاسبوع الماضي واستغرق وقتاً طويلاً من الليل مع آرنولد غودمان وجميع المستشارين من خارج الوزارة ، لكنني تركت كتابة المسودة المتعلقة بسياسة العمل التي اتفق عليها لِي وادل واخبرته ان يأخذ محضر جلستنا ومذكرة آرنولد الجيدة وان يحولها الى مذكرة واحدة لمجلس الوزراء . وبينما كنت انتظر عند باب غرفتي ألقيت نظرة على مسودة وادل . عملياً كان كل شيء انجزناه في اجتماع الاسبوع الماضي الذي استمر حتى ساعة متأخرة من الليل مع آرنولد قد حذف من المذكرة ، واصبحت مجرّد وثيقة

(١) في نفس الوقت الذي كانت السيدة ايفلين تعتقد فيه بان اللجان يجب ان تكون هيئات قانونية ، فقد شاركت في وجهة النظر بأن مجالس القضاء ينبغي ان تشكل من « مواطنين عاديين » وليس من مجالس القضاء البلدية .

دواوين . ولم تكتب المذكرة باسلوب الدواوين فقط ، بل عدنا الى الوراء مسافة أربعة اخماس الطريق الى السياسة التي تريدها الوزارة من توصيات غودمان . كانت المذكرة تتضمن افكار السيدة ايفلين وافكار وادل وليس افكار دونيسون او افكار غودمان ، او حتى افكاري .

انتابتني موجة من الغضب . وعدت الى غرفتي وقرأت المسودة فقرة بعد فقرة مع وادل ، وتذكرت انني على موعد للعشاء الساعة ٤٥ر٦ مع المقاولين الستة الكبار الذين يعملون في مشاريع الاسكان الخاصة بالسلطة المحلية . اتخذت السيدة ايفلين الترتيبات اللازمة لذلك العشاء في نادي اكسفورد وكامبردج . حسناً ، انني لايمكن ان اتحمل هذه المسودة . وعليّ ان امكث واجلس مع وادل وان اشرّح المذكرة . في الحقيقة كان تصرفي يشبه تصرف رئيس التحرير قاسي القلب . لايوجد شيء في المذكرة . انهم يحاولون باصرار وعناد تبني وجهة نظر الوزارة على الرغم من توجيهات الوزير الواضحة . انهم يتصرفون بنفس الطريقة التي تمت حول ستيفنيج . فعندما يغمض المرء عينيه فان الصفة الوظيفية تؤكد نفسها ثانية في دائرة عمل الشخص المسؤول . وهكذا فان هذه الطريقة الأزلية في دواوين الحكومة تسير قُدُماً . وبما أن أمانة سرّ مجلس الوزراء تحوّل بشكل دائم الاجراءات الفعلية للمجلس على شكل محاضر جلسات للمجلس ، فان الموظفين هنا في وزارتي يكتبون دائماً مايعتقدون بانني ينبغي ان اقوله وليس ماقررته فعلاً .

انتهيت من إعداد المسودة بشكل جيد بعد الساعة الثامنة وأسرعت الى النادي حيث وجدت السيدة ايفلين تقوم بتسلية موريس لينغ ، وماك

ألباين (Mc Alpine) والآخرين . تناولنا عشاءً في جوٍّ حيوي . اذا كنا نريد حقيقة ان يسير تصنيع البناء قُدُماً فان ذلك سيتم فقط من خلال التعاون بين هؤلاء الرجال . يصرّ دونالد جيبسون (Donald Gibson) ، الذي كان مهندسنا المعماري في كوفنتري والآن هو كبير المهندسين في وزارة الأشغال ، على ان نؤسس على الاقل ١٦ مصنعاً للأجزاء الرئيسية من المباني المصنّعة ، وهنا وجدت لينغ وماك ألباين يقولان نفس الشيء. لكن الصعوبة كشفت عن نفسها عندما عبّر كل منهما عن شكوكه فيما اذا كانت الحكومة مستعدة في فترة الازمة والصعوبات الاقتصادية ان تدعم البناء المصنّع ، وفيما اذا كنا سنخفض البرنامج الاسكاني[1] .

الثلاثاء ، ٨ كانون الأول :

وصلنا مرحلة قراءة التقرير ، القراءة الثالثة ، لمشروع قانون حماية المستأجرين وأرسلناه الى مجلس اللوردات . وأكّد لنا المحافظون باننا اذا أخّرناه مدة يومين واخذوه هذا الثلاثاء فانهم سينجزونه الساعة الثامنة ، لذا فتقديمه الساعة التاسعة والنصف لم يكن سيئاً للغاية . اخذنا احتياطاتنا هذه المرة لجعل المدعي العام يجلس معنا على المقعد . وهذا جعل السير جون هوبسون يظل في مكانه . كان النقاش الوحيد الحقيقي والهام على المساكن المفروشة ، وكان هذا النقاش غير متوقع ، وقد بدأه المحافظون . فالمحافظون الذين يمثلون المناطق التي تضم منتجعات متاخمة للبحر جاؤوا

(١) كانا حكيمين في ارتيابهما . لقد خُفِّض البرنامج الاسكاني عندما تأزم الموقف الاقتصادي .

ليقولوا بانه حسب مشروع القانون هذا فان صاحبات المساكن المفروشة سيحلّ بهن الدمار لان الناس الذين يجيئون من اجل الصيف سيضطرون لدفع أسعار أعلى . واستطعت ان ابرهن ان هذا القول هو مجردّ هراء[1] . علاوة على ذلك ، فانني اتوقع ان اجد لمشروع القانون البسيط هذا صدى كبيراً لدى الشعب . وهذه الشعبية هي بالتأكيد لصالح اعضاء حزب العمال البرلمانيين .

الاربعاء ، ٩ كانون الأول :

لديّ اجتماع في ادارة النقل ، لاجراء مباحثات خاصة مع لِنْ وليامز Len Williams حول لجنة حدود الحكومة المحلية . أكّد لِنْ وليامز بأنني اذا انجزت توصيات اللجنة ، فمن المحتمل ان نفقد مقعد هربرت باودن في ليسستر ، ومقعدين في نوتنغهام ، ومقعد بيل ولسون في جنوب كوفنتري . اننا سنفقد هذه المقاعد ليس في الانتخابات القادمة طبعاً ، ولكن في الانتخاب القادم الوحيد بعد ان تُراجع لجنة الحدود البرلمانية حدود الدوائر الانتخابية . ثم توجهت الى المعهد الملكي للمهندسين المعماريين لافتتاح معرض يضم اعمال مجموعة البحث والتطوير في وزارتنا ، وهي المجموعة التي زرتها في الاسبوع الماضي عندما انزعجت بسبب مخطط مدينة اولدهام .

(١) في الحقيقة كان هذا القول هراء . فلم يكن لدي اية شكوى حول ذلك ، بالرغم من التنبؤات الواثقة بحدوث ذلك من قبل عدد كبير من اعضاء حزب المحافظين الذين يمثلون الدوائر الانتخابية المتاخمة لساحل البحر . وكان هذا اول ظهور برلماني فعّال ومعقول بالنسبة لي كوزير .

من هناك ذهبت لرؤية لجنة حدود الحكومة المحلية عبر الشوارع المكتظة بالمتسوقين بمناسبة عيد الميلاد . ان اعضاء اللجنة عبارة عن اشخاص متقدمين بالسنّ ويحبون المبالغة ، ومضطربين نوعاً ما بسبب مقابلتهم لوزير يحمل أفكاراً قوية نابعة من ذاته حيث هم معتادون على التعامل فقط مع السكرتيرين الدائميين . وبعد الغداء تحدثت مع الموظف الذي سيكتب قراريْ التخطيط الكبيرين حول ويتهول وشلمزلي ووذ . اخبرته بما اريد ان اقول واعطيته تعليمات دقيقة حول كيفية كتابة القرارين .

بعد ذلك ، كان لديّ اجتماع مع الاتحاد الوطني لمالكي العقارات حول مشروع قانون الايجارات : مجموعة كبيرة من الرجال الرائعين المهتمين بأن يروا الفقرة العادلة المتعلقة بالايجارات عادلة بالنسبة لهم . بعد ذلك ذهبت الى غرفة قاضي القضاة مباشرة لبحث معدل فائدة جمعيات البناء . وبما ان الموقف الاقتصادي لايزال غير جيد ويوجد نقص مستمر بالثقة ، هناك طبعاً ، ضغط على الجمعيات كي ترفع معدل الفائدة ويطلب قاضي القضاة منهم بشدة ان يتراجعوا ويحثهم ليؤجلوا القرار على الاقل الى مابعد عيد الميلاد . وكان واضحاً اننا نناضل ضد المدّ .

بعد ان ذهب اعضاء جمعيات البناء جلست مع كالاهان وتحدثنا معاً . لم أشعر بأن قلبه الى جانب عمله . وفي الحقيقة ، أعتقد أنه غير سعيد بالمرة وحاولت ان اشدّ من عزيمته وان ابحث نوع القتال ، والخطابات التي سنلقيها دفاعاً عن النفس في مؤتمر الحزب في نهاية

الاسبوع . إن السعي لمصادقة كالاهان فكرة جيدة ، فوجدت انه يحدثني كثيراً .

بعد ذلك ، كانت هناك سلسلة من الاجتماعات تتعلق بوزارتي ، وكان أهمها الاجتماع الذي عقد حول قراري الثالث الكبير المتعلق بالتخطيط ـــ اقتراح شيفيلد للبناء في حزامها الأخضر . حاولت السيدة ايفلين ان تكرهني على اتخاذ قرار سريع لانتهاك الحزام الأخضر حول شيفيلد كما فعلتُ في كِنْت ، لكنني الآن فكرت ملياً وقلت : « كلا ، لم يحن الوقت بعد . » لقد قررتُ ان اذهب هناك وارى بنفسي .

ثم ذهبت الى مجلس العموم ودعوت تومي بالوغ وبيتر شور الى العشاء ـــ وهنا حادثة اخرى غير سعيدة . كان بيتر غير مسرور وغير مرتاح البال فهو الآن رسمياً عضو في أمانة سرّ مجلس الوزراء بمرتب ستة آلاف جنيه سنوياً ، انه موظف مؤقت . له مكتب جميل ، وقد زرته منذ بضعة أيام ، وهو في الحقيقة مستشار هارولد الخاص . لكنه ، قرر ان يهاجم جهاز الخدمة المدنية بكامله . وقد أخبر هارولد سابقاً بأنه ينبغي عليه ان يصرف هلسبي (Helsby) ، رئيس الخدمة المدنية ، من الخدمة ، ووضع نفسه في مجابهة مع جورج ويغ ، المستشار الخاص لهارولد في المبنى رقم (١٠) ووجدت تومي يشعر بالعزلة والتعاسة .

الخميس ، ١٠ كانون الأول :

اكبر عمل لدي اليوم هو اللجنة الوزارية التي ستجتمع من اجل

مشروع قانون الايجارات . لقد أقنعت هارولد بأن لايدع مشروع القانون يذهب الى لجنة الشؤون الداخلية العادية ولكن الى لجنة تختار خصيصاً لنضمن نجاحه . كان من بين اعضاء اللجنة اللورد رئيس المجلس ، ومايكل ستيوارت ، وويلي روس (Willie Ross) وزير الدولة لشؤون اسكتلنده ، والمدعي العام ، ومدعي عام اسكتلنده ، ودوغلاس هوتون ، والسكرتير المالي للخزانة ، نيال ماك ديرموت[1] (Niall Mac Dermot) . وكان لدى مايكل ستيوارت وجهات نظر قوية طبعاً بصفته احد أعضاء مجلس مدينة لندن القدامى وكان نيال ماك ديرموت ذا رأي سديد ويتحدث ليس كسكرتير مالي بل كخبير في الايجارات . استغرق الاجتماع ساعتين ، وكان جافاً في الحقيقة لكنني سررت به . وكان افضل اجتماع حضرته من اجتماعات اللجان الوزارية لان المعارضة كانت عنيفة وذات خبرة . وكانت الأمور بخصوص مشروع القانون على أحسن مايرام .

بعد ان انتهى ذلك الاجتماع دعوت السكرتيرين البرلمانيين على الغداء . ثم ذهبنا جميعاً الى مجلس العموم للاستماع الى بيان جورج براون حول « التخطيط الاقتصادي الاقليمي » . كنت خلال يوم امس وصباح هذا اليوم اجري مفاوضات مستمرة حول المسودة . لقد عرفنا مصادفة ان كلمة « الاقتصادي » قد أضيفت عند الكتابة العادية[2] بعد كلمة « التخطيط » كامتياز لي ، لذا جاء النص « التخطيط

(١) عضو برلمان عن منطقة شمال ديربي من عام ١٩٦٢ ــ ١٩٧٠ . وفي عام ١٩٦٧ اصبح وزير دولة للاسكان والحكومة المحلية .

(٢) المقصود هو نقيض الكتابة المختزلة .

الاقتصادي الاقليمي » بدلاً من « التخطيط الاقليمي » وكذلك كتبتُ في البيان تأكيداً واضحاً بأنه لاشيء في هذه المسودة سوف يؤثر على الصلاحيات القائمة للسلطات المحلية فيما يتعلق بالتخطيط . ويبدو ان مشروع القانون سيسير بشكل جيد في مجلس العموم ، والسبب في ذلك هو ان الناس سوف يستغرقون بعض الوقت حتى يكتشفوا كيف اصبح مشروع القانون غير ملائم وبدون معنى .

ثم حضرت اكثر اجتماعات اليوم حساسية ، وهو الاجتماع الاول لمجموعة الاسكان والحكومة المحلية المنبثقة عن كتلة الاعضاء البرلمانيين لحزب العمال . كان الاجتماع يضم حوالي ستين شخصاً. قدّمت بياناً محضراً بعناية حول سياسة الاسكان بشكل عام . على اية حال ، كنت اعلم بالمشاكل التي ستحدث مع اعضاء كِنْت حول هارتلي . وقد هوجمت هذه القضية بعنف من قبل افضل الصحف ، وكان مجلس المقاطعة الريفي هناك من حزب العمال ، وقد استشاط الغضب بكثير من الاعضاء البرلمانيين لحزب العمال ، خاصة نائب الزعيم البرلماني . لقد انتهيت من الجزء السهل من الاجتماع حينما قرع الجرس ايذاناً ببدء الاستراحة . وعندما عدنا للاجتماع بدأ أعضاء كِنْت البرلمانيين بالعمل ، وبشكل خاص سيدني إرفنغ ، ونورمان دودز ، وشنوا هجوماً عنيفاً . وبينما كنت اراقب ردود فعل الاعضاء الذين ليسوا من مقاطعة كِنْت ، ادركت مدى اهمية الحزام الأخضر وكيف اصبح بقرة مقدسة في الاوساط التقدمية ومدى الصعوبة التي يلاقيها الوزير عندما يعرض قضية خاصة في مثل هذه اللجنة الكبيرة . وعدت الى مقعدي وانا انتظر في صبر هبوب العاصفة

وبعد ذلك ذهب بوب مِليش باخلاص الى اعضاء لندن واخبرهم ان يسلكوا سلوكاً حسناً . انني سعيد ان اقول هذا على الرغم من النزاع الذي بيننا والذي لم ينحسر بوصة واحدة .

الجمعة ١١ كانون الاول :

بدأنا باجتماع في مجلس الوزراء حيث قدم هارولد ولسون تقريراً عن زيارته لواشنطن . ان هذا التقرير لايظهر بوضوح في يومياتي لكن الاسبوع في الحقيقة كان يهيمن عليه انباء هذه الزيارة الاولى لرئيس الوزراء ووزير الخارجية ، ووزير الدفاع الى ليندون جونسون في واشنطن . عادوا من هذه الزيارة يوم الخميس وجاؤوا الى مجلس الوزراء ليقدموا لنا تقريراً كاملاً . دَوَّنْتُ ملاحظاتٍ حول هذه المناسبة وأنا في مجلس الوزراء وسأذكر هنا ملخص لخطابه الاولي.وستكون مقارنة بين ما دونته كما قيل وبين ما ذكرت أمانة سرّ مجلس الوزارء ما قاله رئيس الوزراء ، شيئاً مشوقاً .

بدأ خطابه بالقول بأنه كان هناك مؤتمران ، أحدهما حدث فعلاً والآخر ماكتبتْ عنه الصحافة البريطانية . وأنَّب صَنْ (Sun) لارسالها تقارير خيالية ، خاصة ماقالته بأن رئيس الوزراء قد باع بلاده مقدّماً حول مسألة القوة المتعددة الاطراف . وقال ايضاً أن توجيه مسدس لرأسه حول فيتنام غير صحيح . وقال ان المؤتمر كان كالبصلة التي تقشّر ، فعندما تنزع الاوراق الخارجية تصل تدريجياً الى اوروبا في المنتصف وكانت اكثر الحقائق تشجيعاً حول المؤتمر هي تأكيد امريكا على دور بريطانيا الواسع

في العالم ، وقد تم التعبير عن هذا الخط أثناء حديث اجراه دينيس هيلي مع مكنمارا وهما في الطائرة الى اوماها (Omaha) . وانحرف مكنمارا عن طريقه عندما اكد اهمية دور بريطانيا شرق قناة السويس . وتابع هارولد قائلاً ان المؤتمر ابتعد عن اية نظرة قلق حول الحلف الى مباحثات ايجابية حول المحافظة على السلام ومقترحات نزع السلاح الجديدة .

ثم انتقل الى المشاكل الاقتصادية . فقال ان الامريكيين قد أبدوا تفهماً كبيراً للنقطة التي أثارها بنفسه والمتعلقة بمخاطر الالتزام بالنسبة لنا . وابدى ليندون جونسون نفسه اهتماماً كبيراً حول الموقف الذي نمرّ فيه ووعدنا بكل مساعدة . واشاد ايضاً بالمساعدة التي قدمناها له إبّان الانتخابات وبكل ماعنته خطابات هارولد ولسون بالنسبة له . (وجدت ان كلامه هذا مضحك للغاية لكنني اخشى ان تكون الفكاهة غير مقصودة في حديثه كلية) .

وقال هارولد بأنه لم يطلب قرضاً جديداً ، لانه اكتشف ان الامريكيين مستعدون لتقديم المساعدة ، وهم قائمون بتخفيض نفقات الدفاع الخاصة بهم لذا فهم ينظرون الينا بعين العطف اذا حذونا حذوهم . وانتقل هارولد بعدئذٍ الى مشكلة تخفيض النفقات بواسطة الإسهام في جهد مشترك مع الامريكيين . وقال ان هذه هي الامكانية المتوفرة والاكثر فائدة وهي الاسهام في صنع اسلحة مشتركة ، والاسهام في البحث والتطوير المشترك ، ويجب ان يكون لدينا ميزانية دفاع انكلو ـــ امريكية حقيقية وبنّاءة ومعقولة . وبصريح العبارة ، لقد ركّز الامريكيون على صنع

هياكل الطائرات ونحن ركزنا على صنع محركات الطائرات ، وهذا يعطينا فرصة للتعاون المفيد .

ثم انتقل الى الحديث عن اوروبا ، فقال إن الجوّ كان مختلفاً عما توقّع . فالرئيس الامريكي يشعر بقوة مثلما نشعر بخطر انتشار الأسلحة النووية ـــ ثم أشار هارولد الى مشاكل الصين والهند ، فقال إن الحدّ الفاصل الكبير الذي يمنع انتشار الأسلحة يمكن ان يتلاشى اذا وجدت الهند نفسها مجبرة لصنع سلاح نووي تحت التهديد الصيني . وقال إن بامكان الهنود ان يصبحوا قوة نووية في غضون ثمانية عشر شهراً في حال اقرارهم لذلك . وهذا خطر حقيقي جداً .

ثم تحدث عن فيتنام فقال إن الرئيس الامريكي نفسه ملتزم بعمق في فيتنام وطلب منه على الفور تعهداً عسكرياً بريطانياً . فقاوم هارولد الفكرة ، ماعدا العرض الذي قدّمه للاستفادة من قواتنا المدربة على حرب الادغال في الملايو وكذلك فرقنا المضادة لعمليات التخريب . وهو لايعتقد بأن الامريكيين يتوقعون منه حقيقة ان يستجيب لطلبهم ، فهم لايريدون وجود الجنود البريطانيين بقدر مايريدون وجود العَلَم البريطاني . وقد أقنع الامريكيين كي لايربكوا وزير خارجيتنا الذي يتقاسم مع الروس رئاسة مؤتمر جنيف . وقد أنهى حديثه بالاشارة الى أهمية البلاغ المشترك وأثار الانتباه الى الفقرة الاخيرة منه ، مؤكدا استمرار البحث على جميع المستويات . بحيث ، نحن البريطانيون ، علينا ان نشترك في جميع المؤتمرات عبر الاطلسي . وقال هارولد : « إنهم يريدوننا ان نكون معهم . يريدون افكارنا الجديدة البنّاءة بعد حقبةٍ من الإمحال . فنحن الآن في مركز يؤثر على

مجريات الاحداث أكثر من اي وقت مضى منذ عشر سنوات . » .

كانت تلك نهاية ملاحظاتي حول حديثه الذي استمر نصف ساعة . وعندما تكلم غوردون ووكر عن الساعات الخمس التي قضاها مع مكنمارا وهما في الطريق الى أوماها شرح انظمة السلاح التبادلية التي بيّنها مكنمارا كي يختار منها البريطانيون ما يلائمهم . وقال إنه وجد مكنمارا كما كان يرغب تماماً ، وكانا يعملان معاً بشكل يدعو للإعجاب . ثم طُرح الموضوع للبحث فسأل كالاهان على الفور بطريقته المألوفة : «حسناً ، اين سيكون التخفيض في ميزانية الدفاع ؟ » فأجاب ولسون بأنه سيكون هناك اولاً : تخفيض في تكاليف الأسلحة ، فشكراً لنظامنا الخاص بالجهد المشترك في البحث والتطوير ، وثانياً : تخفيض في الالتزامات العسكرية فيما وراء البحار . ثم أبدى هيلي ملاحظة بأنه يمكن توفير مئات الملايين من الجنيهات التي تصرف على الأسلحة بالجهد المشترك مع الامريكيين وأضاف بأنه يمكن ان يكون هناك توفير عن طريق العمل المشترك في المحيط الهندي وفي بقاع اخرى من العالم خارج اوربا . ثم ألقى كالاهان خطاباً حول نفقات قواتنا في المانيا ، التي قفزت من عشرين مليون جنيه الى خمسة وستين مليون جنيه نتيجة الاتفاقية المشؤومة التي وقّعتها الحكومة السابقة في تموز عام ١٩٦٣ .

ثم سألتُ عن دورنا الواسع في العالم : « اذا كان الامريكيون يرغبون في ان نأخذ دوراً عالمياً واسعاً فماذا يعني ذلك بالنسبة لنا على ضوء الالتزامات العسكرية ؟ » فأجاب هيلي بأن مايريدوننا ان نفعله ليس الاحتفاظ بقواعد كبيرة ولكن الاحتفاظ بموطىء قدم في هونغ كونغ ،

والملايو ، والخليج العربي[1] ، تمكيننا من عمل أشياء للحلف لايستطيعون القيام بها . وهم يعتقدون بأن قواتنا مفيدة للحلف خارج اوروبا اكثر منها في المانيا .

حسناً ، تلك هي نهاية ملاحظاتي عما جرى في مجلس الوزراء . إنه لأمر مشوق ان نقارن بين ما أخبرّنا به هارولد بسريّة وبين ماقرأته في اليوم التالي في تقرير جون فريمان[2] (John Freeman) عن محادثات واشنطن في صحيفة نيوستيتسمان (New Statesman) ، أو في تقرير هنري براندون (Henry Brandon) في صحيفة صاندي تايمز (Sunday Times) . لم يخبر هارولد المجلس بأشياء لم تعط للصحافة .

أخذت آن بالسيارة من فنسنت سكوير واتجهنا الى محطة فكتوريا لنأخذ قطار الساعة الرابعة بعد الظهر الى برايتون (Brighton) لحضور مؤتمر حزب العمال[3] . ونزلنا هناك في جوّ جميل لكنّ ذلك كان آخر مشهد لنا للشمس . ومنذ ذلك الحين بدأ هبوب الريح وكنا خلال اليومين التاليين في بحر من الضباب .

---

(١) جاء في النص : الخليج الفارسي – المترجم .

(٢) عضو برلماني عمالي عن منطقة واتفورد Watford ومن كتلة بيفان، من عام ١٩٤٥–١٩٥١، عندما استقال من منصبه في وزارة التموين بسبب مسألة اعادة التسليح. وكان يعمل صحفياً مثل كروسمان، في صحيفة نيوستيتسمان، وفي عام ١٩٥١ اصبح مساعد رئيس تحرير، وخلف كنغسلي مارتن Kingsley Martin في رئاسة التحرير عام ١٩٦١ ، عمل كمندوب سامي في الهند من ١٩٦٥–١٩٦٨ ، وسفيرا في واشنطن من ١٩٦٩–١٩٧١ . ومنذ عام ١٩٧١ اصبح رئيساً لتلفزيون لندن المسمى بتلفزيون لندن لنهاية الاسبوع .

(٣) لقد تأجل المؤتمر السنوي لحزب العمال بسبب الانتخابات العامة من شهر تشرين الأول الى شهر كانون الاول . وعقد المؤتمر في عطلة نهاية الاسبوع ، بدلاً من ايام الاسبوع العادية .

في الساعة السادسة مساءً دخلنا في نزاع عنيف مع الاعضاء الاتحاديين في اللجنة التنفيذية الوطنية نتيجة إحالة هاري نيكولاس (Harry Nicholas) على المعاش من وظيفته في أمانة الخزانة . ان التفصيلات لاتهم[1] . لكن هذا يُظهر للمرء كيف ان النزاع القديم بين اتحادات نقابات العمال والمفكرين لايزال مستمراً .

السبت ، ١٢ كانون الأول :

كان الطقس سيئاً والصباح كئيباً في قاعة المؤتمر . لكنني وجدت نفسي جالساً على المنصة بين بربارة كاسل وجيم كالاهان ، ونتيجة لذلك استطعت ان احصل على الكثير من المعلومات عما كان يجري في وزارة الخزانة ووزارة تطوير ماوراء البحار . وبينما كانت مناقشة الاشتراكيين الصغار جارية ، كان جيمس كالاهان يخبرني عن خطورة الموقف الاقتصادي . مسكين جيمس ، انه سيطير الى باريس ليحاول الحصول على أموال اكثر واعتقد انه اخبرني (سمعت هذا في وسط ضجيج الخطابات) بان الاحتياطي يكفي فقط لمدة عشرة أيام واذا لم ينقطع نزيف الجرح خلال تلك المدة ، فسنكون مجبرين على تخفيض قيمة العملة وسيتبع ذلك انتخابات عامة على الفور . كانت جميع هذه المعلومات عبارة عن نُتَفٍ وقطع خرجت من فمه خلال الجلسة . تناولت طعام الغداء أنا وآن مع سيدني جاكوبسون (Sydney Jacobson) ، وبام بيري

(١) على كل حال ، نشرت بالتفصيل في صحف اليوم التالي .

(Pam Berry) وهارولد هتشنسون (Harold Hutchinson) . وقد حذرت هارولد هتشنسون من ان هارولد يشعر بضيق شديد وبغضب من صحيفة صَنْ (Sun) . خرجت من قاعة الطعام بعد تناول الغداء فقابلني هارولد وقال لي : « اذن انت تتناول طعام الغداء في معسكر الأعداء .» ظننت انه يمزح لكنه لم يكن كذلك ، وهذا يُظهر مدى استيائه من النقد الذي توجهه الصحافة .

كل هذا اصبح اكثر وضوحاً عندما ذهبت الى المؤتمر واستمعت الى خطابه بعد ظهر ذلك اليوم . كان المؤتمر متألقاً بدون شك . وكان لديه يوم واحد فقط لاعداده منذ عودته الى لندن . وعمل بشكل جيد للغاية . لكن المؤتمر بالنسبة لي كان مخيباً للآمال بشكل محزن لأنه كان مجرد مؤتمر استعراضي ، وكانت اعماله تافهة وقد شُنَّ هجوم كبير على صحيفة ايفننغ ستاندارد (Evening Standard) ، وهذا لايليق برئيس للوزراء . لم يبدُ لي انه اصاب الهدف الصحيح كرئيس للوزراء فهو بالتأكيد لم يشحن شعبنا بالعزم والتصميم لمجابهة الصعاب القادمة . انني اعرف جيداً كوزير للاسكان بأنني مهيأ لشرح الحقيقة وهي أن السلطات المحلية لن تحصل على الاموال من اجل بناء المساكن . انها ستخفض برنامجها الاسكاني ، وان جمعيات البناء ستتقاضى ٦٫٧٥٪ وتمنع البناء الخاص . والحقيقة ايضاً هي انه سيتم سحب جزء من العملة المتداولة لمنع التضخم . وهذا ماأشعر به حتى عظامي . لكنه لم يُذكر وهارولد ولسون ينكر ذلك باغتباط . هذا ماوجدته غير مرضٍ في خطابه .

تناولنا عشاءً ممتعاً مع عائلة ليولن — دافيز

(LLewelyn - Davieses)وأخـــذتُ بات ليولـــن ـــ دافيـــز (Pat LLewelyn - Davies) الى الجناح الخاص في منزلي وأطلعتها على غرفه وقاعاته .

الأحد ، ١٣ كانون الأول :

يجب ان اقول انني توقعت حدوث جدل عقيم هذا الصباح لكن ، لدهشتي ، انقلب الى فوز عظيم . لن اسجل ذلك لان ماحدث حقيقة من وجهة نظري هو ان كالاهان استمر في التحدث معي اثناء القاء الخطابات حول الموقف المفزع . وعندما كنت استمع الى ذلك ، كنت اتحدث الى هارولد كوليسون (Harold Collison) ، السكرتير العام لاتحاد العمال الزراعيين[1] ، حول طريقةٍ لحل مشكلة الاكواخ الزراعية . الشيء الآخر الوحيد الذي اتذكره هو مراقبة هارولد ولسون وهو يعتلي المنصة ويقف مثل نابليون صغير عندما كانت تلتقط له الصور . في الحقيقة تحدث معي ثلاث او اربع دقائق ونحن نصعد الدرجات اثناء التقاط الصور لنا . وقال لي : « انك حصلت على العشرين مليون جنيه من كالاهان ، واعتقد انك مسرور لذلك ، فهو نصر كبير لك . كما ان مشروعك لحماية المستأجرين اصبح له شعبية ، اليس كذلك ؟ » فقلت له : « نعم ، ان ذلك صحيح ، لكنني واقع في مشكلة حول الحصول على الاموال من

---

(١) تولى هذا المنصب من ١٩٥٣ ـــ ١٩٦٩ ، حيث اصبح رئيسا للجنة المنافع الاضافية . وفي عام ١٩٦٤ منح لقب نبيل مدى الحياة .

جمعيات البناء واريدك ان تكون متأكداً بانني استطيع الحصول على بعض الاموال لأعمال بناء السلطة المحلية ليس من ميزانية الإسكان ، فأجاب : « حسناً ، لقد قال تومي وروبرت نيلد (Robert Neild) بان الميزانية لم تخفض بشكل كافٍ لكنني اخبرتهما انه بحلول شهر نيسان سوف نحتاج لبعض النفقات الزائدة . لذا فان الأمر يبدو وكأن بامكانك ان تحصل على تمويل إسكان القطاع العام بعد ذلك ياعزيزي ديك[1] . »

ماأكبر الفرق بين موقف هارولد ولسون خلال الدقائق الاربع ونحن نصعد الدرجات وبين موقف جيمس كالاهان ، نائبه ! وعندما كنت اقول شيئاً عن كالاهان كان هارولد يقول : « نعم ، عليّ ان أُقيد يده . فاعصابه ليست على مايرام هذه الأيام » . .

انتهى الصباح بخطاب رائع لجورج براون ذكر فيه كل الأشياء التي كان من المفروض أن يقولها هارولد ولسون . وتكلم جورج براون عن الصعوبات ، وحَذَّر الشعب ، وشدَّ من عزيمته ، وانتهى المؤتمر بشكل جيد .

بعد ذلك تناولت أنا وآن طعام الغداء مع ليز (Liz) وبيتر شور (Peter Shore) ، وآل كروسلاند (Croslands) ، وودجوود بنز (Wedgwood Benns) ، وعدنا بالقطار جميعاً . كان المؤتمر هذا العام ممتعاً اكثر من اي عام مضى وفي الحقيقة كنا جميعاً نحتاج اليه . اعتقد انه جعلنا ندرك مدى العزلة التي كنا فيها في وزاراتنا ومدى حاجتنا للاجتماع معاً ، وللروح المرحة ، وللعِشْرة التي نفتقدها حقيقة في حياتنا الوزارية .

---

(١) يقصد ريتشارد كروسمان ـــ المترجم .

الحقيقة اننا عبارة عن حكومة مقطعة الأوصال . ويقبع في منتصف هذه الحكومة هارولد ولسون وجورج براون ، وكل منهما يوجهنا على طريقته الخاصة وغالباً في الاتجاه الذي يريده . وحولهما نحن الوزراء ، وكل واحد منا يسير على هواه ، ولا نعمل كفريق واحد وانما نعمل إما باتجاه هارولد او باتجاه جورج براون . وكانت علاقاتنا بالحزب داخل البرلمان سيئة جداً كما ان علاقاتنا بالحزب داخل دائرة النقل وخارجها كانت أسوأ بكثير . إن مانحتاج اليه حقيقة هو شخص ما يظل طيلة الوقت في مجلس الوزراء — كما كانت تفعل دائما حكومة المحافظين — يتعامل مع الحزب ، ويعمل على وجود سياسة لمجلس الوزراء . ومن الأشياء التي ينبغي ان افعلها ، ويحثني تام داليل (Tam Dalyell) على عملها ، هي محاولة إفهام هارولد وجورج وجود حاجة ملحّة لدمج سياسة مجلس الوزراء بسياسة دائرة النقل ومن هنا تخرج السياسة الموحدة الى الحزب خارج المجلس وللرأي العام .

اذا نظرنا للوراء على المرحلة الاولى لحكومة العمال — منذ فوزنا في الانتخابات وحتى مؤتمر النصر — فانني استطيع القول ان الحكومة على العموم قد وطّدت نفسها بشكل جيد من وجهة نظر الكفاءة الوظيفية . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فانني لست متأكداً بأننا عملنا بشكل جيد من وجهة نظر استراتيجيتنا الاشتراكية او من وجهة نظر زعامتنا المتكاملة . انني لاأظن بان هارولد قد وطّد نفسه فعلاً كالزعيم الذي نحتاج اليه . ولكنه بالتأكيد اصبح اكثر شبهاً بنابليون . والمشكلة هي ان المرءَ لايراه ابداً الا اذا احتاج الى ذلك . لذا فقد اصبح بعيداً عنا اكثر فاكثر ،

وهو يعتمد اكثر فأكثر على افكاره الخاصة به ، واعتقد ان تومي ربما كان على صواب عندما قال عنه انه اصبح في ايدي موظفيه اكثر فاكثر . في الحقيقة ، اصبح لديّ انطباع بان هذه الحكومة لاتدير شؤون نفسها بل تسير تلقائياً بشكل روتيني ، وربما تفعل الحكومة ذلك للسبب الذي أبداه كالاهان . ربما لن نشعر بالاستقرار قبل ان نعرف ماااذا كنا سنخفض قيمة العملة وسنجري انتخابات قبل الربيع .

لذا ، فانه من الصعب علي ان أصدّق ان العمل الذي اقوم به في وزارتي ذو قيمة دائمة . انني اتعلم وظيفتي ، فقد حصلت على مقدار معين من المديح على مشروع قانون حماية المستأجرين ، وهذا شيء مفيد . انني لاأشعر بان اقدامي قد تثبتت ، ولاأزال اشعر بالزيف عندما القي خطاباتي في مجلس العموم ، وعندما أُجيب على الاسئلة التي توجّه اليّ ، وعندما اعقد مؤتمراً صحفياً ، وعندما اجلس على المنصة في برايتون (Brighton) ، ولاأزال اشعر بأنني اشارك في كتابٍ ألّفته حول الدستور ولست العب دوراً حقيقياً في السياسة الحقيقية . وفي غضون ذلك اصبحت بعيداً اكثر فاكثر عن الاطفال وعن آن . ان الحياة الوزارية تستغرق كل وقتي . ان بُعد المرء عن منزله وبنفس الوقت عن زملائه يعتبر عزلة حقيقية لايمكن تحملها .

كم كان الاستجمام هاماً للمحافظين ، عندما كانوا في الحكم ، وذلك في عطلة نهاية الاسبوع في تلك المنازل الريفية الكبيرة ! وكم نفتقر نحن في حزب العمال الى منازل ريفية لانمتلكها ! وكم كانت شخصية هارولد تؤكد على الالفاظ التي خضعنا لها والخاصة برفضه تشكيل اية

كتلة او مجموعة من الاصدقاء ، ورفضه لتناول الطعام مع اي امرىء بشكل غير رسمي او اجراء حديث مع اي شخص بشكل غير رسمي ، واصراره على ان كل شيء يجب ان يتم في حدود دائرة العمل .

بالنسبة لعملي ، فاستطيع القول بانه ليس سيئاً لغاية الآن . لقد وطدت نفسي داخل وزارتي وفي مجلس العموم . وحافظت على ثقة هارولد ولسون . بدأت بداية سيئة فيما يتعلق بتصاريح التخطيط ـــ ينبغي ان لااقول هذا لأي امرىء ، لكن قرار الحزام الاخضر في هارتلي كان خطيئة . وكنت مخطئاً لسماحي لجيم ماك كول بالذهاب الى هناك وتقديم المشورة لي ، فلو أنني ذهبت بنفسي لعالجت موضوع هارتلي كما عالجت قرار شيفيلد . حسناً ، لقد تعلمت درساً .

اخيراً ، بالنسبة لحياتي الخاصة وعلاقاتي مع آن ، فانني اعرف بانها تشعر بقلق كبير كوني اصبحت وزيراً لان ذلك سيبعدني عنها . اعتقد انها في البداية شَعَرْتُ بقوة انني اصبحت وزيراً ١٠٠٪ وانه من الصعب ان اعود انساناً وان اتصل معها . ولكن حيث ان هذا حدث في البداية ، فان انطباعي بان استغراقي الكامل في وظيفتي بدأ يضعف . وكزوجين فاننا نصرف نشاطنا الجديد في حياتنا الخاصة المشتركة . انني مقتنع بعطلة نهاية الاسبوع هذه اكثر من اي وقت مضى بانني اذا كنت ساصبح وزيراً ناجحاً فان ذلك يعتمد بدرجة كبيرة على نمط الحياة الذي سنعيشه معاً وعلى الطريقة التي سنسحب فيها بعضنا . وأنا متأكد أيضاً بان حصولي على هذا الانجاز المدهش في حياتنا الجديدة هذه سوف لايسيء الى علاقاتنا ، بل من الممكن ان يعمقها .

في الحقيقة لم يكن لدي اية فكرة عندما دخلت الوزارة ماذا كنت سأحبها ، وماذا كنت سانجح فيها . وكنت اعرف جيداً ماذا تعني وظيفة وزير ، وانا الآن في داخلها لااستغرب مايجري في وايت هول . على أية حال ، انني مندهش لتكيفي معها وكيف انني انتقلت بشكل طبيعي من حياة مكرَّسة بشكل رئيسي للكتابة والنقد الى حياة كلها داخل آلة وايت هول ، حيث انني لست سِناً في احد مسنناتها بل جزءاً هاماً فيها . وجدت كل هذا أمراً طبيعياً ، ولم أشعر بالأسى لتركي الكتابة كلية . كنت اكتب طيلة الاعوام التسع عشرة الماضية كمهنة رئيسية واعتقدت انني سأشتاق اليها . لكنني لم افعل . في الحقيقة انني اجد من الصعب التصور بالعودة الى النقد السياسي من حياة العمل السياسي التي انا منغمس فيها الآن . ان هذا الطراز الجديد من الحياة كالجلوس في مؤتمر ، وترأس اللجان ، ورسم السياسة ، واتخاذ القرارات ، يتطلب ان تتم الكتابة لي من قبل أُناس آخرين . ومع ان هذه الكتابة لاتحضّر جيداً ، فانه مما يدعو للدهشة انني لااجد ذلك مغيظاً ، على الرغم من انني احاول ان أقنع الموظفين ان يكتبوا بشكل افضل واخشى ان يصبح اسمي في الوزارة المعلم الذي يعطي دروساً في اسلوب الكتابة .

هناك ايضاً تغيرات مدنية ممتعة . فقبل ان اصبح وزيراً اعتدت ان اقلق ، وان استيقظ في الصباح الباكر في فزع خشية ان اكون قد فعلت خطأً ما . اما الآن ولديّ الأشياء الكثيرة التي تثير قلقي ، والقرارات الهامة التي ينبغي ان اتخذها ، فانني اجد نفسي اقل قلقاً . لقد اتخذتُ قراراً

سابقاً جعلني غير محبوب ، لكن ذلك لم يقلقني . يبدو لي ان اتخاذ القرارات هو شيء استطيع عمله بسهولة وبسرعة حالما أهضم المعلومات الأساسية . وكنت اقول دائما وانا اعمل في مقر قيادة ايزنهاور .. ان وظيفة الجنرال هي سهلة نسبياً . حسناً ، انني اجد وظيفة الوزير ايضا سهلة نسبياً . انها تناسب مزاجي . وعندما اجلس في مكتبي هنا في برسكوت وآخذ مجموعة من الاوراق من الصندوق الأحمر وأرى ان عليّ ان اتخذ قراراً حول حدود كوفنتري او من أين تأخذ بيرمنغهام اراضٍ جديدة للإسكان ، فانني اجد هذه القرارات سهلة ، وسارّة واتخذها بمنتهى السهولة .

عندما ذهبت الى مقر صحيفة الايكونوميست (The Economist) لتناول الغداء في الاسبوع الماضي سُئلت عن شعوري كوزير فأُجبت بانني لم اكن ادرك مدى تعبي قبل ان استلم وظيفتي . انني اشعر بحالة حسنة ، وصحتي افضل ، وتعبي أقل ، واشعر باقصى نشاطي خلال النهار ، مع انني كنت اقضي وقتاً طويلاً خلال النهار في العمل . وقد اجلس في مؤتمر بدون استراحة من التاسعة صباحاً وحتى السادسة مساءً . لكن هذا لم يرهقني . انه يفرحني واشعر بانني على خير مايرام ، بينما قضاء الصباح في المكتب لكتابة مقال يثير السخط والتعب لان المرء يسعى جهده دائماً لتحسينه والمرء يعرف دوماً ان بالامكان ان يكون افضل بعد الانتهاء منه . اعتدت في حياتي الصحفية ان استيقظ من نومي لأجد نفسي ابحث عن مقال طيلة الليل ، واكتبه ، وأعيد كتابة فقراته في نومي . أما الآن فلا اجد نفسي احلم في منامي في قرارات التخطيط التي أتخذها . في الحقيقة

انني الآن أنام بشكل طبيعي لكوني قد اتخذت هذه القرارات ، ولكتابة « موافق » على تلك الوثيقة المتعلقة بسياسة العمل ، ولكوني اصبحت رجل عمل بما في هذه الكلمة من معنى .

هل هذه الحالة التي اشعر فيها بالنشاط والخفة هي سخيفة وخطيرة وغير واقعية ، وهل ان وقتي يمضي بيسرٍ لأنني وُضعت في وزارة سهلة ؟ وهل يوجد شيء ما في الوظيفة يلائم مزاجي ؟ عندما أسأل نفسي هذه الاسئلة فإنني أنظر بشكل طبيعي الى زملائي وأجري مقارنات . فالآن ، أنظر الى جورج براون . انه رجل ناجح في تحمل المسؤولية ، مع ذلك فهو يختلف عني كثيراً . فهو رجل عمل بمعنى الكلمة ، وهو يتصرف باندفاع وبعنف . وهو يقوم بأعباء وظيفته بشكل رائع . ووصل الى وظيفته الجديدة كنائب لرئيس الوزراء بشكل طبيعي . انه أسعد مني ، ويشرب أقل مني وأجرؤ على قول الحقيقة وهي ان مايشربه يهضمه الآن افضل مني . في الحقيقة انه افضل رجل لتحمل المسؤولية على منكبيه . اما هارولد فمن الواضح انه رجل افضل وكذلك طوني كروسلاند ، وروي جنكنز Roy Jenkins) ، ويستطيع المرء ان يرى انهم جميعاً ملائمون لوظائفهم بشكل واضح . والشخص الوحيد الذي يبدو لي انه لايتلاءَم مع وظيفته هو المسكين جيم كالاهان .

الاثنين ١٤ كانون الاول :

طار كالاهان الى باريس هذ اليوم في محاولة لاقناع رجال المصارف

الاوربيين ليقفوا بجانبنا ، بعد اسبوع مريع ، وأخشى أن يفعل شيئاً ما يعطي نتائج عكسية . هناك رجل[1] هو ببساطة لأيفتِن ولأيثير وهو منزعج من جرّاء تحدي موظفي مكتبه . وهو يشعر بأنه غير سعيد وغير مطمئن ، وأشك احياناً أنه يشعر بأنه وُضع في مكان غير مناسب وأُعطي وظيفة لايستسيغها لأنه يشعر بأنه لايستطيع بلوغ القمة فيها .

إن اهم حدث هذا اليوم هو اجتماع لجنة التطوير الاقتصادي . وكانت الفقرة الاخيرة المدرجة على جدول الاعمال هي الحصول على تقرير جديد لـ بيتشنغ[2] حول السكك الحديدية . من المفضل ان اعود هنا الى الوراء قليلاً . منذ اسبوعين وانا اراقب في الصحافة تطور قصة نشرت حول مستقبل الدكتور بيتشنغ عندما يتقاعد من منصبه كرئيس للسكك الحديدية . ومن الواضح ان هارولد ولسون كان يتحدث الى الصحفيين حول ذلك ، حيث ان وزير النقل توم فريزر (Tom Fraser) لايمكن ان يأخذ مبادرة من هذا النوع . لذا كان واضحاً جداً ان الفقرة المدرجة على جدول الاعمال مدعومة ايضاً من قبل هارولد . والتفاصيل الحقيقية للقصة هي ان بريتشنغ كان سيستقيل في الاول من كانون الثاني ومن هذا التاريخ وحتى الحادي والثلاثين من ايار سيكلف بإعداد تقرير حول التنسيق بين جميع وسائل النقل ، ويعود بعد ذلك الى الصناعات الكيماوية الامبراطورية . وتحدثت مع توماس بالوغ حول هذا الموضوع في عطلة

---

(١) يتكلم الكاتب عن نفسه .

(٢) عين الدكتور بيتشنغ رئيسا لمجلس السكك الحديدية البريطانية من قبل حكومة المحافظين عام ١٩٦٣ . ونشر تقريره الاول في عام ١٩٦٤ ، وقد اوصى باجراء تشذيب كبير لشبكة السكك الحديدية لدوافع اقتصادية . وعندما ترك مجلس السكك الحديدية في عام ١٩٦٥ ، منح لقب نبيل مدى الحياة .

نهاية الاسبوع . ويعتقد توماس ايضاً انها فكرة حمقاء . لذا ذهبت الى لجنة التطوير الاقتصادي وأنا مصصم على إثارة الموضوع . كان أمامنا جدول اعمال طويل جداً يتضمن خططاً لزيادة الصادرات مقدمة من قبل دوغلاس جي ، ومسائل اخرى كثيرة وهامة . مع ذلك ، بقيت حتى نهاية الاجتماع . وفي اللحظة التي طُرح فيها الموضوع قفز طوني كروسلاند (وهذا في الحقيقة امر هام لان كروسلاند هو جورج براون رقم ٢) وقال ان هذا هو اخطر اقتراح سمعه . فهو خطر على مركز الحكومة وخطر على مستقبل النقل . وهنا تدخل توم فريزر على الفور واوضح انه فعل هذا بدعم كامل من رئيس الوزراء ووصل الموضوع الى نقطة اصبح من الصعب الرجوع فيها عن القرار .

تحدثت أنا وفرانك كزنز حول هذه النقطة بافضل ماعندنا . فتحدث فرانك كزنز بطريقة اعتيادية كما يفعل اي عضو في الحزب وقال : « إننا نبحث موضوع رجل اتهمناه في جميع الأوقات ، وهو عدو بيروقراطي للنقل العام . فلماذا نعطيه هذه الوظيفة ؟ كما ان اية فكرة يقترحها بيتشنغ لن تحظى بثقة اتحادات نقابات العمال لمجرد انه هو الذي اقترحها . . »

إن الشخصين الوحيدين اللذين وقفا حقيقة بجانب بيتشنغ هما : تشارلز بانل وزير الأشغال ، وفُرد لي . لذا كانت نتيجة التصويت في اللجنة ١٢ ضد ٢ . كان كالاهان مسافراً ، وكان جوج براون يترأس اللجنة فقال : « حسناً ، لتجنب اية اختلافات اخرى فسوف اتحدث

الى رئيس الوزراء حول هذا الموضوع تفصيلاً ، لكنني اعتقد ان الوقت قد فات لايقاف ذلك . »

بعد الانتهاء من لجنة التطوير الاقتصادي كان لديّ وقت يكفي فقط للوصول الى غرفة فْرد ويلي لحضور اجتماع يتعلق بلجنة الاراضي . ووجدت نفسي مع ويلي ، وجاك دياموند من الخزانة ، وموريس فولي من دائرة الشؤون الاقتصادية . فأوضحتُ الاختيارات المـاثلة امامنا كما أراها . فإما ان نحصل على مشروع قانون كبير يخلق لجنة اراضٍ تتمتع بقوة احتكارية ، او نحصل على اجراءٍ اكثر تواضعاً في المرحلة الاولى فنخلق لجنة اراضٍ تكون مهمتها الأولى جمع الضريبة من اجل اصلاح الاراضي وشراء بعضها التي يسمح بشرائها . ان الاختيار الثاني هو اجراء نستطيع اتخاذه بسهولة ، وسيكون مقبولاً لدى الناس ونستطيع تنفيذه . أما الاختيار الأول فيبدو لي متطرفاً ومن المحتمل ان يجمّد الأعمال ويخرّب اية فرصة لبناء المنازل التي نتطلبها . وكما توقعت ، وقف موريس فولي من دائرة الشؤون الاقتصادية الى جانب ويلي في مطالبته بمشروع القانون الكبير بينما وقف جاك دياموند من الخزانة الى جانبي ١٥٠٪ . وفُهم في نهاية المناقشة بأن فْرِدْ ويلي سيقدم الآن مسودة ثانية تتعلق بالسياسة التي سينتهجها . على اية حال ، بدا واضحاً ان الخط الذي سرتُ عليه قد أغضب ويلي وانه سيذهب مباشرة الى جورج براون ، الذي سيغضب هو بدوره ، بسبب اعتقاده بان ذلك كان نتيجة معارضة السيدة ايفلين لسياسة حزب العمال المتعلقة بلجنة الأراضي . لكن في الحقيقة كان لدّي اختيار ضئيل جداً في هذا الموضوع . فالمرء يستطيع ان يتحدث بانشراح حول مساندة

سياسة الحزب لكن في هذه الحالة فانه من الممكن ان يُقضى على برنامجي للاسكان برمته اذا كنا سنبدأ بالاجراء الخاطىء حول لجنة الاراضي . ويمكن منع كافة مبيعات الاراضي بمنح اللجنة صلاحيات واسعة بنفس الطريقة التي مَنَعَتْ بها اجراءات سِلْكن[1] (Silkin) بيع الاراضي عام ١٩٤٦ .

على اية حال ، فأنا لست متأكداً على الاطلاق بانني سأفوز ، لانني سأُقدم الى زملائي صورة امرىءٍ يتخلى عن الالتزام الذي قطعه على نفسه في الانتخابات . والأمر الوحيد الذي الى جانبي هو ان الخزانة سوف تؤازر الخط الحريص ، وآمل ان يدرك اكبر عدد ممكن من الزملاء بأن الاختيار الاول مشوش تشوشاً كاملاً من الناحية الادارية وغير عملي .

الثلاثاء ١٥ كانون الاول :

سررت جداً هذا الصباح عندما وجدت في صندوقي الأحمر أن مسألة بيتشنغ والنقل قد أضيفت الى جدول اعمال مجلس الوزراء في الاجتماع المقرر يوم الثلاثاء . وهذه هي القضية الاولى التي التزم هارولد نحوها بسياسةٍ مغايرة لباقي اعضاء مجلس الوزراء . وقد علمتُ بصورة شخصية بأنه يريد تأجيل زيادة رواتب الوزراء ، كما يريد زيادة عشرة شلنات ــ بدلاً من اثني عشر شلناً ــ للمتقاعدين كبار السن . لكنه بقي محترساً في هاتين المسألتين ولم يلتزم بشيء نحوهما حتى يرى اي

(١) لويس سلكن (Lewis Silkin) .

الجانبين سيفوز . على اية حال ، فانه هنا كان ملتزماً شخصياً بمؤازرة وزير النقل ومن الممتع ان نرى ماحدث .

حسناً ، إن ماحدث هو الآتي : قال هارولد ولسون مباشرة بان جورج براون سوف يقدم تقريرا حول وجهات النظر التي أُبديت من قبل زملائه الوزراء . وقَدَّم جورج التقرير ثم تدخل هارولد قبل ان يتكلم توم فريزر وقال إنه يعتقد بأن من الأهمية بمكان الحصول على خبراء اقتصاديين وذَكَر اسميْ تيدي جاكسون[1] ، وكريستوفر فوستر[2] ،اللذين أُعطيا إليه من قبل تومي بالوغ . ثم قال إنه ليس من الحكمة ان نلزم انفسنا بنشر التقرير ، واخيراً قال بان المدة المقترحة ، وهي خمسة أشهر ، قد تكون غير ملائمة . كانت هذه هي جميع الاعتراضات التي قُدمت في اللجنة . وقد اوجزها هارولد قبل ان يبدأ النقاش في محاولةٍ لتهدئتنا . ثم جاء ردّ فعل مجلس الوزراء . كان حول المنضدة اثنا عشر شخصاً ، عَبَّر عشرة منهم عن رأيه بشدة قبل اربع وعشرين ساعة ، فأدانوا الاقتراح بكامله . فكم من الاثني عشر سيكرر معارضته بشكل واضح الآن في مجلس الوزراء ؟ الجواب هو إثنان ــ فرانك كزنز وأنا ــ فَعَلا ذلك . فيما عدانا لم يرغب احدٌ في الوقوف في وجه رئيس الوزراء . وقد أبدى شخص واحد أو اثنان

---

(١) تيدي جاكسون (Teddy Jakson) هو مدير معهد الاقتصاد والاحصاء في جامعة اكسفورد منذ عام ١٩٥٩ .

(٢) كريستوفر فوستر (Christopher Foster) هو رجل اقتصادي وزميل في الكلية اليسوعية ، في جامعة اكسفورد ، واصبح منذ عام ١٩٧٠ رئيسا لوحدة البحوث في اقتصاديات المدن في مدرسة لندن للاقتصاد ، وبعد الانتخابات العامة التي جرت عام ١٩٦٦ عين في وزارة النقل مديرا عاما للتخطيط الاقتصادي .

بعضَ الملاحظات البسيطة ، طبعاً ، لكن هذه الملاحظات لاتعتبر مِحكاً في مجلس الوزراء . إن المِحَكّ هو ماإذا كان الشخص مستعداً للدخول في صراع مع رئيس الوزراء او مع الوزير الاول ، اللذين يشكلان القوة المسيطرة في مجلس الوزراء ، ومن اجل ذلك على المرء ان لايكتفي بالتعليق بل عليه ان يردّ عليهما مرة ومرتين وثلاثة ، وان يعبّر عن رأيه المخالف وان يشقّ طريقه بقوة الارادة .

هذه هي المرة الأولى التي نواجه فيها مثل هذا النوع من الصراع في مجلس الوزراء . كان الصراع ، طبعا ، يتخذ طابعاً مهذباً فكنا نتخاطب كالتالي : « رئيس الوزراء يقول كذا .. ووزير النقل يقول كذا ... ووزير الاسكان يقول .. وهكذا .» . لكن الصراع استمر ثلاث جولات من النقاش وكنت أنا وفرانك كزنز في جانب ، ورئيس الوزراء وتوم فريزر في الجانب الآخر . وقد أربك توم فريزر رئيس الوزراء ببراعة برفضه جميع التنازلات التي قَدَّمها رئيس الوزراء وقال إنه لايريد ان يُثْقِلَ بيتشنغ مع عدد من الخبراء كاهِلَه ، وهو يعتقد بان بيتشنع رجلٌ يستطيع القيام بالمهمة حقيقةً وان الأشهر الخمسة هي وقت كافٍ لانجازها . وقد رفض توم فريزر في الجولة الاولى من خطابه كل تنازل قَدَّمه رئيس الوزراء لاستمالتنا . وعندما جاء دوري في الكلام أشرتُ الى ذلك بعناية وقلت إن جميع المخاوف التي بَدَّدها رئيس الوزراء أُعيدت ثانية من قبل وزير النقل . ثم تدخل هارولد مرة ثانية في محاولة لانقاذ فريزر ، لكن فريزر تصرف بشكل اسوأ من ذي قبل ، فكشف عن نفسه بانه متحمس للغاية للاعتماد على بيتشنغ كالشخص الوحيد الذي يستطيع القيام بالمهمة . أخيراً ، عندما أراد رئيس

الوزراء ان ينهي النقاش بشكل واضح ، طلبتُ منه ان يبتَّ في النقطة الأساسية . فقلت : « أنا آسف ، لكنني اريد ان يكون واضحاً تماماً بأن خبراء التخمين سيكون لهم وضع مستقل بشكل حقيقي ، واننا نرغب في اعطائنا تأكيداً واضحاً بان التقرير لن ينشر » . فأبدى احد الأشخاص ملاحظة ، همساً ، فقال : « حسناً ، إن نتيجة ذلك ستكون إبعاد بيتشنغ » ، فقال فرانك كزنز بصوت عالٍ : « إن ذلك سيكون حسناً الى أبعد الحدود . » وأعطى رئيس الوزراء في تلخيصه للنقاش تأكيداً واضحاً لفرانك ولي بأن جميع هذه الأشياء سوف تدوّن في محاضر الجلسة ، وتم ذلك فعلاً[1] .

بعد الانتهاء من مجلس الوزراء ذهبت لرؤية بيرك ترند (Burke Trend) كي اخبره حول نصّ محاضر جلسة مجلس الوزراء يوم الخميس الماضي . لقد قرأت هذه المحاضر بعناية لانني اردت ان أقارنها مع ملاحظاتي التي دونتها اثناء الاجتماع ، وقد دهشت من الجملة التي يؤكد فيها هارولد على اهمية الحكومة البريطانية في تركيز انتباهها لمنع انتشار الأسلحة النووية . فلاحظت ان هدفاً آخر قد أُضيف الى المحاضر وهو : « هدف إرضاء التطلعات النووية لحكومة المانيا الاتحادية » . حالما رأيت ذلك كنت متأكداً ان هارولد لم يقل ذلك ابداً ، ولو انه فعل ذلك لأثار صداماً عاصفاً مع طوني غرينوود وفرانك كزنز على الأقل . إن الانطباع الذي تركه ، في الحقيقة ، هو انه مصمم على احباط التطلعات النووية لحكومة المانيا الاتحادية . لذا بيَّنتُ ذلك لبيرك ترند وقلت : « ان

(١) لقد تسربت أنباء هذا النقاش وكانت النتيجة ان بيتشنغ شعر بالاهانة ورفض قبول التعيين .

هارولد لايمكن ان يقول ذلك » ، فأجاب : « آه ، طبعاً لم يقل ذلك أبداً ، ونحن لاندوّن مايقوله المتكلمون حرفياً . إننا نلخّص المعنى ونعطي جوهر مايقولون . » فأجبته : « إن هذا ليس جوهر ماقال ، ولو انه كان الجوهر لأدّى ذلك الى انقسام في مجلس الوزراء .» فقال بيرك ترند : « حسناً ، ماذا ترغب ؟ هل تريدني ان ادوّن « معالجة » بدلاً من « إرضاء » ؟ فأجبت بأن هذا التغيير سوف يغير لهجة الفقرة ومعناها . فقال بيرك بمرح وبلهجة ودية : « لايهمني اذا دوَّنتَ « معالجة » بدلاً من « إرضاء » .

سوف أختم هذه الملاحظات بحادثٍ جرى في اليوم التالي عندما التقيتُ مصادفة بِ بيرك فسألني ماإذا كنت راضياً بمحاضر مجلس الوزراء المتعلقة بقضية بيتشنغ . فقلت له انني راضٍ ، فغمز بعينه . ان هذا يُظهر ايضاً مدى اهمية قراءة محاضر الجلسات بعناية من قبل الوزراء . لكنه يُظهر ايضاً انه ليس المهم إثارة القضية في مجلس الوزراء بل اثارتها لفظياً بعد انتهاء الجلسات مع السكرتير ، على ان لاتحرجه علانية ، وبعد ان تفعل ذلك أخبر رئيس الوزراء بما حدث .

الاربعاء ، ١٦ كانون الأول :

قابلت اليوم فيفيان باودن (Vivian Bowden) في الحديقة . واخبرني بأنه يشعر بحالة حسنة ، حيث انه انتقل منذ فترة وجيزة الى شارع كيرزون (Curzon) وبدأ يشعر أخيراً في وظيفته كأنه في بيته .

وبينما كان يتكلم باسهاب عن سعادته أضاف : « وبالمناسبة فان من المفضل ان اخبرك بأنني صرفتُ سكرتيري الدائم من الخدمة .» فقلت : » هل صرفت سكرتيرك الدائم من الخدمة ؟ » « ولكن هل اخبرتَ هارولد ، او مايكل ستيوارت بأنك فعلتَ ذلك ؟ » فقال : « أوه ، كلا ، لقد صرفتُه فحسب . وهل ينبغي عليَّ ان اخبرهما ؟ على اية حال ، لقد فعلت ذلك الآن وسمعتُ ان النية متجهة لتعيين سكرتيري الدائم السير بروس فريزر (Sir Bruce Freser) لديك بدلاً من السيدة ايفلين عندما تذهب .»

وبعد هذه المحادثة في الحديقة مباشرة سمعت من جورج موسلي ان هارولد يريدني ان اتناول معه الغداء في اليوم التالي فأدركت على الفور بانه يريد ان يبحث موضوع بروس فريزر . أخذتُ ملاحظات باودن على محمل الجدّ لانني اعرف الآن عن الاشاعة التي تدور في هوايت هول ، وتكلمت مع السيدة ايفلين حول كامل الموضوع . وسألتها بدون موارية متى تريد الرحيل ، فقالت بأنها ترغب الذهاب في الصيف . ان تلك المدة كافية بالنسبة لها . فقلت : « حسناً ، ان ذلك يعطيني وقتا للتفكير » ، ثم اضفت : « لأأشك بأن هارولد ولسون يريدني ان آخذ بروس فريزر على الفور كي يخلصه من الارباك . » فقالت السيدة ايفلين عندئذٍ بأنها سمعتْ نفسَ الشيء ، وعندما ذهبتْ راجعتُ الموضوع مع جورج موسلي فأخبرني بأن كلَّ امرىءٍ قد عرف بأن هارولد ولسون سيطلب مني ان آخذ بروس فريزر كسكرتير دائم لي بدلاً من السيدة ايفلين . إن مقابلة فيفيان في الحديقة كانت ضربة حظ تماماً !

الخميس ، ١٧ كانون الأول :

كان الغداء مع هارولد مليئاً بالاحداث . وبينما كنّا على وشك الجلوس على المائدة ، جاء جيم كالاهان وجلس بجانب هارولد وقال : « حسناً ، أخشى انني سأفسد عليكما سروركما بالنجاح في النقاش الذي تمّ حول الدفاع امس باخباركما بان هذا هو أسوأ صباح سوف نؤرخه . لقد خسرنا ستة وثلاثين مليوناً من الجنيهات هذا الصباح ، ياعزيزي هارولد » . وبعد ذلك انتقلنا الى الحديث عن العمل . ولكن هارولد قضى نصف وقت الغداء وهو يتحدث عن الخطاب الذي سيلقيه في المساء ، قبل ان يتحدث عن فيفيان باودن ، والذي سيدمّر فيه السير أليك دوغلاس هيوم (كما يفعل عادة في الوقت المناسب) باظهار ان الرادع البريطاني المستقل هو مجرد خرافة[1] . وأخيراً انتقلنا الى الموضوع الحقيقي فقال هارولد : « حسناً ، ياديك ، ان فيفيان هو الشخص الوحيد غير الملائم في حكومتنا ، وبما انه أنت وأنا مسؤولان جزئياً فارتأيت ان ابحث الموضوع معك . الا تعتقد ان بامكاني ان انقله الآن الى وزارة التكنولوجيا وان ابدّله بـِ تشارلز سنو ؟ علاوة على ذلك ، فإن سنو يناسب التعليم بشكل مثالي وباودن فاشلاً في التعليم ، فان من الممكن ان

(١) انتقد المحافظون خلال النقاش الذي استمر يومي ١٦ و١٧ كانون الاول ، والذي جرى بعد زيارة رئيس الوزراء لواشنطن ، اقتراحات الحكومة بشأن قوة نووية أطلسية . ففي اليوم الاول من النقاش أجاب هارولد ولسون المعارضة بخطاب استمر ساعة ، دافع فيه عن قوة الردع المشتركة . وفي اليوم الثاني ، لخّص رئيس الوزراء موقف الحكومة ، وكان تلخيصه وصفا دقيقا لهجومه الرائع على المعارضة . وقد هُزمت المعارضة بعد ان نالت الحكومة ٣١١ صوتا مقابل ٢٩١ صوتا .

يفشل في التكنولوجيا ايضاً . اضافة الى ذلك ، فانني اعتقد بان من غير العدل ان نثقل كاهل فرانك كزنز بوضع فيفيان معه بمثابة معاون له ، خاصة وان فرانك تنقصه الخبرة البرلمانية . بعد بحث موضوع فيفيان تابع هارولد قائلاً بانه توجد تعقيدات اخرى في وزارة التعليم . ففي التنظيم الذي وضَعَه كِنْتن هوغ (Quintin Hogg) في الحكومة السابقة يوجد سكرتيران دائمان في وزارة التعليم والعلوم ، وكان السير بروس فريزر السكرتير الدائم الثاني . وأخبرني هارولد بأن هذا الوضع غير ملائم ويريد ان ينقل بروس فريزر الى مكان آخر . فقلت انني سمعت ذلك طبعاً عن طريق الشائعات في هوايت هول ، كما ان فيفيان قد اخبرني فعلاً بأن بروس فريزر سوف يأتي الى وزارتي حالما تذهب السيدة ايفلين . ثم اخبرت هارولد بانني اتفقتُ مع السيدة ايفلين بأنها سوف تترك الوزارة في الصيف ، وهذا يعطيني وقتاً كافياً للتفتيش عن خلِف جيد . وانني لااريد ان يُفرَضَ شخصٌ عليَّ مثل بروس فريزر فيما لو اخذته على الفور . وانتظرتُ كي ارى ردّ فعل هارولد . فتقبّل ذلك بدون اي اعتراض . ولكنني متأكد بان ذلك لن يكون آخر شيء اسمعه عن الاقتراح .

اليوم هو الموعد المحدد لبحث مشروع القانون الخاص بي والمتعلق بحماية المستأجرين ، في مجلس اللوردات . وانطلقت شائعات بأن مجلس اللوردات سيعارض مشروع القانون وسيُدخل عليه تعديلات تتعلق بالمساكن المفروشة وباكواخ الاصطياف . انهم لم يجرؤوا عملياً على اجراء تعديل واحد اثناء بحثه في اللجنة المختصة وفي الساعة الرابعة من يوم

الخميس اصبح المشروع قانوناً . ونتيجة لذلك ، فان البرنامج الذي رتبته منذ اسابيع لتقديمه في برنامج هيئة الاذاعة البريطانية والمسمى « برنامج على الشرفة » ، اصبح موضوعياً . ذهبت الى هنالك على الفور بعد التصويت حول الدفاع الذي جرى في الساعة العاشرة ، وبعد ان استمعت الى هارولد وهو يدمّر سمعة دوغلاس هيوم . صعدت الى سيارتي وأسرعت مع حارسي بريان بونسفورد الى لايم غروف (Lime Grove) حيث أُخْبِرتُ باني سأُستجوب من قبل ممثل عن اصحاب الممتلكات وكذلك من قبل أُودري هارفي[1] (Audrey Harvey) ممثل اليسار . وسيكون بوب ماك كنزي[2] (Bob Mckenzie) في كرسي الرئاسة . وعندما ابتدأ الاستجواب ، عالج بوب ماك كنزي الموضوع باكمله بطريقة ودية . وسُمح لِ اودري هارفي بتوجيه ملاحظتين ، ولممثل اصحاب الممتلكات بثلاث او اربع ملاحظات ، لكن فيما عدا ذلك فان جميع ساعات المساء قد خصصت لتمكيني من شرح مضمون مشروع قانون حماية المستأجرين ، وماهو الهدف من مشروع قانون الايجارات الكبير ، وشرح موقف الاسكان .

كان البرنامج في الحقيقة عبارة عن اذاعة سياسية للحزب وانني هنا لااستطيع ان أمنع نفسي من ابداء ملاحظة وهي ان بوب ماك كنزي قد عاملني بالرعاية والاحترام اللذين يكنّهما لوزير ناجح بشكل معقول .

---

(١) هو رئيس لهيئة اختيارية تقدم المشورة لمن لامسكن له في لندن .

(٢) هو استاذ العلوم السياسية في مدرسة لندن للاقتصاد ، وهو مؤلف لكتاب :« الاحزاب السياسية البريطانية » . وهو يتمتع بشخصية جذابة وحادّ الذهن .

الجمعة ، ١٨ كانون الأول :

كان علي ان اقوم باحدى زياراتي الرسمية — هذه المرة الى ليدز (Leeds) — لكنَّ هذه الزيارة أُلغيت لانه تقرر عقد جلسة لمجلس الوزراء فجأة ، ووضعتْ سياسة الايجارات المتعلقة بوزارتي على جدول الأعمال . جرى الاجتماع في غرفة رئيس الوزراء في مجلس العموم ، التي اكتظت بالمجتمعين ، وهذه هي المرة الاولى التي تُقدَّم فيها إحدى اصلاحاتنا الكبيرة الى مجلس الوزراء . وكنت مهتماً بأن ارى كيف سيعاملني هارولد بعد ان وقفتُ ضده يوم الثلاثاء في موضوع الدكتور بيتشنغ وكذلك يوم الخميس عندما عَرَضَ عليّ السير بروس بدلاً من السيدة ايفلين . بدأ هارولد الاجتماع بالقاء نظرة على الموجز الذي بين يديه ، والذي من الواضح انه أُعدّ من قبل بيرك ترند ، وبدلاً من السماح باجراء مناقشة عامة للموضوع قام بتعداد الفقرات التي يعتقد بانها تتطلب قرارات حاسمة . وقرأ الفقرات العشر بصوت عالٍ ثم طلب مني أن أقول جملة او جملتين . (وكان هذا بعد أن شرحت مشروع القانون ومايتضمنه) . بُحثت الفقرة الاولى ، والثانية ، والثالثة ، والرابعة باقصى سرعة وَوجِدَ الأشخاصُ الذين يريدون انتقادي ، خاصة مايكل ستيوارت بشأن موضوع تأييدي لفكرة الايجارات العادلة بدلاً من القيمة الضخمة التي تُفرض عليها الضريبة كأساس لتثبيت الايجارات ، بأنهم غير قادرين على فعل ذلك دون ان يسببوا نوعاً من الاحتكاك والاختلاف في الرأي الذي لايرغب الوزراء في حدوثه داخل مجلس الوزراء العمالي المنسجم .

إن هذا اليوم هو من أيام الخريف الرائعة ، وفرسان الحرس الملكي يبدون في أحسن حال . شعرتُ بارتياح كبير عندما انتهى بحث الفقرة الخاصة بي وجلست في مقعدي ، واخذت انظر عبر النافذة وانا استمع بدون اكثراث الى التقرير الذي أحضره دينيس هيلي وغوردون باتريك من باريس حول التحالف الغربي . الذي يبدو انه على الرغم من اننا كنا نُعتبر منذ اسبوعين رجالاً سيئين ، بسبب حرصنا على عدم التسرع بانشاء القوة متعددة الاطراف ، فقد اصبحنا الآن رجالاً معتبرين قدَّموا مقترحات بنَّاءة وصاروا ذا شأن بالنسبة للتحالف الغربي .

كان لديّ سبب آخر للشعور بالارتياح ــ انني سآخذ طفليَّ الى سِرْك بيرترام ميلز (Bertram Mills Circus) بعد الظهر . لقد دُعيت لحضور حفلة غداء السِّرْك الشهيرة لكنني قررت بدلاً من ذلك ان اقطع تذاكر لجميع افراد العائلة . وأسرعتُ الى فنسنت سكوير لتناول طعام الغداء مع آن وجِني والطفلين ، اللذين جاءا بالقطار خصيصاً لذلك . بعدئذٍ ، وصلتْ مولّي في الساعة الثانية فنزلنا الى اولمبيا (Olympia) في سيارة الوزارة . ان سيارة الصالون السوداء هذه تعتبر من الأشياء الجميلة القليلة التي يحصل عليها الوزير والتي تكون دائماً تحت تصرفه . ففي لندن حيث يعتبر ايجاد مكان لوقوف السيارة حلماً جميلاً ، تعتبر سيارة الوزير شيئاً رائعاً لتحقيق ذلك . جلس الطفلان في المقعد الأمامي مع مولّي وبدأتُ اضغط على زرّ رفع الزجاج صعوداً ونزولاً . وهذا أفرح الطفلين وأحبّا وجودهما في السيارة .

قضينا وقتاً ممتعاً في السرك . وكان علينا ان نترك السرك في وقت مبكر قليلاً وأخذتنا مولّي الى بادنغتون (Paddington) . وكان آرثر ، الحاجب في الوزارة ، ينتظرني هناك ومعه صندوقي الاحمر في مقصورة محجوزة لي في القطار . وكان في المقصورة شخص يعمل في عربة المطعم ، فاخبرني بأن رُكْناً من العربة قد حجز للوزير وعائلته . واخيراً كنا هناك في عربة المطعم نتناول الطعام معاً في أُبهة عظيمة . وتوجهنا من محطة بانبُري (Banbury) الى منزلنا ذلك المساء ونحن في حالة معنوية جيدة . كانت نزهة جميلة ورائعة ، كما ان سيارة الوزير الفارهة ، والمقصورة المحجوزة في القطار للوزير ، جعلت الطفلين يشعران بان والدهما وزيرٌ فعلاً .

الأحد ، ٢٠ كانون الأول :

كنت مُتْعباً قليلاً عندما عدنا الى المنزل مساء الجمعة ، وقضيتُ نهار السبت في الحقيقة بدون اي عمل حتى المساء ، حيث تناولنا العشاء في المزرعة . وكان هذا العشاء ايضاً مُتْعِباً لي لانه بدأ في الساعة السابعة والنصف وانتهى بعد منتصف الليل . واليوم الأحد ، جاء آل هودجكنسونـــــز (Hodgkinsons) ـــ جورج (George) وكاريّ (Carrie) ـــ من كوفنتري لتناول طعام الغداء معنا وكان يوماً جميلاً جداً ، خاصة السّيْر في الشمس في برسكوت .

هذه وقفة تأمل أخيرة على الموقف الاقتصادي . كان من الممكن

ان يكون هذا الاسبوع جيداً للغاية بالنسبة للحكومة ـــ بيان[1] جورج براون حول الدخولات والأسعار ، ونجاحنا في موضوع الدفاع ـــ لولا الموقف المالي المريع . بدا واضحاً خلال الاسبوع ان الثقة لم تُسترد ، فالقرض الذي قيمته ثلاثة آلاف مليون دولار قد التُهم بسرعة ، كذلك فان مدينة لندن ورجال المصارف في زوريخ لم يكونوا على استعداد لمنح ثقتهم لهذه الحكومة العمالية . على أية حال ، فإنني أعتقد بأنه من المناسب ان أُضيف بان الخطأ ليس خطأهم كلية فجهودنا لتهدئتهم لم تكن مقنعة . كذلك فان ميزانية الخريف التي وُضعت لادخال الطمأنينة الى نفوسهم أدَّتْ الى إغضابهم . ثم جاءت المحاولة الثانية ، بواسطة اختصار الضرائب ـــ الضريبة النقابية وضريبة ارباح رأس المال[2] . وكلما أُعلن عن تفصيلات ما فان الشعب يريد اكثر ، ونحن في الحقيقة نراقب وزير المالية وهو يوزع ميزانيته قليلاً قليلاً دون ان يسعى لكسب ثقة اولئك الذين ينبغي عليه ان يهدِّئهم . مع ذلك ، فان هذا الاسبوع ، فيما عدا الازمة المالية المريعة ، يعتبر اسبوعاً حافلاً . وفي يوم الجمعة أظهر الاستفتاء الذي اجراه معهد غالوب (Gallup) باننا لانزال نتقدم على المحافظين بمقدار ١٠٪ ، وأشار المعهد بانه اذا اجريت انتخابات جديدة فاننا

(١) لقد اقنع جورج براون اتحاد الصناعة البريطانية ومجلس اتحاد نقابات العمال لكي يوقعوا على التصريح المتعلق بسياسة الحكومة حول الانتاج ، والاسعار ، والدخولات وذلك في مؤتمر كبير عقد في المجلس البلدي لمقاطعة لانكستر (Lancaster) في السادس عشر من كانون الاول .

(٢) لم يعط قاضي القضاة تفصيلات أساسية حول المعدلات النهائية لهذه الضرائب لكنه صرّح بأن الودائع لن تمس بأذى ، ومن الممكن ان تستفيد جمعيات البناء . ومن الممكن ايضا ان تستثنى بعض الشركات .

سنحصل على غالبية كبيرة من اصوات المقترعين .

هذا طبعاً ، هو سلاح هارولد السرِّي . ولاحظتُ ان صحيفة الاوبزيرفر (Observer) تتحدث الآن عن انتخابات قادمة هذا الربيع ، وعرفت من أشياء قالها لي هارولد ـــ كرَّرها ثانية أثناء تناولنا طعام الغداء يوم الخميس ـــ بأن اجراء انتخابات مفاجئة لايزال يدور في ذهنه . فاذا غدا واضحاً ان الثقة لن تُستردَّ وان تخفيض قيمة العملة يهدد الاقتصاد الوطني ، فانه سيذهب الى الشعب قبل تخفيض قيمة العملة ، ليطلب التصويت على الثقة ، وبعمله هذا فانه سيضع المحافظين في موقف حرج .

هناك سببان لضعف موقف المحافظين : السبب الأول هو مع انهم قرروا التخلص من دوغلاس هيوم ، إلا انهم لم يفعلوا ذلك بعد ، ولايوجد شيء اضعف من حزب يقرر فشل زعيمه ولايزال يفكر بمن سيخلفه . والسبب الثاني هو لانهم غير بارعين في المعارضة . لقد هُزموا في قضية الرادع المستقل ، والاسوأ من ذلك انهم تركوا انطباعاً سيئاً حول الموقف المالي .

فلو جاءت المعارضة وقالت إن جميع عوامل الثقة متوفرة للجنيه ، فان الازمة ستنتهي ، وهذا ماكان يصرّ عليه هارولد ولسون . فلو فعلوا ، فان مركزه سيقوى . واذا لم يفعلوا ، فانه سيذهب الى الشعب على أساس انهم لم يقوموا بواجبهم . وفي كلتا الحالتين فانه يضعهم في موقف حرج . لذا كان تكتيكه كالتالي : أنْ يجعل المحافظين دائماً في موقف لايحسدون عليه للاختيار بين : إما مؤازرة الحكومة ـــ وبذلك يقوُّونها ـــ أو الظهور بمظهرٍ غير وطني لمعارضتها .

يمكن ان اضيف هنا أنني بعد الاجتماع الخاص بمجلس الوزراء يوم الجمعة ــ عندما بحثنا مشروع قانون الايجارات ــ عدتُ الى مكتبي للاحتفال بفوزنا مع السيدة ايفلين وجورج موسلي ، وتناول كأس من الشراب ، ثم أمليتُ على السيدة ايفلين مذكرة كي تبعثها الى الوزارة ، تتضمن شكراً لجميع الذين ساعدوني في إعداد مشروع قانون الايجارات والتطلع الى التعاون في الانجازات الأخرى . لكنني كنت قادراً على إطلاعها على شيء اكثر أهمية ــ وهو أننا في النهاية سنحرز تقدماً في جبهة الإسكان ايضاً . ومن الأشياء التي كنت قادراً ان اتكلم مع هارولد بشأنها اثناء تناولنا ذلك الغداء هي الحاجة الى زيادة حجم الإسكان في القطاع الخاص في العام القادم لتغطية الثغرة الناشئة عن الضمور في البناء الخاص نتيجة معدلات الفائدة العالية . وتحدثتُ مع السيدة ايفلين حول هذا الموضوع قبل الغداء واقترحتُ بحرص بان علينا ان نجعل هدفنا هو بناء (١٣٥) ألف منزل ــ بزيادة (٢٠) ألف عن الرقم المخطط لهذا العام . وزاد هارولد الرقم على الفور الى (١٥٠) ألف وأعتقد طبعاً ، ان عمله هذا هو شيء سليم . لذا فاننا سنعمل الآن في الوزارة حتى عيد الميلاد في تفاصيل برنامج الإسكان قصير الأمد الذي يتضمن بناء (١٥٠) ألف منزل ، وفي انجاز المذكرة التي سنرسلها الى السلطات المحلية ونطلب فيها منهم ان يضعوا مقدَّماً برامج لمدة اربع سنوات لزيادة حجم الاسكان الخاص بمناطقهم . إنه لشيء عظيم ان يكون الى جانبك رئيس وزراء .

القسم الثاني

يوميـــات

الفترة

(٣/١/ – ٣١/٨/١٩٦٥)

الأحد ، ٣ كانون الثاني :

هذه اول عطلة عيد ميلاد ورأس سنة أقضيها كوزير . واتفقت مع الوزارة على عدم الذهاب للعمل طيلة أيام الاسبوع الذي يلي عيد الميلاد . لذا فقد كنت في راحة تامة حتى يوم الخميس عندما جاءت جني هول (Jenni Hall) من اجل عمل يومي خفيف . ولأول مرة منذ عدة سنوات اجد نفسي قادراً على القراءة بدون حاجة الى التفكير باستعراض ما سأقرأ . اخترتُ كتاباً[1] حول حياة بلفور الحافلة للكاتب كنيث يونغ (Kenneth Young) ، وكتاب « روبرت بروك » (Rupert Brooke) للكاتب كريستوفر هَسّال[2] ، الذي صدر منذ بضعة أشهر والذي أهدتني إياه جني بمناسبة عيد الميلاد . ومما يدعو للرثاء ان مؤلفات كنيث يونغ الكاتب الصحفي ، المكتوبة باسهاب وبأسلوب مغالى فيه ، ينقصها الوصف الحقيقي للشؤون السياسية . أما كتاب روبرت بروك ، فعلى الرغم

---

(١) عنوان الكتاب بالانكليزية : « Arthur James Balfour » ، ونشر في لندن من قبل دار بِلْ (Bell) للنشر عام ١٩٦٣ .

(٢) نشر في لندن من قبل دار فابرْ (Faber) للنشر عام ١٩٦٤ .

من تنقيحه السيء وأسلوبه المطوّل والمملّ ، فقد وجدت فيه صورةً رائعة عن الحياة في كامبريدج خلال السنوات الأخيرة التي سبقت الحرب الكونية الاولى . واعتقد انني انجذبت الى هذه الحياة التي وصفها بروك في العقد الاول من القرن الحالي لمشابهتها للحياة التي عشتها في العشرينات . وكان يوجد قاسم مشترك بين الحياة في كامبريدج في العقد الاول من القرن والحياة في اكسفورد في العشرينات وهو مزيج غريب من الخشونة والتقدير للجمال .

في الوقت الذي وصلتْ فيه جِني كنت قد بدأت التفكير بمشاكل الوزارة . كان الاسبوع المنصرم يتّسم بالاستجمام والراحة بشكل رائع . ان الطقس بارد في عيلاد الميلاد ووصلتْ درجة الحرارة في يوم الإهداء[1] الى (٢٥) درجة فهرنهايت[2] في منقطة برسكوت . فقمنا بنزهة سيراً على الاقدام مع طفليّ ، ومشينا على المروج المكسوة بالثلوج والتي تشبه مناطق القطب الشمالي في برودتها . وكانت سوكي[3] تعدو أمامنا لانها مثلنا تحب الثلج كثيراً . وفي مساء ذلك اليوم تغيّر الطقس فجأة . ان اليوم التالي يشبه ايام الربيع الدافئة بشكل لايصدّق ، وأعقبته ثلاثة ايام كان الجو فيها صافياً لكنه ظلّ بارداً . واستيقظنا اليوح فوجدنا الارض مغطاة بطبقة من الصقيع .

---

(١) يصادف يوم الاهداء Boxing day في السادس والعشرين من كانون الاول ، وهو اليوم التالي لعيد الميلاد وفيه تقديم الهدايا الى سعاة البريد وغيرهم من المستخدمين — المترجم .

(٢) درجة تجمد الماء هي ٣٢ درجة فهرنهايت — المترجم .

(٣) اسم كلبة العائلة .

لم نشعر بأعباء عيد الميلاد التقليدية ، حيث قررنا هذا العام ان نكسر تقليد الذهاب الى الكنيسة الكبيرة فأخذت باتريك وفرجينيا الى الكنيسة الصغيرة الملحقة بمنزلنا . فعلنا ذلك لأن قسّ الكنيسة الكبيرة ، الذي يحضر سنة ويغيب سنة اخرى ، رفض القيام بالخدمة الدينية يوم عيد الميلاد حيث كان من الممكن لطفليّ ان يتمتعا بذلك بشكل كبير .. ورغم اننا ندفع نصيبنا من نفقات الكنيسة الكبيرة ، فقد قررتُ الذهاب الى الكنيسة الصغيرة وقد تمتعنا بالطقوس الدينية التي أستمرت اربعين دقيقة واشتملت على تراتيل ، وعلى موعظة ، وعلى قراءة الانجيل . وكالعادة ، في يوم الإهداء ، يأتي لعندنا بعض الناس لتناول كأس من الشراب قبل الغداء ومن بينهم الميجور دونر (Major Donner) ، عضو مجلس مقاطعتنا ، الذي سقط عن فرسه عندما كان في سلاح الفرسان قبل ثلاثين عاماً ، ومنذ ذلك الحين اصبح مربي نحل لطيف المزاج . وقد نَظَّم أمر إنجاب الأطفال أيضاً بشكل متقن ، فأنجب ابنةً جميلة وظريفة جداً ، وولداً موهوباً — كانت البنت في إيتون (Eton) ، والولد في دير ويكومب (Wycombe) ، وجاء كلاهما الى حفلتنا مع عائلة هدسون (Hudson) ، التي تعيش في منطقة الجسر عبر القنال — وكان هدسون من المحافظين وصديقاً حميماً للمستر بريتشت (Pretchett) احد زعماء المحافظين أيضاً . كانت الحفلة سارّة ومتواضعة وغير مثيرة ، لكنها مريحة ومسلّية وعائلية . ولاشك في ان المرء يطلع في مثل هذه الحفلات على مناقب البرجوازيين . مهما عصفتْ بي الأيام ، فانني اليوم شخص يتمتع براحته الجسدية ، وبطعامه ، وشرابه ، وبالطنافس الجيدة ، والإحساس

بالرحابة في المزرعة ، وبالانتماء الى القرية بدون التزام كبير . هذه هي الأشياء التي اتمتع بها كثيراً جداً . وكم اشعر باسترخاء بعد توتّر بسبب ادراكي أنه في اللحظة التي يقول فيها أي شخصٍ بأن حياتي الوزارية قد انتهت يوجد حياة أخرى بديلة .

إن المشاكل الوحيدة التي نعانيها خلال هذه العطلة ، وهذا أمر غريب ، تتعلق بالنواحي المالية ، عملياً ، لم أكسب شيئاً خلال أشهر آب وايلول وتشرين الاول ، ووجدت ان راتبي الحالي أقل مما كنت اتقاضاه سابقاً ، لانني الآن لااستفيد من اية علاوات . انني من المفروض ان أقطُنَ في لندن لذا فلا اتقاضى علاوةً لقاء سكني بعيداً عن منزلي في برسكوت . ولايُصرف لي الآن بدل وجبات . ولايوجد مخصصات اضافية للوزير مطلقاً ، وهذا يعني انني سأبقى في عوز شديد حتى براتب الستة آلاف جنيه الذي اتقاضاه سنوياً . عملياً ، ستزداد رواتبنا الى تسعة آلاف جنيه سنوياً في شهر نيسان القادم ، واعتقد انني عندئذٍ سأحصل تقريباً على نفس الراتب الصافي الذي كنت اتقاضاه من عملي السابق كصحفي وكعضوٍ برلماني في المقعد الخلفي ، وهذا يعني ضرورة تخفيض المخصصات الشهرية التي أدفعها لزوجتي آن مؤقتاً . لكن مع ذلك يمكن تحمل النفقات الزائدة لان المزرعة تتقدم مالياً من مركزٍ قوي الى مركزٍ أقوى . حصلنا على محاسب جديد هُنا في بانبُري (Banbury) وقررنا ان نحوّل المزرعة الى شركة مساهمة محدودة كي نضمن عدم إعادة كل شيء نكسبه الى جلالتها عن طريق الضريبة[1] .

---

(١) عمليا ، ان الخطوة التي اتخذت بشأن التغييرات في معاملة الشركات الخاصة والتي قُدمت في ميزانية كالاهان ، كانت بمثابة كارثة ، وبعد سنتين اضطررنا الى إعادة برسكوت كما كانت في السابق .

ربما اجد لزاماً علي ان أُضيف شيئاً واحداً الى هذه الصورة عن حياتنا في برسكوت ـــ وهو الطفلين . إن هذين الوحشين الآدميين الأشقرين اللذين يكبران بسرعة ، أصبحا مزيجاً رائعاً من الطفولة والصبا .

فباتريك اصبح الآن متقدماً جداً بطريقة خاصة به . فتارةً تراه طفلاً يلعب بلعب الأطفال ، وتارة اخرى تراه صبياً يلعب كرة القدم ويقرأ عن قُبلاخان[1] ، كما يقرأ كتب تولكين (Tolkein) . ولكن بنفس الوقت كان يطلب مني ان اقرأ له أبسط كتب الاطفال ايضاً . وكانت فرجينيا تغار من باتريك وتقضي وقتاً صعباً حيث كانت تتعرض للضربات واللكمات من قبله ، وهي بدورها تحول هذه الضربات واللكمات الى كلبتها البودل[2] ، سوكي . ولكنها كانت تستغيث كثيراً ، وكما يقول بام بيري (Pam Berry) ، إنها تشبه الطفلة التي رسمها الرسّام الشهير رينوار الى حدّ كبير خاصة لون بشرتها وبريق عينيها . إنهما طفلان مُرضيان ويعملان بجد واجتهاد في المدرسة . في إحدى الأمسيات ، جاءت الآنسة صمويلز (Samuels) لتناول العشاء معنا خلال العطلة فتحدثنا طويلاً عن امكانيات المدرسة . من المحتمل ان تتم إعادة تنظيم العمل في شمال اكسفورد شاير ـــ التي تجري بالمناسبة تحت اشراف رجل موهوب يُدعى

(١) قبلا خان (Kubla Khan) هو احد اباطرة المغول (١٢١٥ ـــ ١٢٩٤) . وهو حفيد جنكيز خان ، وقد خلف اخاه الكبير مانجو عام ١٢٥٩ وتولى زعامة امبراطورية تمتد من شرق اوروبا وبلاد فارس في الغرب الى المحيط الهادي في الشرق . وأتم بنفسه فتح الصين الذي بدأ به جده . وكان شخصية عسكرية فذة ـــ المترجم .

(٢) البودل : هو نوع من الكلاب كثيفة الشعر أجعده .

هاري جدج[1] (Harry Judge) ، وهو مدير لمدرسة إعدادية[2] (Grammar School) — في اللحظة المناسبة . فاذا تمّ ذلك فان بامكان باتريك ان ينتقل من مدرسة الأحداث في التاسعة من عمره الى مدرسة متوسطة من التاسعة حتى الثالثة عشرة من عمره قبل ان ينتقل نهائياً الى المدرسة الاعدادية . وبالتأكيد فان هذا يلائمه كثيراً لانه سيحتاج الى نوع اكبر من المدارس عندما يبلغ التاسعة يضم معلمين ومعلمات[3] على حدّ سواء .

انني لاأزال أفكر كثيراً بالمشكلة الكبيرة الاولى التي واجهتني وأعني بذلك مشكلة هارتلي . لقد أتيت على ذكر هارتلي ، طبعاً ، من حين لآخر ولكن بما أنها اخذت تتضخم اكثر فاكثر في حياتي السياسية فانني سأوجز الآن ماحدث فعلاً في هذه القضية . وسيكون من المشوّق اجراءُ مقارنة بين الصورة التي أُقدمها الآن عن قضية هارتلي وبين ماكنت أتكلم عنها في الأسابيع الماضية . لقد بدا لي ، عندما بدأتُ أنظر في القضية لأول وهلة ، بان تحقيق بناء المنازل يجب ان يتضمن التسرب الى الأحزمة

---

(١) اصبح مديرا لمدرسة بانبري عام ١٩٦٧ ، وهو صديق حميم لعائلة كروسمان ، وهو عضو في لجنة المدارس الحكومية من ١٩٦٦ — ١٩٧٠ ، كما اصبح عضوا في لجنة جيمس لتقصي الحقائق في تدريب المعلمين عام ١٩٧٠ . وفي عام ١٩٧٢ اصبح مديرا لدائرة التعليم في جامعة اكسفورد خلفا لـ ألك بيترسون .

(٢) المدرسة الاعدادية في انكلترا تؤهل التلاميذ للالتحاق بالجامعة . اما في امريكا فتسمى المدرسة الثانوية — المترجم .

(٣) إن إعادة تنظيم التعليم التي حصلت كانت مختلفة . اذ لم يتم إحداث مدرسة متوسطة واقتصر على مدرسة كبيرة شاملة يذهب اليها الاطفال عند بلوغهم الحادية عشرة .

الخضراء لاتاحة الفرصة للمدن المختنقة بهذه الأحزمة ان تجد لها متنفساً . ويمكن ، طبعاً ، ايجاد مبانٍ جديدة في وسط الازدحام السكّاني اذا استخدم المرءُ الابنية شاهقة الارتفاع ، لكن ينبغي وجود تجمعات سكنية متفرقة خارج هذا الازدحام ، وهذا الاجراء يمكن ان يجعلني غير محبوب شعبياً . والشيء الذي لم احققه آنذاك (رغم تحذيري بشأنه) هو قوة الجيش الذي يمكن ان يعبأ دفاعاً عن اي حزامٍ أخضر . وبرزت أمامي المعضلة الاولى : هل أعارض مفتش الوزارة ام لا ضد قرية شركة سبان النموذجية في هارتلي . وقد نصحني السير جيمس دنكان جونز بقوة كي اعارض القرار . وبما انني حديث عهد بالوظيفة ، طلبتُ من جيم ماك كول ان يذهب بسيارة الوزارة نيابة عني ويرى المنطقة بأم عينه . وعندما عاد قال بأنه ينبغي عليّ ان ادرك ان زميلنا آرثر سكفنغتون يقطن هناك وقد ألقى خطابات بصدد المشكلة ، كما ينبغي ان أُدرك بأنه سيكون هناك نزاع شديد في الحزب اذا عارضتُ قرار المفتش . لكنه قال بأن المنطقة صغيرة جداً ، وبالموازنة مع سياستنا الجديدة فهو يعتقد بأنه ينبغي علينا ان نعطي الموافقة لشركة سبان وان نتحمل النتائج . كانت خطيئتي الأولى هي إرسال جيم ماك كول الى المنطقة . والخطيئة الثانية التي أراها عندما استعيد الأحداث الماضية وأتأمل فيها هي أنني لم أدقق في مسودة القرار التي كتبت لي . اما في القضيتين الأُخريين الخاصتين بالحزام الأخضر ، وهما شلمز لي وود ، وستاننغتون ، قُرب شيفيلد ، فقد أخذتُ القرارين بيدي وأعدتُ كتابة كلِّ كلمةٍ منهما بحيث يعبّران عن رغباتي بوضوح . ولكن في قضية قرار هارتلي فقد اخذته فقط ووقعت على الوثيقة الركيكة التي

قدّمتها الوزارة لي . وكانت هذه الوثيقة تشرحُ باسهاب جميع الأسباب الداعية لعدم منح الترخيص ، ثم أضافت بشكلٍ صريح سبباً او سببين لماذا يجب ان يمنح هذا الترخيص . وسمحتُ لتلك الوثيقة بالخروج من الوزارة لانني لم أُنصح من قبل الوزارة بمخاطر فعل ذلك . لم اكن في ذلك الوقت مكترثاً عندما قال ألدرمان ريفز ، رئيس مجلس مقاطعة الريف ، بأن هذا هو اسوأ قرار شاهده في حياته ، على الرغم من ان صحيفة او صحيفتين قد عبّرتا عن صدمتهما من جرّاء هذا القرار . وسرعان مااتضح ان القرار لم يخرج بشكل جيد ، ووضح ذلك بشكل اكبر في الاجتماع الأول لمجموعة الاسكان حيث تصدّى نائب زعيمنا النيابي « سيدني ارفنغ » ، مع عضوين برلمانيين آخرين من مقاطعة كِنْت هما نورمان دودز وألبرت موري ، للقرار بشدة واتهموني بالاستسلام لمشروع خاص في منطقة مكتظة الآن وسكانُ الضواحي محشورون بالقطارات كالسردين . وقالوا : « أليس ذلك القرار شيئاً جنونياً ؟ فكيف تعطي موافقتك على ذلك وأنت الذي قلبت مشروع بناء السلطة المحلية رأساً على عقب في تلك المنطقة نفسها ؟ » وعندما فكرتُ بما فعلت وبالنزاع الذي نشأ من جرّاء ذلك ، أيقنتُ ان معالجتي لقضية هارتلي ــ وهذه تختلف عن بيرمنغهام وشيفيلد حيث كنت أُعطي هناك أرضاً لمشاريع بناء السلطة المحلية ــ قد جعلني هدفاً للانتقاد ، خاصة لانني فعلتُ ذلك متحدياً مفتشي وزارتي .

على أية حال ، اعتقد انني قد نجوت من العاصفة عندما جرى نقاش ذلك في مجلس اللوردات بمبادرة من اللورد مولسون (Molson)

رئيس اتحاد تخطيط المدينة والريف[1] . كان من احدى التزاماتي الاولى كوزير ان اكون ضيف شرف على اتحاد تخطيط المدينة والريف في حفل العشاء السنوي الذي أقامه الاتحاد،ووجدت نفسي هناك اجلس بجانب مولسون . ربما شربتُ كثيراً ، وربما كنت غاضباً بسبب ضيق افق تفكيره ، لكنني دافعتُ عن قرار هارتلي أمامه اثناء تناول الطعام . وبعد ثلاثة أسابيع أعدتُ ذلك ألف مرة عندما أثار النقاش في مجلس اللوردات وآزره في ذلك اللورد موريسون (Morison) واللورد كورلي (Chorley) . كان النقاش بمجمله ضاراً ـــ لقد جعل هارتلي قضية قومية وليست مجرد مسألة محلية . وأخيراً ، نُشر قبل عيد الميلاد مباشرة رسمٌ كاريكاتوري شرير وذكي بقلم اوسبرت لانكستر (Osbert Lancaster) في صحيفة الديلي اكسبريس (Daily Express) يحمل « راسين لكروسمان » ، كما نشر ايضاً مقال افتتاحي شديد اللهجة في صحيفة صن (Sun) بقلم سيدني جاكوبسون .

إن الخط الجديد في الهجوم الذي شُن عليّ يتضمن القول بأن شركة سبان عبارة عن مجموعة مضاربة من تجار البناء الذين اشتروا الارض بسعر ٧٠ جنيه للفدان[2] الواحد وسيجنون من ذلك ارباحاً طائلة . ومع ان هذا يبدو نظيفاً للوهلة الاولى ، فانه في الحقيقة مجرد اتهام منافٍ للعقل ، لانِ مافعلته شركة سبان هو شراء الأرض بسعر منخفض كي تتمكن من استعمال ثلث الأرض فقط لبناء المساكن وتخصيص الثلثين

(١) جرى النقاش في الحادي والعشرين من كانون الاول .

(٢) الفدان الانكليزي يساوي ٤٨٤٠ ياردة مربعة او نحو ٤٠٠٠ متر مربع .

للسّاحات العامة والمدارس والمستشفيات وبذلك تستطيع ان تُخرج قريتها الى حيّز الوجود . هذا هو الجواب الصحيح ، ولكن واحسرتاه ، فانني كوزير متهم في مسألة قانونية ، لم اكن قادراً على الاجابة .

إن الشيء الذي كنت قادراً على فعله هو عقد مؤتمر خاص حول قراري المتعلق بِـ شلمزلي وود وذلك قبل عيد الميلاد مباشرة . في هذه المرة اتخذت جميع الترتيبات اللازمة . لقد اوجزتُ الموضوع لصحافة ميدلاند (Midland) بحرص وعناية ، واجتمعت بِ بريان رِدّهِدْ (Brian Redhead) من صحيفة الغارديان ، وتناولت الغداء مع مراسل صحيفة التايمز المعماري وهو ايضاً محرر في مجلة فن العمارة . ونتيجة لذلك ــ وهذا حظ كبير ــ فانه في اليوم الذي كان فيه لانكستر ، وسيدني جاكوبسون يهاجماني ، كانت هناك مقالات افتتاحية في صحيفتي الغارديان والتايمز تدافع عما فعلته كإجراء لمرحلة قصيرة لكنها تحذر من امكانية تعذر الدفاع في المرحلة الطويلة المدى . كما انني اخطط أيضاً لنشر قراري الثالث الكبير حول ستاننغتون ، قُرب شيفيلد ، سريعاً .وسيكون من الصعب مهاجمتي حول هذا القرار .

على أية حال ، فإنني لا زلت معرَّضاً للهجوم بشأن قضية هارتلي؛ وفي خلال هذه الازمة، كنت أتساءَل بيني وبين نفسي هل ينبغي ان أعقد مؤتمراً صحفياً حول قضية الأحزمة الخضراء التي تشمل هارتلي وستاننغتون بدلاً من عقد مؤتمر صحفي يتعلق بِ شيفيلد ، وسوف ابتدع ايضاً طرقاً للتشاور اكثر فعالية من تلك التي اجريتها مع مجلس مقاطعة كِنْت حول هارتلي ، وسوف احصل على اتفاقيات ثابتة بين شركة سبان من جهة ،

وبين مجلس مقاطعة لندن ومجلس مقاطعة الريف من جهة اخرى ، بحيث تتقدم الشركة بعرضٍ لاتاحة الفرصة لكل من المجلسين ان يشيِّد عدداً كبيراً من المنازل وتقوم هي ببناء قريتها النموذجية داخل منطقة المنازل الجديدة . واعتقد انني اذا فعلتُ كلَّ ذلك فانني سأجتاز قضية هارتلي دون تشويه كبير لسمعتي[1] . في مجريات الأحداث التي مرَّت بي عرفت شيئاً ما عن الفرق بين سكرتيريّ البرلمانيين . فقد أظهر جيم ماك كول انه جبان بشكل شنيع . أما بوب مِلِش ، ذو العنق الصلب ومن منطقة بيرموندسي (Bermondsy) ، فقد أثبت طبعاً انه مخلص ووجدت أنه رجلٌ صلب من الدرجة الاولى في النواحي السياسية . انه طبعاً من مجلس مقاطعة لندن الذي هو بحاجة الى مناطق متفرقة لمجلس المقاطعة ، لذا كان لديه نفس اهتمام مدينة لندن في مؤازرتي حول قرار هارتلي ضد مجلس مقاطعة لندن ومجلس مقاطعة الريف . وقد فعل اكثر من ذلك اذ ذهب الى اعضاء حزب العمال البرلمانيين ليمهد الطريق لي وليدافع عن تصرفي .

بعد تفكير طويل بشؤون الوزارة بعد غيابي عنها عشرة أيام ، وجدت ان تلك المدة لم تزد من احترامي . أبداً ، فالموظفون من الدرجة الثانية وغير مثيرين للحماس . وهم جيدون للغاية فيما يتعلق بالعمل الوظيفي فقط .

(١) كان كروسمان يأمل في انه بدلاً من انشاء حيّ للطبقة المتوسطة في الحزام الاخضر ، فان هارتلي سوف تكون مزيجاً من التطور الاسكاني الخاص والعام . لكن واحسرتاه ، فان مخططه هذا قد تلاشى لأن المجلس المحلي رفض بناء منازل هناك ، واصبحت القرية النموذجية منطقة سكنية للطبقة المتوسطة تعرف باسم آش غرين (Ash Green) .

والذي ينقصهم هو التفهم البنّاء للمشاكل التي يعالجونها مع شيء من التصوّر . إنهم ايضاً معارضون جداً لأية مشورة تأتي من خارج الوزارة والتي اعتقد ان من واجبي ان اجلبها الى الوزارة . لذا فان المعركة بيني وبين الوزارة ستستمر لأنني أحاول أن أجعل من هؤلاء الموظفين الجيدين رجالاً ذوي وعي وخبرة وسعة اطلاع ، كما أحاول ان ادخل قليلاً من الدم الجديد الى اوردتهم بواسطة أناس من خارج الوزارة يعرفون الحقائق عن القضايا التي يعالجها موظفو الوزارة بطريقة جامدة وبعيدة عن المنطق .

إنني لاأزال أشعر بأنني بعيد عن الوزارة بشكل يدعو لليأس . فعندما كانت جني هنا في برسكوت ، قضينا معظم ساعات النهار في إعداد مذكرة تعالج مشكلة مراسلاتي في الوزارة وهذه المشكلة كانت سبباً للخلاف بيني وبين بريان بونسفورد اسبوعاً بعد اسبوع . وقد وجدت من الضروري ان أخبره ٤ مرات على الأقل بأنني أرغب ، ولو لفترة تجريبية ، في رؤية جميع الخطابات التي تُرسل إليّ شخصياً . وكان يجيب في كل مرة : « لكن هذا مستحيل » ، وحتى هذا اليوم فان معظم الخطابات التي أُرسلت لي شخصياً لم تصلني قط . فهي تذهب الى الوزارة مباشرة وتُعالَج هناك دون ان يراها الوزير . ومن الصعوبة بمكان تغيير هذا الإجراء . وفي الحقيقة ، فان الموقف الرسمي للوزير بهذا الشأن يبدو متناقضاً ظاهرياً . وقد اكتشفتُ حتى الآن ان الوزارة ـــ التي حاربتني بتصميم ـــ ترى بالنسبة للقرارات الكبيرة اني جدي الى حدّ ما ، فتقبل بوجهة نظري حول هذه القرارات وتباشر بتنفيذها . اما فيما يتعلق بالأمور الصغيرة مثل تغيير الطريقة التي يُدار فيها مكتبي الخاص ، او وضع

هواتفي في المكان الذي اريده ، او اعادة تنظيم طريقة ترتيب صندوقي الأحمر ، فان الموظف يكون دائماً بغيضاً بشكل لايطاق ، ومصماً على التمسك بما يعتبره الأسلوب الوحيد الممكن ، بطريقة مزعجة .

تحدثتُ كثيراً عن الوزارة . والآن ماذا بشأن مجلس الوزارء وعمل الحكومة ؟ فاذا رجعنا للوراء الى شهر تشرين الأول فانني لاأزال أشعر بالتعب بسبب سذاجتنا الفظيعة عندما تولينا السلطة . فمضينا قُدُماً بتنفيذ عدد من الأمور ، وغالباً بقرارات سريعة ، ويبدو لي الآن ان جميع هذه الأمور قد أُسيء تقديرها ، حيث فشل الرجال الثلاثة المعنيون ، وهم هارولد وجورج وكالاهان ، في التنبؤ بالنتائج . فعلى سبيل المثال ، فان ضريبة أل ١٥٪ الاضافية التي لاتزال تسبب لنا المشاكل الكبيرة في اوروبا ، كانت خرقاً فاضحاً لمعاهدة اتحاد التجارة الحرة الاوروبية ، وقد حذَّرنا دوغلاس غي في اول اجتماع لمجلس الوزراء من جميع المشاكل التي قد تنجم عنها . مع ذلك فقد تحمَّس لها جورج براون وهارولد ولسون . كذلك فان سذاجتنا في الإصرار على الزيادة التي مقدارها ١٢ شلناً و ٦ بنسات في معاشات المتقدمين بالسنّ من المتقاعدين وعلى إلغاء رسوم حق التقادم،على الرغم من تحذيرات وزارة المالية.في كلتا هاتين الحالتين،اذا كنت أتذكر على نحو صحيح ، فان الحكم كان ضد هارولد ولسون وجيمس كالاهان . لقد أراد مجلس الوزراء ذلك وسُمح له ان ينفذ رغباته دون ان يحذرنا أحدٌ بجدّية مما سيحدث . وكما اذكر ، لم يُعَبِّر اي امرىءٍ عن مخاوفه من ان تنفيذ هذه الزيادات في المعاشات واعلان الزيادات في الضرائب التي سوف تدفع لهم سوف تؤدي الى أن تخلق أزمة ثقة ،

ونتسبب في دفع فائدة مصرفية مقدارها ٧٪ ، ونسبب القلق لرجال المصارف الأجانب . كان هارولد ولسون اثناء الانتخابات ذا خبرة ، وداهية وحذراً ، ومع ذلك فانه عندما دخل المبنى رقم (١٠) وحاول ان يظهر نفسه بانه رجل عملي وأن يباري الرئيس كنيدي في المائة يوم[1] ، اصبح فاشلاً في الموضوع ذاته حيث ينبغي ان يكون خبيراً — اي في الشؤون الاقتصادية .

ولكن توجد حالة واحدة فقط حالفه الحظ فيها . جئنا الى السلطة ونحن مفعمين بالشكوك حول جورج براون . وقد قال لي هارولد اكثر من مرة قبل الانتخابات وبعدها بأنه سيتخلص من جورج براون في غضون ستة أشهر . عملياً ، كانت أعمال جورج رائعة . فقد أسَّس دائرة الشؤون الاقتصادية الجديدة ونقل اليها عدداً من الموظفين الممتازين ، وقد أنجز عملاً باهراً بشأن الأسعار وسياسة الدخولات بجعله اصحاب العمل واتحادات نقابات العمال يوقعون على تصريح يتضمن عقد اتفاق بينهم ، ولاشك بأنه كوزير اول وكنائب لرئيس الوزراء فهو مهيمن تماماً على المسكين جيمس كالاهان الذي يعتبر الرجل رقم (٣) .

طبعاً ، كان هارولد نفسه جيداً ، وخاصة في معالجته لأزمة روديسيا . فقد سَلَّطَ الأضواء على مخادعة المستر سميث بشكل يدعو للاعجاب . واعتقد انه كان ناجحاً للغاية ايضاً في زيارته لواشنطن واقناعه الامريكيين بأن بريطانيا عبارة عن شريك أصغر ومخلص . وقد اقنع نفسه

(١) يقصد المائة يوم الاولى من حكم الرئيس كنيدي التي اتسمت بتنظيم الشؤون الاقتصادية .

على الأقل ، بسبب جعله ليندون جونسون الى جانبنا ، بأننا نستطيع السير قُدُماً دون ان نخفض قيمة الجنيه لأننا دخلنا الآن في نظام الدفاع الامريكي.لكن كان علينا ان ندفع ثمن نجاحنا هنا ايضاً.لاشك بأن أحد الأشياء التي كنا نصبو اليها عند تسلمنا السلطة هو اجراء تخفيض حقيقي في نفقات الدفاع . مع ذلك فاننا عندما ننظر الى كل التزام من التزاماتنا

فيما وراء البحار ـــ في هونغ كونغ ، وفي الملايو ، وفي جزر مالديف[1] ، والخليج العربي ، وعدن ـــ نجد ان وزير الدفاع مرتبك من جرّاء نصيحة خبرائه الذين يقولون : : « ايها الوزير ، انك لاتستطيع ان تخفض نفقات الدفاع .» ونتيجة لذلك فاننا منتقلون الى فترة التقديرات الدفاعية دون اجراء أي تخفيض جدّي يحققه دنيس هيلي وأركانه . حقاً ، يبدو الآن وكأن هارولد ولسون في عام ١٩٦٤ مسؤول عن التزام مفرطٍ في نفقات ماوراء البحار المرهقة اكثر من تلك التي ألزمنا بها إرنست بيفن[2] (Ernest Bevin) عام ١٩٤٥ لنفس السبب وهو : ارتباطنا بالعلاقة الانكلو ـــ امريكية الخاصة وبسبب اعتقادنا بانه بوجود هذه العلاقة فقط نستطيع ان نظل على قيد الحياة خارج اوروبا . وهنا يوجد شيء آخر علينا أن نتذكره . فبينما كنا نؤسس حكومتنا العمالية هنا ، كانت هناك أحداث كبيرة تجرى على الساحة الاوروبية ، تشمل الاتفاقية النهائية بين ألمانيا وفرنسا حول سعر القمح ، هذه الاتفاقية التي تضع الأساس لسياسة

(١) جزر مالديف : جمهورية مستقلة تقع في المحيط الهندي على بعد ٣٠٠ ميل جنوب غرب الطرف الجنوبي للهند . انضمت الى الامم المتحدة عام ١٩٦٥ ـ المترجم .

(٢) عندما كان وزيرا للخارجية في حكومة العمال التي تولت السلطة بعد الحرب العالمية الثانية .

زراعية مشتركة . واعتقد باننا سوف نجد بان الجماعة الاوروبية ستسير الى الأمام ببطء الآن ولن يكون هناك مكان لبريطانيا معها . ففرصتنا الأخيرة للانضمام قد ذهبت الا اذا تلا موتَ الجنرال ديغول بعضُ الاضطراب .

تحدثت كثيراً عن كيفية معالجة هارولد ولسون للشؤون الخارجية . لقد أظهر حتى الآن فشلاً وحيداً في معالجته للسياسة الاقتصادية العامة . واعتقد كذلك انه لايعالج المشاكل الكبيرة في هوايت هول بصورة حسنة . ومع ان جورج براون ناجح جداً ، فان توزيع السلطة بين الخزانة ودائرة الشؤون الاقتصادية هو تطوير علينا ان ندفع ثمنه غالياً حيث سبّب خلافاً حول التخطيط المركزي . ولديّ بعض الشكوك الخطيرة حول وزارة التكنولوجيا الجديدة التي يشرف عليها فرانك كزنز واللورد سنو.أما بالنسبة لوزارة الأراضي والموارد الطبيعية الجديدة،التي اقتطعت من وزارتي كهيئة مستقلة ، فهي غير ضرورية بشكل واضح . ومما لاشك فيه لو ان لجنة الاراضي قد عولجت من قبل وزارة الإسكان والحكومة المحلية مع جعل فردويلي وزيرَ دولة ، لاستطعنا ان نحصل على مشروع قانون مُعَدٍّ بشكل افضل وفي الوقت المناسب . وهناك دائرة جديدة مماثلة وهي دائرة شؤون ويلز ، وقد أُحدثت خصيصاً لِ جيم غريفثز (Jim Griffiths) وسكرتيريه البرلمانيين ، وهذا كله نتيجةٌ لتعهدٍ أحمق اثناء الانتخابات . كلا ! انني لااعتقد ان هارولد ولسون قد عمل بصورة جيدة في هوايت هول . لقد تسبّب بالتأكيد في ضغط كبير على أركانه ، مما دعا السيدة ايفلين للتذمر كل يوم.

على اية حال ، فاننا مستقرون الآن ويجب عليّ ان لاأعطي انطباعاً

بأن نقاط الضعف هذه كانت واضحة لأي امرئ خارج الوزارة . وانني لأعتقد بأنها كذلك . وعلى العكس ، فان هذه الحكومة تبدو للناس العاديين وكأنها ذات مظهر جديد . لقد لاحظنا الآن من استفتاء اجراه معهد غالوب بان لنا شعبية اكثر مما كان لنا اثناء الانتخابات وان هارولد ولسون في مركز يستطيع ان يجري انتخابات جديدة في اي وقت يشاء ضد حزب المحافظين المنقسم على نفسه بسبب الخلاف الداخلي على من سيخلف دوغلاس هيوم . والحقيقة الكبرى الأخرى التي على المرء ان يضعها في الاعتبار عن تقديره قوة الحكومة هي انهيار المحافظين الموجودين في المعارضة . انهم غير متماسكين ويشعرون بالغضب بسبب الأغلبية الصغيرة التي حصلنا عليها في الانتخابات ، وهم منصرفون للنزاع فيما بينهم . ان زعيم الحزب أِلِك دوغلاس هيوم شخصية وديعة ، ومحبوبة ، لكنه غير فعّال كزعيم للمعارضة ، والآن يوجد نشاط كبير في حزب المحافطين حول من سيحل محله وكيفية تنفيذ ذلك . في الحقيقة ، إن المحافظين يتصرفون وهم في المعارضة بنفس اسلوب التصدع الذي اظهرناه بعد عام ١٩٥١ . لايزال يبدو لي انه من المحتمل ان نجري انتخابات مبكرة حيث سيفوز فيها هارولد ولسون بكل سهولة . وكبديل عن ذلك ، فانه من المحتمل ان يؤجلها لمدة سنتين او ثلاثة ، وفي كلتا الحالتين فانه يستطيع احراز النجاح بينما يتخاصم المحافظون ويجدون صعوبة كبيرة في الاتفاق على سياسة موحدة .

ان مايقلقني ، عندما أنظر الى الأمور من الداخل ، هو ماذا كان ينبغي علينا ان نجد حلاً مرضياً لعدد من مشاكلنا المركزية . اولاً هل

يكون لدينا مشروعُ قانونٍ لتأميم الفولاذ ذو معنىً حقيقي ؟ ثانيا ، هل نُعِدُّ مشروعُ قانونِ لجنةِ الاراضي بحيث يكون لديه معنى حقيقي ؟ ثالثاً (وهذا شيء ذكرته في اليوميات بصعوبة) هل يكون لدينا ضمانٌ للدخولات ذو معنىً حقيقي ؟ من الواضح مرة اخرى ان معارضة اشتراكية تأتي الى السلطة في هذا البلد بخطط « نصف مخبوزة » . في الحقيقة ، لقد انجزنا هذه المرة اكثر مما عملته حكومة عام ١٩٤٥ فيما يتعلق بالضمان الاجتماعي ، وبشكل خاص حول ضمان الدخولات ورواتب التقاعد . لكنني سمعت مسبقاً مايقال من ان ضمان الدخولات ، الذي قدَّمه دوغلاس هوتون الى سياستنا كخدمة خاصة منه لم يُعمل بشكل كافٍ كي يمكن وضعه موضع التنفيذ . وأنا أشك أيضاً بأن تأميم الفولاذ يشبه ضمان الدخولات ، وانا اعرف ايضاً ان ذلك ينطبق على اصلاح الاراضي المستأجرة ولجنة الاراضي ، حيث تبدو سياسة الحزب من النظرة الاولى في هوايت هول انها غير عملية وعديمة الجدوى .

مع وجود هذا النقص بالسياسات المخططة بوضوح ، فان هوايت هول تعتمد بشكل اكبر على زعامة هارولد ولسون . لقد قضى هارولد احد عشر يوماً في جزر السيليز[1] (Scillies) وعاد الآن ، وهو بدون شك مشغول في العمل . إن عدم وجود حياة اجتماعية لديه تعتبر أمراً مريعاً . ففي كل مرة يقابله المرء ، تكون المقابلة رسمية وأنا أرفض ان أطلب كثيراً

(١) هي مجموعة من الجزر التي تمتلكها انكلترا . وتقع على بعد ٢٧ ميلا جنوب غرب طرف اليابسة في كورنويل . وعدد الجزر المأهولة منها خمسة فقط . عدد سكانها ٢١٩٤ نسمة ، ومساحتها ستة أميال مربعة ـــ المترجم .

من المقابلات الرسمية لان ذلك يعطي انطباعاً بانني محتاج لمساعدته . إن الشخصين الوحيدين اللذين لايزالان يريانه بشكل خاص هما توماس بالوغ، وجورج ويغ، لقد أضرّ الأول بسمعته من جراء تهجمه على الخدمة المدنية ، أما الثاني ، فانني اشك بانه اصبح ليندمان[1] (Lindemann) هذه الحكومة . فهو يرى هارولد اربع او خمس مرات في اليوم وعملياً فانه يعيش معه . وقال احد الأشخاص بان ليندمان بالنسبة لهارولد مثل سانكو بانزا بالنسبة لدون كيشوت ، وبالنسبة لي فانني لااستطيع ان افكر بأي شخص يماثل دون كيشوت سوى هارولد ولسون ، او يماثل سانكو بانزا سوى جورج ويغ . والشيء الحقيقي هو ان هذين الاثنين يقفان معاً في منتصف هذه الحكومة . ولايوجد في مجلس الوزراء اي تجمع مترابط سواهما لان بقيتنا موجودة في وزاراتهم يُعدّون التقارير الوزارية ، ويقومون بمهام وظائفهم ، ويتصرفون كوزراء وليس كسياسيين .

هل ستكون هناك ازمة في شباط عندما نأتي الى التقديرات المالية ؟ إنني اعتقد بأن ذلك سيحدث . وهل ستكون هناك أزمة تخفيض للعملة مرة اخرى ؟ انني اعتقد بان من المحتمل ان يحدث ذلك . ولسوف نمرّ بفترة عصيبة من الآن وحتى إقرار الميزانية ، ولن أفاجأ اذا اجرينا انتخابات مبكرة . وكذلك فانني لن أُفاجأ اذا استمر هارولد ولسون في الحكم لمدة سنتين .

(١) البروفسور ليندمان ، الذي اصبح فيما بعد اللورد شيرويل ، كان مستشار تشرشل الخاص ، وكان لدرجة معينة مؤتمنا على اسراره .

الاثنين ، ٤ كانون الثاني :

كنت مدركاً عندما سافرتُ بالقطار بانه ينبغي عليّ ان اذهب وأرى هارولد ولسون حول قضية هارتلي بأسرع وقت ممكن لكي احصل على تأييده قبل ان يحصل على ذلك شخص آخر . وكإجراء احتياطي اتصلت بـ جورج ويغ وبعد ان تحدثنا عن مشاكله حول الطائرات وعن الاستراتيجية الجديدة الخاصة بشرق السويس ، سألته حول الذهاب الى هارولد . فقال : « إياك ان تخطئ ياديك حول ذلك ، فقرار مثل هارتلي سبَّب لك الكثير من المشاكل . وهناك كثير من الشخصيات الهامة التي انزعجت بسببه . » وقال بشكل واضح ان هارولد ولسون منزعج ايضاً . فقلت له : « هل أذهب وأراه ؟ » فقال : « طبعاً ينبغي عليك ان تذهب وتحصل على تأييده . وبالمناسبة ، لاتَنْسَ أنك اذا حصلت على ذلك كفقرة أُولى على جدول الأعمال فانه سيضع كفقرةٍ ثانية الشخص الذي سيحل محل سكرتيرتك الدائمة . » فقلت : « أوه ، هل هي قضية السيدة ايفلين ؟ » فقال : « لاتسألني اكثر من ذلك . انني اخبرك بالضبط ان استبدال سكرتيرتك الدائمة يدور في ذهنه كثيراً . ويجب ان تضعها كفقرة ثانية في جدول أعمالك . » .

كما سبق ان ذكرتُ في هذه اليوميات ، فان الإشاعات في هوايت هول هي ظاهرة غريبة . فعندما ذهبتُ الى مكتبي هذا الصباح رأيت السيدة ايفلين لأمور كثيرة تتعلق بالعمل (هذا هو اليوم الاول للعمل بعد عطلتي التي استمرت عشرة أيام بعد عيد الميلاد) . فأخبرتني السيدة

ايفلين على الفور بأن رئيس الوزراء قد طلب من السير هلسبي ان يراني بشأن موافقتي على اخذ بروس فريزر والاستغناء عنها . قالت كلّ هذا وهي بحالة معنوية جيدة . برغم كل ذلك ، فهي قد تجاوزت سنّ التقاعد وعلى وشك الذهاب عندما تجري الانتخابات . وهي تنتظر فقط حتى تجد بديلاً جيداً . واخبرتني ايضاً بأن هلسبي سوف يأتي ليراني في غضون يوم او يومين . وبالمقابل فقد اخبرتها بأنني سأبحث مستقبلها مع رئيس الوزراء وسأصرّ كي تبقى حتى الصيف ، وبذلك تمنحني وقتاً كبيراً كي اجد بديلاً مناسباً . فقالت السيدة ايفلين بأنني سأجد رئيس الوزراء اكثر الحاحاً كي لاتبقى حتى الصيف .

بعد ذلك رأيت بيتر براون ، الموظف الصحفي لديّ ، فأكد بأن العاصفة حول هارتلي تزداد شدّةً وبشكل ثابت وقد تحوّلت الآن الى قضية قومية . ولكن ليس فقط الردهة الكبرى في مجلس العموم هي المنزعجة بشكل خطير ، فالصحافة الشعبية الآن ــ مثل صحيفة أنباء العالم[١] ، والديلي اكسبريس[٢] ــ بدأت ترى في هذه القضية مجالاً جيداً لمهاجمة الحكومة.وكان واضحاً لـ بيتر ولي أيضاً بأنه ينبغي علينا ان نقوم بعمل ما حولها وبشكل سريع . لذا قررنا إلغاء المؤتمر الصحفي المقرر عقده يوم الثلاثاء حول قرار شيفيلد وقررنا بدلاً من ذلك ان نعقد نوعاً مختلفاً تماماً من المؤتمرات الصحفية وذلك صباح يوم الخميس القادم حيث سأعلن

(١) The News of the World .

(٢) The Daily Express .

قرار شيفليد بوصفه جزءاً من شرح كامل عن موقفي بشأن مشاكل الأحزمة الخضراء . وعندما خططتُ هذه الفكرة مع براون اخبرته بأنني سأراجعها مع رئيس الوزراء . في غضون ذلك ، اتصلتْ جني هاتفياً بـ مارشيا (Marcia) التي أفادت بأن عليّ ان اذهب الى المبنى رقم (١٠) الساعة الثالثة بعد الظهر . لذا بعد ان تناولتُ طعام الغداء مع بوب مَلِش في « نادي المزارعين » الكائن في مبنى هوايت هول ، حيث كنت اتوارى غالباً هذه الايام ، توجهت الى داوننغ ستريت مشياً على الأقدام . كان يوماً ملائماً لمقابلة هارولد حيث انه عاد منذ وقت قصير من جزر السيليز ، ولايوجد اجتماع لمجلس الوزراء ، او للجانٍ وزارية ، كما انه لايوجد لديه مسائل لمعالجتها حتى الساعة الرابعة حيث سيناقش مسألة إندونيسيا .

لذا كنت هناك في تمام الساعة الثالثة ، اجلس الى جانبه . وهو عندما يستقبلك فانه يقف لوحده في غرفة مجلس الوزراء الكبيرة . بدأت الحديث عن الحزام الأخضر وسألته عما اذا كان منزعجاً بشأنه . فقال : « كلا ، ولكنني اعتقد بان هذا العمل ينبغي ان يتولاه فْرد ويلي ، وليس انت . انني اريده ان يتحمل جميع المضايقات التي اعرف انها ستحدث حول قرارات الحزام الأخضر . ولهذا السبب اردتُ ان أُسند اليه شؤون التخطيط وان اتركك فقط للإسكان . »

لقد أكَّد لي كلامُه هذا مالاحظته كثيراً حول هارولد . فهو في الحقيقة لايغيّر فكره أبداً . وهو يشبه بذلك كلب يوركشاير (أحد كلاب الصيد الشهيرة بنشاطها وذكائها) . انه يمسك بأسنانه فكرة ما يكون

قلقاً عليها ولايتخلى عنها ابداً . لقد كان مصمماً أساساً على شطر الإسكان والتخطيط ولازالت تلك فكرته الثابتة . لذا لم اكن مندهشاً كثيراً عندما استطرد قائلا : « لماذا لاتترك كلَّ مايزعج الى الصديق ويلي وان تركِّز على العمل الحقيقي المتعلق بادارة الاسكان ؟ » فقلت باختصار بانها مهمة تشارلي بانل كوزير للاشغال ان يتعامل مع الآجر والمِلاط ، فقال : « إن تشارلي بانل ليس شخصاً جيداً . وانني اريدك ان تأخذ على عاتقك مسؤولية ادارة الاسكان شخصياً كما أريدك أن تعيِّن ايضاً مديراً للاسكان ، بحيث يكون رجلاً صارماً يستطيع تسيير امور الاسكان بشكل جيد .» ثم عرفت طبعاً انه كان يتحدث مع آرنولد غودمان حول صديقه هيامز . ويجب ان اعترف بأنني كلما فكرت بـ هيامز اكثر كلما اصبحت في حيرة أشدّ ماذا كان هذا المليونير ، مضارب الأملاك ، يستطيع حقيقة ان يسدي خدمةً لوزير إسكان عمالي . على اية حال ، عُدتُ الى قضية الحزام الأخضر وحاولتُ ان اشرحها له . فلم يُظهر اي اهتمام . فسألته ثانية : « هل انت منزعج بشأن ذلك ؟ » فقال : « أبداً ، وانني متأكد انك فعلت ذلك بشكل صحيح تماما . » وعندما كان ينظر إليّ بتلك العينين الرماديتين الفاترتين أدركتُ ماذا يعني من وراء ذلك لقد رأيت هارولد سابقاً وهو ينبذ فكرة توم فريزر الخاصة بتحقيق اللورد بيتشنغ عندما فقدت شعبيتها،وأنا أدرك الآن انني اذا وضعتُ نفسي في مأزق حرج حول الحزام الاخضر ،على أساس ان هارولد لم ينتقدني ولم يعارضني،فان ذلك لن يمنعه من ان يتركني ألاقي مصيري من غير مساعدة في اجتماع ما لمجلس الوزراء . لذا ذهبت اليه كي اضغط

عليه وأحصل على موافقته بحيث يكون من الحكمة بالنسبة لي ان اقدم مذكرة الى اللجنة الخاصة في مجلس الوزراء حول السياسة المتعلقة بالاسكان والحزام الأخضر ، وان أحصل على موافقة مجلس الوزراء عليها .

ثم انتقلنا الى مشكلة خَلَف السيدة ايفلين فأشار مرةً ثانية بأنه يريد ان يخلفها بروس فريزر في غضون أسابيع قلائل . وقال :« يجب ان نجد وظيفة جيدة للسيدة ايفلين ، فهي سيدة ممتازة .» فقلت : « حسناً ، إن المسألة ليست بهذه السهولة . انني لا اريد ان آخذ سكرتيراً دائماً مُبعداً ويُفرض فرضاً ، علماً بأن جميع من في هوايت هول يعرفون تفاصيل ما حدث . وانني أُفضِّل ان احتفظ بالسيدة ايفلين حتى الصيف وان اعطي نفسي وقتاً كي اتفحص بروس فريزر بعناية ، وكذلك لألقي نظرة على فيليب ألن (Philip Allen) ، الذي تفضِّله الوزارة . وانت تعلم ان الوزارة قد امتعضت اولاً لمجيء سياسي ليست لديه معرفة بالإسكان مثلي وفرضه عليهم ثم يأتي للوزارة سكرتير دائم مثل السير بروس فريزر . » فقال هارولد : « فيليب ألِنْ ؟ نعم ، إنه هلسبي رقم (٢) ، وهو مناسب . نعم ، استطيع ان أرى فرصاً مناسبة للتنقلات . حسناً ، ياعزيزي ديك ، حاول ان تفعل ذلك .» وتابع هارولد بعد ذلك حديثه عن المعارضة . وكيف انه يشعر بالأسف نحوهم وكيف ان المشاكل العنيفة المتعلقة بقيادة حزب المحافظين تحدق بهم . وبعد ذلك اوضح لي اقتراحه بأن علينا ان نُعِدَّ مشروع قانون تأميم الفولاذ ومشروع قانون الايجارات من قبل جهازين اثنين ، مع تحديد وقتٍ معين لمنع إعاقة إقرار المشروعين ثم

ارسالهما الى مجلس اللوردات . فسألت : « هل نستطيع القيام بذلك ؟ » فقال : « اننا نستطيع . فالمحافظون في حالتهم الراهنة لايجرؤون على منع أيّ من المشروعين بعد ان يوضعا في سجل القوانين . واذا حصلنا على هزيمتين أو ثلاث في اللجان فاننا نستطيع وضع الامور في نصابها خلال مرحلة قراءة التقرير .» ثم بيَّنتُ له اهتمامي حول مشروع قانون لجنة الاراضي ، وأخبرته بانه يبدو مشروعاً ذا اهمية كبيرة وكنا نحمل أفكاراً « نصف مخبوزة » . ورجوته ، كما رجوت جورج براون ، ان يأخذ مشروع قانون لجنة الاراضي بجدية . وقلت : « إن مشروع القانون هذا بالشكل المتطرف الذي يريده ويلي سوف يُجبر مجلس اللوردات على رفضه . وفي هذه الحالة فمن المحتمل ان نجري انتخابات جديدة بسبب هذه المسألة. » وكان هارولد مهتماً بما قلت بشكل واضح واستطعت ان أراه وهو يطيل التفكير حول إمكانيات اجراء انتخابات في الخريف القادم .

اخيراً ، تحدثنا كثيراً بشأن التوقعات الانتخابية للحزب ، واوضح هارولد بدون لُبس او غموض بان تهديده باجراء الانتخابات لم يكن سوى سلاح سرّي لفرض النظام على اعضائنا البرلمانيين في المقاعد الخلفية . كما انه لاينوي اجراء انتخابات على الاطلاق هذا الربيع وقد أخبرني بأنه يرى أن انقسام المحافظين سيستمر وان قلقه الرئيسي مركّز حول احتمالات وجود البطالة ونشوء موقف اقتصادي صعب في الخريف القادم . وهذا مكّنني ان أُبين له بأننا نستطيع سدّ الفراغ بواسطة بناء مشروع خاص لكن هذا المشروع الخاص سوف ينجز مع وجود نقص في حجم العملة المتداولة

بسبب الاعلان عن خططنا المتعلقة بمشاريع بناء السلطات المحلية ، وفي هذه الحالة فان السلطات المحلية ستحتاج الى مساعدة مالية ، فهل يستطيع مساعدتي باقناع وزير الخزانة ان يعطينا مانحتاج اليه من خلال «مجلس قروض الأشغال العام؟» فأكّد لي هارولد بأنه سيعطي تعليماته[1] الى كالاهان بمجرد عودته .

الأربعاء ، ٦ كنون الثاني :

وصل السير لورنس هلسبي في تمام الساعة العاشرة والنصف لينجري معي الحديث المتوقع . وعندما نظرت اليه تحققت فجأة اننا كنا سوية في جامعة اكسفورد . وهو شخصية غريبة ، فهو أنيسٌ وسارٌّ ، لكنه يخفي شيئاً في عينيه.دخل في صلب الموضوع مباشرة.لقد أراد أن يعلن السير بروس فريزر سكرتيراً دائماً لي خلفاً للسيدة ايفلين ، على الرغم من أنه كان مستعداً لإبقاء السيدة ايفلين بضعة أشهر كفترة انتقالية . فقلت له إنني مهتم بالسير فيليب ألِنْ . فأخبرني بأن ألن يناسب وزارة الداخلية ، وبروس فريزر يناسب وزارتي ـــ مع انه لم يكن مقنعاً بشأن الاخير . تجادلنا كثيراً حول الموضوع وأخيراً قلت له بأنني سأدعوهما على العشاء ثم أُعطي رأيي له . فقال بأنني يجب ان أضع في الاعتبار بأن السكرتير الدائم يبقى في الوزارة مدة أطول من الوزير لذلك

(١) كنت مسرورا عندما فتحت الصندوق الاحمر صباح يوم الاحد التالي ووجدت فيه مذكرة مرسلة من الخزانة تتضمن بشكل دقيق مقترحات رئيس الوزراء .

فهو معنيّ بايجاد شخص لايتلاءَم معي فقط ، بل مع الوزارة أيضاً . فقلت له اذا كان غير معنيّ بتعيين شخص يتلاءَم معي ، فانني معنيّ بشكل اقوى للحصول على شخص يتلاءَم معي . ثم تحدثنا عن وجهة نظر رئيس الوزراء فيما يتعلق بالتخطيط ، حيث انحاز هلسبي بشكل واضح الى جانب السيدة ايفلين ، وتحدثنا حديثاً مفيداً حول لجنة الاراضي ، اذ شحنته بالقلق الذي نشعر به . وعندما تركني هلسبي في الساعة الحادية عشرة ، وجدت أننا عقدنا اجتماعاً لطيفاً ومثمراً .

كان عليّ ان أذهب الى مكتب رئيس الوزراء لحضور اجتماع لجنة الأراضي . في هذه المرة كان الموظفون حاضرين ، وقدَّم فْرِدْ ويلي محاولته الثانية بمذكرة تتضمن خطته الرئيسية . لقد قدَّمت لي الوزارة ايجازاً جيداً حول الموضوع لذا كنت قادراً على بحث كافة النقاط الفنية المطلوبة . فتابعتُ قائلاً بأنني اشعر بقلق يدعو لليأس وأنا اكتشف مقدار الغموض الذي يكتنفنا بشأن التأثير الذي يحدثه هذا الجهاز[1] الجديد الهائل على الاقتصاد ، وبشكل خاص على برنامج البناء . واقترحت بأنه ينبغي علينا ، قبل ان نتابع قُدُماً ، إعداد مذكرة إما من قبل الخزانة او دائرة الشؤون الاقتصادية حول المضاعفات التي تنجم عن ذلك .

انطلقت في الساعة الواحدة الى منزل قديم ساحر يحتوي على قبو تحت الأرض في « بوابة الملكة آن » حيث تناولت غداءً ممتعاً جداً مع محرري صحيفة المهندسين العماريين ومجلة المهندسين المعماريين . فتحوا

(١) يقصد جهاز التخطيط ــ المترجم .

زجاجة شمبانيا وزجاجة كلاريه[1] ، وزجاجة شيري[2] . شربت كأساً من نبيذ كلاريه فقط حيث كان عليّ ان أرى السيدة ايفلين في الساعة الثانية والنصف . وفي هذا الوقت بحثت معها حديثي مع هلسبي واعتقد أننا ادركنا نحن الاثنان بأنه من غير المحتمل ان يناسبني فيليب ألن أو بروس فريزر ، لذا فانها ستبقى معي حتى الصيف القادم ، وليأتِ بما يأتي .

قضيتُ معظم ساعات بعد الظهر في الإعداد لمؤتمري الصحفي الخاص بالحزام الأخضر . وبينما كنت على وشك مغادرة مكتبي في الساعة الخامسة والنصف، بعد ان أخليته من الاوراق ، دخل جورج موسلي وقال بأننا تلقينا رسالة من جورج براون ـــ عبارة عن مذكرة غير اعتيادية وعنيفة تتضمن خطأً فاضحاً ومذهلاً من الناحيتين الاقتصادية والسياسية وتهاجمني بسبب هارتلي . هناك عدة أشياء خاطئة تتعلق بمعالجتي لهارتلي ولكنها ليست الأشياء التي اتهمني بها جورج براون . لذا وجدتُ ان من الضروري ارسال ردّ بأسرع مايمكن وجلست اكتب هذا الردّ . وعندما قرأ جورج موسلي الردّ قال : « ايها الوزير ، انه ردّ ليّن جداً . واستطيع ان اخبرك بشكل خاص بأن موظفيه يعتقدون بأن موقفه سخيف لدرجة انهم رفضوا ان يكتبوا له المذكرة . لذا يمكنك ان ترسل له ردّاً قاسياً . » بعد

(١) نَبيذ بوردو الفرنسي الشهير .

(٢) نبيذ اسباني الأصل .

ان حُرِّضْتُ من قبل جورج موسلي ، كتبتُ مذكرة أشدّ لهجة[1] . وعدتُ الى فنسنت سكوير لتناول العشاء في الساعة الثامنة . وفي الساعة العاشرة ، وصل اوليفر كوكس (Oliver Cox) نائب كبير المهندسين في الوزارة ليعطيني إيجازاً حول اولدهام قبل ان نذهب أنا وهو الى ماري ليبون (Mary Lebone) ، حيث وجدنا بيتر براون وجورج موسلي في انتظارنا وكذلك السيد هيامز ، الذي طلبت منه ان ينضم إليّ أثناء تناول الفطور في اولدهام صباح اليوم التالي .

الخميس ، ٧ كانون الثاني :

جلست في الساعة ٧٫٤٥ لتناول طعام الفطور مع المستر هيامز ومدير شركة أملاكه في جهة ، واوليفر كوكس وجورج موسلي وبيتر براون والمسؤول عن التنظيم الاقليمي (المستر هيوز) في الجهة المقابلة . من الممتع ان اكتشف بأن اوليفر كوكس يعمل منذ ثلاث سنوات في إعادة تطوير الاسكان المركزي في اولدهام ، وفي إعداد أوامر الشراء الإجبارية ، وفي عمل كافة الترتيبات المتعلقة بتصنيع الاسكان في الوزارة . وخلال

(١) إن هذه المذكرات التي ترسل من وزير لوزير لها اهمية في تكوين السياسة ، وهي شخصية وتكتب باسلوب غير رسمي . فلو فرضنا انني استلمت مذكرة من جورج بروان تحتوي على فكرة جيدة ؛ فاذا كانت تتعلق بوزارتي ، فهي تُرسل اليّ فقط ، اما اذا كانت تتعلق بوزارة اخرى فيوجد دائما نسخة اخرى ملحّقة بها . ومما هو جدير بالاهتمام ، كما اكتشفت على حسابي ، ان تتذكر انك اذا ذكرت اسم اي شخص في المذكرة فانه سيحصل على نسخة منها . ويمكنك ان تتخيل بأنك اذا ارسلت مذكرة شخصية الى زميل في وزارة اخرى ، فانك في الحقيقة لا تستطيع ان تتأكد بأن مكتبك الخاص لم يرسل نسخة عنها الى شخص ما ذكرته في المذكرة بطريقة غير ديبلوماسية .

السنوات الثلاث هذه ، كان المستر هيامز يقوم بتنظيف منطقة تبلغ حوالي ٤٠٠ ياردة من اجل تطوير مركزٍ تجاري ضخم . قبل هذا الفطور لم يتقابل اوليفر كوكس مع المستر هيامز على الرغم من انهما كانا يعملان لصالح مجلس مقاطعة اولدهام .

تفقدتُ اولدهام لمدة ساعتين وهي مغطاة بضباب كثيف . كان اعضاء مجلس المقاطعة عبارة عن مجموعة جذابة ولكن ، آه ياعزيزي ، فان مهندس المقاطعة رجل غامض لأقصى درجة كما ان معظم موظفي المقاطعة ليسوا أكفاءً بصورة محزنة . واذا استثنينا أمين صندوق المقاطعة ، فلا يوجد أية صفة جيدة يمكن نعت الموظفين بها ، وبدأتُ ادرك ان احدى مشاكل الحكومة المحلية هي الضعف الحقيقي المتأصل في النواحي الادارية . وحتى اذا أمكن الحصول على نخبة ممتازة من أعضاء مجلس المقاطعة ماذا يمكنهم ان يفعلوا ؟ بعد جولتي في أولدهام ، جلست مع اعضاء مجلس المقاطعة لمدة ساعة وعلمت منهم بأن موقفهم المالي خطير لدرجة انهم سيعترفون بعجزهم عن اداء مهمتهم مالم يحصلوا على وعْدٍ أكيد بالمساعدة . انني شخصياً لااعتقد بأنهم يبالغون ! لكنهم غير مبالين .

انطلقت من اولدهام الى سالفورد (Salford) وهي عدوة لدودة لمدينة مانشستر التي تحيط بها . تناولت غداءً ممتازاً ثم شاهدت كيف يحاولون تطبيق القانون الجديد الصادر عن كيث جوزيف بشأن إجبار اصحاب الأملاك على تحسين ممتلكاتهم[1] . ومن الأفضل كثيراً ان تعطي

(١) يتضمن قانون الاسكان لعام ١٩٦٣ فقرات تتيح للسلطات المحلية ان تجبر اصحاب المنازل المشيدة قبل عام ١٩٤٥ على اجراء تحسينات فيها .

حياةً لمدة ثلاثين عاماً لبعض هذه الممتلكات المركزية القائمة بدلاً من جعلها أحياءً للفقراء ومن ثمّ هدمها . ووجدت في سالفورد انهم يستطيعون اسعاد الناس بمبلغ مائتي جنيه . وبما انني لاأُحبِّذ فكرة سكن الناس في مجموعات كبيرة من المباني شاهقة الارتفاع ، فقد وجدت ان جهود سالفورد جيدة للغاية . ومن سالفورد تابعنا في حوالي الساعة الخامسة الى مانشستر حيث من المفروض ان أُقيم لدى رئيس البلدية .
كانت دار البلدية قطعة رائعة من فن الهندسة المعمارية التي تنتمي الى العصر الفكتوري الرومانتيكي ــ وهي اكثر رومانتيكية من مبنى مجلس العموم الذي بُني على الطراز الرادكليفي[1] الذي يحتوي على السلالم اللولبية وكل نوع من انواع المغالاة . ويوجد في قلب هذا البناء الرائع جناح مريح جداً مبنى على الطراز الفكتوري حيث سأقضي الليلة ضيفاً على رئيس البلدية الدكتور شادويك (Dr.Chadwick) الذي تحدثت معه آخر مرة في عام ١٩٤٧ أثناء مسيرة صهيونية ، وهو الآن سياسي مَحَليٌّ غير حزبي وكانت زوجته الجديدة الشابة اليهودية هناك لتسليتي . قضيت معهما نصف ساعة قبل ان اتوجه الى فندق الملكة لحضور حفل استقبال نُظِّم من قبل المسؤول عن التنظيم الاقليمي ريغ واليس (Reg Wallis) ، لحوالي ستين او سبعين شخصية محلية هامة من اجل مقابلة وزير الاسكان .
حاولتُ ان أُعطيهم صورة واضحة كيف اننا ، كحكومة اشتراكية ، نحاول المحافظة على ثقة رجال المصارف الدوليين بينما نتابع سياستنا الاشتراكية ببرود . للمحافظة على التماس بين الحكومة والحزب ، ينبغي على الوزير ان

(١) نسبة الى رادكليف (Radcliffe) .

يوضح السياسة الداخلية للحكومة ، ولكنَّ تنفيذ ذلك يعتبر مجازفة من الوزير .

عُدْتُ في الساعة التاسعة فوجدت ان رئيس البلدية قد أعدّ حفل عشاءٍ كبير حضره كاتبُ المدينة السير فيليب دنغل (Philip Dingle) ، وأربعة او خمسة اعضاء قياديين في مجلس المقاطعة ، واستمر حتى منتصف الليل . فلو عدتُ الى الساعة التاسعة وخمسٍ وأربعين دقيقة من صباح يوم الأربعاء ، عندما بدأتُ اول اجتماع لي في الوزارة ، لوجدت انني عملتُ ١٥ ساعة في اليوم ، كما انني بذلت جهداً كبيراً في يومي الاربعاء والخميس .

الجمعة ، ٨ كانون الثاني :

تناولت فطوراً رائعاً مع رئيس البلدية . إن مدينة مانشستر لامبالية قليلاً فيما يتعلق بالزيارات الوزارية : لقد تلقّت تسع زيارات في السنوات السبع او الثماني الاخيرة . على اية حال ، لقد قدَّموا لي إيجازاً جيداً في دار البلدية ثم أخذوني الى سطح احدى ناطحات السحاب كي أرى منطقة الأحياء الفقيرة الواسعة التي نظفوها في منتصف المدينة . منذ اشهر قليلة زرتُ الفراغ الجديد المنظف من أجل أرض الجامعة . إن منطقة الأحياء الفقيرة المنظفة تعادل ٥ مرات مساحة أرض الجامعة المجاورة لها . وهي بدون شك اكبر أرضٍ خلاء وجدت في مدينة كبيرة في تاريخ المناطق الحديثة المزدحمة بالسكان .وقد سررت بها لكنني شعرت بانقباضٍ لمستوى ونوع المنازل التي يقيمونها في هذه المنطقة .

كان الهدف الرئيسي لزيارتي ليس رؤية مانشستر بل زيارة ريزلي (Risley) ، وهو موقع المدينة الجديدة الذي اختير من قبل كيث جوزيف . وقد سمعت ان مانشستر قد عارضت الموقع الجديد بشدة وتريد موقعاً بديلاً في ليم (Lymm) ، الواقعة في منطقة تشيشاير[١] (Cheshire) . عندما رأيت وولي (Woolley) ، رئيس الاتحاد الوطني للمزارعين ، في اليوم التالي أخبرني ان ليم تعتبر بؤبؤ عين الاتحاد الوطني للمزارعين وأنه سيحارب من اجلها بالأسنان والأظافر[٢] . اصبح الطقس من الآن فصاعداً رائعاً بعد الضباب الكثيف في اولدهام . ذهبت مع اعضاء مجلس مقاطعة مانشستر في اوتوبيس كبير لمشاهدة ريزلي . وسرنا على طول القناة الملاحية في الاوتوبيس حيث وجدت منطقة منبسطة تشبه اراضي ميدلسكس (Middlesex) مزروع جزء منها بالملفوف ، والجزء الآخر عبارة عن مستنقع تكثر فيه النباتات ، ومملوء بالبط الذي جذب العديد من الصيادين ، كما وجدتُ معملاً مدمراً يشغل حوالي مائة وخمسين فداناً ، حيث كانت تصنع القنابل البحرية خلال الحرب العالمية الثانية ، تُرك أطلالاً منذ ذلك الحين . هذا هو الموقع الذي اختاره مخطّطو الوزارة للمدينة الجديدة ، وقد ألقيتُ عليه نظرة واحدة وتوصلت الى نتيجة ! وعُدت الى منزلي في الساعة التاسعة والنصف من مساء هذا اليوم وقد قابلتني آن في بيرمنغهام حيث اخبرتني بمدى سرور فرجينيا بعد

---

(١) مع ذلك فقد اقترح جورج براون موقعا ثالثا في كورلي (Chorley) .

(٢) كان هارولد وولي رئيسا للاتحاد الوطني للمزارعين من ١٩٦٠ ـــ ١٩٦٦ . وفي عام ١٩٧٠ منح لقب نبيل « مدى الحياة » .

مشاهدتها لمسرحية بيتر بان[1] (Peter Pan) بعد ظهر اليوم .

الأحد ، ١٠ كانون الثاني :

إن هذا اليوم طويل وموحش وعاصف وقد ارتفع مستوى النهر . استيقظنا هذا الصباح متأخرين ونشيطين — على صوت الريح وهي تزمجر في الخارج وهذا يعطي شعوراً بالراحة والمرء في فراشه . وبعد ان أنجز كل واحد منا العمل القليل المنوط به ، أخذتُ الطفلين والكلبة سوكي في نزهة على الاقدام عبر المرج المحيط بالمنزل ولأتيح الفرصة لسوكي كي تقوم بتمريناتها في مطاردة الأرانب البرية وطيور الزّقزاق[2] (Plovers) ، ومن ثمّ الذهاب الى برسكوت العليا للقيام بزيارة يوم الاحد الأسبوعية للمستر بريتشت ، التي تتم عادة بينما يلعب اطفالي مع اطفال بريتشت ، على القش في مخزن الحبوب . خرجت أنا والمستر بريتشت واستلقينا عند البوابة وأخذنا ننظر الى عجولنا المهجّنة من نوع هيرفورد (Hereford) التي تُسَمَّن داخل المباني ، ونقارنها بأبقارنا من نوع الفريزيان التي اشتريناها منذ فترة قصيرة لتحسين نوع الماشية . وتحدث بريتشت عن قلقه بسبب افراطنا في الصرفيات ، ثم خُضنا في الحسابات .

---

(١) بيتر بان : مسرحية ألّفها الكاتب المسرحي جيمس باري (James Barrie) عام ١٩٠٤ . وهي عبارة عن فنتازية (مسرحية موسيقية) تتحدث عن مغامرات ولد يرفض ان يكبر . وهي تعبير عن تفكير الاحداث الصغار والذكريات الحزينة عن الطفولة — المترجم .

(٢) تسمّى ايضا طيور السّقْسَاق ، ورسول الغيث — المترجم .

بعد الغداء ، أحضر تومي ميفن (Tommy Meffen) ، وهو عامل مناجم قديم وعضو مجلس بلدية ويكن (Wyken) ، هارولد غرين (Harold Green) من كوفنتري . إن هارولد غرين هو المزارع الوحيد في دائرتي الانتخابية ، وهو الآن عضو في مجلس تسويق الحليب ، وأراد منذ شهور أن يأتي ويراني . وعندما ذهبا قرأنا الصحف وشربنا الشاي . لقد أحدثت برسكوت اختلافاً كبيراً في نمط حياتي . وقد شعرت الآن بفائدة ذلك . وهو وجود اسبوع لدينا في لندن مكرس للحياة العائلية . ففي يوم الاحد الفائت ذهبتُ بقطار الليل الى لندن . وتبعني الأطفال في اليوم التالي مع آن بالسيارة وقضوْا الاسبوع في زيارات متحف العلوم المعتادة . وفي الامسيات شاهدنا مسرحية « ضفدع الطين » (Toad of Toad Hall) التي وجدناها ضعيفة ، ومسرحية ماري بوبنز (Mary Poppins) ، وفي يوم الجمعة ذهبتْ فرجينيا مع عرّابتها[1] الى مسرحية بيتر بان . واخيراً عدنا جميعاً يوم السبت ، وهانحن الآن في منزلنا في برسكوت ونحن نشعر بالسعادة لاننا سنعود الى لندن .

الاثنين ، ١١ كانون الثاني :

نزلتُ من القطار في محطة برنسز رزبوروه (Princes Risborough) ولم أنزل في محطة بادنغتون (Paddindton) ، كي أُقابل المستر وارْد

---

(١) أمها في العماد .

(Ward) من مكتب المفوض السامي الكندي وأذهب معه بالسيارة الى أبوتس لانغلي (Abbots Langley) لمشاهدة المنازل الخشبية الكندية المقامة هناك . لقد أدرك الكنديون اخيراً بأن الطريقة الفعالة لبيع كمية اكبر من اخشابهم في بريطانيا هي إتاحة الفرصة لنا لمشاهدة المنازل الخشبية بطرق حديثة وهي أمينة ضد الحرائق مثل البيوت المبنية من الآجر ، بالاضافة الى انها أدفأ ، بسبب كون الخشب مادة عازلة ، وبنفس السعر تقريباً مع استخدام الخشب الكندي المستورد . على أية حال ، عندما رأيتُ هذه المنازل الكندية المعدَّة للسوق البريطاني وجدت أنها قد صُنعت كي تبدو مثل المنازل البريطانية ، وقد أفقدها ذلك جاذبيتها الخاصة بالمستعمرات .

لقد وضع لها إطار ليس من الخشب بل من الآجر مع تخشينة طلاء . وهي تتميز ايضاً بأنها تشبه البيوت التي تُصنع الآن من قبل شركات البناء العالمية ، حيث ان افضل نوعين من بيوت أمريكا الشمالية ــ التي تتميز بسطح من الاسبستوس ، وبتمديدات مياه تأتي من المصدر مباشرة وليس من خزّان على السطح ــ ممنوعان بموجب قوانيننا الداخلية على الرغم من أنهما اقتصاديان ويوفران كثيراً . انني ماضٍ في محاولتي للاسراع في مراجعة القوانين الداخلية وسوف اتحدث ثانية مع تشارلي بانل على الغداء غداً حول هذا الموضوع .

عقدنا اجتماعاً آخر بعد الظهر للَّجنة المختصة بالأراضي وغرقنا في الفوضى اكثر فاكثر . لقد بدا واضحا ، على الرغم من وجود الموظفين ، بانه لايوجد لدى اي شخص ، سوى المحامين ، فكرة عن الموضوع الذي تبحثه اللجنة ، وبالنسبة لِ فرد ويلي بوصفه محامياً ، فهو يفهم الموضوع

من وجهة نظرٍ قانونيةٍ صارمة ، وكذلك شأن نيال ماك ديرموت (Niall Mac Dermot) الذي يمثل الخزانة . وأما بالنسبة لي فقد بدأت افهم الموضوع تدريجياً من وجهة نظر عامة ، ولكن بالنسبة لمعظم الزملاء الجالسين حول المنضدة فانه موضوع أبعد من ادراكهم وكان علينا ان نقرر كيفية السير قُدُماً بمشروع قانون الاراضي .

الثلاثاء ، ١٢ كانون الثاني :

هذا اليوم هو يوم المدن الجديدة بالنسبة لي . فهناك وفود مفوّضة لتراني من مجلس محافظة مدينة هارلو (Harlow) الجديدة ، ومن مجلس محافظة مدينة باسيلدون (Basildon) . لايمكن ان يكون أهالي هارلو اكثر ظرفاً ووداعة او اكثر تمدناً . لقد جاؤوا فعلاً ليروني لأنهم يريدون ان يصرفوا على وسائل الراحة اكثر مما خصَّصته شركة المدينة الجديدة ، وهو اربعة جنيهات للشخص الواحد . شرحتُ لهم بأن هذا هو حساب تقريبي أعطيناه للشركة ، لكنني انزعجت من الهوّة الكبيرة التي يبدو انها قائمة في كل مدينة جديدة بين الممثلين المنتخبين في المجلس المحلي للمدينة وبين اعضاء الشركة المعيَّنين من قبل وزارتنا .

إن المدن الجديدة هي ، طبعاً ، من انجازات السيدة ايفلين الكبيرة . وهي فخورة بها بدرجة كبيرة ومقتنعة بأنها لم تكن لتُبنى بدون قانون الشركات الصارم ، هذه الشركات التي نموّلها نحن ونعين أعضاءَها . وهي تستطيع في الحقيقة ان تمضي قُدُماً في عملها دون استشارة الرأي العام

وهذا شيء كبير في صالح الشركات ، طبقاً لرأي السيدة ايفلين . ربما كان هذا النوع من القوانين الصارمة مطلوباً في الجيل الأول من المدن الجديدة . ولكن صحيح ايضاً بأن الوزارة ، التي هي صارمة بعض الشيء ، قد كشفت عن تحامل واضح جداً في صالح موظفيها ذوي الامتياز وضد السلطات المحلية . وهذا ماجعل مجلس محافظة المدينة غيوراً جداً واصبح التعامل معه صعباً ، لذا تأكدت انه من الضروري اجراء تغييرات بمجرد ذهاب السيدة ايفلين من الوزارة . إن شعوري هذا قد تأكد بعد ظهر اليوم عندما قابلت وفد مجلس محافظة مدينة باسيلدون ، الذي يرأسه شخص متقدم في السن يدعى مورغان (Morgan) — وهو شخص رهيب وشرير وغوغائي من حزب العمال ، وقد تكلم بصوتٍ عالٍ ومعربد ضد اللجنة .

الأربعاء ، ١٣ كانون الثاني :

هذا اليوم محدَّد لزيارتي الرسمية لمدينة ليدز (Leedes) ، التي اعرف بأنها كانت سلطة إسكان شهيرة في الثلاثينات عندما كان ألدَرْمان جنكنسون (Alderman Jenkinson) رئيساً للجنة الاسكان . والآن يوجد شخص آخر مسيطر على الاسكان في ليدز ، هو عضو مجلس المدينة كارل كوهين (Karl Cohen) ، وسرعان ما اكتشفتُ بأن ليدز فخورة بسياستها الخاصة بتحسين المناطق المركزية القديمة ، حيثما كان ذلك مستطاعاً ، مثل مانشستر التي تفخر بسياستها الخاصة بتنظيف المناطق

القديمة . ويجب ان اقول هنا بأنني الى جانب ليدز كلياً . ومما يدعو للسرور ان ترى مدى سعادة المتقدمين في السنّ عندما تتحول منازلهم التقليدية القديمة في الاحياء الفقيرة الى منازل تحتوي على حمَّامات ، ومناور ، وأسطح ملائمة ، ومطابخ حديثة .

في المساء كان عليّ ان أذهب وأجري حديثاً خاصاً حول حدود الحكومة المحلية مع منظمين من حزب العمال في يوركشاير (Yorkshire) — وهذه إحدى الأخطاء الصغيرة التي سمحتُ لنفسي بارتكابها كي أُظهر ثقتي في حزب العمال واكسب ثقتهم بي . وذهبت بعد ذلك الى منزل كارل كوهين . وهو يعيش مع شقيقته سيلفيا (Sylvia)في منزل مريح جداً ، وجلسنا هناك للتحدث مع ستة أعضاء من المجموعة العمالية ، وقد تكاشفنا بشكل صريح . والشيء الذي بدا لي أنه خطأ هو قرار المجموعة أن رؤساء اللجان الهامة يستطيعون البقاء في مراكزهم لمدة طويلة . وكان كوهين رئيساً للجنة الاسكان لمدة عشر سنوات وهو يديرها كأنها ملك خاص له . فإذا انتزعت منه رئاسة اللجنة في يوم ما ، فانه سيشعر بان ممتلكاته الشخصية قد سُلبت منه . وأنا مقتنع بأن الأفضل بالنسبة إليه وبالنسبة الى ليدز ان ينتقل الى رئاسة لجنة التخطيط هذا العام بدلاً من الاستمرار في لجنة الإسكان .مع ذلك ، فعندما غادرت المدينة كان عليّ ان أتأكد هنا ، كما في شيفيلد ، بأن مجلس حزب العمال يقوم بإجراء تغييرات في الأشخاص . وان ما يحتاجونه اكثر من اي شي آخر هو وجود مهندسين معماريين نوابغ حيث لا يوجد لديهم مهندس معماري واحد .

ملاحظة :

كان هناك انتخابان فرعيان هامان في شهر كانون الثاني . إذ كان باتريك غوردون ووكر وزير الخارجية ، يحتاج مقعداً ، وكان هناك مقعد شاغر في ليتون(Leyton) بسبب منح راجينالد سورنسن[1] (Raginald Sorensen) لقب نبيل . كما ان فرانك كزنز وزير التكنولوجيا ، لا يزال بدون مقعد في البرلمان ، وكذلك ذهب فرانك باولز[2] (Frank Bowels) الى مجلس اللوردات ليفسح مكاناً في ننيتون (Nuneaton) . كانت نتيجة الانتخاب الفرعي في ليتون ضربةً الى معنويات حزب العمال اذ انخفضت الاكثرية في مجلس العموم الى ثلاثة مقاعد .

استمرت صناعة الطائرات في إحداث المشاكل . وكان مستقبل الطائرة ت.س.ر ــ ٢ (T.S.R.2) مشكوكاً فيه ، ويبدو ان وزيري الطيران والدفاع يحبّذان الطائرة الامريكية ذات الاجنحة المتحركة من طراز ت.ف.اكس (T.F.X) ــ اعيدت تسميتها واصبحت تعرف باسم ف ــ ١١١ (F - 111) . واحتج أصحاب العمل في شركة الطائرات البريطانية لدى وزير الطيران ، وسار عشرة آلاف عامل طائرات في شوارع لندن في الرابع عشر من كانون الثاني . وكان ريتشارد كروسمان مهتماً بهذا الموضوع بشكل خاص نظراً لوجود العديد من عمال صناعة الطائرات في دائرته الانتخابية في كوفنتري .

---

(١) كان عضوا برلمانيا عن ليتون منذ عام ١٩٢٩ ، ومات في عام ١٩٧١ .

(٢) كان عضوا برلمانيا عن نتيتون منذ عام ١٩٤٢ ، ومات في عام ١٩٧٠ .

وكانت جمعيات البناء تثير المشاكل في وزارته في هوايت هول . ورفعت بعض جمعيات البناء معدّل الرهن العقاري ففي الخامس عشر من كانون الثاني رفع مجلس اتحاد جمعيات البناء معدل الرهن العقاري من ٦٪ الى ٥ر٦٪ . وسوف يؤثر هذا على المستفيدين الجدد اعتباراً من اول شباط ، وعلى ٧ر٢ مليون مستفيد قديم اعتباراً من أول أيار . ولامَ وزيرُ المالية رئيسَ الاتحاد ، لكن الجمعيات أجابت بأن معدل الفائدة المصرفية التي مقدارها ٧٪ لاتمكنهم من توفير الأموال اللازمة .

الخميس ، ١٤ كانون الثاني :

هذا اليوم محدَّد لمؤتمري الصحفي الكبير فذهبت الى الوزارة في الساعة التاسعة والنصف من اجل سماع ايجازٍ أخير قبل الذهاب الى مجلس الوزراء . قضيت ، طبعاً ، وقتاً كبيراً وأنا في طريقي ، ذهابا واياباً ، الى ليدز في دراسة المسودة الخاصة ببياننا الصحفي . إن بيتر براون هو موظف صحفي من الطراز الاول في الوزارة ، ومن المحتمل ان يكون افضل موظف في هوايت هول . لكن على الوزير فيما يتعلق بهذه المواضيع ان يكون نشيطاً جداً للتأكد من ان جميع الحقائق صحيحة تماماً وتتماشى مع النصّ الفعلي للبيان الصحفي . ومن جهة اخرى ، فانني اترك لِ بيتر كلياً مهمة تنظيم المؤتمر وتجميع التوقعات .

ذهبت من الوزارة الى مجلس الوزراء . كان هذا اول اجتماع لنا بعد العطلة وفكَّرتُ بأن تكون مسألة طائرات ت.س.ر ـــ ٢ على الاقل على

جدول الأعمال . ولكنها لم تكن على جدول الاعمال . وعالج مجلس الوزراء مسألتين صغيرتين نسبياً . كانت المسألة الاولى تتعلق بالاجور البريدية ، التي سبَّبت صداماً بين طوني ودجوود بن (Tony Wedgwood Benn) وفرانك كزنز . وكان فرانك كزنز قد عاد من حملة الانتخابات الفرعية في ننيتون حيث كان واضحاً انه مرشح من الدرجة الاولى ، على عكس غوردون ووكر في ليتون . لقد تحدث باشياء كثيرة بلا معنى في هذه المناسبة . حقاً ، انني أشعر بأنه يتخذ بسرعة موقفاً في مجلس الوزراء ليس مختلفاً عن الموقف العدائي الذي نشأ بين ناي بيفان (Nye Bevan) وماني شنويل (Manny Chinwell) في وزارة أتلي على اية حال ، بما انني قلت ذلك فيجب ان أضيف باننا نحتاج الى أشخاص مثل فرانك كزنز في مجلس الوزراء ، نحتاج الى العديد منهم . إنه من صنف الملائكة ، وهو نوع نادر من الرجال — لايزال يملك مزيجاً من المثالية الحقيقية والحيوية والتجربة للقوة العملية . وعلينا ان نستخدم رجلاً مثله وان نمنعهم من سلوك سبيل ناي في تحطيم الأشياء . حسناً ، لقد سار الصدام في هذه المناسبة سيراً حسناً . كان طوني بِنْ يحاول إقناع مجلس الوزراء بأن علينا ان نرفع اجرة الرسالة البريدية من ٣ بنسات الى ٤ بنسات ، وان نزيد أيضاً أجور الطرود البريدية . كان فرانك كزنز ضده . واستطاع طوني بمساعدة كروسلاند ان يجعل جورج براون يقف الى جانبه قبل ان يبدأ الاجتماع ، لكن جورج ، مع ذلك ، هو الرجل الذي يريد ان يحافظ على تدنيّ الاسعار ، لذا فان طوني بِنْ لم يفاجأ عندما رُفض طلبه الخاص بالاعلان عن ذلك في الثامن عشر من هذا الشهر . وأُخبر بأنه على الرغم

من إقرار السياسة الخاصة بزيادة الاجور البريدية ، فان الاعلان عنها قد أُجل !

كانت المسألة الثانية التي بحثت في مجلس الوزراء هي المسألة التي تبحث دورياً والخاصة « بالعناية بالطفل » تحت اشراف حكومة لندن . وبناءً على تعليمات مجلس الوزراء ، ذهب فرانك سوسكايسْ (Frank Soskice) الى مجلس لندن الأكبر والى مجالس المقاطعات الاخرى كي يسأل ماذا كانوا يرغبون في اصدار تشريع يوزع المسؤولية بين مجلس لندن الاكبر ومجالس المقاطعات . ويعتبر هذا ، نموذجياً ، افضل من نقلها كلياً الى مجالس المقاطعات ، لكنه امر غير عملي ان نشوّش على برنامجنا التشريعي الآن بطرح هذا الموضوع . إن القضية في الحقيقة لايمكن الاجابة عليها ، لكن مذكرة فرانك سوسكايس المسكين كانت غامضة بشكل مريع . وفي الحقيقة ، جاءت ضد التشريع لكنها كانت محرَّفة بحيث لم يكن من الصعب ان نستخلص النتيجة وهي ان التشريع لايزال ممكناً . وقد تكلم فرانك سوسكايس حول الموضوع بشكل ضعيف ، ثم

دوىّ صوت بيرت باودن (Bert Bawden) رئيس مجلس العموم وقال انه من السخف الاستمرار في محاولة اصدار هذا التشريع ، إنه سيعطل الدورة البرلمانية ـــ ربما لمدة خمسة ايام ـــ وينبغي علينا ان نهمله كلياً . عند هذه النقطة انضمت مجموعة ضغط مجلس مقاطعة لندن . فوزير المالية ، الذي كان عضواً في مجلس مقاطعة لندن يوماً ما ، ودوغلاس غي الذي تعتبر زوجته عضواً بارزاً ، ومايكل ستيوارت الذي كانت زوجته هناك ايضاً ، وبربارة كاسل التي زوجها عضو في مجلس لندن الاكبر ـــ تدخلوا جميعاً

لحل النزاع وقالوا بان علينا ان نفعل ماهو مطلوب منا اخلاقياً . ولكن هارولد ولسون تصرف في هذه المناسبة بوصفه رئيساً للوزراء بشكل صحيح . لقد انضم الى جانبنا بشكل حاسم ـــ ليس طبعاً بسبب المبدأ ولكن ببساطة بسبب الجدول الزمني للدورة البرلمانية .

باستثناء الموافقة على اقتراح لتشكيل لجنة ملكية بخصوص اتحادات العمال ، كانت هاتان المسألتان فقط على جدول اعمال مجلس الوزراء في اجتماعنا الأول منذ العطلة . لذا فان جميع المسائل الهامة المتعلقة بالنواحي السياسية والاقتصادية قد وضعت على الرفّ او أُبعدت عن مجلس الوزراء مرة ثانية . وفي نهاية الاجتماع قال رئيس الوزراء بأنه يريد ان يبحث تكتيكات الحزب والانتخابات العامة ، على الرغم من انه اضاف بعدم وجود وقتٍ كافٍ لاجراء مناقشة كاملة الآن . وقال بكل عناية وبشكل مدروس بأنه يريد وقفاً لكل كلامٍ حول انتخابات وشيكة في الربيع . ومن جهة اخرى ، يجب ان نضع في الاعتبار وبشكل واقعي كافة الحجج التي ستثار ضد انتخابات تُجرى سواء في الصيف او في الخريف ، على الرغم من اننا يجب ان نستمر في العمل على افتراض اننا سنبقى في السلطة لمدة ثلاث سنوات . وقال إنه من الاهمية بمكان ان لاتتسرب هذه النقطة من مناقشاتنا خارج المجلس ، لانه حدث بعض التسرّب الغريب حول مسائل اخرى سبَّبت قدراً كبيراً من المشاكل ، خاصة فيما يتعلق باقتراح استجواب بيتشنغ .

عُدت بعد جلسة مجلس الوزراء الى الوزارة وتناولت طعام الغداء مع

بيتر براون والباقين ، وفي الساعة الثانية والنصف توجهت نحو غرفة مؤتمرنا الكبير فوجدت حوالي ١١٠ أشخاص هناك ، وقد اجتمعوا لمدة ساعة كاملة . لم استطع ان امنع نفسي من تذكّر كيف انني منذ أشهر فقط قدَّمت البيان الصحفي لحزب العمال بشأن « تدريب المعلم » لمؤتمر عقد في دائرة النقل ، وقد اعتقدت آنذاك لسذاجتي بانه طالما ان الوثيقة أُعطيت اليهم مقدماً فكل مااحتاجه هو الاجابة على الأسئلة فقط . ونتيجة لذلك فقد نشرتْ الصحافةُ وقائع المؤتمر بشكل سيء . حسناً، انني لم أكن ساذجاً في يوم الخميس هذا . لقد أُوجزْتُ حتى عنقي من قبل بيتر براون ، الذي يعرف حقيقةً كيف يعلم الوزراء مهام عملهم . لم أقدِّم مجرّد خطاب عادي بل قدمت خطاباً مجلجلاً . ونتيجة لذلك فقد نُشرتْ وقائع هذا المؤتمر في كل صحيفة وكُتبتْ خمسُ مقالاتٍ افتتاحية حوله . كما أُجريتُ في الليلة السابقة اربع مقابلات ، اثنتين على شاشة التليفزيون ، واثنتين في الاذاعة ، بالاضافة الى ظهوري في برنامج الساعة العاشرة الذي تبثه هيئة الاذاعة البريطانية . كان انجازنا هو الحصول على انطباع بأنني لم أكن أبدّد اراضي الحزام الاخضر بل كنت اطوّر سياسة الحصول على ارض حيوية لمشاريع الاسكان ، وأعتقد بأنني وضعتُ هارتلي خلفنا الى حدّ ما باخباري المؤتمر بأن شركة سبان قد وافقت الآن على زيادة عدد المنازل المخصصة لمجلس لندن الاكبر ومجلس مقاطعة الريف من ١٠٪ الى ٢٠٪ .

بعد المؤتمر الصحفي أجريت مقابلتي الاولى مع الآنسة هوب والاس (Hope Wallace) . وقد عملتْ هوب مدة ثلاثين عاماً في « مجلس

المعونة القومي » ووصلت الى رقم (٢) ، كسكرتيرة ثانية . والآن ، وفجأة تريد السيدة ايفلين ان تجعلها رئيسة لقسم المدن الجديدة . وبعد ان تحدثتُ معها لم اجد غرابة في الاقتراح . فهي ليست فقط ذكيةً للغاية بل مثقفة جداً أيضاً ، ولها نشاط في الأوساط ذات العلاقة بالفن والفنانين . ولكن من المؤكد ان إحضارها الى الوزارة هي فكرة غريبة وأنا على يقين بان ذلك يعود الى عدم استطاعتها البقاء كسكرتيرة ثانية في مجلس المعونة القومي وهي ترى رجلا يُرقّى عوضاً عنها . انني سوف لااحلم بقبول الآنسة هوب والاس لو لم يكن ذلك تكريماً للسيدة ايفلين . وبهذه المناسبة لديّ أسباب خاصة لإرضائها . لقد علمتُ اليوم انها مستعدة الآن ، حتى ولو أنَّ هذا يُغضب رئيس الوزارء ، للبقاء حتى الصيف ، ربّما احاول جلب فيليب ألِنْ كخليف لها بدلاً من بروس فريزر .

بينما كنت أنا والسيدة ايفلين نبحث هذا الموضوع ، اخبرتني بشكل عابر ان جورج براون قد ذهب خلال هذا الاسبوع الى النمسا والسويد . وتوجد أزمة كبيرة في دائرته لانه يريد مديراً جديداً لمكتبه الخاص ، بعد ان صرف المدير الحالي على اساس انه رجل من وزارة الخزانة لايمكن الوثوق به .(انني اشعر بتعاطف معه بعض الشيء في هذا الموضوع لأنني شخصياً وجدتُ موظفين من الذين سبق ان خدموا في الخزانة لايمكن الاعتماد عليهم) . واخبرتني السيدة ايفلين بأن الوظيفة قد عُرضت على خمسة سكرتيرين مساعدين على الاقل وجميعهم رفضوها على اساس انهم لايرغبون في العمل مع جورج براون . لذا فقد سُئلتْ كي تعطي اسم شخص ما وقد عَرَضَتْ اسم جورج موسلي ، وهذا يعني انه

سوف ينقل ثم يفتّش عن شخص آخر ليحل محله في مكتبي الخاص . ان هذا سوف يسبب كثيراً من الإرباك لانني تعودت على اسلوب العمل في الوزارة . ومن احدى مشاكل السيدة ايفلين انها على الرغم من كونها شديدة جداً في المفاوضات فهي ليّنة للغاية عندما تُسأل من قبل الخزانة او من قبل هلسبي لتقدم تضحية في المصالح المتعلقة بدائرتها لصالح الأمة او لفائدة الخدمة المدنية .

الجمعة ، ١٥ كانون الثاني :

عقد اجتماع آخر للجنة مجلس الوزراء الخاصة بدراسة مشروع قانون الايجارات ويسير هذا الاجتماع الآن بشكل روتيني ونحن ماضون في المشروع بدون اية معارضة تذكر . جاء إليّ جيرالد غاردنر (Gerald Gardiner) ونحن نخرج من الاجتماع كي يسألني لنتناول طعام الغداء معاً . وقال انه اصبح قلقاً من الاسلوب الذي يتم فيه عمل مجلس الوزراء . والحقيقة هي ، طبعاً ، مع انه قاضي القضاة ، إلا انه رجل سياسي ساذج حقاً ، وغير واثق من نفسه ويشبه وضعهُ ، الى حدّ ما ، فيفين باودن (Vivien Bowden) في كونه ليس في المكان المناسب . لكنه رجل طيب نبيل وسوف اعمل مابوسعي لمساعدته .

بعد تناول طعام الغداء مع موريس فولي (Maurice Foley) ، السكرتير البرلماني لِـ جورج براون ، والذي كنت حريصاً على كسبه الى جانبي فيما يتعلق بلجنة الأراضي ، كنت مشغولاً في سلسلة من

الاجتماعات المتعلقة بالعمل والتي كان اهمها الاجتماع الخاص بوكالة البناء الوطنية . في وصفي لزيارتي الى أولدهام في هذه اليوميات ، حاولتُ ان أُشير الى أهمية الأبنية المصنَّعة بالنسبة لنا . وبما انني كتبتُ ذلك ، فان رئيس الوزراء قد ألزمنا بالبناء المصنع ، وانا لاأرى في ذلك اية خسارة اذا جعلنا السلطات المحلية تتحول اليه ، وطالما ان اسلوب العمارة التقليدي هو شيء مخيف فان البناء المصنّع لن يكون اسوأ منه . واذا كنا سننفّذ هذا ، فان الوكالة التي سنعمل من خلالها ستكون وكالة البناء الوطنية . بحثنا بعد ظهر هذا اليوم كيف ينبغي ان نعالج موضوع الوكالة الوطنية للبناء وصرت مسروراً جداً عندما وجدت ان فكرتي للحصول على خبير من خارج الوزارة لادارة مشروع الاسكان اصبحت الآن سياسةً تتعلق بالوزارة . وبدؤوا يدركون بأنه لايوجد أي شخص في الوزارة يمكن وضعه مسؤولاً عن مشروع الاسكان وتذكروا مافعله ماكميلان (Macmillan)عندما نفَّذ مشروعه المؤلف من ٣٠٠ ألف منزل . وعليَّ ان أحصل على رَجُلي ! إنهم لايحبون المستر هيامز لذا فقد اقترحت اسم بيتر ليدَرَرْ (Peter Lederer) ، وقد أخبرتني الآن السيدة ايفلين بانه يعتبر من أقدر الرجال الشباب في صناعة البناء ، واتفقنا على انه يتوجب عليّ ان اقترح اعارته الى وزارتنا لمدة سنة أو سنتين ـــ ليصبح الرجل المسؤول لدفع وانطلاق وانجاز البناء المصنَّع من منصّة الإطلاق .

استقلّيت بولمان الساعة ٥,٤٥ الى باث (Bath) حيث قابلتني آن وعمتها ماي كوبر (May Cowper) ، وحيث تناولنا عشاءً شهياً في مطعم « هول إن ذا وول » (Hole in the Wall) . كانت ليلة مقمرة جميلة

مع مناظر مدينة باث الخلَّابة . آه ، ان الطقس سيكون جميلاً غداً ، على ماأعتقد .

السبت ، ١٦ كانون الثاني :

لم يكن هذا اليوم كما توقعت اذ تحوَّل الى يوم ماطر بغزارة وهبت رياح غربية . وفي الساعة ٩٫٣٠ جاء المستر بيرس (Pearce) ، الموظف لديّ ، بالسيارة وأخذني حيث قضينا ثلاث ساعات صباحاً ونحن نشقّ طريقنا بصعوبة في احياء المدينة ونحن ندرس مشاكل حدودها في المطر . إن احد الأشياء التي كنت افكر فيها خلال الاسبوعين الماضيين هو كيفية إعادة صياغة وصقل التوجيه الخاص بلجنة الحدود ، ليس فقط من الناحية السياسية حيث كل ماعليّ ان افعله هو منع ثلاثين او أربعين مقعدٍ عمالي من الذهاب الى المحافظين ، ولكن ايضا في ظروف كفاءَة ومقدرة الحكومة المحلية . إن باث نموذجٌ رائع لان اللجنة أوصت هنا بادخال اثنين من الأحياء ضمن حدود المدينة حيث انتشر سكان باث . لقد صُعقت عندما ذهبت حول هذين الحَيَّين يوم السبت ــ عبر الوديان شديدة الانحدار ــ ورأيت نوعية البناء . فكلما شاهدت قطعة جميلة وأنيقة من باث على احد جانبي الوادي ، كنت ارى على الجانب الآخر صفوفاً من المنازل الرخيصة المرعبة . انني لااستطيع ان أُدرك لماذا يريد المجلس البلدي لمدينة باث ان يتحمل مثل هذه المسؤولية في منطقة تحتاج الطرق فيها الى اعادة تعبيد ، والمنازل فيها متداعية ، والخدمات يجب ان

تصل الى مستوى مدينة مقاطعة . على أية حال ، إن شعوري بعيد عن مساندة جانب ضد الآخر ، وقد وجدت تسوية مؤقتة بين المقاطعة ومدينة المقاطعة . وقد تأكد شعوري هذا اثناء السير الطويل المجهد طيلة ثلاث ساعات . من الواضح الآن تماماً انني استطيع ، وفقاً لما يمليه ضميري ، ان اعارض التوسع المقترح من قبل اللجنة ، وسوف افعل ذلك حتماً على الارض اذ حيثما يوجد حقيقة شعور محلي قوي ، وإحساس عميق بالاستمرارية ، فان مدن المقاطعات ينبغي ان لايسمح لها بالتوسع الى مقاطعات . عُدت لتناول طعام الغداء مع ماي كوبر في كفندش كريسنت (Cavendish Cresent) ثم رجعت أنا وآن بالسيارة الى منزلنا في برسكوت في المطر المنهمر بغزارة حيث وجدنا اطفالنا الممتلئين بالنشاط والحيوية بانتظارنا . وكان استرخاءً لذيذاً بعد اسبوع ناجح تماماً .

الاحد ، ١٧ كانون الثاني :

كنت خلال الاسبوع المنصرم خارج مجرى الأحداث السياسية . وكانت الصحف مفعمة بالتقارير الخاصة بالطائرة ت.س.ر — ٢ (T.S.R.2) والمناقشات حول ماأذا كنا سنلغيها ام لا . كنت اقرأ هذا الموضوع يوماً بعد يوم في صحف الصباح ولكنني كعضوٍ في مجلس الوزراء لم اكن اعلم عنه شيئاً . حتى انه يوم الخميس الماضي عندما كان هناك اجتماع لمجلس الوزراء ، لم تُبحث المسألة الخاصة بهذا الطائرة . وقرأت في الصحف انها ستُبحث في وزارة المالية في عطلة نهاية الاسبوع هذه ،

مع جورج ويغ واصدقائه المقربين اما الاشخاص الذين مثلي فقد استُبعدوا كلياً . انها مسؤولية مجلس الوزراء . في الحقيقة ، انني لست ضد مايجري ولن اشكو ، ولكن عندما تصل المسألة الى مجلس الوزراء للقرار النهائي ، فان الاشخاص الذين لايعنيهم الموضوع امثالنا سيكونون غير قادرين على تكوين اي رأي قطّ .

الثلاثاء ، ١٩ كانون الثاني :

كان على جدول اعمال مجلس الوزراء في عطلة نهاية الاسبوع ــ التعليمُ الشامل . وعندما قرأتُ مذكرة مايكل ستيوارت لاحظتُ على الفور وجود خطأ قاتل . كانت المذكرة مكتوبة بشكل ممتاز ، لكن خاتمتها لم تكن متناسبة مع المناقشة المنطقية ، التي وَضَعت تحديداً سخياً للتعليم الشامل ، واحتوت رفضاً لسنّ تشريع خاص « بمدارس المنحة المباشرة » . مع ذلك ، وبالرغم من هذا الاعتدال ، فان التوصية هي اننا ينبغي ان نلزم أنفسنا بقوةٍ بتشريع يجعل التعليم الشامل إجبارياً في الدورة البرلمانية القادمة . وبدا لي ان هذه التوصية ليس لها معنى على الاطلاق وانصرفت الى لندن صباح الاثنين وتحدثتُ مع جورج ويغ هاتفياً وقلت له : « كيف يمكنني ان أُوصل وجهات نظري الى هارولد ؟ فقال جورج بأنه سيتحدث مع رئيس الوزراء ، وفي المساء اتصل بي هاتفياً واخبرني انه رأى هارولد منذ هنيهة ، وقد وافق على وجهة نظري . وسألني ماإذا كنت استطيع ان ارسل اليه مذكرة بذلك على الفور ؟ إنني

كنت أُنهي يوماً مليئاً بالعمل في مكتبي ، فقلت له انني لااستطيع ان أُعدها قبل ساعة . على اية حال ، توقفت عن العمل وبدأت باعدادها باسرع مايمكن ، ولكن عندما أتممت ذلك وجدنا جورج قد غادر مكتبه ولايوجد احد هناك . قررتُ ، بمساعدة من جورج موسلي ، ان أُرسل المذكرة الى هارولد مع ملاحظة تقول : « هذه ملاحظة الى جورج ويغ بناء على طلبك .»

اتصلت صباح هذا اليوم ، الثلاثاء ، بـ ، جورج ويغ هاتفياً قبل موعد انعقاد مجلس الوزراء بساعتين فقط واخبرته بما صنعت . فأطلق صفرةً وقال : « ياإلهي ، يجب ان أُخرج تلك المذكرة من الآلة[1] . الا تدرك ، ياديك ، بأن أيـة قصاصة ورق تُبعثُ بها الى المبنى رقـم (١٠) ومعنونـة الى رئيس الوزراء فانها تذهب الى سكرتارية مجلس الوزراء وترسل نسخة عنها الى كل شخص له علاقة بها ؟ لذا فإن مايكل ستيوارت سيقرأ ماكتبت . »

بدأ هارولد ولسون حديثه في مجلس الوزراء بوصف مذكرة مايكل ستيوارت وقال إنها تعتبر نموذجاً للمذكرة التي ينبغي على مجلس الوزراء ان يعدّها ـــ إنها شيء ما وافق عليها بكل طريقة . ثم اضاف بانه مستغرب نهاية المذكرة . هل ينبغي ان نلزم أنفسنا حقيقة بهذا التشريع الخاص بالتعليم الاجباري في الدورة البرلمانية القادمة ؟ وبدا له ان من المحتمل ان يكون ذلك خطأ . واستخدم كلماتي التي كتبتها له . فاذا حصل مايكل

---

(١) يقصد سكرتارية مجلس الوزراء ـــ المترجم .

ستيوارت على نسخة من مذكرتي التي كتبتها لرئيس الوزراء ، فان الشحم سيكون على النار . وعندما أنهى هارولد ولسون كلامه تحدث دوغلاس هوتون بنفس الخط ، وكان واضحاً ان الدعم الوحيد الذي حصل عليه مايكل ستيورات جاء من معلمي المدارس القدامى مثل فرد بيرت (Fred Peart) ، وويلي روس (Willie Ross) . حتى أن الاعضاء الآخرين في لجنة الخدمات الاجتماعية سرعان ماانسحبوا عندما أوضح رئيس الوزراء وجهة نظره . وبدلاً من محاولة إكراه المدارس على العمل عن طريق التشريع ، فان الحكومة سوف تأخذ الخط القائل بان التشريع ليس ضروريا الآن طالما اننا لانخشى من الالتجاء اليه في النهاية ، وطالما ان خططنا لتشجيع السلطات المحلية على تبنّي التعليم الشامل بملء ارادتها ، سائرة على خير مايرام .

الاربعاء ، ٢٠ كانون الثاني :

ذهبت الى ننيتون من اجل الاجتماع الذي سيعقد عشية الاقتراع الخاص بالانتخابات الفرعية لـ فرانك كزنز . كانت الظروف الجوية سيئة حيث تساقط الثلج بغزارة في الليلة الماضية . كنت قد نويت ان أسافر مع آن على طريق الاوتوستراد (كانت آن في لندن يوم الثلاثاء لان عائلة دونالد سنز[١] (Donald Sons) دعتنا لمشاعدة العرض الكبير لاوبرا ريغو ليتو (Rigo Letto) في المقصورة الملكية في كوفنت غاردن (Covent

(١) كان اللورد دونالدسن مديرا لدار الاوبرا الملكية .

Garden) . وبسبب وجود ذلك الثلج قررت الذهاب بالقطار .

عرفت منذ اسبوعين ، طبعاً ، اثناء الحملة الانتخابية بوجود صعوبات . اذ ليس من السهل ايجاد دائرتين انتخابيتين يكون اعضاؤهما راغبين في الذهاب الى مجلس اللوردات لافساح مكان لـ فرانك كزنز وباتريك ووكر . واخيراً تعرَّض نصيران متقدمان في السنّ هما : سورنسن (Sorensen) من ليتون ، وفرانك باولز (Feank Bowels) من ننيتون ، لضغط كبير . كان كلاهما عضوين مخلصين وهما اقرب الى اليسار . واخيراً وافق كل منهما بطريقته الخاصة على الذهاب الى مجلس اللوردات وافساح المجال للوزيرين . وافترضتُ ان الغالبية ستكون كبيرة بحيث لايوجد احتمال منظور لعدم نجاحهما في الانتخابات الفرعية ، على الرغم من احتمال وجود نقص قليل في الغالبية . وعندما حمي وطيس المعركة الانتخابية كان الانطباع لديّ بانه طالما ان الأمور تسير سيراً حسناً في ننيتون ، فان الامور في ليتون تسير سيراً سيئاً . إن باتريك غوردوف الذي أخذ معه وصمة سميثويك[1] (Smethwick) الى هذا المكتب الكئيب في شمال لندن ، حيث رُبع السكان من المتقاعدين كبار السنّ ، وضع نفسه في مأزق حرج .

بعد ان وصلتُ الى ننيتون ، تناولت عشاءً ممتعاً مع فرانك كزنز وألفيته يتيه عُجْباً . وأخبرني بانه لم ير قطّ حملةً انتخابية جرى فيها مثل هذه الاستجابة الهائلة . وقد لاحظت بأن وكلاء المرشحين لم يكونوا متحمسين كثيراً ـــ لقد ظلوا هادئين عندما كان فرانك يتحدث في هذا

(١) انظر صفحة رقم ٧٤

الاتجاه ، وكذلك فعل نورمان برات (Norman Pratt) وكيل عمال المناجم . وعندما ذهبتُ الى الاجتماع كنت حائراً للغاية عندما وجدت ان حوالي مائة شخص فقط كانوا في قاعة المدرسة الكبيرة وانهم مجرد انصار للحزب . بذلتُ جهدي ، لكنه كان اجتماعاً فاتراً للغاية . عدتُ الى لندن وانا افكر : « حسناً ، ليس الأمر على مايرام في ننيتون ، لكن يبدو ان فرانك قد فعل شيئاً جيداً . »

الخميس ، ٢١ كانون الثاني :

كان النقاش في مجلس العموم يدور حول التعليم[١] . وعندما ذهبت الى هناك للتصويت الذي سيجري في الساعة العاشرة أخبرني كل شخص قابلته عن مدى النجاح الكاسح الذي حقّقه مايكل ستيوارت . وجاءني هارولد ولسون في الردهة وقال بصوت مرتفع : « انك تلمس ، ياعزيزي ديك ، ماذا نستطيع ان نحقق بالعمل المشترك . » وكان يشير ، طبعاً ، الى المذكرة التي بعثت بها اليه بواسطة جورج ويغ ، وقد كان متحمساً بشأن مافعل . ووافق ايضاً بأنه ، على الرغم من ان مايكل ستيوارت قد قدّم خطاباً رائعاً ، الا انه فشل في تنفيذ قرار مجلس الوزراء ، وفي الحقيقة لقد تكلم بلهجة روبيسبيير (Robespierre) اللاذعة وكشف عن تصميمه على استخدام التشريع . ومن الواضح انه أغضب رئيس الوزراء بشدّة . وبعد ان تحدثتُ مع هارولد في ردهة المجلس أسرعت الى تام

(١) خسر المحافظون مشروع توجيه اللوم للحكومة بـ ٢٧٩ صوتا مقابل ٣٠٦ .

(Tam) ، الذي اقترح عليّ ان أبقى وأستمع الى البرنامج الاخباري الذي كانت تبثّه هيئة الاذاعة البريطانية على شاشة التليفزيون تلك الليلة . ففكرت ان ذلك جدير بالمشاهدة ، لذا ذهبت الى غرفة الجلوس حيث يوجد جهاز التليفزيون وشاهدت الكاميرات التليفزيونية في نيتون وهي تُظهر فرانك كزنز مقطّباً نوعاً ما . وعندما أُعلنت النتيجة بنقص ستة آلاف صوت للعمال[١] عما كان منتظراً ، أدركتُ ان شيئاً ما قد حدث خطأً ورأيت أن من الأفضل البقاء ومتابعة البرنامج لرؤية ماحدث في ليتون .

استطاع التليفزيون ان ينقل للمشاهدين صورة حيّة عما حدث . لقد شاهدتُ مرشّح المحافظين وهو لايكاد يصدّق اذنيه ، ولاحظتُ غوردون ووكر وهو يتصرف بوقار كئيب ويكشف ايضاً عن الروح الانهزامية في اعماقه[٢] . كان مساءً مزعجاً . وشعرت بأن عهداً قد انتهى — ومما يدعو للسخرية ان يكون هذا اليوم هو اليوم التاسع والتسعون من أيام هارولد ولسون المائة الشهيرة . كانت الايام الماضية هذه ارهاقاً لنا ولسلطة حكومتنا . اتصلت هاتفياً بـ جورج ويغ فوجدت انه لايزال في داوننغ ستريت . ولكن ، لا ، من الحكمة ان لااحاول التكلم معه.

---

(١) كان فرانك كزنز مسيطرا على نيتون لكن الاغلبية انخفضت من ١١٧٠٢ صوتا الى ٥٢٤١ .

(٢) كان غوردون يدافع عن اغلبية تقدر بحوالي ٨٠٠٠ صوت ، لكن المحافظين فازوا بالمقعد بـ ٢٠٥ أصوات . وكان على ولسون ان يجد وزيرا آخر للخارجية .

الجمعة ، ٢٢ كانون الثاني :

لذا فقد انتظرت حتى صباح اليوم التالي ثم تكلمت مع ويغ هاتفياً . واتفقنا على انه يوجد في الحقيقة احتمال بان ثلاثة عوامل قد أدّت لتلك النتيجة . اولاً ، الاستياء في الدوائر الانتخابية من جرّاء فرض وزير عليهم وابعاد الاعضاء القدامى المحترمين . ثانياً ، اننا كحكومة ، موجودون في موقع سيء جدا بسبب عدم التجاوب الشعبي مع برنامجنا الخاص بالرهن العقاري ، وهجومنا على صناعة الطائرات وماشابه . ثالثاً ، من المحتمل ان تكون الوصمة التي حملها معه غوردون ووكر من سميثويك قد تسبَّبت في نتيجة ليتون حيث كانت نسبة تأرجح الأصوات فيها ٨٪ بينما كانت في نتيتون ٥ر٤٪ فقط .

إن الشيء الرئيسي الذي اتفقنا عليه هو حاجة الحكومة لتوطيد سلطتها ، لذلك فانه ينبغي عليّ ان اذهب الى الوزارة لأقوم بنصيبي من العمل . لم يكن هذا الأمر سهلاً . لقد وَصَفتْ لي جني هول ، اثناء مكوثها في المكتب الخاص ، مارأته من صَلَف الموظفين وكبريائهم . وكنت في الليلة السابقة قد جمعتهم من اجل تنظيم العمل في المكتب الخاص ، وأصررتُ مرة ثانية بأنني أريد ان اوقّع على رسائلي . ثم فقدت السيطرة على نفسي وقلت لهم : « عليكم اللعنة ، افعلوا ماأطلبه منكم . انصرفوا وافعلوا ذلك . » هذا ماحدث مساء يوم الخميس وهم اليوم هناك ينظرون الى جني بكبرياء وبتكلف . إن الثقة التي استطعنا الاستمرار بها ، على الرغم من الغالبية الضئيلة ، والتي بنيناها في الأسابيع الماضية ، لم تعد

موجودة فجأة . إنهم يتقوقعون على انفسهم ويشعرون « بأنهم سيخرجون من الحكم سريعاً .» . وادركت بانني يجب ان أُؤكد ثانية سلطتي الشخصية في الوزارة .

إن المشكلة تكمن في ان عليّ ان اقضي الصباح بكامله في خطاب حزبي . وبينما كنت اتكلم مع جورج تذكرت فجأة بانني سأتكلم في كوفنتري مساء يوم السبت ومن المحتمل ان اكون مفيداً هناك . ووافق جورج بأن عليّ ان اكتب مسودة ما بأسرع مايمكن ، لذا تخلصت من طعام الغداء ومن اي شيء آخر ، وكتبت مسودة بيانٍ صحفي وارسلتها الى هارولد في الساعة ٣٠ر٢ بعد الظهر . ليس هذا هو التصرف الذي يرغبه موظفو الوزارة ، وخاصة لانه ينبغي عليّ أن أتخلص من العمل الذي خططوه لي ، لكن ذلك لايمكن ان يساعدني ــ واندفعت الى مجلس العموم وتوجهت مباشرة الى غرفة هارولد حيث كان يقف مع مارشيا ، وبيرسي كلارك ، وجورج ويغ . لقد اعدوا مسبقاً مسودتيْ خطابيْن لتسلما الى راي غنتر (Ray Gunter) وطوني غرينوود (Tony Greenwood) . ثم قدمتُ مسودتي . نظر هارولد اليها وطلب مني ان أشطب العبارة التي أشرت فيها الى العنصرية وسميثويك . وفيما عدا ذلك يبدو انها اعجبته ثم قال : « انتظر لحظة . اريد ان اتحدث اليك . »

عندما ذهبت مارشيا وبيرسي التفت إليّ وقال : « انظر ، ياديك لقد قررنا ان يتولى مايكل ستيوارت وزارة الخارجية وقد قبل بذلك . وهو وزوجته مسروران للغاية . » ولم يسألني رأيي . فقلت إنني ادركت انه لايستطيع ان يفعل بما ارغب وهو ان يتولى دينيس هيلي وزارة الخارجية وان

يتولى روي جنكنز وزارة الدفاع . فقال : « لا ، انني لاأثق بان يتولى هيلي وزارة الخارجية مع وجود كل هؤلاء المحترفين . وعلى كل حال فاننا لانستطيع ان ندعه يهرب من وظيفة الدفاع . انها شيء ما ، عليه ان يخوض فيه . لا ، اننا لانستطيع ان نفعل ذلك . لهذا السبب اخترتُ مايكل ستيوارت . إنك سوف تضحك ، ياديك ، اذ عندما تحدثت معه قال بأنه يشعر برغبة في البكاء بسبب تركه لوزارة التعليم . » فنظرتُ الى هارولد وقلت : « حسناً ، إنني سأبكي فعلاً اذا فقدتُ وزارة الاسكان المحلية نظراً الى هذه الحالة من الهرج والمرج التي نحن فيها » .

فقال عندئذٍ : « من سنضع في وزارة التعليم ؟ اننا نستطيع طبعاً ان نعين ريغ برينتس (Reg Prentis) ... كلا ، انها وظيفة كبيرة بالنسبة اليه ، على الرغم من إلقائه خطاباً رائعاً الليلة الماضية . ثم قال جورج ويغ ، وهو ينظر إليّ : « ماذا بشأن فْرد ويلي . » ؟ فقلت : « ياإلهي ، ليس في حياتك . إن ذلك سوف يكون كابوساً ــ مع انني ، من وجهة نظري الخاصة ، سأكون مسروراً لإخراج فْرد ويلي من وزارة الاراضي والموارد الطبيعية . » ثم قال هارولد : « ماذا بشأن طوني غرينوود ؟ » فقلت : « بصراحة ، أنت تعرف انه ليس كفوًاً لها » ثم ذكر جورج اسم انطوني كروسلاند ، وقال على الفور : « انه الاختيار الصحيح . فاذا لم نستطع ان نعين روي جنكنز ، فلنأخذ كروسلاند[1] . فلديه عقل ناضج ، وقد كتب جيداً حول التعليم وستكون اضافته الى مجلس الوزراء شيئاً ايجابياً . » ووافقنا جميعاً على انه اذا تخلّى جورج براون عن طوني

(١) لقد عرض هارولد الوظيفة مسبقا على روي جنكنز ، لكنه رفضها .

كروسلاند فان ذلك سيكون الحل الصحيح . لم يُظهر رئيس الوزراء كثيراً من الاكتئاب الشخصي على مأزق غوردون ووكر . وشعر بوضوح ، مثلما شعرت ، بانه لم يعد هناك اية فائدة ترجى منه كوزير للخارجية كما انه لايشكل قوة كبيرة في الحكومة .

إن الأربعين دقيقة التي قضيتها معه ، ونحن نشرب كأساً من البراندي ، كانت تشبه العودة الى الأيام الغابرة . إنها اول مرة منذ تولينا السلطة هو وأنا وجورج ويغ ، الزمرة القديمة ، نجتمع فيها معاً على مسألة معينة . وبينما كنت على وشك الذهاب قال لي هارولد : « إنه شيء ممتع ان نجتمع بعد وقت طويل . » ، وشعرتُ أنا ايضاً بالابتهاج وانني في حالة ممتازة اكثر حيوية ونشاطاً مما شعرت منذ بضعة أسابيع . ووجدت خارج باب الغرفة ساره باركر (Sara Barker) ، وكيلتنا القومية ، وهي على وشك البكاء حيث كانت هناك في ليتون الليلة السابقة . كانت هذه الهزيمة اكبر ضربة بالنسبة لجناح اليمين ولهيئة ادارة النقل ، واسوأ بكثير مما كانت بالنسبة لـ هارولد ، ولـ جورج ، ولي . عُدتُ الى الوزارة ووجدت انني لااستطيع ان اعمل شيئاً سوى اعطاء مسودة الخطاب للتصحيح والطبع على الآلة الكاتبة من قبل جني لانه كان عليّ ان أسرع كي استقلّ القطار من محطة بادنغتون .

كان الوصول الى القطار في الوقت المناسب أمراً هاماً لان بيتر ليدرر كان ينتظرني في مقصورة القطار . وسآخذه لقضاء السهرة في برسكوت . بعد ان صرفتُ النظر عن المستر هيامز بنجاح ، أصبحت السيدة ايفلين مستعدة الآن لقبول ليدرر حيث أوضحتُ طبيعة وظيفته

مرة ثانية بطريقة متواضعة وجعلتها تتركز على الحاجة الى الاسكان المصنَّع . قضينا أمسية رائعة في برسكوت . وبدا أن بيتر كان مسروراً مع انني أخشى ان لايقبل الوظيفة . لكنه سيكون مهيّاً لمساعدتي في ايجاد شخص مناسب .

الأحد ، ٢٤ كانون الثاني :

كان عليّ البارحة ، السبت ، ان اذهب الى كوفنتري في الساعة ١٥ر٩ للقيام بزيارتي الرسمية الأولى للمدينة . سارت هذه الزيارة سيراً حسناً . كان المسؤولون في كوفنتري لُطفاء معي بطريقة غير متحمسة وقدموا لي غداءً شهياً . ولكي اكون صريحاً فانني اعتقد انهم رحّبوا بي بصفتي وزيراً للاسكان اكثر من كوني عضواً برلمانياً عن كوفنتري . إنهم لايحبون ان يأخذ عضوهم البرلماني من الشهرة والاضواء اكثر من حقّه . واثناء الغداء ألقيتُ خطاباً كبيراً بيّنت فيه ردّ فعل الحكومة الرسمي بشأن الهزيمة في ليتون .

ومما أثار دهشتي أنني وجدت بعد ظهر ذلك اليوم ان صحيفة كوفنتري ايفننغ تليغراف (Coventry Evening Telgraph) قد حَذَفَتْ عبارةً من بياني الصحفي وجَعَلَتْها افتتاحيتها الرئيسية حيث أعلنتُ انني أُعدُّ تشريعاً بشأن تسديد ديون الرهن العقاري . ان هذا سوف يكون أمراً صعباً لانه غر مسموح للوزير ان يعلن عن التشريع مقدماً . وجدتُ بيتر براون في الوزارة واعطيته تعليمات كي يصدر تصحيحاً . لكنني اشك

كثيراً بأنه فعل ذلك لانني وجدت اليوم ، الأحد ، بأن معظم الصحف أعطت اهتماماً كبيراً لهذا الاعلان .

على اية حال ، من المحتمل ان تُسهِّل الصعوبة بموت ونستون تشرتشل الذي أعلن عنه في الساعة الثامنة من صباح هذا اليوم. وكانت النشرات الطبية تذاع يومياً عن صحته ، ولكن بما ان مرضه دام عشرة ايام فقد توقفت النشرات الطبية اخيراً لأن الناس بدؤوا يتضايقون ويتململون من هذه المسألة . وفي اجتماع مجلس الوزراء اخبرنا رئيس الوزراء بأن تشييعه سيكون مشابهاً لتشييع ملك ، وعلى هذا الأساس فان كل رئيس وزراء في « الحلف » سوف يحضر الجنازة وسيكون هناك محادثات هامة يجب ان نكون جميعاً مهيئين لها وان نكون تحت تصرفهم. ولَفَتَ أنظارنا بأننا سنأخذ فترة راحة لمدة اسبوع بسبب الجنازة وترتيبات الحِداد للدولة[1] . حسناً ، ان فترة الراحة ستجعل الأمور أسهل بالنسبة لي فيما يتعلق بمسألة الرهن العقاري . فلو ان النقاش سيجري يوم الاربعاء لكان عليّ ان أعدّ بعض الايضاحات .

اذا ألقيتُ نظرة على أحداث الاسبوع المنصرم ، فا نه لايوجد شك لدّي باننا واجهنا اكبر أزمة وخرج منها هارولد كما كنا نتوقع . كان صلباً ، وكان مسروراً بالكارثة غير المتوقعة وعالجها بشمولية وكفاءة .

---

(١) تؤجل جلسات البرلمان عادة في اليوم الذي يموت فيه رئيس وزراء سابق؛ ولكن في حالتنا هذه قررّ رئيس الوزراء ، وزعيم مجلس العموم ، والزعيم البرلماني ان يؤجلوا الجلسات حتى يوم دفن تشرتشل .

الاثنين ، ٢٥ كانون الثاني :

إن البند الرئيسي الذي كنت مهتماً به في دائرة الشؤون الاقتصادية هو مناقشة مذكرة مشتركة وُضعت من قبل موظفي جورج براون ، وموظفي وزارتي ، وموظفي دوغلاس غي بشأن إقامة مدينة جديدة مقترحة في لانكاشاير (Lancashire) . أيّد جورج براون المدينة الجديدة وعارضها دوغلاس غي بشدّة على أساس ان لانكاشاير ليست منطقة تطور لذلك ينبغي عدم اعطائها اية مساعدة من هذا النوع . إحتدّ جورج براون وتكلم بعنف ثم تكلم دوغلاس غي بحماقة وهزم في النهاية . رأيت مرة ثانية ان مايهمّ في الحكومة هو الشخصية . فمهما كان منطق دوغلاس غي ، فان جورج براون ، هذا الرجل الجاف ، والنحيل ، والمذهل ، في هوايت هول ، يستطيع ان يؤلب الناس ضد أية فكرة يقدمها دوغلاس .

اجتمع البرلمان بعد الظهر لتأبين تشرتشل . في هذا الوقت شعرت بأننا قمنا بواجب التأبين مسبقاً بشكلٍ كافٍ ، ولكن جاء الى هنا الآن كلٌّ من : ولسون ، ودوغلاس هيوم ، وجو غريموند . جلستُ في الصف الاول محشوراً بين بربارة كاسل وطوني كروسلاند وذهبتُ في سُباتٍ خفيف بينما كانت اجراءات التأبين تسير قُدُماً . وفي المساء تناولتُ طعام العشاء مع ريتشارد ليولن ــ ديفز ، ووجدتُ نيكي كالدور (Niky Kaldor) هناك . وقضينا معظم ساعات الليل يتحدثان عن معاهدة لم تر النور . ووجدت ان النقاش كله كان عقيماً . إن ماكان يهمني هو انني سأُقابل

فْرد ويلي في الساعة الحادية عشرة ، وقد طلب رؤيتي بخصوص مشروع قانون لجنة الأراضي . وقال لي على الفور بأنه يريد مساعدتي بخصوص مذكرته . فأجبته : « دعنا نتفق على وضع مذكرة الى مجلس الوزراء نشير فيها بأن هناك قراراً سياسياً كبيراً يجب ان يتخذ . ويجب ان يقرروا ما اذا كانوا يريدون لجنة الاراضي مع وجود قوىً احتكارية الآن على الفور ، او ما اذا كانوا مستعدين للحصول على مشروع قانونٍ اكثر تواضعاً في البداية . » لم يجد ويلي صعوبة في الاتفاق على هذا ــ على الاقل هكذا اعتقدت ــ وكتبتُ تقريراً الى السيدة ايفلين أن كل شيء على مايرام الآن بالنسبة لموظفي كلا الوزارتين لكتابة مسودة المذكرة الى مجلس الوزراء التي تبيِّن المسائل التي تحتاج الى قرار .

الثلاثاء ، ٢٦ كانون الثاني :

في اول اجتماع لنا منذ ليتون كنا نبحث في الظاهر ترتيبات جنازة ونستون ، وعملياً كنا نبحث هزيمة ليتون . أجرى ولسون مناقشة طويلة جداً لكنها ليست مقنعة . لااعرف تماماً ماذا كان يرمي من وراء ذلك ، ولكنه اخيراً فعل شيئاً واحداً أصررتُ عليه أنا وجورج ويغ عندما أكدَّ على ضرورة اجراء اتصال مع ادارة النقل ومع الحزب في الريف . آزرته في هاتين النقطتين وفعلت ذلك بكل ثقة لان خطابي الذي ألقيته في كوفنتري يوم السبت نُشر بشكل واسع في الصحافة ، ليس يوم الاحد فقط ، بل الاثنين ايضاً وعولج كأنه خطاب حكومي رسمي حول الأزمة . وكما ذكرتُ

في هذه اليوميات ، فقد نُشر في مكان بارز في الصحف مع تقديم وعودٍ لراهني العقارات لذلك توقعت استياءً كبيراً في مجلس الوزراء . لم يحدث شيء من هذا القبيل . ولم تُذكر كلمة واحدة ــ ومن المفترض ان سبب ذلك يعود الى ان كل شخصٍ كان خائفاً بسبب ليتون .

إن المناقشة العشوائية الطويلة التي تبعتْ ذلك أصبحت حيوية بسبب المجابهة التي حصلت بين كالاهان وبراون . كان خط كالاهان يقول بأننا يجب ان ننتهي من الأوهام ونخبر الشعب بأمانة بان النفقات تزيد عن النمو الاقتصادي وان وضعاً كهذا لايمكن ان يستمر . فأجاب جورج براون بأن الأمانة الزائدة عن الحدّ سوف تدمرنا ، واذا اخذنا برأي كالاهان فاننا سنقود انفسنا الى الهلاك . وعلينا الآن ان نجري حساباً قصير المدى ونوزع المخصصات على افتراض اننا سنبقى في الحكم لمدة ثلاث او اربع سنوات . إن الموقف الجديد يشبه اجراء عمليتي استئصال زائدة يمكن ان تؤديا الى دمارنا ، او حادث اصطدام سيارة . لذا فان تكتيكنا ينبغي ان يتغير . ويجب علينا الآن ان لانفعل شيئاً سوى التكتيكات قصيرة المدى وأن نعدّ هجوماً مخطَّطاً لوضع اللوم على عاتق المحافظين .

كان مجلس الوزراء مفككاً ، وغير مُرضٍ ، وانهزامياً الى حدّ ما . بعد ذلك ذهبت الى هارولد ووجدته لأول مرة غضباناً مني حقيقة . فقال : « حسناً ، انك رجل ممتاز . اولاً إنك عملت جهدك لتدمير وزارتي الجديدة للأراضي والموارد الطبيعية . ثم أخذتَ من فْرد ولي حتى السيطرة على الماء . واعتقد أنك الآن ايضاً قد دمّرت مشروع قانونه

الخاص بلجنة الاراضي . انني لااستطيع ان اعرف ماذا تهدف من وراء ذلك . » .

علمتُ انني بعد ان غادرتُ مكتبي في مساء اليوم السابق ذهب فْرد ولي الى المبنى رقم (١٠) ليرى هارولد ، ظاهرياً بخصوص تأميم الماء ، حيث سيعالج مسألة التشريع ، على الرغم من ان وزارتي كانت مسؤولة عن ذلك كلية . وفي الحقيقة ، لقد أفرغ مافي جعبته واتهمني بانني أتسلط عليه من خلال السيدة ايفلين وانني اسعى لتدمير وزارته ومشروع قانونه الوحيد . طلب هارولد ايضاحاً واجتماعاً فورياً مع الوزراء المعنيين بالموضوع .

بعد ان استمعت الى هذا ، عدتُ الى الوزارة وانا مضطرب نوعاً ما . وكانت هذه هي اول مرة يوجه اليّ فيها لوم غاضب حقيقي . ماذا ينبغي ان افعل ؟ وقبل ان انتهي حتى من التفكير في المسألة ، تلقيت مذكرة من المبنى رقم (١٠) يصرّ فيها هارولد على زيادة معدلات الرهونات العقارية بنسبة ١٠٠٪ وتخفيضات فورية في تكاليف نقل الملكية وهذان اقتراحان ايجابيان ويطلبهما على الفور . تخلصت من مواعيدي بعد ظهر ذلك اليوم وجلست لأكتب مذكرة جوابية . اخبرت رئيس الوزراء ان زيادة معدلات الرهونات العقارية بنسبة ١٠٠٪ قد تكون بمثابة مهيّج اكثر من ملطّف عندما يكون معدل الفائدة المصرفية ٧٪ . واعتقد ان مهمتنا الرئيسية هي التأكيد للمستقرضين بأننا سنخفض قيمة معدل الفائدة . اما بخصوص تكاليف نقل المُلكية ، فقد اشرت بان ذلك أمر يتعلق بقاضي القضاة وليس بي . وأُرسلتْ المذكرة بعد الظهر .

الاربعاء ، ٢٧ كانون الثاني :

تناولت غداء عمل مع السكرتيرين البرلمانيين اليوم ، وقمت بسلسلة من الاعمال الروتينية في المكتب . وكان يدور في خلدي طيلة الوقت ان هارولد ولسون ضدي ، وانني موجود في ماء ساخن ، وان عليّ ان أتصافى معه حول هذه المشكلة . لذا كنت مسروراً لمقابلتي لـ تومي بالوغ وزوجته بنيلوب والذهاب معهما الى اوبريت كاميلوت (Camelot) في دروري لين (Drury Lane) . كانت الموسيقى التصويرية رائعة لكن المسرحية الموسيقية الانكلو ـــ امريكية كانت جافة .وعلى كل حال فقد أبعدتني عن المشاكل لفترة وتناولنا عشاءً شهياً في رولز (Rules).

الخميس ، ٢٨ كانون الثاني :

كان هذا هو يومي الحاسم مع مجلس الوزراء في جلسته الصباحية ـــ حيث أخبرتني السيدة ايفلين بأن جيمس كالاهان سيشنّ هجوماً على برنامجي الإسكاني ـــ وفي المساء سيعقد الاجتماع الحاسم حول لجنة الاراضي . وحالما ابتدأ اجتماع مجلس الوزراء تسلمتُ مذكرةً من هارولد ولسون يهنئني فيها لموافقتي على قبول بروس فريزر خلفاً للسيدة ايفلين[1] ،

(١) إن مافعلته عمليا هو تقديمي اقتراح لـ هلسبي بأنه اذا كان لابدّ من مجيء فريزر الى وزارة الاسكان فينبغي ان يقضي الاشهر الستة القادمة في العمل في مالية الحكومة المحلية في الخزانة بينما تبقى السيدة ايفلين حتى نهاية تموز ، هذا هو الشرط الذي قبلتُ فريزر بموجبه . كان هارولد مسرورا بذلك .

وأنهى مذكرته بقوله بأنه سيساند برنامجي الاسكاني . وهكذا فان النزاع قد انتهى قبل ان يبدأ ، وهذا كان مُرضياً بالنسبة لي ! كان اجتماع المساء ايضاً مُرضياً . ألفيت نفسي في قاعة اجتماعات مجلس الوزراء ، وكان هارولد يترأس الاجتماع ، مع النائب العام (لقد أصررت على ان يكون محامينا موجوداً) ، وفرد ويلي . دخل جورج براون لبرهة ثم خرج ثانية . وكان على أربعتنا ان نجري النقاش غير الرسمي والاكثر غموضاً . وبعد ساعتين من النقاش تقرّر ان يقوم ويلي بكتابة مسودة « بيان ابيض[1] » يحدد فيه السياسة التي يعتقد بها بشأن لجنة الاراضي . وهذا ملائم بالنسبة لي .

الجمعة ، ٢٩ كانون الثاني :

تناولت طعام الغداء مع جيرالد غاردنر في منزله في برج فكتوريا (Victoria Tower) . وكانت زوجته امرأة صعبة على ما يبدو — فكانت دائماً توقفه عن سرد قصصه المحببة إليه . وعلى أية حال ، ذكر شيئاً واحداً هاماً . سألته ما إذا كان يحب البروتوكول المطبق في مجلس اللوردات فقال : « كنت أتمنى دائماً ان اصبح ممثلاً لذا فانني أحب حقيقة ملابس البروتوكول كثيراً . » .

كان آخر اجتماعاتي لهذا اليوم مع جورج براون لبحث موضوع الإسكان المصنّع . وكان هذا هو يوم وصول جميع الوفود الأجنبية المشتركة

(١) تقرير حكومي رسمي أصغر من الكتاب الازرق — المترجم .

في تشييع جثمان تشرشل . وكان جورج مرهقاً بدون شك بعد اجتماعه العاصف مع أرباب العمل لبحث سياسة الدخولات لدرجة انه وجّه إهانة الى تشارلي بانل .

السبت ، ٣٠ كانون الثاني :

اليوم هو تشييع جثمان ونستون . وكانت لندن خلال جميع أيام الاسبوع مشغولة بالإعداد لهذا اليوم الكبير . وضع الجثمان في قاعة وستمنستر أيام الأربعاء ، الخميس ، والجمعة . ذهبت إلى القاعة في مساء الأيام الثلاثة ، وأخذت معي مولي والبواب آرثر في الليلة الأولى ، وآن وتومي بالوغ في الليلة الثانية ، وحلّاقي الخاص المستر لار في الليلة الثالثة . وفي كل مرة كان المرءُ يشاهد ، حتى في الواحدة صباحاً ، صفاً من الناس يهبطون من درجات قاعة وستمنستر ويتجهون نحو الجثمان . وفي الخارج كان الرتل يمتد متعرجاً خلال حديقة ملبانك (Millbank) ، ثم فوق جسر لامبث (Lambeth) ، ثم حول الزاوية المؤدية الى مستشفى القديس توماس (St Thomas) . وعندما يسير المرء في الشوارع فإنه يشعر بالسكون ويلاحظ السيارات وهي تقف فجأة وينزل منها الناس بهدوء ويسيرون عبر الشارع المؤدي الى قاعة وستمنستر . ونحن كأعضاء برلمانيين نستطيع ان ندخل الى قاعة وستمنستر من الباب الجانبي .

في الحقيقة لم أكن راغباً في الذهاب لتشييع الجثمان . ولكن كان واضحاً انني لا أستطيع ان لا افعل ذلك لئلا يقال بأنني قبعتُ بعيداً ولم

أشترك في التشييع ؛ وقد جاءني الفرج عندما اتصلت آن هاتفياً وقالت إنها ترغب في التشييع أيضاً وأنها سوف تأتي يوم الجمعة . قضينا المساء مع مارك تشايلدز[1] (Mark Childs) ، الذي كان على مااعتقد لبضع سنوات خلت المحرر السياسي الامريكي رقم ٣ . وقد جاء لتغطية مراسم التشييع . وتحدثنا عن الأيام الغابرة خاصة زيارته لبريطانيا أثناء أزمة السويس وكونه اول صحفي يقابل انطوني ايدن ، بناء على طلبه ، لكنه لم يعلم منه شيئاً ، ثم مقابلته المثيرة لـ هارولد ماكميلان حيث طلب منه ان يبعث برسالة شخصية الى وزير المالية الامريكي يرجوه فيها ان يكون متساهلاً مع الجنيه الاسترليني . وأخبرنا كيف انه في اليوم التالي ، عندما كان يقابل انطوني ايدن ، دخل ماكميلان الى الغرفة وقال له : « هل بعثت بالرسالة ؟ » ثم بدأ يسأل عن غوردون ووكر ، الذي رسمت له الصحافة الامريكية صورة الرجل القوي ، والشجاع ، والسياسي المحنّك ، وأخشى انني قلت إنه في الحقيقة عبارة عن سياسي مسكين ذُكر في كتب هربرت موريسون (Herbert Morison) الجيدة نتيجة لموقفه في الانتخابات الفرعية التي جرت في اكسفورد في زمن ميونيخ[2] (Munich) . وبعد ان انضم

(١) برز اسم مارك تشايلدز اثناء عمله كمراسل لصحيفة سان لويس بوست ديسباتش (St Louis Post Dispatch) في اواخر العشرينات وحتى نهاية الحرب . والآن يعيش في واشنطن ، وقد استمر في كتابة المقالات والكتب عن السياسة واحداث الساعة .

(٢) في عام ١٩٣٨ وقف آ . د . لندسي (A.D.Lindsay) ضد كونتن هوغ (Quintin Hogg) على ارضية مستقلة ضد تشامبرلن (Chamberlain) وبرز باتريك غوردون ووكر كمرشح عن حزب العمال ، ولعب كروسمان دورا كبيرا في الحملة الانتخابية بصفته عضو مجلس مدينة اكسفورد ، وعمل عدد من الطلاب الذين لم يتخرجوا بعد ، ومن ضمنهم ادوارد هيث ، في منطقة باليول (Balliol) لصالح المرشح لندسي .

الى مجلس وزراء أتلي كرجل موريسون ووزير لشؤون الكومنولث ، كان متعصباً لـ غيتسكل الى أن مات هذا ، واثناء الصراع على زعامة الحزب تحول من كتلة جورج براون الى كتلة هارولد ولسون في اللحظة الحاسمة [١] .

قضينا أمسية ممتعة اثناء العشاء في اوفرتونز (Overtons) . ثم عدتُ وآن الى البيت ، او بالأحرى لنجد كاتلين وتام يجلسان بهدوء قرب الموقد وتحدثنا قبل الذهاب للنوم استعداداً لليوم الكبير .

إتصلتْ مولي بنا يوم السبت الساعة ٩٫٠٠ صباحاً لان التعليمات كانت تقضي بأن نكون قد اجتزنا ألدويش (Aldwych) الساعة ٩٫٤٠ ثم انضممنا الى سيل السيارات الرسمية التي كانت تشق طريقها عبر شارع ستراند ثم شارع فليت ، ثم شارع سان بول . ووصلنا الى هنا الساعة ٩٫٥٥ ثم فجأة وبشكل غير متوقع تحولنا الى شارع آخر ، فمشينا عبر هذا الشارع ومررنا بانواع مختلفة من الحرّاس ثم وجدنا انفسنا في مكان ما تحت قبّة وستمنستر . جَلَستْ آن بجانب راي غنتر (Ray Gunter) وزير العمل ، وجلستُ بجانب الفيلد مارشال هاردنغ (Harding) ، الذي قابلته آخر مرة في قبرص[٢] عندما تناولت معه طعام الغداء ، وقد التفتت اليّ زوجته وقالت : « إنك رجل شرير جداً ، مستر كروسمان ، ففي آخر مرة كنتَ فيها في نيقوسيا كنتَ سبب القتل والتدمير . » كان هاردنغ رجلاً ضئيل الجسم ، وكان يسقط على سيفه في

---

(١) حدث ذلك عام ١٩٦٣ .

(٢) كان هاردنغ حاكما وقائدا للقوات البريطانية في قبرص في الفترة من ١٩٥٥ ــ ١٩٥٧ .

كل مرة يركع فيها على ركبتيه ليصلي . على اية حال ، فقد أنقذني من ضجري بالتحدث معي بهمس مسموع طيلة مراسم تشييع الجثمان .

كنت قد أحضرت معي كتاب « الشباب » للكاتب كونراد لملء الفراغ لكنني لم اقرأ منه شيئاً لان الفترة التي سبقت بدء المراسم الدينية قد مُلئت بوصول رئيس البلدية ، وسفراء الدول الاجنبية ، والملوك الأجانب ، وقد جاؤوا على فترات بفواصل من ١٠ ــ ٢٠ دقيقة وملؤوا القاعة . وفي غضون ذلك كانت هناك ايضاً فرصة للنظر الى كنيسة القديس بولص . شكراً للتليفزيون وللإضاءة ، فقد كان بامكان المرء ان يرى قطع الموزاييك التي لم يكن قد رآها قط وكذلك جميع الديكورات المحيطة بالمذبح . لم تكن قطع الموزاييك جيدة جداً لكن المظهر العام تحت الاضواء كان رائعاً . وبالنسبة للمراسم الدينية نفسها ، فقد جرت مباشرة وأُديرت من قبل الكاهن الكبير بشكل رديء . انني لا أزال اتذكر حاملي غطاء النعش ، وبشكل خاص المسكين انطوني ايدن ، الأشيب والذي يبدو كبيراً في السن مثل كليمنت أتلي . كذلك فانني لازال اتذكر النعش وهو محمول عبر الدرج من قبل هؤلاء المساكين ، عناصر الحرس الخاص ، الذين يتصببون عرقاً ، والذين كان كل واحد منهم يمسك بمن يليه .

وعندما مَرُّوا بجانبنا كانوا يترنحون اذ لم يكونوا قد استعادوا نشاطهم بعد عندما كان يترتب عليهم ان ينزلوا النعش على الدرجات مرة ثانية ويضعوه على عربة المدفع كي يؤخذ الى تاور بريدج (Tower Bridge) . ومما لايزال عالقاً بذاكرتي الطريقة الرائعة التي صدحت بها الأبواق كي تصدر اصواتاً

ذات بعد نتيجة للفراغ المحيط بها . آه ، ماهذه الشخصيات الذابلة التي تقترب من نهايتها والتي تحيط بي ! إنهم مارشالات متقدمون في السن ، وسيدات كئيبات ذوات شعر أشيب ، وشخصيات هرمة من آل مارلبورو وآل تشرتشل . عبارة عن حشد شبه ميت تجمَّع هناك وأخشى ان لايكون اعضاء مجلس الوزراء العمالي افضل منهم . هناك شعور لدى اعضاء مجلس الوزراء بان نهاية عهد تقترب ، وحتى من الممكن ان تكون نهاية أمة .

عندما انتهت المراسم وخرجنا من القاعة ووقفنا على الدرج عند الطرف الغربي خشيت من الأسوأ ، وجاء هذا الأسوأ . كان الموكب طبعاً منظَّماً بشكل رائع حتى ابسط الأمور فقد وصل النعش الى برج لندن (Tower of London) ، ثم وضع في قارب واتجه الى واترلو في الوقت المحدَّد . وعندما انتهى الموكب لم يبدُ الإيرل مارشال[1] اي اهتمام بهؤلاء الذين شاركوا فيه .كنا هناك ، حوالي الألفين ، ننتظر سياراتنا على درجات كنيسة القديس بولص ، وجاءت هذه السيارات الواحدة تلو الأخرى ببطء لأيصدق . ووقفنا هناك لمدة ثلاثين دقيقة في ريح شديدة ، ثم سرتُ أنا وآن مدة خمس دقائق الى محطة المترو ــ تحت الارض ــ في بلاك فريرز (Black Friars) وتركتها كي أعود الى فنسنت سكوير ومن هناك اذهب بالسيارة الى الريف ، الى غاريك (Garrick) لتناول طعام الغداء مع ناشر كتبي ، جامي هاملتون (Jamie Hamilton) . كانت الوزارة مغلقة لذا

(١) الإيرل مارشال (Earl Marshal) : موظف بريطاني كبير يرافق الملك عند افتتاح البرلمان واختتام دوراته ويشرف على حفلات الدولة الرئيسية كلها ــ المترجم .

تسللت الى دار سينما بعد الغداء وشاهدت عرضاً للروائي تيرنس راتغان (Ternse Rattigan) يدعى : « الرولزرويس الصفراء . » وتسليت به كثيراً . ثم سرت الى المنزل كي اقرأ وأعدّ ، لمدة ساعة ونصف ، الاوراق والمذكرات قبل ان اعود الى مجلس العموم لحضور حفل العشاء السنوي الذي تقيمه المنطقة الجنوبية لحزب العمال في غرفة طعام الاعضاء . كنت هناك فقط لان هارولد كان عليه ان يهتم بالضيوف الأجانب الذين شاركوا في مراسم التشييع وأعطى تعليماته لكي أنوب عنه . إنني لاأعتقد بأن هارولد كان يعرف بأن رئيس الحفل كان سيدني ارفنغ الذي منحتُ في دائرته الانتخابية تصريحاً لبناء القرية النموذجية في هارتلي !

بعد ذلك سرتُ الى البيت ووجدت تام وكاترين يشاهدان للمرة الثانية فيلماً عن جنازة تشرتشل . استطعت ان أرى الاشياء التي لم أرها ـــ المنظر في البرج ، والقارب في النهر ، وانزال النعش . يتحتم عليّ ان اقول بأنها كانت مؤثرة . كانت هناك منزلة رفيعة ، وفخامة جليلة تحيط بالاحتفال بكامله جعلتني افكر في قصة الكاتب تنيسون : « رحيل آرثر » (Passing of Arthur) . ولكنني عدت بتفكيري الى حفل العشاء الإقليمي الذي كنت مشتركاً فيه منذ هنيهة . وسألت نفسي : هل سنزاح من السلطة ؟ لانه اذا كان هناك انتخابات الآن فإن اغلبية كبيرة ستكون ضدنا . واعتقد بأن علينا ان نتخطّى هذه المرحلة الكئيبة لان المحافظين ، في الدرجة الاولى ، لايزالون غير متحدين وغير قادرين على توجيه ضربة الينا . لذا فاذا احتفظنا برباطة جأشنا وقمنا بواجبنا ، فانه لايوجد سبب على وجه الارض يمنعنا من الاستمرار في النضال حتى الصيف ، إننا

سنخسر عدداً كبيراً في الانتخابات المحلية اثناء سيرنا على الطريق ، لكنني اجرؤ على القول باننا مع ذلك سنظل على قيد الحياة . وحالما نشق طريقنا حتى الصيف ونلتقط أنفاسنا ثانية فاننا نستطيع ان نستقر ونمضي قُدُماً لمدة سنة او سنتين .

الأحد ، ٣١ كانون الثاني :

قدمتُ الى برسكوت مع السيدة ايفلين لأنني اردتها ان ترى المكان . وعندما وصلنا الى محطة بانبوري كان أطفالي يتسابقون لملاقاتنا في يوم جميل من أيام الشتاء ، فالسحب البيضاء ، والسماء الزرقاء الداكنة ، واشجار الحور كانت تبدو جميعها وكأن الربيع قد وهبها تلك النضارة الذهبية الحمراء . أخذتها الى برسكوت العليا في نزهة رائعة على الاقدام لترى الأبقار التي تُربّى من اجل حليبها ، والعجول التي تسمَّن من اجل لحومها . ثم عُدنا على امتداد الجانب الآخر من وادي شيرويل (Cherwell) . كنا نستضيف هذا المساء عائلة هارتريز (Hartrees) على العشاء لمقابلة السيدة ايفلين ، واعتقد انها الآن ادركت ان لدّي حياة بديلة استطيع العودة اليها .

في غضون ذلك ، انتهزتُ فرصة وجودها هنا لبحث سياسة الإسكان . إن هذه السياسة قد اخذتْ شكلها النهائي في الوزارة خلال الاسبوع الفائت ، ونحن الآن ملتزمون تماماً بأفكاري الخاصة بمعدلات الفائدة المتفاوتة . كانت السيدة ايفلين حاذقة ، طبعاً ، فيما يتعلق

بسياسة الوزارة ولديها خطتها الخاصة لاعادة تنظيم الإعانات الحكومية للإسكان . أعتقد انني رتبت الأمور في برسكوت لكي اقنعها بأن علينا ان نثبِّت معدل الفائدة للاسكان بموجب السعر المحدّد وان نحصل على اعانات مالية لمنع ارتفاع المعدّل المدفوع لمنازل مجلس البناء عن ٤٪ مهما يحدث . وهنا يستطيع المرء ان يعطي اعانات مالية خاصة للبناء شاهق الارتفاع ، وهكذا . واعتقد بانه ينبغي علينا في كل عام (وهذه هي فكرتي الرئيسية الثانية) ان نثبِّت الحجم الكلي للمنازل التي نبنيها بالاتفاق بين كل من الحكومة ، وصناعة البناء ، وجمعيات البناء ، والسلطات المحلية . ولديّ تصور هنا لإصدار « مجلة اسعار المزارع » السنوية . لكن السيدة ايفلين ترى في ذلك ألف صعوبة ادارية . انها موظفة رسمية جيدة وهي تعرف انني مصمم على هذا ، واعتقد ان علينا ان نفعل شيئاً خلاّقاً وان نجعله جاهزاً أمام هارولد بأسرع مايمكن .

أخيراً ، اذا استعرضنا أحداث الاسبوع التاريخي المنصرم ، فاننا نجد بأنه كان يتميز بالاستجواب حول ليتون ونيتون ، هذا من ناحية سياسة حزبنا العمالي ، ويتميز بتشييع جثمان تشرتشل ، من ناحية السياسة القومية . اذا اردنا ان نحكم على الاشياء وفق الحالة الموجودة داخل الحكومة فان الانتخابات الفرعية التي جرت في ليتون قد حطمت الأسطورة ، وعصفت بعالم الثقة بالنفس وتحدَّت الحقيقة التي أوجدها هارولد بحديثه عن « المائة يوم » . وقد تلقت الحكومة الضربة الأولى الناجمة عن الأزمة الاقتصادية والزيادة في الفائدة المصرفية الى ٧٪ . لكنها ظلّت على قيد الحياة ووصلت الى حالة من الاستقرار تقول : « إننا نقوم

بعمل ملائم هنا في وستمنستر . » ، واهملنا التأثير الذي كنا نملكه على الرأي العام خارج الحكومة . وانني اعتقد بأن الهزيمة في ليتون قد أظهرت ان الحكومة فقدت الآن شيئاً هاماً لايقدر بثمن وهو الانطباع العام بأن حكومة المحافظين هي المسؤولة عن مصاعبنا الحالية . فخلال الأشهر الثلاث الأولى من حكمنا لم يكن لدينا جهاز للمحافظة على الاتصال مع الجماهير ، ولم نقم بمجهود دعائي للحفاظ على الهجوم السياسي الذي يضع اللوم على حكومة المحافظين خلال السنوات الثلاث عشرة الضائعة . وبمنتهى الهدوء فان مسؤولية المساوئ التي ظهرت خلال السنوات الثلاث عشرة الماضية قد انتقلت الينا خلال هذه الأشهر الثلاث . فنحن الآن المسؤولون عن ارتفاع الاسعار ، وعن التخفيض في المعاشات التقاعدية ، وعن الفشل في المحافظة على انخفاض معدلات الرهن العقاري .

إن السبب الرئيسي في حدوث ذلك يرجع الى عدم وجود عضو في مجلس الوزراء ، كما كان في مجلس وزراء ماكميلان ، مسؤول عن العلاقات مع الحزب . وبحثتُ هذا الموضوع يومياً خلال الاسبوع الحالي مع جورج ويغ ، الذي أُسندت اليه الوظيفة اخيراً من قبل هارولد بشكل غير رسمي في محاولة لتضييق الثغرة بين المبنى رقم (١٠) وادارة النقل . وبحثت هذا الموضوع ايضاً مع ودغي بِنْ (Wedgy Benn) ومع اركاني ، وانا مقتنع اكثر فاكثر بان هذا الموضوع هو في الحقيقة مشكلتنا الكبيرة للمحافظة على البقاء . والى ان نعالج هذه المشكلة بقوة فان الحكومة ستظل في موقف ضعيف ، ومنقسمة على نفسها ومتفككة . إنني اقول متفككة واعني ما اقول ، لان المعنويات التي كانت تحتفظ بها الحكومة بشكل

يدعو للإعجاب قبل هزيمة ليتون قد تبخّرت . إن كل عضو في الحكومة متوتر الأعصاب ، واسوأ شيء على الاطلاق ، طبعاً ، هو الصدمة الموجهة الى الحزب خارج الحكومة .

إن معالجة هذه المشكلة لم تصبح سهلة بالاحتفال القومي الضخم لتشييع جثمان تشرتشل، الذي بدأ بقرار مجلس العموم القاضي بالتعطيل لمدة اسبوع كامل والتجمع يوم السبت لعزاء النفس في نهاية قَدَرِنا الامبراطوري ــ مع تشرتشل كرمز له . كل هذا لم يساعد الحكومة . وما عملته العطلة هو اعطاؤنا متنفّساً ، والى هذا الحدّ فان عطلة الأيام الخمسة كانت مفيدة . ولكننا سنبدأ غداً في اكتشاف ما حدث لنا فعلاً نتيجة لهزيمة ليتون .

ملاحظة :

كانت الانتخابات الفرعية الثلاث التي جرت في شهر شباط في الدوائر الانتخابية للمحافظين : في ألْترنشام (Altrincham) وسال (Sale) ، وسالزبوري (Salisbury) وشرق غرينستد (Grinstead) ، مضمونة لصالح المحافظين والمقاعد جميعها لهم . وبعد ذلك باسبوعين أعاد السير أِلك تشكيل وزارة الظل ، فنقل ريجينالد مودلنغ (Reginald Maudling) من الخزانة الى الشؤون الخارجية ورقّى ادوارد هيث ليأخذ مكانه كوزير ظل للمالية . وعيّن كريستوفر سومز (Christopher Soames) للدفاع . وعيّن بيتر ثورنيكروفت (Peter Thorneycroft) وزير

ظل للداخلية . وفي اواخر الشهر ، أعلن السير أِلِك الترتيبات الجديدة الخاصة بزعماء الانتخابات المقبلة لحزب المحافظين ، وهو نظام الاقتراع الثلاثي لجميع اعضاء حزب المحافظين البرلمانيين ، تحت إشراف رئيس لجنة ١٩٢٢ .

في غضون ذلك ، جابه الصف الأمامي لحزب العمال المشاكل الاقتصادية . وأظهرتْ ارقامُ التجارة لشهر كانون الثاني التي نُشرت في شهر شباط عجزاً مقداره (٣٤) مليون جنيه . ومع ان أرقام التجارة لشهر شباط أظهرت وفراً قدره (١١) مليون جنيه ، فان ذلك يرجع الى إضراب عمال أحواض السفن الامريكيين مما أدىّ الى تخفيض الاستيراد من الولايات المتحدة الى النصف . وفي العاشر من شباط مَدَّد صندوق النقد الدولي تسديد قرض الـ ٣٠٠٠ مليون دولار حتى آخر شهر أيار . وفي اليوم التالي نشر جورج براون « بياناً ابيض »[1] وضع فيه مقترحاته المتعلقة بلوائح الدخولات والأسعار لتشجيع الجهود الطوعية لتثبيت الأجور والأسعار .

لايزال هناك عدم إصدار بيانٍ علني حول الطائرة ت س ر ـــ ٢ (TSR2) ، لكن إلغاء الطرازين من طائرات : ب ـــ ١١٥٤ (P -1154) ، و هـ س ٦٨١ (HS - 681) ، كان فألاً غير حسن . وادّعى رئيس الوزراء بأن هذين القرارين سيوفران ٣٠٠ مليون جنيه خلال عشر سنوات ، لكن أغلبية الحكومة قد انخفضت الى خمسة اثناء نقاش « توجيه اللوم » للحكومة حول هذه المسألة .

(١) البيان الابيض : عبارة عن نشرة تصدرها الحكومة وهي أصغر من الكتاب الازرق ـــ المترجم .

الاثنين ، ١ شباط :

ذهبتُ من برسكوت الى مجلس الوزراء الذي دُعي للانعقاد يوم الاثنين ، لانه كان من الضروري الحصول على إذنٍ من أجل اصدار بيانٍ أولي بشأن الطائرة والذي أراد هارولد ان يردّ به اثناء نقاش « توجيه اللوم » للحكومة غدا .

هذه اول مرة يبحث فيها مجلس الوزراء مسألة تتعلق بالدفاع . انني لم اشترك في البحث لانه كان واضحاً بأن تأجيلاً ثانياً لقرارٍ بشأن طائرة ت س ر ــ ٢ سوف يُعلن . ووجدت البحث عقيماً كالعادة باستثناء ماقاله جيمس كالاهان من انه ضد طائرة ت س ر ٢ بشدّة . وكان واضحاً ايضاً ان رئيس الوزراء ضد كالاهان .

قضيت معظم النهار في الإعداد « لفترة الأسئلة »[١] التي ستجري يوم الثلاثاء ، والبيان المتعلق بمستقبل « رعاية أطفال لندن » الذي سيلي فترة أسئلة هارولد ولسون ، وكذلك الإعداد للبيان المتعلق بالمنطقة الجنوبية ــ الشرقية والذي سوف أُقدمه يوم الاربعاء .

على اية حال ، قضيتُ ساعتين بعد الظهر مع مهندسينا المعماريين الشباب ومع اوليفر كوكس الذين اوجزوا لي المباني المصنّعة وشرحوا لي النموذجيْن المستخدميْن ، ٥ ــ م و ١٢ ــ م . ولم اكد اعود الى الوزارة

(١) فترة الاسئلة : فترة في جلسة برلمانية يوجه النواب خلالها اسئلتهم الى الوزراء حول شؤون تتصل بوزاراتهم .

حتى دخل عليّ بن غوريون[1] . جلس واخذ يلقي عليّ محاضرة بأنني أوروبي جيد . ووجدت نفسي اقول له : « انظر ، إنني لست معنياً الآن باوروبا » ، وادركت مدى اهتمامي بشؤون الوزارة كما ادركت صغر الدور الذي ألعبه في الشؤون الخارجية .

في المساء ذهبتُ أنا وآن الى قاعة الاحتفالات لحضور حفلة موسيقية بمناسبة اعادة افتتاح القاعة ، وحَضَرَتها الملكةُ الأم . وتصورت ان يكون هناك عدد كبير من الوزراء . لكنني كنت الوحيد ، مع « جني لي » . واستمعنا الى عزف رائع على البيانو في الكونشيرتو رقم (٢) لـ برامز . وفي النصف الثاني من الحفلة كان عليّ ان اجلس بجانب الملكة الأم ، التي كانت ضخمة ومكتنزة ومسليّة وأنيسة . وبعد ذلك عدتُ أنا وآن وجني لتناول العشاء مع آرنولد غودمان ــــ كانت أمسية رائعة حقاً .

الثلاثاء ، ٢ شباط

هذا هو اليوم الكبير : التصويت على « توجيه اللوم » لحكومة هارولد ولسون ويسبق ذلك فترة الأسئلة ، حيث كنت على رأس القائمة . ومما يدعو للدهشة ان السيدة ايفلين كانت مهتمة بي تماماً . وعندما كنا نتناول غداء عمل في مكتبي من اجل الاعداد للأسئلة بدتْ ممتعضة بشأن

(١) دافيد بن غوريون ، السياسي الصهيوني . كان كروسمان صديقا لاسرائيل منذ عام ١٩٤٦ ، عندما طالب بالدعم البريطاني للدولة اليهودية ، بصفته عضوا في لجنة بيفن الانكلو ــــ امريكية لدراسة الوضع في فلسطين .

الفكرة القائلة بانني سأواجه وقتاً عصيباً حول تعهد حزب العمال لتخفيض معدلات الفائدة لراهني العقارات . انها لاتزال تعيش في عهد كيث جوزيف ـــ وهو رجل رائع ، وحسّاس ولايرغب في الاستجواب العنيف ويحتاج الى حمايتها . في هذه المناسبة شعرت بأنني واثق من نفسي ، ورتّبتُ أموري بالحساب الدقيق وبالجواب السريع اللاذع كي أهزم جون بويد ـــ كاربنتر (John Boyed Carpenter) . سوف يسألني سؤالاً خارجاً عن موضوع البحث حول الموضوع الحسّاس المتعلق بمدى استشارتي لـ فُرد ويلي في قرارات التخطيط . والحقيقة هي انني لم استشره في أية مناسبة ، على الرغم من ان رئيس الوزراء قد اقترح مراراً ان اكون لبقاً وان اتكلم مع فُرد . لذا ينبغي علي ان اتملص من الاجابة على هذا السؤال واعتقد ان ماحدث أظهر بانني لم اكن غير بارع في فعل ذلك .

بعد ان اعلنتُ قرارنا غير المحبوب وهو اننا لن نسنّ تشريعاً حول رعاية اطفال لندن ، بدأ النقاش الكبير حول « توجيه اللوم »[1] للحكومة . كان خطاب دوغلاس هيوم جيداً ، على الرغم من انه لم يقدمه بشكل جيد وقوطع مرات عديدة . واما خطاب هارولد فلم يكن متكاملاً البتة . وكان يحتوي في الحقيقة على خطابين ، أُعدَّ احدهما من قبل جورج ويغ وروي جنكنز حول الطائرة ، والثاني أُعد من قبل تومي بالوغ . وقد أضاف هارولد دفاعاً عنيفاً عن الأيام المائة للحكومة . كان النقاش مضطرباً ، لكن هذا النوع من العنف والفوضى الذي اظهرته المعارضة أفادنا اكثر مما أضرّنا . عشت هذه الفوضى ودرستها وبعد ذلك قضيت

(١) نالت الحكومة ٣٠٦ صوتا مقابل ٢٨٩ ..

المساء في قاعة البرلمان ، وفي غرفة التدخين ، وفي غرفة الشاي ووجدت ان الحزب لم يكن في حالة سيئة جداً .

الأربعاء ، ٣ شباط :

قضيت ساعات الصباح وأنا أحاول كسب التأييد لصيغة الايجارات ــــ العادلة الجديدة[١] . وظهر لي ان عليّ ان اكسب رجلين الى جانبي وهما : إريك فلتشر ، وهو رقم (٢) بالنسبة لقاضي القضاة ، ونْيال ماك ديرموت ، وهو سكرتير مالي للخزانة كما انه محام قدير يفهم الايجارات بشكل حقيقي . واعرف ان عليّ ان اقنعه ، لذا قضيت معظم ساعات الصباح وأنا اقوم بعمل ذلك . وفي الساعة ٣٫٣٠ حان موعد تقديم بياني الكبير الثاني الذي سيحدّد مستقبلي كوزير وهو : حول توسع مدينة لندن وانشاء مدن جديدة لمعالجة هذا التوسع . وأعلنت عن إنشاء المدينة الجديدة في بلتشلي[٢] (Bletchley) وأعلنت ايضاً نوعاً آخر من المدن الجديدة ، يضاعف عدد سكان مدينةٍ ما بواسطة تشكيل لجنة مدينةٍ جديدة تعمل مع سلطات مدن المقاطعة ــــ وسوف نبدأ بالمدن الثلاث الشهيرة وهي : نورثامبتون ، وبيتر بورو ، وابسْويش . ولاحظت ان رجالنا متشككين بعض الشيء حول هذا البيان وتلقيت عدداً من الاسئلة التي

---

(١) كان على موظفي الايجارات المحليين ان يوجدوا « ايجارات عادلة » ترتكز على تقييم معقّد لعدد من العوامل مثل القيمة ، والموقع ، وحالة العقار . ويحق للمالكين وللمستأجرين ان يستأنفوا .

(٢) سميت فيما بعد باسم : ملتون كينس (Milton Keynes) .

طرحتها الدوائر الانتخابية في النهاية ، ولكن شكراً لعمل بيتر براون ، لقد سمحنا بتسريب الاخبار مسبقاً الى الديلي اكسبريس ، والغارديان ، والايفننغ ستاندرد ، وكل هذا ساعد البيان واكّد مروره بشكل جيد . لم يكن زملائي في مجلس الوزراء غيورين جداً ، لان وزيراً ناجحاً للاسكان قد فعل لهم شيئاً جيداً على العموم ، حتى ولو حصل على قدر اكبر من الدعاية ــ ويكفي ان يُسجَّل في صحيفة الاوبزرفر كأحد اربعة وزراء يستحقون التقدير (الثلاثة الآخرون هم طبعاً : هارولد ولسون ، وجورج براون ، وفرانك كزنز) .

الخميس ، ٤ شباط :

كان يترتب عليّ ان أذهب مساء البارحة لحضور حفل عشاء وداعيّ في السفارة الالمانية أقامه السفير البغيض الذي دعوناه مرة لقضاء أمسية في برسكوت . كان الحفل ردًّا على تلك الضيافة وقد أعطاني السفير نوعاً جهنمياً من الشراب . وعلى كل حال ، استيقظت في الثالثة صباح هذا اليوم وأنا أشعر بوجع رأس شديد ــ وهو ناتج عن الاسراف في الشراب ــ وقد شفيت منه في منتصف النهار فقط،ونتيجة لذلك لم اكن مستعداً بشكل جيد لمواجهة اعباء يوم ثقيل بشكل خاص . انني اشعر بصحة جيدة تدعو للاعجاب في وظيفتي الحالية طالما انني أعمل ولاشيء سوى العمل . انني لااستطيع ان انغمس في مسرَّة او تسلية دون إمكانية حدوث نتائج خطيرة . وينبغي عليّ بالتأكيد ان اكون اكثر

حرصاً حول نوع وكمية الطعام والشراب اللذين اتناولهما في صحبة الآخرين . إنني على مايرام في الصحبة الخاصة مع تومي بالوغ او مع اصدقاء خاصين مثل « نويل انّان » . ان نوع العشاء الرسمي الذي تناولته في السفارة قد طرحني .

على الرغم من التوعك الذي أصابني بعد اسرافي في الشراب فقد رتبت امري كي اجتاز هذا التوعك بشكل جيد. كان هذا اليوم نموذجياً بالنسبة لنمط حياتي ، لقد بدأ في الساعة ٩٫٣٠ في مكتبي . قدّمت ايجازاً لِـ نورا بيلوف (Nora Beloff) من الاوبزرفر ، التي طلبت مقابلتي ، وتحدثت معها حتى العاشرة والنصف . وبعد ذلك حان وقت الذهاب الى مجلس العموم للاستماع الى خطاب رئيس الوزراء الموجّه الى اعضاء حزب العمال البرلمانيين . وجلست بجانبه لمساندته . وبعد ذلك هرعتُ لحضور ايجازٍ بشأن اجتماع اللجنة الاستشارية للاسكان المركزي ، الخاصة بوزارتي ، الذي سيعقد يوم الجمعة . وبعد ان تم ذلك ، ذهبت الى المكتبة العامة لتناول الغداء مع تشارلز بانل ولافراز جميع البنود الثانوية التي من ضمنها أسباب تعيين بيتر ليدرر بدون استشارته المسبقة . وفي الساعة ٢٫٤٥ استقبلتُ اللجنة التنفيذية للاتحاد الوطني للمزارعين لمدة ٤٥ دقيقة في محاولة لايجاد صيغة جديدة لمدة ساعة مع اتحاد مجالس المقاطعات بشأن لجنة الحدود ، ثم بعد ذلك وعلى الفور حضرتُ اجتماعاً مع جميع اتحادات السلطة المحلية في غرفة المؤتمرات الكبيرة لشرح سياسة جورج براون المتعلقة بالاسعار والدخولات . وتبع ذلك تقديم ايجازٍ لمدة ٤٥ دقيقة حول

المدينة الجديدة التي ستقام قرب مانشستر ، حيث ينبغي تقديم بيان بخصوص ذلك في غضون ثلاثة أسابيع .

لم يكن مدهشاً بالنسبة لي ، بعد كل هذا العناء ، ان أجد عيني مغمضتين عندما اخذني بوب مليش لمشاهدة فيلم ممتاز عن هارلو (Harlow) .مع ذلك ، استيقظت وساعدته في تقديم العشاء لِ بيل فيسك[1] (Bill Fisk) والسيدة دننغتون ، رئيسة الاسكان في مجلس لندن الاكبر ، قبل العودة المترنحة الى فنسنت سكوير . كنت على وشك الذهاب للنوم عندما تذكرت الانتخابات الفرعية وجلست مع تام لسماع نتيجة ألْترنشام ، وسال[2] . كانت افضل مما توقعنا بكثير وجعلتنا ندرك ان ليتون كانت في الحقيقة مؤشراً للتحول الكامل في الرأي العام ضدنا .

الجمعة ، ٥ شباط :

بدأت اليوم بزيارة الى دوغلاس جي في مكتبه في مبنى مجلس التجارة الجديد عند تقاطع شارعي بطرس الكبير وفكتوريا . في الحقيقة تستطيع ان ترى من مكتبه مناظر رائعة مثل قبة كنيسة القديس بولص الكائنة خلف برج ساعة بيغ بن . أراد دوغلاس ان يراني منفرداً بشأن

(١) عضو مجلس مقاطعة لندن منذ عام ١٩٤٥ ، ورئيسا لمجلس لندن الاكبر من ١٩٦٤ ــ ١٩٦٧ عندما سمي لورد فيسك . وتولى رئاسة النقد العشري من ١٩٦٨ ــ ١٩٧١ .

(٢) بعد بيان فريدريك إرول لمجلس اللوردات ، حصل انطوني باربر (Anthony Barber) على المقعد لصالح المحافظين باغلبية ضئيلة .

موقع كورلي (Chorley) من اجل اقامة مدينة جديدة ، وهي التي أعدَّها جورج بروان للجنة التنمية الاقتصادية كاقتراح مشترك للوزارات الخمس المعنية . لقد احتاجت مانشستر الى مدينة جديدة منذ سنوات ووجدت لهم الوزارة موقعاً عديم القيمة في رايزلي وهو الموقع الذي زرته منذ بضعة اسابيع . ولحسن الحظ ، وجد الجيولوجيون ، بعد ذهابي الى هناك مباشرة ، وجود صَدْع في الارض كما لاحظوا ان المنطقة مليئة بالانخسافات المحتملة . لذا بقيت مانشستر بدون موقع من اجل التوسع باستثناء المكان الشنيع الذي وجدوه بأنفسهم في ويستهوتن (Westhougton) . لهذا السبب قرّرتُ مساندة جورج براون ، الذي توصل الى نتيجة وهي ان الموقع المناسب يبعد كثيراً الى الشمال ويقع في منطقة برستون (Preston) / كورلي ــ كان جورج يدعم هذا المشروع لانه يريد ان يرى مجال نمو جديد في لانكاشاير . وكانت فكرة مجال النمو هذه هي التي اثارت معارضة دوغلاس غي . وعندما جلست هناك في غرفته قال لي : « لايمكن ان تكون تلك المنطقة مجال نموّ . لأن النمو يجب ان يحدث في مناطق التطور ، ويجب علينا ان نمنح رخص تطورٍ صناعي في منطقة كورلي لان ذلك سوف يبعدهم عن مناطق البطالة . » كانت فكرة مناطق التطور تسيطر على دوغلاس غي لانه كان أحد المسؤولين في حكومة أتلي عن تخطيط السياسة ، وهو نوع من الرجال الذين تتحول افكارهم الجيدة الى تحامل ضدهم . فقلت رداً على كلامه : « انظر ، يادوغلاس ، اذا كنا لانسمح قط للمناطق النامية بالازدهار واذا حوّلنا جميع الصناعة من هذه المناطق الى المناطق المتطورة منذ زمن ، فاننا

سنكون في موقف مريع يُعرقل النمو ويُشجّع الفشل . »

ذهبنا الى مجلس الوزراء حيث عُرضتْ اخيراً مسألة كورلي على بساط البحث بعد مناقشة مطوَّلة حول سياسة الدخولات . كان هناك كثير من اللغو ، لكنني شققت طريقي وكنت قادراً على كبح الانتقاد اثناء مجرى النقاش .

عندما عدتُ الى الوزارة وجدت ان جورج ويغ قد اتصل هاتفياً وطلب مني على جناح السرعة ان أُعد بياناً حول الهجرة ، عندما اذهب الى ستوك (Stoke) في نهاية الاسبوع ، لتوزيعه على الصحف . كنا نعقد جلسات للجنة مجلس الوزراء حول الهجرة اسبوعاً بعد اسبوع برئاسة فرانك سوسكايس ــ هذا الرجل المسكين الذي يشكو من التهاب المفاصل والذي يحمل كتفاً ملتوياً ووجهاً بشوشاً ، والمعتدل في افكاره . ان كونه كوزير للداخلية يعتبر مصيبة اذ كان عليه ان يعالج أسخن بطاطس في السياسة ــ انها مشكلة الهجرة . وعندما بدأت اللجنة النقاش برئاسته استُدرج تدريجياً من موقفه التحرري المجرّد الى إقرارٍ بأن علينا ان نضع ضوابط مشدّدة للهجرة ، حتى ولو ان ذلك يعني تغييراً للقانون ، مع اتباع سياسة بنَّاءة لدمج المهاجرين بالمجتمع الموجودين فيه . كان هذا هو منهجي كعضوٍ برلماني من منطقة ميدلاند (Midland) وانا امثل هنا حقيقة الناخبين في دائرتي الانتخابية . وكان واضحاً منذ انتخابات سميثويك بأن الهجرة يمكن ان تكون اكبر صوت خاسر محتمل لحزب العمال اذا كنا سنسمح لنسيل من المهاجرين ان يأتوا ويفسدوا المناطق

المركزية في جميع مدننا . أخبرتُ جورج ويغ بانني سأحاول بالتأكيد وكتبت مسودة الخطاب بشأن ستوك وواصلت العمل بسرعة جنونية اثناء تناولي طعام الغداء . وبمجرد ان انتهيت من كتابة المسودة ارسلتها الى فرانك سوسكايس ، مع صورة عنها الى هارولد ، قبل ان اذهب الى لجنة مجلس الوزراء الكبيرة حول وزارة التكنولوجيا ، وكان هذا الاجتماع مضيعة للوقت لكن كان عليّ ان أبقى حتى النهاية قبل ان استقلّ البولمان الى كوفنتري .

كانت ليلةً مخصصة لمناقشتي نقاشاً عسيراً ووجدت رتلاً طويلاً ومكثت هناك ساعتين ونصف ، ووجدت أخيراً وفداً من عمال صناعة الطائرات من آرمسترونغ — وتورث (Armstrong - Whitworth) . انهم يمثلون ثمانية آلاف عامل في المصنع ، المهدّد حالياً بالاغلاق التام من جرّاء البيان الذي أعلنه هارولد ولسون في نهاية نقاش يوم الثلاثاء .

هذه هي المناسبة الاولى التي وجدتُ فيها صراعاً حقيقياً بين مسؤولياتي كوزيرٍ ومسؤولياتي كعضو برلماني أمثل دائرة انتخابية . وكنت مهتماً لارى كيف استطيع معالجة هذا الصراع ، لانه منذ اول يومٍ في هذه الدورة البرلمانية كان موريس إديلمان (Maurice Edelman) يتزعم تنظيم عمال الطائرات واصبح الناطق الرسمي باسم هؤلاء العمال في الاحتجاج ضد أي من انواع اغلاق المصنع . وقد حقق النجاح عندما اعتقدنا جميعاً بأن مصير طائرة الكونكورد سوف يكون الالغاء ، بينما كان هو يؤيد الكونكورد ، ومن خلال احتكاكه المباشر بالفرنسيين ، أثّر تأثيراً كبيراً على عمال كوفنتري . وهو الآن يقود مرة اخرى مسيرات العمال بسبب

التهديد باغلاق مصنع آرمسترونغ ــ وتورث ، سار عشرة آلاف عامل في مسيرة في الاسبوع الماضي ــ ويعلن استعداده للموت معهم على المتاريس . ومن الطبيعي بأن الوزير ، الذي يوجد مصنع آرمسترونغ ــ وتورث في دائرته الانتخابية ، والذي هو غير قادر على فتح فمه علانية حتى الآن ، لم نفعل شيئاً لمساعدة اعضاء البرلمان الآخرين الممثلين لمنطقة كوفنتري .

حسناً ، لقد دخلوا جميعاً الى الغرفة الكبيرة في شارع كوندون (Condon Road) وكان اجتماعي بهم جافاً وكان يوجد ست او سبع صحفيين ينتظرون في الخارج ومعهم المصورون لكي يلتقطوا صورة للصدام . فكرت بأن الشيء الوحيد الذي ينبغي ان أفعله هو التكلم بصراحة ، لذا بدأت الحديث قائلاً : « إنكم تدركون بأنني الى جانب تخفيضات كبيرة في شؤون الدفاع . ولكن من المستحيل ان نشتري طائرات بريطانية اذا كانت تكلف ضعف الطائرات الامريكية واذا كانت غير جاهزة في الوقت المحدد . ومن جهة اخرى ، فانني سأُقاتل كالنمر اذا رأيت هناك أية بطالة تحدث ، وان كوفنتري لن تحصل على اكثر من حصتها . » اعتقد ــ مع انني لست متأكدا ــ انني تدبرتُ الامر كي اتخلص من هذا الاجتماع الصعب ، مع ان من الواضح تماماً انه عندما يغلق مصنع آرمسترونغ ــ وتورث أبوابه ــ كما اعتقد بانه سيفعل ذلك ــ فانني ساكون في موقف حرج . إن المرء في الحقيقة يخسر أصواتاً بوجوده في الوزارة لان عليه ان يترك مصيدته مغلقة . في الانتخابات العامة الأخيرة كان الوزراء المحافظون عموماً في مركز أسوأ من الاعضاء البرلمانيين

الجالسين في الصفوف الخلفية لان هؤلاء كانوا يستطيعون التكلم بحرية اكثر ويقولون الأشياء التي يريد ان يسمعها الناخبون . ومع ان وظيفتي بشكل خاص تعطيني بعض الشهرة ، إلا انها تمنعني بالتأكيد من القيام بالاعمال التي كنت قادراً على الخوض فيها كعضو برلماني في المقاعد الخلفية طيلة العشرين عاماً الماضية .

بعد الاجتماع مع ممثلي عمال المتاجر ، ذهبتُ الى منزل جورج ، وكاري هودغكنسون (Carrie Hodgkinson) . فوجدت رسالة بانتظاري تقول بأن هارولد قد قرّر تأجيل خطابي ، مع انه جيد ، لمدة اسبوع ، لذا فان جميع جهودي ذهبت هباءً .

عدتُ الى ليوفريك (Leofric) في الساعة ١٠٫٤٥ ووجدت ان مطعم سيلفر غريل (Silver Grill) لايزال مفتوحاً ، لذا تناولت بعض الطعام ثم ذهبت بعد ذلك الى غرفة نومي حيث جلست وعملتُ حتى الواحدة والنصف صباحاً .

السبت ، ٦ شباط :

ذهبت مع مولي في وقت مبكر الى ستوك بالسيارة الرسمية . وبينما كنت أقود السيارة في ستوك قلت في نفسي : « يوجد هنا هذا الازدحام السكاني الضخم المكون من خمس مدن ــ أيُّ معنىً للتحدث عن التجديد المتعلق بالمدن هنا ؟ ان المدن الاخرى لها شكل ، ولها مركز ،

ويمكن ان يبدأ التجديد في بعض الامكنة ، ربما بناء جامعة . ولكن اذا صرف المرءُ البلايين على هذا التجمع الشنيع من نفايات المعادن ، وبرك الماء ومصانع الخزف القديمة ، ومناجم الفحم المهجورة ، فلا يوجد شيء في مقابل الأموال . » لايوجد في ستوك شيء سوى اسوأ مافي الثورة الصناعية وبعض الناس الظرفاء . واحسرتاه ، لاتوجد صناعات متقدمة حديثة . يوجد فقط طبقة عاملة متساوية تعيش في بيوت رخيصة تمتلكها البلدية وتتقاضى أجوراً منخفضة جداً . انني لم أر الكثير من المدينة لكنني تحدثت مع نصف (دزينة) من اعضاء مجلس المدينة في بهو دار البلدية . وعندما انتهت زيارتي للمدينة شعرت بقوة اكثر ان من المستحيل اعادة إحياء بريطانيا دون ان نزيل هذه الامكنة مثل ستوك ـــ أُن ـــ ترنت (Stoke - On - Trent) من الوجود . وفي الحقيقة ، بدأت اتساءل الم يكن من الافضل اخلاؤها : ان تجديدها ضربٌ من المستحيل، او بعبارة اوضح مضيعة للاموال .

عقدتُ بعد الظهر مؤتمراً اقليمياً لاعضاء حزب العمال في قاعة بلدية هانلي (Hanley) ، حيث كنت أُعطي دروساً للاتحاد التعليمي للعمال في عام ١٩٣٦ . كان هناك حوالي ٢٥٠ مندوباً وحاولت ان ارفع من معنوياتهم بخطاب حماسي . فأخبرتهم بصراحة عن الصعوبات التي تواجهها الحكومة ، وعن التركة التي ورثناها عن المحافظين ، وشرحت لهم كيف اننا كنا لانستطيع إماطة اللثام عن اسوأ شيء من تلك التركة خوفاً على مركز الجنيه الاسترليني ، وقلت لهم إن الوقت قد حان الآن للنضال ووضع اللوم على الجهة التي تستحقه . دُهشت وتنفست الصعداء عندما

وجدت ان المعنويات ، التي فكرت انها قد تدهورت ، كانت في الحقيقة لاتزال صلبة . كان هؤلاء الناس يبحثون معي بهدوء وبموضوعية كيفية مساندتهم لحكومتهم العمالية ، ولمْ يبدُ على أي منهم انزعاج خارج عن المألوف . وكان الأشتراكيون الشباب يتكلمون بحماقة ولكن لم يبدر منهم اي صراخ ، وحتى ان المتقاعدين المتقدمين في السّن لم يجهروا بشكاواهم .

استعرضت في طريق عودتي الى برسكوت ذلك الاجتماع الرائع . ان ستوك ، طبعاً ، هي مدينة عمالية صلبة . مع ذلك ، اذا كانت معنوياتها شيئاً ينبغي ذكره (وقد تأكد ذلك الى حدّ ما بنتائج الانتخابات[1] الفرعية التي جرت هذا الاسبوع) فاننا سنكون قادرين على المضي قُدُماً كما نبتغي لكي نحصل على بعض الانجازات قبل ان نذهب الى الريف[2] طلباً للعون . يبدو ان تومي بالوغ والاقتصاديين يعتقدون بان مركز الجنيه الاسترليني قوي حقيقة ، وهنا يجب ان اضيف ان جيمس كالاهان قد قابلني في الردهة في الاسبوع الماضي وقال بأنه حتى ميزانية محايدة سوف تجعل رجال المصارف ضدنا ، ان مايطلبونه هو ميزانية بدائية . إن ماحدث في اليوم التالي كان تأكيداً لكلام كالاهان : فأثناء حفل العشاء الذي كان يحضره كالاهان ، ألقى محافظ مصرف انكلترا

(١) في الرابع من شباط ، في ألترنشام ، وفي شرق غرينستد ، حيث احتفظ جيوفري جونسون ـــ سميث بالمقعد ، الذي كانت تشغله السيدة إيمت (اصبحت الآن في مجلس اللوردات) ، للمحافظين ، وفي سالزبوري ، حيث احتفظ مايكل هسِتْلاين بمقعد المحافظين الذي كان يشغله جون موريسون (اصبح الآن لورد مارجدال) . وفي الحالات الثلاث جميعها ، انخفضت اغلبية المحافظين قليلاً .

(٢) اصطلاح سياسي يقصد به : مناشدة اهل الريف المعونة ـــ المترجم .

خطاباً ذكر فيه ان الشيء الهام الوحيد هو الدفاع عن مركز الجنيه الاسترليني ، ومن اجل ذلك فان كل شيء ، بما في ذلك الخدمات الاجتماعية ، يجب ان يضحّى به . انني متأكد تماماً بأن كل شيء قاله لم يكن يعكس وجهات نظر حيّ الاعمال في لندن فقط وانما وجهات نظر وزير المالية ايضاً .

إن قيمة الخروج الى الدوائر الانتخابية ، كما فعلتُ اليوم ، والتحدث الى جمهورنا هي ان المرء يختبر المعنويات من جذورها . لايوجد سبب يمنعنا من اجتياز هذه المحنة والاستقرار كي نقوم بعمل مناسب شريطة ان نجعل وزير المالية الى جانبنا وشريطة ان يتمكن هارولد من ادخال بعض الاستراتيجية والانسجام الى سياستنا . إن مانحتاجه الآن (وهذا درس استخلصته من المؤتمر الاقليمي) هو ان نستخدم حزب العمال كجهاز رئيسي لاتصالاتنا مع باقي جمهور الناخبين . وهذه هي وظيفة جورج ويغ الرئيسية الآن كشخص يقوم بمهمة الارتباط بين مجلس الوزراء ، وادارة النقل ، والدوائر الانتخابية ، وهي احدى المهام الهامة في الحكومة كلها .

الاثنين ، ٨ شباط :

كان الاجتماع الاول لمجلس الوزراء في هذا الاسبوع غير متوقع . فعندما ذهبتُ الى لندن في الصباح أُخبرتُ بأن الاجتماع سيكون في الحادية عشرة ، لان عاملاً جديداً قد نشأ فجأة في مسألة الدفاع . قابلتُ خارج

باب مجلس الوزراء روي جنكنز ، وزير الطيران ، الذي قال لي : « أخشى ان كلامي لن يسرّك . » واخبرني بسرعة ما خمّنت نصفه ــ وهو ان هوكر سيدلي (Hawker Siddeley) ، بعد عمل متواصل دام ثلاثة ايام ، جاءت باقتراح جديد ــ يتعلق بصنع طائرة تقوم مقام الطائرة الامريكية . لقد سمعت عن اقتراح هوكر سيدلي هذا عندما جاء الوفد لمقابلتي في كوفنتري مساء يوم الجمعة الفائت . ابتدأ النقاش في مجلس الوزراء بحديث روي جنكنز ، الذي وصف عرض الشركة بأنه اقتراح جيد وان هوكر سيدلي قد خفّضت سعرها ، وخفّضت مدة الصنع وأصبحتْ في مركز يعادل المركز الامريكي . وقال بأنه سبق وان أوصى بمعارضة عرض الشركة وذلك فقط بسبب تاريخ التسليم الذي هو سنتان بعد موعد التسليم المحدد من قبل الامريكيين ، وبعد ذلك تمت مساندة روي من قبل دنيس هيلي ، الذي طرح المسألة بطريقة أسوأ . فقال اذا اردنا قبول الطائرة الامريكية فاننا لانستطيع ان نعود الى التفكير بصنع طائرة بريطانية لان ذلك قد يقلب الصفقة كلها رأساً على عقب . كان واضحاً منذ البداية بأن هارولد ولسون ، وجورج براون ، ودنيس هيلي ، وجيمس كالاهان ، على اختلاف مشاربهم ، قد صمموا على قبول الطائرة الامريكية وارادوا ان يُخوَّلوا من قبل مجلس الوزراء برفض عرض شركة هوكر سيدلي المربك . كان هناك شخصان فقط جاهزان لطلب بحثهما باهتمام ــ انهما فرانك كزنز وأنا ، وهما ، طبعاً ، عضوا برلمان يمثلان عمال هوكر سيدلي.وكان جميع اعضاء مجلس الوزراء عملياً ضدنا . انني اتذكر بربارة كاسل وهي تلقي خطاباً جامعاً تخبرنا فيه بأننا يجب ان نستجيب لتخفيض انتاج

الطائرات البريطانية . انني لااستطيع منع نفسي من الاستغراب ماذا كانت ستقول لو كانت الطائرة المدنية تصنع في دائرتها الانتخابية . وان اكبر مصنع فيها معرّض للاغلاق والذي يمكن انقاذه اذا قبلنا هذا العرض في آخر لحظة . مع ذلك ، لم أُناضل بشدة لانه كان واضحاً تماماً ان المطلوب هو موافقة مجلس الوزراء الرسمية على الطرد[1] الذي جُهِّز ومُهر بالخاتم الرسمي قبل عيد الميلاد .

الخميس ، ١١ شباط :

عقدنا اليوم جلسة ثانية مثيرة لمجلس الوزراء . انني اعتقد بأن هذا الاجتماع كان اكثر الاجتماعات التي عقدناها دراماتيكية . اذ كشف لأول مرة عن الانقسام في مجلس الوزراء العمالي حول مسألة اشتراكية هامة . لقد تركز النقاش كله على المقترحات المقدّمة لتوسيع برنامج الاسكان . جاء عدة وزراء في الأسابيع الاخيرة ــ مثل كنيث روبنصون ، وانطوني كروسلاند (وزير التعليم) ــ يطلبون مخصصات اضافية صغيرة . فأُجيبوا بأنه مسموح لكل وزير بالتقديرات المخصصة لوزارته حسب النشرة البيضاء لحكومة المحافظين التي صدرت في العام الماضي مع الزيادة التي قررتها تلك الحكومة . وهذا يعني انه في خلال السنوات الأربعة القادمة ، اذا حافظنا على الافضليات بدون تغيير ، فان وزارة النقل ستحصل على زيادة ٣٠٪ ، ووزارة التعليم على زيادة ٣٠٪ ووزارة الاسكان على ١٠٪

---

(١) يقصد بالطرد الطائرة مدار البحث ــ المترجم .

فقط . ان السبب بسيط للغاية . فلكي يكسب المحافظون أصواتاً اكثر في تلك الفترة الأخيرة قبل الانتخابات أعلنوا توسعاً سريعاً في التعليم العالي ، وبرنامجاً كبيراً لبناء المستشفيات ، وبرنامجاً كبيراً لبناء الطرق . اما الخدمة الاجتماعية التي شعروا بشعبيةٍ إزاء تخفيضها فهي الاسكان الخاص بالقطاع العام ـــ وهو عبارة عن بناء منازل للايجار من قبل السلطات المحلية على النقيض من بناء منازل من قبل راهني جمعيات البناء يشغلها المالكون وفق شروط هذه الجمعيات . ونتيجة لسياسة المحافظين هذه ، كان انتاج منازل القطاع العام في عام ١٩٦٤ لايزال اقل بكثير عما كان عليه أيام ناي بيفان (Nye Bevan) عام ١٩٤٩ ، مع ان انتاج هذه المنازل كان نوعاً ما اكبر مما كان في العام الماضي .

كان التخفيض في الاسكان الخاص بالقطاع العام مجالاً للنزاع بالنسبة لي لأنه بينما كان بوسع باقي الوزراء ان يكونوا قانعين بالمخصصات المالية المدرجة في تقديرات حكومة المحافظين ، إلا ان ذلك غير معقول بالنسبة لبرنامج الاسكان حيث كنا قد تعهدنا بمعارضة سياسة المحافظين وتوسيع بناء منازل القطاع العام التي تمتلكها المجالس البلدية . لذلك قدَّمتُ لمجلس الوزراء اقتراحاً متواضعاً . ففي عام ١٩٦٤ وضع المحافظون ميزانية لبناء (١٣٥) ألف منزل للقطاع العام لكن العدد الفعلي الذي تمت الموافقة عليه هو (١٤٤) ألف منزل . فاقترحت رفعها من (١٤٤) ألف الى (١٥٦) ألف ـــ وهو الرقم الذي اقترحه عليّ هارولد ويلسون بصورة خاصة . تكلمت باعتدال للغاية . وتكلم كالاهان بعدي وقال في خطبة رنّانة مطوّلة بأننا سائرون نحو الهاوية مالم تتوقف الزيادة في النفقات العامة .

وأنه لا يستطيع ان يسمح بأية زيادة في برنامج الإسكان بسبب موقف الميزانية الحالي وحتى ان ميزانية محايدة سوف تفشل في كسب ثقة أصحاب المصارف . وأنه يجب علينا جميعاً ان ننتظر حتى شهر تموز وبعدئذٍ نستعرض برنامج الإسكان مرة ثانية مع باقي طلبات الآخرين . ثم تكلم بعده جورج براون . وقد ردّ في الحقيقة بشكل جيد ، وقد أكّد ، كما كنت قد أكّدت أنا أيضاً ، بان جميع الزيادات في برنامج الإسكان يمكن ان تُقرّ بتوسيع نطاق البناء المصنّع . وسوف لا يشكل هذا عبئاً على مواردنا ولكنه ببساطة يستخدم الموارد المالية غير المستعملة حيث يمكن استثمار الملايين ، ويمكن ان يتم إنتاج الأبنية المصنّعة الآن .

كان النزاع مباشراً بين وزير المالية والوزير الأول وكان واضحاً جداً انه على الرغم من جميع الجهود المبذولة للتأكيد بأن دائرة الشؤون الاقتصادية هي وزارة التخطيط الحقيقية ، فإن وزير المالية في بريطانيا اليوم ، الذي تدعمه جميع سلطات الخزانة ، لا يزال يقبض على نواصي القوة . إنني أتهم جيمس كالاهان بأنه قد مارس ضغطاً كبيراً على أعضاء مجلس الوزراء . كان يقف الى جانبي جورج براون ، وقاضي القضاة ، وفرانك كزكز ، وفرد بيرت ، وجيمس جريفثز ، ولكنّ دعم الآخرين كان قليلاً جداً . ويعود هذا جزئياً الى ان الوزراء الآخرين كانوا ملتزمين بمساعدة وزير المالية . فمثلاً ، كان طوني كروسلاند يخشى بشكل واضح انه اذا حصل برنامج الإسكان على أموال أكثر ، فإنها ستؤخذ من ميزانية التعليم . وشعر بنفس هذا الشعور كل من توم فريزر وزير النقل ، وفرد لي وزير الثقافة .

وكان هذا هو الموقف والجميع يجلسون حول المنضدة . كان موقف دوغلاس هوتون فقط غامضاً ، وكان تِدْ شورت ، زعيم الكتلة النيابية ، يقف الى جانبي قليلاً بسبب برنامج البناء المصنّع الضخم في منطقة شمال ــ شرق . وعندما أحصيتُ الأصوات وجدت غالبية كبيرة ضدي .

بعدئذٍ بدأ هارولد بالكلام ، وقال إنه يقف شخصياً الى جانب زيادة برنامج إسكان القطاع العام الى (١٥٠) ألف منزل . هذا ما حصل ! كان يقف الى جانبي رئيس الوزراء ، ونائب رئيس الوزراء ، وقاضي القضاة ، وكان يقف الى جانب جيمس كالاهان معظم باقي الوزراء . على أية حال كان باستطاعة رئيس الوزراء ان يقرر كيفية عدّ الأصوات . فأخبر المجلس بأنه قد جمع الأصوات ووجد تعادلاً فيها ثم ألقى خطاباً قويا في صالح برنامج الإسكان . إنني في حيرة من أمري . ففي هذا الصراع المكشوف بين كالاهان وبراون هل هو حقاً يقف الى جانب براون ضد وزير ماليته ؟ إنه لأول وهلة بدا كذلك ، لكنه تحول وبدأ يهاجمنا جميعاً لعدم معرفتنا بارقام ميزانيتنا ، وطالب باحصائيات دقيقة حول هذه وتلك ــ ارقام قد لانستطيع اعطاءَها . ثم تساءل ما اذا كان ينبغي منح ترخيص للبناء الخاص ، وما اذا كان لاينبغي تخفيض المباني الرسمية وان تحقيق بناء المنازل الفخمة مازال بعيداً لكي نوفر اليد العاملة ومواد البناء الضرورية لدعم برنامج منازل القطاع العام بدون زيادة في الاسعار . ثم قال إن عليّ ان أُبيّن كيف من الممكن بناء ألـ (١٢٠) ألف منزلاً إضافياً باسلوب البناء المصنّع وفي الاماكن الملائمة. وأنهى خطابه بطلب شيئين :

الأول ، تقصي الحقائق في كيفية السيطرة على البناء الخاص لكي نخفض بناء الدوائر الرسمية ، والثاني ، تقديم اقتراحات بشأن السيطرة على إنتاج المنازل المصنعة للتأكد بأنها ستنتج وستبنى في مناطق التطور . وكان هذا أسلوباً رائعاً في التأجيل ، اذ في المرة القادمة عندما تعرض مسألة الاسكان فاننا سنحصل على الزيادة التي طلبتها .

بما انني سأذهب لتناول طعام الغداء ، فقد عُدت مسرعاً الى الوزارة في محاولة لرؤية السيدة ايفلين . انني اعرف بأن علينا ان نعقد اجتماعاً في الحال مع تشارلي بانل لكي نعدّ المذكرتين المطلوبتين لاجتماع مجلس الوزراء القادم . كانت السيدة ايفلين مشغولة لذا قلتُ لـ جورج موسلي : « في هذه الحالة سأُملي عليك مذكرة بما حدث في مجلس الوزراء والأشياءَ التي يجب انجازها ، وبمجرد عودتي من الغداء نستطيع مباشرة الاجتماع في الثالثة والنصف . » عندما عُدتُ وجدت ان موظفي وزارة الاشغال قد وصلوا في وقت سابق ، كما وجدت ، لدهشتي ، مذكرة واضحة جداً تصف ماحدث في مجلس الوزراء ، تظهر الخلاف وعدد الأصوات ، وستعمم من قبل جورج موسلي الى جيم ماك كول ، والى بوب مليش ، والى أربعة موظفين آخرين في الوزارة ، وكانت موضوعة امام تشارلي بانل . كانت هذه المذكرة سريّة للغاية وتتعلق بمجلس الوزراء — وفي الحقيقة شعرت ببرودة تجتاح جسمي وبألم في معدتي ، فأمرت بحرق جميع النسخ . ثم قلتُ لـ جورج : « بحق السماء ، يجب ان تعرف تماماً بأنني لاأريد تعميم هذه الأشياء السريّة للغاية . » فقال : « أوه ، لقد أملى عليّ وزراء كثيرون أشياءً اكثر حماقة من هذه وعممناها . »

كان اجتماع مجلس الوزراء هذا هاما لسببين : اولاً ، أظهر عمق الخلاف بين براون وكالاهان[1] . وثانياً ، اظهر ان رئيس الوزراء يقف الى جانب براون بحرص ولكن بشكل حاسم ، أعتقد ان هارولد ولسون يعلم ان وزير ماليته عرضة للضغوط التي يجب على وزير المالية الاشتراكي ان يقاومها . من جهة اخرى ، يجب على هارولد ان يكون على علم بأن جورج براون غير قادر على كسب احترام مدينة لندن فسياسته الخاصة بالدخولات أصبحت مجرّد تصلّب شخصي ، وهي تشبه حفلة موسيقية للسياسة المكشوفة التي لايستطيع اي امرئ ان يأخذها على محمل الجدّ . إن لدى جورج براون طريقة مدهشة في اعتماده على الشخصية ، والإقدام ، والتخيل في تحدي الرأي السديد لجناح اليمين . واعتقد ان هارولد عموماً يسانده ضد جيمس كالاهان .

إن هذا أمر جيد أيضاً — لان كالاهان في الحقيقة يمثل موقف ماك دونالد تجاه رجال المصارف في عام ١٩٣١ . كان ماك دونالد عرضة للابتزاز الاخلاقي من قبل اللورد كرومر[2] (Cromer) ومصرف انكلترا ، وهكذا شأن معظم زملائي من الطبقة العاملة . يستطيع المرء ان يرى في مجلس الوزراء ما اذا كان الزملاء ينتمون الى اليمين او الى اليسار بالنسبة للحزب ، وكيف انهم يمكن ان يُكرهوا على شيء ما ، وكيف انهم ضعفاء ومنطوون على انفسهم في أيدي حي الأعمال وفي أيدي مصرف انكلترا عندما تنشأ أزمة من هذا النوع ويشعرون بأنهم يجب ان يضعوا البلاد أمام

(١) بالمناسبة ، نشر هذا الخلاف في معظم صحف الاحد الرئيسية في نهاية الاسبوع .

(٢) محافظ المصرف .

طبقتهم . انني استطيع ان أرى هارولد ولسون في هذا الصراع وهو يمضي وقتاً صعباً جداً .

هناك ايضاً درس يمكن استخلاصه من اجتماع مجلس الوزراء الأول وغير المتوقع والذي عقد يوم الاثنين . كرَّس هارولد معظم وقته في الأشهر الثلاث الأخيرة لشؤون الدفاع . من الطبيعي ان أثق بـ جورج ويغ واعتقد انه انجز عملاً رائعاً . لكن هذا الطرد الخاص بالدفاع الذي جهزه ــ انه القرار المريع الخاص بشراء طائرة امريكية والغاء المساهمة البريطانية فيها ، هذا القرار الذي دُفع اليه ١٠٠٪ او على الاقل ٥٠٪ (لايزال كل شيء يتوقف على ما اذا كانت الطائرة ت س ر ٢ ستلغى ام لا) ــ قد وضعنا بشكل مؤقت تحت سلطة الامريكيين كلياً . انني لست قلقاً كثيراً حول هذا الموضوع سياسياً . اذ ان من الممكن ، حتى في كوفنتري ، كسب الاحترام لهذه السياسة وحتى لكسب أصوات . لكنني قلق من الشعور بأننا قد وضعنا أنفسنا بأيدي السياسيين الامريكيين ــ انه شعور صعب يشاركني فيه فرانك كزنز . مع ذلك ، عليّ ان اواجه هذا الأمر الذي لعب فيه هارولد ولسون دور القيادة وتصرف فيه دنيس هيلي وروي جنكنز كمرؤوسين . لقد أظهر هارولد تصميماً صلباً لإحياء المحور الانكلو ــ امريكي متلمساً خُطى بيفن كثيراً في العلاقة الخاصة بين بريطانيا وامريكا . كلما فكرتُ في هذه المقامرة ازداد اشمئزازي منها . إننا نخفض صناعة الطائرات البريطانية لكي نركز على المحافظة على مركزنا الاستعماري شرقي السويس . اننا نفعل ذلك ليس لأننا في حاجة ماسّة الى هذه القواعد وانما لأن الامريكيين لايستطيعون الدفاع

عن الشرق الاقصى بأنفسهم ويحتاجون الينا هناك .

بعد ان جئنا الى السلطة في عام ١٩٤٥ هاجمتُ بيفن لعدم تبني خط ثابت تجاه الامريكيين[1] ؛ والآن لا تأخذ بريطانيا دور الوسيط في فييتنام ، هذا الدور الذي كنا نطالب فيه دائماً ونحن في المعارضة . مرة ثانية نأخذ دور المساعد ، الخط المؤيد للأمريكيين ، وينفذه مايكل ستيوارت وزير خارجيتنا الجديد بكل إخلاص . وهارولد ملتزم بكل ذلك بعمق وبشكل شخصي . إن أفعاله تشير الى انه لا يملك إحساساً خاصاً لكي يكون يسارياً ، ولا رغبة خاصة للعمل كوسيط واتباع سياسية مستقلة بين الكتل . وهو يرى ان على المرء ان يذهب إما الى أوربا او يصبح مسانداً للامريكيين ، وقد اختار الثاني .

هناك تعليق آخر استطيع قوله وانا استعرض هذين الاجتماعين الحرجين لمجلس الوزراء . فبالرغم من جميع ماقيل بعد نتيجة ليتون ، فقد أهملنا ان نأخذ بعين الاعتبار التكتيكات الخاصة بالمحافظة على البقاء . فمثلاً،يقترح شارع فليت[2] الآن إمكانية تأجيل تأميم الفولاذ . انني متأكد تماماً بأن هارولد لم يعر اي اهتمام لهذا الاقتراح على الاطلاق ــ ولسبب بسيط جداً . ان هارولد ولسون رجل منهجي بشكل غريب ، وهو غير خيالي ، وصلب . قررنا في احدى المرات اجراء تعديل

(١) في التعديل الذي جرى لخطاب الملك في تشرين الثاني عام ١٩٤٦ ، وفي الكتيّب الشهير : « ابق على اليسار » (Keep Left) الذي صدر في نيسان عام ١٩٤٧ ، شجب كروسمان تكريس الحكومة المتزايد « للعلاقة الانكلو ــ امريكية الخاصة » .

(٢) شارع الصحافة بلندن ــ المترجم .

في خطاب الملكة ، فلم يستطع هارولد ولسون ان يأخذ في الاعتبار إمكانية للتأجيل او التأخير . انه ليس قاسياً ــ فهذه كلمة عاطفية للغاية ــ بل هو مجرد رجل روتيني ، ينفذ السياسة المتفق عليها .

إن ذلك يبدو غريباً جداً لأننا نعرف ان وُدرو ويات[1] (Woodroow Wyatt) سيصوِّت ضد مشروع قانون تأميم الفولاذ ، وأن شخصين آخرين هما جورج شتراوس[2] ، وديزموند دونيلي ، سوف يمتنعان عن التصويت على الأقل ، ونعرف ايضاً ان الأحرار ملتزمون بالتصويت ضده . لذا فاننا بعد عمليتي استئصال زائدة دودية ، قد نجد انفسنا مهزومين في القراءة الثانية كما نجد انفسنا فجأة مجبرين « للذهاب الى الريف » هذا الربيع ، وهذا سوف يضعنا في مشكلة خطيرة حقاً[3] . مع ذلك وعلى الرغم من كل هذا فقد استمرينا في هذا الروتين بطريقة مجهدة .

وعلى الرغم من جميع شائعات شارع فليت ، فانني اعتقد بأن رئيس الوزراء لايزال يعتقد بأن علينا ان نسير في مشروع قانون تأميم الفولاذ ومشروع قانون الايجارات بروتين عمل مزدوج وان عملنا هذا ينبغي ان يؤمن المفصلة لكلا مشروعي القانونين .

---

(١) عضو برلماني عمالي عن بوزورث (ليسسترشاير) من ١٩٥٥ ــ ١٩٧١ .

(٢) عضو برلماني عن لامبث منذ ١٩٢٩ ، ووزير في حكومات أعوام ١٩٢٩ ــ ١٩٣١ ، ووزير للتموين من ١٩٤٧ ــ ١٩٥١ . وكان مديرا لشركة الفولاذ التي يمتلكها والده .

(٣) بعد هزيمة ليتون ، كان حزب العمال يملك اغلبية ثلاثة فقط .

الجمعة ، ١٢ شباط :

مثال آخر على روتين العمل المضني لـ هارولد هو موقفه من لجنة الاراضي . فنتيجة للاجتماع الذي دعا اليه هارولد في المبنى رقم(١٠) ، قدّم فْرد ويلي مسودة « نشرة بيضاء » ذكر فيها أهدافَ واجراءات مشروع قانونه . كانت وثيقةً جدلية للغاية رسم فيها فْرد ويلي صورة للتباين بين لجنة أراضٍ حقيقية تتمتع بصلاحيات حقيقية وبين لجنة أراضٍ صورية بدون صلاحيات ، وقد سبق ان اقترحت ماقاله . غضبتُ جداً عندما رأيت المسودة البارحة ، وقررت فجأة ان اكتب وثيقة خاصة بي بديلاً عنها .

جلست على مكتبي وكتبت رداً قاسياً ، وأشرت بأن المسائل الوحيدة التي اختلفنا عليها كانت تكتيكية وليست سياسية . واتصلتُ هاتفياً بـ تومي بالوغ فيما بعد كي أسأله فيما اذا قد رأى المذكرتين . بدا كأنه مرتبك ثم قال بأنه يعتقد بان المذكرتين غير مرضيتين في الحقيقة ، وانهما رديئتان لدرجة ان الاجتماع المقترح للوزراء ينبغي ان لايتم . فقلت :

« يا للجحيم ، انك لاتستطيع ان تفعل ذلك .» ولكن عندما ذهبت اليوم الى مكتبي قال جورج موسلي بأنه تلقى رسالة من سكرتارية مجلس الوزراء ـــ نتيجة المزاعم التي قدمها الدكتور بالوغ الى رئيس الوزراء ، تقول بأنه تقرر ان يأتي تومي بالوغ ويراني في الحال بسبب قوله بأن مذكرتيَّ غير صالحتين . وهذا جعلني في حالة من الغضب . ان امامي يوماً مشحوناً بالعمل . لذا كان عليّ أن أُلقي عدة أشياء بعد الظهر ثم

أجلس مع بالوغ ومع مايكل ستيوارت الصغير[1] الذي يعتبر الرقم (٢) بالنسبة إليه . ان تومي رجل عزيز ، ولامع ، لكنه يعرف القليل جداً عن شراء الاراضي وعن تخطيط المدينة والريف ، التي هي في الحقيقة مواضيع اختصاصية جداً ، كما ان مساعده مايكل ستيوارت الصغير لايعرف اكثر منه . لم اجد صعوبة في تسديد ضربة اليهما وأخشى أنني اتهمت تومي بعدم الوفاء الشخصي لكتابته مذكرة الى هارولد يقول فيها بأن مذكرتيّ غير صالحتين . قلت انه عدم الوفاء ، لأن هذا النوع من التصرفات يحدث كثيراً في وايت هول وقد اجبرني على ان اردّ على الضربة .

في المساء كان لدينا الاجتماع المقرر لمجلس الوزراء . واستمر هذا الاجتماع لمدة ساعة ونصف ، وقد فاز فْرد ويلي في المسألة الرئيسية ، لان اللجنة رأت أنه لايستطيع التخلي الآن عن البيان الانتخابي . وفي الحقيقة ، عندما سارت أعمال الاجتماع قُدُماً اصبح واضحاً مدى أهمية البيان الانتخابي لمجلس الوزراء — وكان كل امرئ يشعر بذلك لأن لجنة الأراضي كانت مدرجة في البيان الانتخابي ولان هذا البيان وعد بتخفيض أسعار الأراضي وتمكين السلطات المحلية من الحصول على أراضيها بسعر أخفض ، لذا يجب ان يكون لدينا لجنة أراضي مهما حدث . هناك ، طبعاً ، صعوبة وهي ان لجنة الأراضي ، كما هي مصورة بمذكرة « غودمان » ، عبارة عن مجرّد هراء ، وغير عملية ، لأنه من المستحيل ايجاد مشترٍ محتكر كما هو مخطط في المذكرة . وعندما يتخلى المرءُ عن

(١) انه خبير اقتصادي في الخزانة ثم اصبح مرشحا عماليا غير ناجح في عام ١٩٦٤ — ١٩٦٧ ، وفي عام ١٩٦٩ اصبح مساعد استاذ في الاقتصاد السياسي في احدى كليات جامعة لندن .

المشتري المحتكر ويقدم ضريبة اصلاح الأراضي للتعامل مع نظام السعرين ، فان جميع مزايا لجنة الاراضي ستتلاشى . والحقيقة هي أنه مع الصلاحيات التي يزيدها ويلي ، فإن لجنة الأراضي سوف تزيد الاسعار ، وليس تخفيضها ، وتعرقل سياستنا الاسكانية ، وليس مساعدتها .

إنني أعتقد بأن هذ الحقيقة اصبحت واضحة لبعض الزملاء أثناء احتدام النقاش . وبدأ الكثيرون من الناس يدركون بأن لجنة الأراضي البغيضة هذه اصبحت كالطوق حول أعناقنا . ويترتب علينا ان نلقي به أرضاً لكننا لانستطيع أن نفعل ذلك . اننا ماضون قُدُماً بزعامة هارولد . جاءني جيرالد غاردنر في هذا الاجتماع وقال لي : « هل حقيقة ان من المستحيل على حكومة العمال ان تنبذ فكرة اذا وجدت انها غير عملية ؟ . » انها نقطة صحيحة . فلو لم تكن لجنة الأراضي مذكورة في البيان الانتخابي وأننا لانريد سنّ تشريع ، فإننا نستطيع بسهولة أن نحسّن قوانين التخطيط الحالية باضافة صلاحيات الشراء الإجباري للسلطات المحلية التي تستطيع عندئذٍ ان تنجز اكثر مماتستطيعه لجنة الأراضي فيما يتعلق بتخفيض الأسعار والمساعدة في اعادة تطوير المدن . كل هذا صحيح ، ومع ذلك فانني لااشك لحظة في أن هارولد بعد هذا الاجتماع سيقف الى جانب فْرد ويلي ويقول : « لانستطيع ان نتخلى عن لجنة الاراضي الآن . » حقاً ، انني اشك في أنه جاهز تماماً ليخوض غمار الانتخابات القادمة على أساس تكرار تعهدنا الماضي الخاص بلجنة الاراضي ويدفع من خلال البرلمان بمشروع قانون يكرر جميع الاخطاء التي أُثبتت الآن بشكل واضح انها جزء من هذه الخطة اللعينة .

الأحد ١٤ شباط :

قضيتُ نهار امس في مدينة كمبرنولد (Cumbernauld) الجديدة ، التي هي من إنشاء المهندس المعماري هيو ولسون (Hugh Wilson) ، الذي اخترناه لاعادة تنظيم القسم الخاص بالهندسة المعمارية من وزارتنا وبناء أشغالنا المتعلقة بتجديد المدن . بُنيت كمبرنولد على قمة ربوة عالية كئيبة . إنها مدينة اسكتلندية رمادية اللون ، استقرت على هذه الربوة وقد تخللها عدد كبير من الطرق ومجموعة رائعة من المنازل الحديثة . فهناك المنازل المرتفعة والمنازل المنخفضة ، منازل عمودية واخرى أُفقية ، وكان كل شيء ، بما في ذلك الكنائس ، متناسباً مع طراز البناء ، لقد بُني كل شيء بأسلوب كئيب وغير مريح . انني اعتقد ان أتيكوس (Atticus) كان صائباً للغاية عندما كتب هذا الصباح في صحيفة صاندي تايمز (Sunday Times) أن هذا النوع من البناء ، الذي حرص على تنفيذه كل من كروسمان والسيدة ايفلين ، كان على النقيض من الضواحي الأنيقة بحدائقها في ستيفنج او هارلو او باسيلدون . وفي المساء خاطبت حشداً كبيراً في حفل أقيم من أجل تام ، حيث تجمهر خمسمائة رجل وسيدة من كبار السن في قاعة كبيرة وكانت كلماتي تدوي بين الأغاني والرقصات . عندما كنت أنظر الى هذا الجمهور من المنصة ، تحققت انه نفس الجمهور الذي سبق ان خاطبته في كوفنتري عندما ذهبت الى هناك لأول مرة كمرشح عن حزب العمال في عام ١٩٣٦ . ولكن تحت ضغط الثروة تغير حزب العمال في كوفنتري بينما بقي حزب العمال الاسكتلندي كما

كان منذ ثلاثين عاماً ـــ هذا هو احد أسباب الاعتماد على حزب العمال في الشمال اكثر منه في الجنوب . إن المدنية المعقدة قد قوّضت التماسك والبساطة لحزب العمال في ميدلأند ، بينما يستطيع المرء في اسكتلندا ان يلقي الخطابات التقليدية القديمة والجمهور قانع بغناء الأغاني التقليدية القديمة التي تبتسم لها كوفنتري على سبيل المجاملة .

عدتُ من اسكتلندا الى برسكوت فوجدتُ آن وباتريك طريحي الفراش مصابين بالانفلونزا . ياله من حظ سيّء ، فاليوم جميل بشمسه المشرقة وقمره الساطع ، والنهر يتدفق ببطء من جرّاء مياهه الضحلة بسبب الجفاف المميز في هذا الشتاء . ولم تهطل امطار كافية لكن مزرعة برسكوت كانت على مايرام . إن قضاء يوم في برسكوت يجعلني اشعر بارتياح من الناحية الجسدية ومع ذلك فان الشعور بالأزمة الاقتصادية يحوم حولي ايضاً . هناك شعور بعدم الرضى . وكان كل شخص يشدّ شعره ، فالاطباء ، والمزارعون ، والجميع يشكون ، إنه شعور عام بالانزعاج . وهذا جعلني أشعر بعدم الارتياح ، إنني أشعر منذ مدة طويلة بأن وجودي في الحكومة لم يكن حقيقياً ، كما أشعر بأننا لانمسك بمشاكلنا ونعالجها كما يجب ـــ انني اعتقد بأن فرانك كزنز قد يكون على صواب عندما قال لي اول امس : « عزيزي ديك ، إنني لااعتقد بأن هذه الحكومة ستبقى طويلاً ، وبصراحة ، ألا تعتقد ذلك ؟ »

الأربعاء ١٧ شباط :

قمت اليوم بزيارة الى ستيفنج . وفي الطريق ألقينا نظرة على وِلْوِنْ (Welwyn) التي تعتبر مع لتشورث (Letchworth) اول ضواحينا الانيقة بحدائقها الجميلة ، والتي بُنيت بنفس الوقت مثل ضاحية هامبستد (Hampstead) الشهيرة بحدائقها . ثم وُسِّعت وِلْوِنْ وحوِّلت الى مدينة جديدة في عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ، وأصبحت جزءاً من المدن الجديدة ذات القرميد الاحمر المقتبس من العالم القديم . وجدتُ وِلْون ساحرة وأنا متأكد انها مكان سارٌ للعيش فيه . وكانت السيدة ايفلين ، طبعاً ، تقلّل من شأنها . إنها تحب كمبرنولد . إنني ايضا احب كمبرنولد كفنٍّ معماري ، لكنني اعتقد بأن الغالبية العظمى من الشعب البريطاني قد يفضل العيش في وِلْون بقرميدها وأزهار لَيْلَك اكسفورد الشمالية .

إن التباين مع ستيفنج واضح بشكل مدهش . إن ستيفنج مدينة حديثة ، كثيرة الزجاج والكروم . ويوجد في وسطها منطقة تجارية تشبه في محاسنها ومساوئها تلك الموجودة في كوفنتري ، وهي تشبه كوفنتري بعدم تميزها بفن العمارة لكنها ممتازة في تخطيطها . على اية حال ، عندما امتطينا السيارة وابتعدنا عن مركز المدينة في هذا اليوم الجميل ، والبارد ، والمشمس من أيام شهر شباط ، وشاهدنا الوحدات السكنية المجاورة وصفوف المنازل شعرت بأن الطراز الحديث لبناء المنازل في مدننا الجديدة هو شيء أصيل وخلّاق . ثم ذهبنا عبر المنطقة الصناعية الى المنطقة الجديدة

المقترحة على الجانب الآخر من طريق الاوتوستراد وطريق السكة الحديدية ، وادركت ماهو الخطأ . الحقيقة هي انك لاتستطيع ان تضاعف حجم ستيفنج . أما ماتستطيع عمله فهو اقامة مدينة جديدة على الجانب الآخر من خط السكة الحديدية ، مع إنشاء مركز تجاري آخر خاص بها . ثم اجتزنا منطقة شلتيرنز (Chilterns) ، وسرنا بالسيارة زهاء ثمانية او تسعة أميال عبر ريف ناءٍ جميل يشبه مدينتي القديمة ، تاون إند[1] (Town End) في منطقة رادنج ، الى ان وصلنا الى ليوتون (Luton) حيث اردت ان أُلقي نظرة على المطار لاننا كنا في نزاع حول تصاريح التخطيط . إنها ظاهرة مدهشة ! فوجود المطار الذي يثير الضجيج أمام ليوتون على الجانب الواحد ، وأعمال مصنع الفوكسهول على الجانب الآخر يعتبر عملاً مسيئاً للمدينة ، واقتراح المرء بتوسيع هذه المدينة يعتبر عملاً اكثر إساءة . لكن هل بوسعي ان استعمل صلاحيتي كوزيرٍ لايقاف توسع المهبط ؟ هذا ما لسنا متأكدين منه . كان صباحاً رائعاً وممتعاً على العموم .

ذهبت بعد الظهر الى مجلس العموم لحضور اجتماع سري مع اعضاء حزب العمال في اتحاد مجالس البلديات . وجدتُ نفسي أُقابل حوالي خمسن الى ستين شخصاً كانوا في رغبة ملحة لرؤية وزيرهم . كانت هذه فكرة إدارة النقل والتي فعلت فعلها بالتأكيد . كان الاجتماع هاماً جداً لان سطات حزب العمال المحلية كانت تمرّ في وقت عصيب جداً تحت ادارة حكومتنا . انها تتحمل العبء الاكبر من معدلات الفائدة العالية وتعاني صعوبات حتى من المعاونين . اننا بحاجة الى ولائهم .

(١) حيث كان كروسمان وزوجته الثانية زيتا (Zita) ، يملكان كوخاً .

كان يترتب علي في المساء ان أجلس في المقاعد الأمامية بشأن النقاش حول « أنظمة حدود نورثامبتون (Northampton) ». إنها قصة طويلة لكنها طريفة جداً. فأنا مسؤول ، طبعاً ، عن اصدار القرار الخاص بتوسع الحدود وقد بذلتُ عناية كبيرة لكي يكون القرارُ مقبولاً سياسياً لدى مجموعة حزب العمال في مجلس المدينة ولدى العضو البرلماني العمالي ، ريجي باجيت[1] (Reggie Paget) . لذا دُهشت عندما اتصل بي باجيت هاتفياً وأكّد لي بلهجة غاضبة بأننا قد وافقنا على الخطة المبيتة للمحافظين الخاصة بجعل معظم اعضاء المجلس البلدي منهم . واحسرتاه ، إنه على حق . لقد كتب « المفتش » تقريراً في صالح خطة المحافظين الرامية الى إعادة التنظيم على أساس انها لاتتضمن معنىً سياسياً ، وقد قبلها فرانك سوسكايس بدون نقاش . لكنه غيّر رأيه ، نتيجة ضغط بيجي باجيت ، وطلب مناقشة هذا الموضوع في جلسة علنية . كان هناك طبعاً مشكلة وكان المحافظون يسعوْن لاستغلالها خلال هذا النقاش[2] . وألقى هوبسون ، المدعي العام الظلّ ، خطاباً ذكياً جداً وادركتُ في الحال ان هدفه كان الايحاء بأن وراء سوسكايس يكمن ذلك الزعيم السياسي اللعين ، وزير الاسكان . انني انا الشخص الذي كانوا في الحقيقة يأملون في الانقضاض عليه . إنهم لايستطيعون ذلك لانني في الواقع ليس لي علاقة بالموضوع . كان سوسكايس في موقف عصيب ، لكنه سيجتازه لان كل شخص سيقول : « إنه رجل نزيه » .

(١) ريجي تصغير لاسم ريجينالد (Reginald) — المترجم .

(٢) تبع ذلك تصويت على توجيه اللوم لوزير الداخلية في الخامس والعشرين من شباط .

الخميس ١٨ شباط :

هناك اجتماع آخر مربك لمجلس الوزراء ، وهو هذه المرة حول مسودة البيان الذي قدمه جيمس كالاهان ، والذي كان يأمل فيه ان يشرح الزيادات الهائلة في التقديرات المالية لهذه السنة . وقد عقد اجتماع مجلس الوزراء هذا نتيجة روايات نشرت في جميع الصحف حول الصراع الكبر بين وزير المالية والوزير الاول بسبب طبيعة ميزانية هذا العام . يجب ان اقول بأنني قد تساءَلت عن واجب الوزير الذي لاينتمي الى الحلقة الداخلية ومع ذلك يجب ان يرى ويسمع الروايات التي كنت أقرأها في الصحف هذا الاسبوع . هل ينبغي على المرء ان يصرّ على بحثها في مجلس الوزراء ؟ وهل ينبغي على المرء ان يطلب ادراجها في جدول الأعمال ؟ تواردت الأفكار الى رأسي بقوة عندما قرأت خطاب اللورد كرومر المدهش الذي ألقاه يوم الثلاثاء . لقد غضبت منه حقاً ، لدرجة انني كتبتُ لأول مرة في حياتي الوزارية مذكرةً الى رئيس الوزراء أسأله فيها عن الخطوات التي ينبغي اتخاذها لإسكات « لجنة ايار »[1] المؤلفة من شخص واحد . أرسلت هذه المذكرة ، بعد التحدث الى كل من جورج ويغ وتومي بالوغ لكي أتأكد بأنها ستصل الى المبنى رقم (١٠) . أنا متأكد من وصولها في ثلاث مناسبات اذ عندما كنا نتمشى عبر ردهة التصويت جاءني رئيس

---

(١) في عام ١٩٣١ شكَّلَتْ الحكومة الوطنية « لجنة ايار » لكي تقترح التخفيضات في النفقات العامة وقد أدت العاصفة التي ثارت بعد تقديم التوصيات المتضمنة تخفيضا في إعانات البطالة ، أدت الى استقالة ماك دونالد .

الوزراء وقال : « لقد تسلمت مذكرتك ، وأنا اعالج الموضوع مع اللورد كرومر في خطاب عطلة الاسبوع . » ووجدت يوم الاربعاء مقالاً طويلاً في منتصف صحيفة التايمز بقلم دافيد وود (David Wood) يصف فيه كيف ان الوزراء الاقدمين يحتجون على اللورد كرومر وقد استعمل الكاتب جوهر ماجاء في مذكرتي ، ومن الواضح انه أُطلع عليها .

هذا نموذج عن كيفية معالجة هارولد للمسائل السياسية.وهو لايزال يعتقد ان بامكانه تسوية المشاكل عن طريق التحدث الى الصحافة . بالنسبة للتقارير الصحفية حول النزاع بين براون وكالاهان ، فانني اعتقد بأنها قد قُدمت من قبل جورج ، الذي يبدو الآن كأنه عاد الى عاداته القديمة . لايوجد أحد في مجلس الوزراء أذكى ، او أظرف ، أو أكثر اخلاصاً ، او اكثر ايجابية من جورج براون . انني اشعر أنا وفرانك كزنز بأننا الى جانبه . لكنه مصاب بالفصام ، وظهر الاهتراء والتمزق في شخصيته مرة ثانية بعد الأشهر الاربعة الاولى . إن تسريبه للأخبار وإدمانه على الشراب سوف يقضيان عليه في النهاية ، وينبغي ان لانعتمد على وزيرنا الاول بأنه سيبقى في منصبه مدة اطول مالم يغير من اسلوبه في الحياة . إنني اشك في ان كالاهان قد تحدث الى الصحافة . فقد اصبح رصيناً ، ومتكلفاً ، ونموذجاً لرجال مصرف انكلترا ، وهو يحاكي بسخرية رجل حزب العمال المسيطر عليه من قبل موظفيه — من قبل موظفي الخزانة في حالته هذه . وينبغي ان اقول بأن معظم القصص المؤيدة لكالاهان تتسرب من خلال المكتب الصحفي للخزانة .

حسناً ، هذه هي خلفية مناقشة مجلس الوزراء اليوم . لقد كتبت

مسودة البيان بطريقة يقصد منها الايضاح بأن الهدف الرئيسي من البيان هو كبح نفقات القطاع العام . وقد أظهر بانه على الرغم من جميع الجهود التي بذلت فان التقديرات قد ارتفعت بمقدار ٦٪ ، وهي طبعاً أقل من نسبة ألـ ٩٪ التي خططها المحافظون . ويتضمن البيان ايضاً التزاماً بالسماح بزيادة مقدارها ٢٣٪ فقط في النفقات العامة خلال السنوات الأربع القادمة ، اي بمعدل ٤٪ سنوياً . لقد كتب هذا في البيان كهدف لمجلس الوزراء .

بدأ فرانك كزنز المعارضة بالتعبير عن استيائه من البيان بتعابير مبهمة : وأشرت الى انه اذا خصّص وزير المالية معدّلاً أقصى لتطوير القطاع العام بدون ان يظهر تصميماً قوياً مماثلاً للسيطرة على توسع القطاع الخاص ، وحالما نقع في مشكلة فاننا نخفض نفقات القطاع العام . وفي الحقيقة ، اننا نقع في نفس الخطيئة المميتة التي ارتكبها المحافظون على مدى السنوات العشر الماضية . ثم قال طوني كروسلاند باننا ينبغي ان لانلزم انفسنا بالمعدل الاقصى لنفقات القطاع العام ، وهنا بدأ النقد الحقيقي . وحول منضدة مجلس الوزراء سار النقد قُدُماً ونوقشت فقرات البيان فقرة فقرة . حتى ان توم فريزر قال إن من سوء الحظ ان المبادئ التي احتفظ بها أسلافنا المحافظون في تقديراتهم المالية هي نفسها التي نحتفظ بها نحن الاشتراكيون ونحن في السلطة . والحقيقة هي ان كالاهان تبنّى سياسة الخزانة التي وضعها المحافظون وهو يحاول ان يخفض النفقات ضمن إطار المحافظين . لقد خاض معركة يائسة في الاسبوع الماضي ضد برنامجي للاسكان العام . فقمت بهجوم معاكس ضده هذا اليوم الخميس ،

وانتقدت بيانه فقرة فقرة ، مما دعاه للوقوف والقول بتجهم : « حسناً ، بما ان كل فقرة من البيان هي خطأ ، فانني اعتقد بانه لاداعي للبيان . » على اية حال ، يبدو انه ركّز تفكيره على اقناع المجلس فيما بعد . عندما ذهبت لارى جورج براون بشأن البناء المصنَّع أخبرني بأن أحداً من الموظفين لم يُستشر بخصوص مسودة البيان ـــ لقد اعدّها كالاهان بنفسه . وتابع جورج كلامه قائلاً بأن ارقام الميزانية قد تم الاتفاق عليها الآن . وقبل ان يخبرني بجميع ارقام الميزانية قلت له : « إن الله لايسمح بأن تخبرني بارقام الميزانية ياجورج » ، لكن كان لدي انطباع بأن الأزمة بينه وبين كالاهان قد حُلَّتْ ، وهذا أمر ممكن .

ذهبت بعد الظهر الى مجلس العموم للاستماع الى فرانك كزنز وهو يقدم خطابه[1] الاول . ووجدتُ انه يُظهر وعياً اخلاقياً تجاه مجلس العموم ، اكثر مما كان يفعل إرنست بيفن ـــ انه نوع من فن الحديث والتواضع الطبيعي . وبدا لي انه يتصرف بشكل سليم جداً .

وبعد عودتي للوزارة عقدتُ اجتماعاً صعباً مع السيدة ايفلين . لقد جلبت ثمانية موظفين في محاولة لاقناعي بقبول تعديل ، في آخر لحظة ، لمشروع قانون الايجارات . وهذا المشروع يعيد ، طبعاً ، حماية امتلاك الارض . وينص التعديل المقترح على امكانية طرد المستأجرين اذا احتاج صاحب الأرض أرضه لاعادة تطويرها ـــ حتى ولو كان غير قادر على تأمين مكان إيواءٍ بديل . لقد اخبرتها منذ وقت طويل بأن هذا التعديل مستحيل لكنها كانت تصرّ على مناقشته ، وكل ذلك بسبب صديقها

(١) كان الخطاب حول القراءة الثانية لمشروع قانون تطوير المخترعات .

الكبير نورمان واتس (Norman Wates) صاحب شركة البناء ، الذي أعرف أنه قد أدخل في رأسها فكرةً وهي ان التطوير الخاص سوف يُقضى عليه من جرّاء مشروع قانون الايجارات . صحيح ، طبعاً ، أن صاحب الارض قد يجد ان من المستحيل تطوير قطعة ارض ثمينة لمجرد ان زوجين أخرقين متقدمين في السن يريدان ان يستخدما حقوقهما تحت ظل مشروع القانون هذا . ولكن اذا كنا نريد ادخال هذا التعديل ، فيمكن ان يكون فقط في مشروع قانون يعالج مسألة اعادة التطوير بادراك ووعي ، وهذا ما أخبرتها به . فقالت بفظاظة : « حسناً ،أننا لم نتوقع ان تعدّل مشروع القانون ، لكننا فكّرنا بان التعديل يستحق المحاولة . » لذا قلت لها : « حسناً لقد حاولت طرح فكرتك عليّ الآن ، وسأُحاول طرح فكرتي عليكِ . دعينا نعالج مسألة « المنازل المقطورة[1] » . وهذه المسألة أردتُ منذ زمن طويل ادخالها في مشروع قانون الايجارات : فالمائة ألف شخص الذين يعيشون في « المنازل المقطورة » يمكن ان يُطردوا من قبل مالك الأرض لانهم ليسوا مستأجرين بالمعنى الدقيق،لذا فان هذه المشكلة تجب معالجتها في مشروع القانون . كنت على حق ، طبعاً ، لكنها كانت متصلبة بالنسبة لاصحاب « المنازل المقطورة» مثلما كنت متصلباً بالنسبة لاعادة تطوير الاراضي واصبح جوّ الاجتماع كله عقيماً ، وخرجتْ السيدة ايفلين بوجه عابس غاضب نتيجة لذلك .

(١) الكرافان (المنزل المقطور) : عبارة عن بيت على دواليب تقطره سيارة ، ويستخدم للرحلات والنزهات .

الجمعة ١٩ شباط :

سررت جداً اليوم عندما وجدتُ أن صحف لندن المسائية تحمل عناوين بارزة « للرسالة المفتوحة التي وجَّهتُها لاهالي لندن » وهي مذكورة بنصّها الكامل . وقد أخبرتُ الاهالي في هذه الرسالة ماذا ينبغي عليهم ان يفعلوا اذا ما هُدِّدوا بالطرد هم او احد اصدقائهم . وهذه فكرة جديدة حاولت تجريبها ليس في لندن فقط وانما في مانشستر ، وبيرمنغهام ، وليفربول ، وغلاسكو . وبذلك انعدمت الشكايات من اننا لم نقم بدعاية كافية حول الحماية من قانون طرد المستأجرين . وكان بيتر براون قد اقترح بأن علينا ان ننفق عشرة آلاف جنيه على حملة دعائية . فقلت بأن رسالة مفتوحة سوف تنشر في الصحف دونما حاجة لتبديد الاموال على شؤون الدعاية .

قضيتُ النهار بكامله في مكتبي . وقد تم الاتفاق اخيراً على مذكرة مجلس الوزراء الخاصة بالاسكان بين دائرة الشؤون الاقتصادية ، ووزارة الأشغال ، وبيننا . وأعدتُ صياغة البيان كلياً حول مدينة كورلي الجديدة ، التي ينبغي الاتفاق بشأنها مع دائرة الشؤون الاقتصادية ، ومجلس التجارة ، واسكتلندا ، وويلز ، ووزارة الاشغال . وانكببتُ ايضا على دراسة مشكلتي الخاصة ـــ وهي كيفية تنفيذ التعهد الذي قطعناه على انفسنا لمساعدة المستأجرين . رأيتُ المسودة الاولى للمذكرة ثم أرسلتها الى مجموعة من الخبراء تضم دونالد ماك دونالد من دائرة الشؤون الاقتصادية ، ونيلد (Neild) من الخزانة ، وتومي بالوغ . آمل ان ينجح

«التكنيك» مرة اخرى . أخيراً ، وافقت على الامر الذي أصدرته حكومتي المحلية الخاص بحدود باث وبريستول ، وهو أول قرار حقيقي مثير للجدل اتخذه[1] .

رتّبتُ اموري كي استقل قطار الساعة ٥٫١٥ للذهاب الى منزلي حيث وجدت العائلة قد شفيتْ من الانفلونزا التي جعلتْ باتريك وآن يلتزمان الفراش يوم السبت الماضي . وبالنسبة لي أصبحت الآن شخصاً فاقد الصوت ، لقد وجدت نفسي عاجزاً عن نطق كلمة واحدة عندما وصلت الى برسكوت ، على الرغم من أن عليّ ان أحضر حفل العشاء السنوي الذي ستقيمه دائرة شرق كوفنتري الانتخابية مساءَ غدِ السبت .

الاحد ٢١ شباط :

وصل فرانك كزنز وزوجته نانسي الى الحفل في الوقت المحدد ، ومع ان العشاء نفسه كان فاتراً الى حدّ ما ورسمياً لكن الاجتماع كان رائعاً وبدا لي ان الجميع كانوا مسرورين لوجود وزيرين هامّين بينهم . ألقيتُ أنا وفرانك خطابين . وكان جورج ويغ مسروراً لأن كروسمان وكزنز كانا رجلين متصلبين في الوقت العصيب ولانهما طلبا من عمال صناعة الطائرات ان يكونوا معقولين . لقد اصبحوا معقولين ، طبعاً ، ولكنني أخشى ان يحدثوا

(١) يبدو ان كروسمان قد نسي ماحدث بشأن هارتلي .

مشكلة كبيرة بالنسبة لي في شرق كوفنتري[1] . وليس هناك شكٌ الآن بأن طائرة النقل التي تصنعها آرمسترونغ ــ وتورث ستلغى وان مصنع باجنتون (Paginton) سوف يغلق ابوابه في اقرب وقت ممكن . وفي مساء السبت تكلمت انا وفرانك حول مشاكل الدفاع . وقلنا بأننا أيّدنا دائماً التخفيضات في نفقات الدفاع وعلينا ان ننفذ هذه التخفيضات . ونحن نعرف بأن كوفنتري ستقبل بذلك شريطة أن نستخدم الأموال المتوفرة بالشكل الصحيح .

تحدثت فترة طويلة مع فرانك . فهو وزوجته شخصان ظريفان جداً ، ووافقنا على تناول طعام العشاء هذه الليلة مع مايكل فوت (Michael Foot) ، وبربارة كاسل ــ وهذا عبارة عن اجتماع صغير لجناح اليسار ، وهو اول اجتماع تجريبي من هذا القبيل . ونحن الاثنان نعتقد بأن الوقت قد حان لاحداث تكتيل ما على شكل تحالف لجناح اليسار ، لانه لايوجد شك بأن جيمس كالاهان يقوم بنشاط كبير بين اعضاء البرلمان لتحقيق اهدافه وعلينا ان نحذو حذوه . لايوجد لدي في عطلة نهاية هذا الاسبوع سوى اربعة صناديق حمراء تحتاج الى دراسة ، يحتوي احد هذه الصناديق على المسودة المنقحة لبيان وزير المالية . وهي لاتزال تتضمن الالتزام الثابت والخطير لتخفيض سرعة التطوير في القطاع العام . لقد كُتب فيها قسم حول الرقابة على القطاع الخاص لكن العبارات المستخدمة

(١) اصبح من الواضح ان الطائرات الثلاث (هـ .س ٦٨١ ، ب ــ ١١٥٤ ، ت.س.ر ــ ٢) سوف تلغى . وقد سبق ان بحث مدراء صناعة الطائرات مشاكلهم مع رئيس الوزراء في مقره الريفي في « شيكرز » في الخامس عشر من كانون الثاني .

كانت تناقض بعضها . وحول هذه النقطة فانني اتفق مع المحاسب العام في وزارتي ، كروكر (Croker) . إنه رجل قدير من المحافظين وهو على حق عندما يقول : « من اعتذر اقرّ بذنبه . » وقد اخبرني بأن بيان وزير المالية في صيغته النهائية سوف لايترك انطباعاً حسناً لدى أصحاب المصارف وكذلك لدى الجبهة الداخلية . انني اتوقع بحسّ صادق ماذا سيحدث في مجلس الوزراء غداً . انني ساكون في موقف ضعيف بسبب غياب جورج براون ودوغلاس غي لحضور اجتماع اتحاد التجارة الحرة الاوروبي[1] ، وبسبب ماقاله رئيس الوزراء بأنهما قد وافقا على مسودة بيان وزير المالية قبل مغادرتهما البلاد . على اية حال ، سأقوم بمحاولة .

الاثنين ٢٢ شباط :

كنت هناك بالأمس ، وكنت اعتقد حقيقة بأن العشاء مع مايكل فوت ، وبربارة كاسل قد ينتج عنه تكتل لجناح اليسار في مجلس الوزراء . فعندما ذهبت أنا وفرانك الى هناك الليلة الماضية بدأنا حديثاً ممتازاً مع مايكل ، ولكن عندما جاءت بربارة أصبح الاجتماع لا يطاق . إنها نوع جيد وأنا أُقدّرها . ويوجد لديها في الحقيقة بعض وجهات نظر اليسار وقد حققت أعمالاً جيدة في وزارتها ، وجلبت إليها عدداً وافياً من الاشتراكيين الجيدين (من بينهم كريس هول (Chris Hall) ، زوج جني ، الذي ترك

(١) اجتماع تم في جنيف لبحث الازمة التي تواجه الاتحاد .

الآن ، شكراً لله ، هيئة تحرير صحيفة صن (Sun) وأصبح أحد موظفي بربارة الصحفيين في الوزارة) . إن كل ما فعلته هو رائع الى حد بعيد . ولكنها ، يعلم الله ، أصبحت مع مرور الايام صعبة لا تطاق . لقد قضت تلك الأمسية وهي تلقي علينا محاضرة عن واجباتنا ومسؤولياتنا . قبل انتهاء السهرة كان واضحاً جداً انه لا يوجد بيننا مسألة تحالف لجناح اليسار .

كنت مستاءً وخاب الأمل بسبب موقفها هذا بحيث ذهبت الى المنزل مبكراً وكلمت جورج ويغ هاتفياً وأفرغت ما بصدري إليه . أخبرته بأنني اجد الحياة لا تطاق ، وأن الموقف في مجلس الوزراء عديم الجدوى . هناك كنت أنا ، وزير أقدم ، وقرارات كبيرة تتخذ من فوق رأسي . وما الفائدة من محاولتي القيام بعمل شيء حول هذه القرارات ؟ فوبّخني جورج كما كان يفعل دائماً واخبرني بأن اتمالك نفسي . ثم سألني ما هو الشيء المحدّد الذي أرمي إليه . فقلت : « حسناً ، لدينا مثلاً اجتماع لمجلس الوزراء غداً صباحاً لمناقشة بيان وزير المالية . وقد أُدخلت في البيان الفقرة المتعلقة بي ، لكن الضعف المركزي لا يزال موجوداً ـــ وهو النظرية القائلة بأن على المرء ان يخفض القطاع العام ويترك القطاع الخاص بدون لمس .» كانت إجابة جورج بأنني ، بحق الشيطان ، لماذا لم أكتب مسودة الفقرة الخاصة بي بنفسي . فقلت بأن ذلك مستحيل ثم فكرت فجأة ، حسناً ، لماذ لا افعل ذلك ؟ فأسرعت هذا الصباح الى المكتب وأعدت كتابة الفقرة الحيوية في المسودة ، وأخذت ست نسخ عنها وحملتها الى مجلس الوزراء في الوقت المحدد وهو العاشرة والنصف . وبينما كنت أهمّ

في الدخول انتحى بي السكرتير الخاص ، ميتشل ، جانباً وقال بأن رئيس الوزراء يرغب في أن اتناول طعام الغداء معه في غرفة طعام أعضاء مجلس الوزراء . أدركتُ على الفور بأن جورج ويغ قد أخبر هارولد بكلامي الأحمق وان هارولد قد فكّر : « حسَناً ، إذا كان ديك يشعر بإنه خارج المسألة فسوف أدعوه إلى الغداء لاعطائه شعوراً بأنه في صميمها . » .

سار اجتماع مجلس الوزراء بشكل جيد . وقد بدأ ببحث فقرة تتعلق بالضريبة الإضافية التي فرضناها كأول اجراء من اجراءاتنا المتعلقة بالبضائع المستوردة ، والذي تسبَّب بأكبر مشكلة مع دول اتحاد التجارة الحرة الاوروبي[1] . وقد طُلب الآن من مجلس الوزراء الموافقة الرسمية على تخفيض الضريبة الاضافية بمقدار ٥٪ في نفس الوقت الذي كان جورج براون ودوغلاس غي يعلنان ذلك في مؤتمر اتحاد التجارة الحرّة الاوروبي ! إن الجزء المثير في هذه الفقرة فقط هو المحاضرة التي ألقاها علينا رئيس الوزراء حول تسرب أخبار الوزراء الذي حدث منذ فترة قصيرة ، وكان احد الاخبار المتسربة هو توقع اعلان الضريبة الاضافية . اخترت هذه اللحظة المناسبة وبدأت النقاش. فقلت إنني مشمئز حقاً من تسرب أخبار المجلس واريد ان اعرف كيف ان المعركة التي حدثت بين كالاهان وبراون قد نشرت في الصحافة جولة بعد اخرى . وكانت الاجابة التي تلقيتها من رئيس الوزراء هي انه لايوجد كلمة صدق في الرواية . ولم يناقَشْ شيء حتى الآن

(١) ان الضريبة الاضافية وقدرها ١٥٪ التي أُعلنت في البيان الذي نشر في تشرين الاول عام ١٩٦٤ ، قد خُفضت الى ١٠٪ في ٢٧ نيسان ١٩٦٥ ، وأُلغيت نهائيا في ٣٠ تشرين الثاني عام ١٩٦٦ .

من قبل الوزراء . فالموظفون كانوا لايزالون يعملون واستطاع هارولد ان يقول باخلاص ، بمساعدة وزير المالية ، بأن الأمر كله كان من اختراع الصحفيين .

ثم أثار هارولد ولسون مسألة أنطوني هوارد (Anthony Howard) . لقد عُيّن من قبل صحيفة الصاندي تايمز ليكون اول مراسل في التاريخ لـ هوايت هول،يبحث عن اسرار الخدمة المدنية اكثر مما يبحث عن اسرار السياسيين . فكانت مقالته الاولى تحليلاً للعلاقة القائمة بين دائرة الشؤون الاقتصادية والخزانة[1] . قال رئيس الوزراء بأن هذا شيء لايطاق وأنه سيقبل تحدي الصاندي تايمز . ولكي يدمر وظيفة طوني هوارد الجديدة فقد منع كلاًّ منا ان يتحدث معه .

ثم انتقلنا الى بيان وزير المالية ، وسريعاً ماخضتُ في الموضوع وألقيت بنسخة من تعديلاتي الى وزير المالية ، الذي رأيته قبل الاجتماع ، والقيت بنسخة اخرى الى رئيس الوزراء . وبينما كنت اتحدث مع رئيس الوزراء كانت مسودتي قد طُبعت على عدة نسخ فأعطيت كل عضو في مجلس الوزراء نسخة منها . ولدهشتي ، كانت مسودتي هذه أساس النسخة المعدَّلة من بيان وزير المالية .

عدتُ الى الوزارة لأخبر رجالي بما حدث ، ثم ذهبت الى مجلس العموم لتناول طعام الغداء مع هارولد . فوجدته يذرع الممر ، الموجود خارج غرفة طعام الاعضاء ، جيئة وذهاباً . بدأ الحديث عن تسرب أخبار

(١) كتب مقالة اخرى عن وزارة التكنولوجيا ، ووزارة الطيران قبل تخليه عن المحاولة .

المجلس ، وقال بأن ذلك ربما قد حدث من قبل جورج براون وان الوزير الأول حسب رأيه قد عاد الى أساليبه القديمة ، وقال ايضاً بأنه من المحتمل ان نبحث مسألة تسرب الاخبار والميزانية ونهاية جورج براون . تكلم هذا بمنتهى الصراحة ، وأشار ايضاً الى سوء تصرف دوغلاس غي في تسريبه قصة الضريبة الاضافية . ثم انتقل الى شؤوني وكرّر على مسامعي الملاحظة التي قالها في مجلس الوزراء حول الحاجة الى ايقاف هدم المنازل.وطلب مني ان أتأكد بحرص كبير ما اذا كان من الممكن هدم منزل بدون اقرار من التخطيط . عرفت بصورة غير واضحة انه طالما أنك بحاجة الى تصريح تخطيط لاقامة بناء ، فانه لايترتب عليك أخذ تصريح لهدمه الا اذا كان المنزل مسجلاً[1] . جعل هارولد من مشكلة الهدم هذه نقطة مريعة وقال بأننا اذا كنا سنحصل على مخصصات الاسكان الاضافية ، يجب ان نوقف هدم المنازل الصالحة للسكن وبناءَ المنازل الفخمة . ثم انتقل الى التشريع فأخبرته بأننا في وقتٍ مناسب لبحث مشروع قانون الايجارات ولكننا قد نجد المحافظين يرفضون التصويت ضدنا في القراءة الثانية لمشروع القانون.فقال على الفور : « اكتب مسودة « بيانٍ أبيض » لاجبارهم على التصويت ضدك وذلك بوصف أخطاء قانون الايجارات الذي وضعه المحافظون والحاجة الى الغائه » . هذا نموذج لأساليب هارولد البارعة في التكتيك ، وإنني سأتبنى هذا التكتيك بسرعة في وزارتي . أخبرني هارولد ايضاً بأن مشروع قانون تأميم الفولاذ لن يكون جاهزاً وعليّ ان أمضي قُدُماً بمشروع قانوني . أخيراً ، بحثنا الموقف العام فترك في نفسي انطباعاً واضحاً

(١) المنزل المسجل : هو المنزل الذي يسجل من قبل السلطات المختصة لقيمته التاريخية .

بأنه لن « يذهب الى الريف » الآن وان علينا ان نكسب وقتاً ـــ فمن الممكن ان يمتد حتى شهر أيار من العام القادم . وأخذت انطباعاً قوياً (كان يتكلم بمنتهى الودّ) بأنه يعامل فرانك كزنز ويعاملني كحليف له في الخط الذي يسير عليه .

ذهبت بعد الغداء مباشرة الى كاكستون هاوس (Caxton House) وقضيت ساعتين مع مجموعة تخطيط المدن التابعة لوزارتي ، والتي تقوم بالابحاث المتعلقة بتجديد المدن وبالتطوير الشامل . استمعت اليهم ثم وجهتهم بصعوبة نحو اصدار كراسة تعليمات الى السلطات المحلية حول كيفية التعامل مع شركات بناء القطاع الخاص . كنت حريصاً على هذا بسبب ما اخبرني به اللورد طومسون (Lord Thomson) من الصانداي تايمز على الغداء في الاسبوع الماضي . قال إن أسوأ شيء في الحياة البريطانية اليوم هو المال الذي يتم الحصول عليه من تصاريح التخطيط ومن شركات بناء القطاع الخاص الذين يشترون ويبيعون الأرض . هذا شيء يجب ان نكافحه في الوزارة .

ذهبت بعد ذلك الى المنزل وكنا نستضيف عائلة وِدْجوود بِنْز على العشاء . كنت أنا وطوني نتبادل الآراء ووجهات النظر ، وكانت زوجته كارول وزوجتي آن تتبادلان ايضاً الآراء ووجهات النظر . كان طوني خائب الأمل في دائرة البريد كما كان شأنه دائماً ، وهو يرى ان المصاعب في تلك الدائرة اكبر من تلك التي اواجهها في دائرتي . اخبرني برأيه فيما ينبغي ان يتم بالنسبة لهيئة الاذاعة البريطانية (أل بي بي سي) . وهو يشعر بأنه لايمكن زيادة الترخيص من اربعة جنيهات الى ستة جنيهات

بالنسبة لاجهزة الالتقاط دون احداث ازعاج للناس . وبدلاً من ذلك علينا ان نحاول زيادة حصيلة الأموال باعطاء ألـ بي بي سي الحق في زيادة دخلها عن طريق الاعلان على شاشة التلفزيون[1] . وهو مهتم ايضاً بأن تقوم ألـ بي بي سي بالبث الاذاعي مع الاعلان الدعائي كمورد رئيسي للدخل . كان يتحتم عليّ ان أُخبره صراحة بأنني اعتقد بأن آراءه هذه ستكون غير مقبولة لدى مجلس الوزراء الذي ينظر الى ألـ بي بي سي كخدمة اذاعية عامّة ، كما انني لأرى أن زملاءنا يريدون منع راديو كارولين[2] (Radio Caroline) — وهي محطة اذاعة عائمة — مالم تقدم ألـ بي بي سي نفسها موسيقى شعبية جيدة[3] . كانت أمسية رائعة — واعرف ان ودجي بِنْ قد تمتع فيها لانه من السياسيين القلائل الذين يحبون تلقي العقوبة .

الثلاثاء ٢٣ شباط :

كنت مهتماً في الصباح بشكل اساسي بالموقف في سميثويك . كان

---

(١) كانت ألـ بي.بي.سي واقعة في عجز كبير ، خلافاً لهيئة التليفزيون التي كانت تُموَّل عن طريق الاعلانات .

(٢) نسبة الى شارل الاول وشارل الثاني ملكي انكلترا — المترجم .

(٣) بدأت هذه الاذاعة العائمة في شهر آذار عام ١٩٦٤ بثّ موسيقى شعبية واعلانات من فوق ظهر سفينة راسية خارج المياه الاقليمية لساحل إسكس . وقد نُصح المدير العام للبريد بعدم الاعتراض ، واكتسبت المحطة شعبية كبيرة حتى انه في الصيف رست سفينة كارولين ثانية قرب جزيرة مان (Man) ، واشترى مجلس تسويق البيض فترة بث اذاعية .

مجلس مدينة سميثويك قد اعلن منذ بعض الوقت بأنه يريد ان يشتري عدداً من المنازل في شارع مارشال منعاً لإفساد الشارع من قبل الملونين الذين يستولون على المنازل واحداً تلو الآخر . استقبلت وفداً من مجلس المدينة ، وكان معهم عضو البرلمان الجديد ، بيتر غريفثز (Peter Griffiths) ، والقيت عليهم محاضرة . واعتقد انني تركت أثراً في نفوسهم . على أية حال ، علمت من صحف الأمس انهم قرروا شراء المنازل وانهم سيطلبون موافقتي على منحهم قرضاً . بدا لي بشكل جوهري انه ينبغي علينا ان نرفض الموافقة على منح القرض ، ولكن ينبغي ان نظهر ذلك على انه جزء من سياسةٍ ايجابية ، لذا ارسلت مذكرة الى رئيس الوزراء بهذا المعنى .

عندما كنت أعد هذه المذكرة بشكلها النهائي ، كان سكرتيري الخاص الجديد معي . لقد اعتدتُ على جورج موسلي ، الذي سينقل الآن ، وينبغي عليّ ان اعتاد على بونسفورد الذي فُرض عليّ من قبل السيدة ايفلين . إن ما اتمناه حقيقة هو الاحتفاظ بـ جورج والتخلص من بونسفورد ، الذي هو شاب موهوب ، لكنه صعب ومعقّد . في الحقيقة ، كنت قد طلبت من السيدة ايفلين ان تنقله ، وقد دُهشت ان اجد بأنها قد أرسلت في طلبه وأخبرته بأنني أجده شخصاً لايطاق . فعاد اليّ وتوسّل ان احتفظ به ومنذ ذلك الحين أصبح رجلي المخلص . والآن ، وقد مضى على وجوده لديّ اسبوع ، عرفتُ بأنني سأُقنع بالاحتفاظ بـ موسلي وبونسفورد بدون تبديل .

كان لدينا اجتماع آخر للجنة مجلس الوزراء بعد الظهر حول لجنة الاراضي ، وقد احرزنا تقدماً قليلاً . في الحقيقة ، بذلنا جهداً كبيراً لجعل

الموظفين يصيغون مذكرة لمجلس الوزراء هذا الاسبوع . بدأ بعض الزملاء يدركون انه ، مهما كانت حسنات لجنة الاراضي ، فانها لن تكون فعّالة في السنوات الثلاثة او الاربعة الاولى من صدور القانون . وفي الحقيقة ، اذا كنا لن نسنّ تشريعاً بخصوص لجنة الاراضي ، فانني استطيع عندئذٍ الحصول على مشروع قانون جديد للتخطيط يمكّننا من ايقاف ابتزاز الأموال في أسعار الأراضي بشكل فعّال اكثر مما تستطيع فعله لجنة الأراضي ـــ على الأقل في المدى القريب .

عدتُ الى الوزارة وعقدتُ اجتماعاً بشأن المعدلات . وقد لاحظتُ في صحف هذا الصباح بأن لجنة ألن (Allen) ، المشكلة من قبل سَلَفي قد نَشَرت تقريرها حول اجتماعها يوم الخميس حيث تم تحليل تأثير المعدلات على الأسر لأول مرة . أعطاني هذا التحليل فكرةً لخطاب كبير سألقيه مساء الجمعة . لِمَ لا أشنّ هجوماً على نظام المعدلات ، ولِمَ لا أُوضّح لدافع الفائدة بان المعدلات بمستواها الحالي عبارة عن تركة ورثناها عن المحافظين وانه لايمكن توجيه اللوم لنا من اجلها ؟ لذا بدأت اعمل في محاولة لتجميع الحقائق وعزمت على إلقاء خطاب في هيوتون (Huyton ـــ كنت قد اقترحت على هارولد اثناء تناول الغداء بانني سوف انضم اليه في حفل العشاء السنوي الذي يقيمه فرع حزب العمال في مدينة هيوتون ، وبدا لي انها مكان مثالي لالقاء الخطاب . وجدتُ في الوزارة ، كما اجد دائماً ، بأنني اذا اردت إلقاء خطاب يتضمن قناعة سياسية معينة فان الموظفين يرفضون تقديم يد العون لي . فقد قدّم لي

المحاسب العام ، كروكر ، مسودة بسرعة لكنها كانت تخلو تماماً من المعلومات التي طلبتُ منه تقديمها ، على الرغم من انه رجل قدير للغاية ونشيط . ولم يُجب على اية نقطة من النقاط التي ذكرتها في توجيهي الكتابي .

الاربعاء ٢٤ شباط :

بدأتُ معركةً في الوزارة . تحدثتُ اولاً الى جيمس مارغاش (James Margach) من صحيفة الصاندي تايمز ، حول خطابي الذي سألقيه حول المعدلات . ثم استدعيتُ كروكر وجاهدتُ للحصول منه على الحقائق التي تمكنني من إظهار مساوئ تركة المحافظين الخاصة بالمعدلات . لقد ثبت في موقعه . وثبت أنا في موقعي . إنه نوع من الصراع الذي لا أستاء منه البتة . ادركتُ الآن انه لايوجد اي شخص في الوزارة يريد مساعدتي في هذا النوع من المسائل دون إجباري لاجتياز هذه الطريقة الصعبة وغير المهذبة . كان عليّ ان اقول لـ كروكر : « انظر ، إنني اعرف ماهي وجهة نظرك السياسة ، واعرف انك تختلف معي ، وانني لااريد ان أضيع الوقت في النقاش معك.أريدك ببساطة ان تخبرني ما اذا كانت الحقائق في مسودتي صحيحة ، وليس ما اذا كانت الآراء صحيحة . » بهذه المعالجة استطعت ان استخلص منه ، ومن غيره ، السلاح الذي احتاجه لقتال العدو . وهكذا قضيت النهار حتى وقت الغداء . بعد ذلك حان الوقت

بالنسبة لي للذهاب الى مجلس العموم لتقديم بياني حول المدينة الجديدة في لانكاشاير[1] .

الخميس ٢٥ شباط :

كان هذا اليوم موعداً للاجتماع الكبير لمجلس الوزراء لمناقشة برنامجي الخاص بإسكان القطاع العام . اتفقت انا وهارولد فيما بعد ان هذا الاجتماع كان أهم وأفضل اجتماع لمجلس الوزراء في هذه الحكومة العمالية . وفي نهاية الاجتماع اتخذنا مقررات ، ولأول مرة يخرج هارولد ولسون زعيماً بكل ماتحمله هذه الكلمة من معنى ــ انه رجل لايقنع بالجلوس في مقعده ومشاهدة مايحدث بل كان جاهزاً للتأكد من أن الأشياء تتمّ بالطريقة التي يريدها .

سبق الاجتماع كثير من المناورات . واجتمع موظفو وزارتي وموظفو شارلي بانل معاً لإعداد مذكرة مشتركة عن كيفية تنفيد زيادة أل ١٢ ألف منزل التي ستُبنى في مناطق التطوير باستخدام أساليب البناء المصنّع . في غضون ذلك أعد بانل نفسه مذكرة اخرى حول الرقابة الحكومية ــ بالمناسبة ، كانت مذكرته سيئة ، فهي تبرهن ببساطة ان السيطرة غير ممكنة كلياً ، وأعدّتْ وزارتي مذكرة مختصرة ودقيقة حول

---

(١) اوضح البيان بأن الانخساف الجيولوجي قد جعل من المستحيل تطوير قسم كبير من منطقة ريزلي . لذا فان كورلي ستكون موقع المدينة الجديدة ، وان المؤيدين لـ ريزلي سوف يُسترضون بمشروع تطويري .

الرقابة المالية ، تقول بأن هذه الرقابة ممكنة لكنها صعبة جداً واذا قُدِّمت هذه الرقابة فيجب ان تُقدّم مع معدلات الفائدة المتباينة،حيث سأُقدم مذكرة حول المعدلات خلال بضعة أسابيع . لم يكن الاجتماع جيداً جداً في مجلس الوزراء . كان جيرالد غاردنر وآرثر بوتوملي غائبين في روديسيا . ولم يكن فْرد بيرت موجوداً . وكذلك بربارة كاسل لم تكن هناك . كان ثلثا مجلس الوزراء فقط موجودين عندما بدأتُ النقاش.لقد تمَّ ايجازي بعناية في الوزارة وأدركتُ ان النقطة الرئيسية التي يجب ان أُثيرها هي أننا الآن نبني منازل للمجالس البلدية أقل مما كان يُبنى في عهد حكومة العمال السابقة . لكن القطاع الخاص قد زاد انتاجه بشكل كبير ، بينما انخفض انتاج القطاع العام من المباني على الرغم من الحاجة المُلحّة لاستئجار منازل رخيصة .

لقد كنا نناقش خدمة اجتماعية حيوية ــ وهي الخدمة الاجتماعية الوحيدة التي خفّضها المحافظون بدون هوادة . وكنت أُطالب بزيادة قليلة في عام ١٩٦٥ لتمكين السلطات المحلية من جعل هذه السنة اول سنة من خطتهم للسنوات الاربعة.وقد أشرتُ بأننا اذا حجبنا عنهم اية زيادة هذا العام ، فاننا سنخسر سنة كاملة من خطة انتاج المنازل . وكنت قادراً على القول ايضاً بأنه لن يكون هناك نفقات زائدة في الميزانية بالنسبة لوزير المالية ، وان جميع المنازل الجديدة سوف تُبنى باسلوب البناء المصنّع الذي لن يترتب عليه أي عبء غير ضروري على صناعة البناء . لقد أيّدني شارلي بانل بشكل مقتضب . ثم قَدّم وزير المالية خطاباً كخطابه السابق تماماً . فأهمل قضيتي بكاملها وقال بأن علينا ان نجري استعراضاً عاماً في

شهر تموز ، واننا لانستطيع الموافقة لأية وزارة على زيادة تقديراتها قبل ذلك الاستعراض . فاذا كان وزيرُ الاسكان سيحصل على مايريد ، فكيف يمكن لوزير المالية ان يعالج جميع الطلبات الاخرى التي ستقدَّم اليه ؟

ثار غضبي لأن هارولد سمح بمتابعة النقاش ، ولكنه عند هذه النقطة التي ذكرها وزير المالية قفز من مكانه وبَسَط خط السير الخاص به . فقال إنه من المستحيل بالنسبة لحكومة العمال ان تدع برنامج إسكان القطاع العام يسير بمستوى أخفض مما كان عليه في عام ١٩٥٠ . وعلينا ببساطة ان نزيده حتى ولو ان ذلك يعني تخفيضاً في المباني الفخمة وعلينا ان نستخدم الرقابة الحكومية . وقال فجأة إنه وجد حلاً للمشكلة في الفقرة الثامنة لمذكرة شارلي بانل . إن شارلي المسكين لايعرف ما اذا كان يقف على رأسه أم على قدميه.فهو قد حاول التملص لأنه يعارض الرقابة الحكومية ، وهنا تُؤخذ مذكرته من قبل رئيس الوزراء كنصٍّ تُعطى بموجبه موعظة للتأثير بأننا اذا فرضنا الرقابة الحكومية على القطاع الخاص فاننا عندئذٍ نتيح لأنفسنا زيادةً معتدلة في انتاج القطاع العام . قطع خطابُ هارولد الطريق على المعارضة . ولم يتكلم احدٌ ضدنا . أيّدنا الوزير الاول على طول الخط ، وفي غضون ساعة تمت تسوية المسألة . وقد قال لي هارولد بعد ذلك : « حسناً ، ألست مسروراً ؟ إنه افضل اجتماع عقدناه . إنني سررت به شخصياً . » لايوجد ادنى شك بأنني سررت به . لقد تحسَّن موقفي بكامله بالنسبة للجو المكفهر يوم الأحد .

كان عليّ بعد الظهر ان اجلس في المقعد الامامي بجانب فرانك

سوسكايس أثناء توجيه اللوم اليه لسلوكه فيما يتعلق بالدفاع عن مدينة مقاطعة نورثامبتون . وبما ان فرانك هو رجل ذو ضمير تحرري ممتاز فقد قال كلاماً فارغاً ومتردداً . ومن وجهة نظري ، اذا قبلتَ مرة تقريراً ما فانك لاتستطيع العودة اليه . فلو كنت في مكانه ، لقلت لِـ ريغ باجيت : « انني آسف ، هذا ماحدث ايها الطفل الكبير . لكنّ ماحدث حدث . إنني لااستطيع ان افعل شيئاً تجاهه الآن ، لانني اذا عُدت الى الموضوع فانني سأضع نفسي في موقف لايحتمل . » قام بيتر ثورنيكروفت[1] (Peter Thorneycroft) بهجوم عنيف وطويل . وعندما وقف سوسكايسّ للردّ قال ببساطة إنه لم يُمارس عليه ضغط سياسي وانه شعر بوجدان حيّ بتوفر وقت لمناقشته ثانية . هذا شيء قد لاأستطيع فعله لكنه — نظراً لكونه محبوباً جداً ولانه رجل طيب وأمين — قد أفلت من المشكلة[2] . وتلاه في الحديث مايكل فوت ، الذي كنت قد اخبرته بالقصة مساء الأحد أثناء العشاء . وقف الآن وقال إن الخطأ في النقاش هو ان التصويت على توجيه اللوم قد وُجِّه ضد الوزير الخطأ . إن كلامه هذا يشبه القديس جورج الذي طارد الفتاة العذراء المربوطة بالوتد بدلاً من مطاردة التنّين . وقال مايكل بأن المرء لايستطيع ان يتصور ان وزير

---

(١) عضو برلماني من المحافظين منذ عام ١٩٣٨ ، ومنذ عام ١٩٤٥ عن دائرة مونماوث (Monmouth) . وتولى وزارة المالية من ١٩٥٧ — ١٩٥٨ ، ووزارة الطيران من ١٩٦٠ — ١٩٦٢ ، ووزارة الدفاع من ١٩٦٢ — ١٩٦٤ ، وفي عام ١٩٦٤ اصبح نبيلا مدى الحياة .

(٢) كما تنبأ كروسمان في ١٧ شباط فقد ظل سوسكايس في منصبه بـ ٢٩٩ صوتا مقابل ٢٩١ صوتاً .

داخليتنا يتصرف مثل زعيم المنظمة التامانية[1] . لكن وزير الاسكان ــ هو الآن نوع يختلف جداً عن الفوضى . ضجَّ الحاضرون بالضحك لسماعهم هذا التعليق ــ وشاركتُهم ضحكهم . ظن جميعُ اعضاء مجلس العموم ان كلامه نوعٌ من الهزل لكنه كان حقيقة . كان فرانك سوسكايس ، طبعاً ، غير فعّال كلياً . ولو انني اكتشفت بانني فعلت ذلك النوع من العمل فانني سوف اكون مجبراً على الاستقالة ــ ولكن ذلك هو ماحدث . انه شيء يدعو للتأمل .

بعد النقاش ، تناولت العشاء في جامعة لندن مع ريتشارد ليولن ــ ديفز ، الذي أرادني ان أُقابل مرغريت ميد[2] (Margaret Mead) ، ثم لَملَمت حوائجي ، ودلفت الى عربة نومي في القطار وتوجهت الى برستون (Preston) لقضاء يومين . لقد تمّ توقيت هذه الزيارة الرسمية لمقاطعة لانكاشاير بشكل مناسب نتيجة للاعلان الذي قدمته يوم الاربعاء في مجلس العموم عن مدينة شمال لانكاشاير . هذا هو النوع الجيد من العلاقات العامة التي ينظمها بيتر براون .

---

(١) المنظمة التامانية : هي منظمة ديمقراطية سياسية قوية في نيويورك أُنشئت عام ١٧٨٩ كجمعية فدرالية . وهي تنزع الى التمتع بالسلطة السياسية بطرائق كثيرا ماتكون فاسدة او مشبوهة ــ المترجم .

(٢) استاذة علم النفس في جامعة كولومبيا . ربما أشهر كتبها المعروفة هو كتاب : « بلوغ سنّ الرشد في ساموا » ، (ساموا : مجموعة جزر في المحيط الهادي) الذي نشر في لندن عام ١٩٢٩ من قبل دار جوناثان كيب للنشر .

الجمعة ٢٦ شباط :

وصلتُ الى برستون حيث وجدت ان جميع أهالي لانكاشاير مسرورون بأنباء المدينة الجديدة ، وقضيت الصباح معهم في اوتوبيس ، وألقينا نظرة على سهل لانكشاير الكئيب ، إنه ريف جميل جداً لكنه مبني بطريقة مرعبة ، كما ان القرى عموماً لايوجد مايميزها من فنون البناء . وجدت انني قد عَيَّنتُ موقع المدينة الجديدة في منطقة يوجد في أحد أطرافها مدينة كئيبة تسمى « كورلي » وفي الطرف الآخر قرية مبعثرة وأقل كآبة تسمى « ليلاند » ، وهي موطن مصنع الصهاريج الحكومي الكبير ، حيث تقوم شركة ليلاند بصنع الاوتوبيسات الآن . عدتُ في الوقت المحدد لحضور مؤتمر صحفي طويل وشاق ، ولحضور مقابلة تلفزيونية طويلة ، ولحضور حفل عشاء طويل جداً مع اعضاء مجلس مقاطعة لانكاشاير . خُضنا بعد العشاء في مشاكل الحدود المعقدة والتي بحثناها من وجهة نظر شخصية . وعندما خرجت من حفل العشاء ، كانت صحف المساء تحمل العنوان الكبير التالي : « كروسمان قاذف القنابل مع اعلانه الذي يشبه القنبلة . » ، على الصفحات الأولى . وبعد ذلك بساعة او ساعتين كان هناك مقابلة تليفزيونية لمدة ثماني دقائق ، وبنفس الوقت عُرض لمدة دقيقتين احتفال منح رئيس الوزراء درجة جامعية من جامعة ليفربول . مرة ثانية فان بيتر براون العجوز الطيب هو الذي خطط لذلك . بعدئذٍ هرعتُ الى حفل العشاء الذي أُقيم في دائرة هارولد الانتخابية في هيوتون .

يجب ان اوضح هنا ان هارولد قد اعتاد ان يأخذ دائرة اورمز كيرك (Ormz Kirk) الانتخابية ، وهي زراعية بشكل رئيسي ، وهيوتون التي تقع على الطرف الجنوبي منها ، ومنطقة مبعثرة حول ليفربول وأعطته هذه غالبية ضئيلة . ثم توسعت المنطقة المبعثرة وأُضيفت كيركبي (Kirkby)الى هيوتون لذا فقد تحولت دائرة هارولد الانتخابية من مقعد هامشي الى أغلبية عشرين ألف ناخب ، مع ٦٠٪ من اصوات الكاثوليك ، وبعض أخشن وأعنف عناصر مدينة ليفربول ، كما اعتقد . قررت في حفل العشاء ان أشنّ هجومي الكبير على المعدلات التي وضعها المحافظون . عندما توقفت السيارة في هيوتون ، قلتُ الى الرقم (٢) بالنسبة لبيتر براون ، والذي كان لايزال معي ، بأنني سأكون ممتناً اذا تسلّم نسخاً من بياني المعدّ للنشر في الصحف الى الصحفيين الذين ينتظرونها . ولدهشتي ، قال بأنه قد لايستطيع ذلك طالما انني أُقدم خطاباً سياسياً وهو بيان صحفي « لادارة النقل » . كان هذا ، بطبيعة الحال ، استمراراً للنزاع الدائر في الوزارة مع كروكر ! فالموظفون المدنيون لايلمسون شيئاً يعتقدون بأنه سياسي .

دُهشت قليلاً عندما قال هارولد بأن علي ان ارتدي سترة خاصة للعشاء ولكن ، وحق جوبيتر ، عندما دخلتُ قاعة المدرسة الابتدائية حيث أُقيم العشاء وجدت انني أجلس الى جانب رئيس أساقفة ليفربول ، والى جانبي كان يجلس الاسقف الانجليكاني ، ووجدت حوالي خمس وعشرين رئيس بلدية وزوجاتهم ، وموظفي المقاطعة ، وكانوا جميعاً يتباهون بالملابس الرسمية والسترات الخاصة بحفلات العشاء . كانت مناسبة آرنولد بنت (Arnold Bennet) الكبيرة ، وكانت امسية رائعة . ولم يستطع

هارولد ان يكون غير مكترث بي ، فحدثني من فوق رأس رئيس مجلس محافظة المدينة وزوجته ، وكلاهما يبلغان الخامسة والستين ولايسمعان تقريباً وهما شبه عاجزين ، يا إلهي ، لقد استغرق العشاءُ أجيالاً ، واستمرت الخطابات ، بما فيها خطابي الطويل ، حتى الحادية عشرة والربع . بعد ذلك قال هارولد بأنه سيأخذني معه في السيارة الى فندق أدلفي (Adelphi) في ليفربول .

على أية حال ، قبل ذهابنا الى الفندق ، كان هناك فاصل عجيب . لقد طُلب الينا أن نتناول كأس شراب وداعي في غرف المقاطعة . فقلت له : « بحق المساء ، دعنا نعود الى أدلفي ، ياهارولد . » لكن هارولد لايرفض طلباً ، لذا صعدنا في سيارته للذهاب الى غرف مجلس المقاطعة فوجدنا انفسنا خارج المبنى وليس معنا المفتاح ، وكنا قد سَبَقْنا باقي الضيوف وسياراتهم المحتشدة . أخيراً ، دخلنا المبنى فوجدنا في الدور العلوي العديد من الكؤوس الفارغة ولكن لا يوجد فاتحة زجاجات . واخيراً بعد تقديم الشراب لهارولد بخمس دقائق ، أقنعته بأن الوقت قد حان للذهاب . خلال هذه العملية امتلأت الغرفة تدريجياً بأعضاء مجلس محافظة مدينة هيوتون وزوجاتهم ، انهم حوالي اثني عشر او اربعة عشر شخصاً . لم يلاحظ احد الطريقة الشاذة التي عومل بها رئيس الوزراء ـــ كان واضحاً في الحقيقة ان أهالي لانكاشاير مصممون على إظهار أنهم على نفس المستوى مع عضو البرلمان الذي يمثلهم . كانت هذه المعاملة مثلاً شيقاً للمساواة الشمالية ورجاحة الفكر اللعينة التي وجدت انها لاتُطاق لكن هارولد تقبلها بهدوء على طريقته في ضبط

النفس . اخيراً ، ذهبنا الى فندق أدلفي حيث تحادثنا معاً . كان يكلمني بصراحة وبتملق ــ واعطاني شعوراً بمقدار أهميتي بالنسبة له ، وانني صديق شخصي حميم ، وتركني اذهب الى جناحي في أدلفي انعم في تودده بينما استقلّ هو وماري عربة النوم الى مقره الريفي في « شيكرز » ، حيث سيقضي يوم السبت بكامله في دراسة الميزانية .

السبت ٢٧ شباط :

قضيت الصباح في مدينة سكلمرسدال (Skelmersdale) الجديدة ، الواقعة خارج ليفربول . إن العلاقات ، في معظم المدن الجديدة ، بين مجلس محافظة المدينة وشركة البناء مرعبة حقاً . فمنذ البداية بذلت الشركة هنا جهوداً جبارة . لقد تأثرت جداً حيث كنت اتطلع بشوق لرؤية اولى المنازل الجديدة التي أقاموها مذ عرفت ان هيو ولسون ، مهندسنا المعماري في الوزارة ، قد قام ببنائها[1] . واحسرتاه ، إنها تبدو كئيبة بالنسبة لي ، فهي تشبه الطرف الخلفي للمصانع ، ولم يرفع المهندس المعماري من شأنها عندما قال : « حاولت ان أُحقق القوة والخاصية المستقيمة لطراز البناء في لانكاشاير . » . على اية حال ، فان منطقة المدينة الجديدة جميلة وقد حصلت على فرصة حقيقية . صعدنا الى قمة تلّ كي نستطيع ان نشاهد منه المنظر الرائع لـ اورمزكيرك ، وويغان ،

(١) إنه المهندس المعماري الذي بنى كمبرنولد ، والذي اعتبرها كروسمان نجاحا كبيراً .

وليفربول ، والطريق المؤدي الى منطقة الأراضي السبخة . إنه منظر جميل تحت أشعة الشمس .

بعد ذلك تناولت طعام الغداء بدعوة من الشركة ، وارسلوا لي مشكورين نموذج البناء طراز م — ٦ بسيارة رئيس الشركة ورتبتُ امري للذهاب الى المنزل في الخامسة والنصف واللعب مع الأطفال قبل ان يذهبوا للنوم . جاء توماس الى برسكوت من شيكرز مباشرة حوالي العاشرة تلك الليلة . كان مبتهجاً بنجاح هارولد الرائع في معارضة وجهات نظر كالاهان واقناعه بقبول برنامج إسكان القطاع العام .

ملاحظة :

هناك مشاكل اخرى مزعجة في الدوائر الانتخابية في ميدلاند ، وكانت مشكلة ريتشارد كروسمان احداها . ازدادت الهجرة من جزر الهند الغربية ، ومن الهند ، ومن الباكستان بشكل كبير على الرغم من القيود الحالية بموجب قانون الهجرة من الكومنولث لعام ١٩٦١ (جدد هذا القانون من قبل حكومة العمال في تشرين الثاني عام ١٩٦٤) . بعيداً عن الاستياء العنصري الذي أظهره بعض السكان الوطنيين نحو المهاجرين ، فان الاعداد الكبيرة من المهاجرين قد زادت من الصعوبات التي كانت تواجهها السلطات المركزية والسلطات المحلية في تموين المدارس والاسكان والمستشفيات في وقت تسوده أزمة اقتصادية . في التاسع من آذار ، أُسندت مسؤولية تنسيق العمل الرسمي لتحسين اوضاع مجتمعات المهاجرين الى موريس فولي (Maurice Foley) ، السكرتير الثاني في دائرة

الشؤون الاقتصادية . وفي أواخر آذار أعلن رئيسُ الوزراء تعيين اللورد مونتباتن (Mountbatten) لترأُس بعثة الى دول الكومنولث لاعادة فحص ترتيبات الهجرة الحالية . كان الجالسون في المقاعد الخلفية من كلا الحزبين في مجلس العموم ، بزعامة نورمان سانت جون ـــ ستيفاس (Norman St john - Stevas) وروي هترسلي (Roy Hattersley) ، يناقشون ضد سياسة تقييد الهجرة بينما كان الجالسون في المقاعد الأمامية من كلا الحزبين يرون ضرورة تقييدها . الى حد ما نجح الأحرار حيث قدَّم وزير الداخلية ، السير فرانك سوسكاس ، في شهر نيسان « مشروع قانون العلاقات العنصرية » ، الذي يعتبر التمييز العنصري جريمة . لكن هناك معارضة شديدة من قبل المحافظين وفي نهاية أيار ، استبدلت نصوص مشروع القانون هذا بنظام « مجالس التوفيق » لمعالجة شكاوي التمييز العنصري . في غضون ذلك ، بدأت الحكومة تشعر بان عليها ان تفرض قيوداً اكثر على دخول البلاد من أقطار الكومنولث .

بدأتُ في قراءة تقرير ملنر هولاند في برسكوت يوم الأحد .[1] . في اجتماعنا الاول لم أُقدِّر ملنر هولاند حق التقدير . من جهة أخرى أحببتُ دونيسون ، الذي شعرت بأنه ينبغي ان يكون تتموس[2] الإسكان ، كما أحببت أعضاء اللجنة الآخرين . لذلك كان مفاجأة كبيرة وراحة للنفس ان اكتشف ان التقدير نفسه كان جيداً للغاية . وكنت اعرف مسبقاً انني

(١) يتعلق التقرير بمسألة الاسكان في لندن الكبرى . وقد اظهر التقرير وجود (١٩٠) الف اسرة في لندن بحاجة ملحة لاعادة إسكانها ، وان (٦١) ألف شخص عازب ينقصهم المأوى الصحيح .

(٢) يشير الى ريتشارد تتموس (Richard Titmuss) .

استطيع ان اتطلع الى نشر شيء ما يمكن ان يخدع المحافظين ويجبرهم على التصويت ضد القراءة الثانية لمشروع قانوني . عندما ذهبت الى الوزارة ، لم اكن افكر في شي سوى ملنر هولاند . وجدت الموظفين في الوزارة مسرورين لكنهم ايضاً كانوا منزعجين قليلاً . انني اشك في انهم ليسوا معتادين على العمل مع وزير يقرأ أسرع منهم . كان لدي وقت للتحدث مع بيتر براون وإخباره كيف يجب ان ينجز المكتب الصحفي الحملة الدعائية بحرص قبل الذهاب بسرعة الى لجنة الهجرة المنبثقة عن مجلس الوزراء ، التي يرأسها الآن بيرت باودن (Bert Bowden) ، هذه اللجنة التي تعكف على دراسة مسألة الهجرة منذ أسابيع .

إن مشكلة سميثويك قد جعلتني مشغولاً للغاية اكثر من اي وقت مضى . بعد ان جاء وفد سميثويك لرؤيتي في الاسبوع الماضي ، ارسلت مذكرة الى هارولد اقول فيها بأن علينا ان نربط رفض الموافقة على القرض مع سياستنا الخاصة الايجابية . حسناً ، لقد تلقيت اليوم توبيخاً ، واعتقد انه توبيخ مُسْتَحَقْ . فقد وبخني موريس فولي ، الذي جلس بجانبي في لجنة الهجرة المنبثقة عن مجلس الوزراء ، وقال ان علينا ان نربط سياستنا بأي شيء سلبي مثل سميثويك . في اللحظة التي قال فيها ذلك أدركت انني مخطئ . لم أستأ بأي شكل من قوله ذلك . وفي الحقيقة ، عندما سمعت ان موريس سيكون رئيساً للّجنة الجديدة التي ستضع سياسةً جديدة للهجرة بدا لي ان هذا الاجراء معقول جداً .

كان لدي اجتماع ايجاز طويل في الوزراة بعد الظهر استعداداً لاجتماع مجلس الوزراء الحاسم الخاص بلجنة الأراضي . وكان لدى مجلس الوزراء

مذكرة طويلة أُعدت ليس من قبل احد الوزراء وانما من قبل اللورد رئيس المجلس ومن قبل مكتب رئيس الوزراء ، وهي دراسة ايجابية لمقترحات فْرد ويلي ومقترحات وزارتنا . وبعد الاجتماع دخلت السكرتيرة لتراني وقالت : « أوه يا عزيزي الوزير ، لا تضايقنا اكثر من ذلك في محاربة لجنة الأراضي ، هناك امور أكثر أهمية في الحياة .» يجب ان أقول بأنني متفق معها .

الثلاثاء ٢ آذار :

ولكن عندما جئنا الى مجلس الوزراء لم يكن هذا الأمر سهلاً . قَدَّم باودن شرحاً وافياً وجيداً للمشكلة . ثم شرح فْرد ويلي موقفه بطريقته الدقيقة المعتادة لكنه كان غامضاً . ثم كان علي ان ادافع عن وجهة نظري . بدأت بالقول بأنني لا أدعي فهم مشاكل لجنة الأراضي بشكل كامل لكنني أشك في ان احداً آخر حول المائدة يفهم ذلك وهذا هو نصف جوهر المشكلة . ولكننا نحاول ايجاد جهازٍ اجتماعي لمعالجة المسألة الحسّاسة والشاذة الخاصة بشراء الأراضي . في هذه المناسة كان هارولد ضدي كلياً . وبعد ان استمع الى كل منا ، قال بأننا يجب ان نتخذ الحل « الأكثر شجاعة » . وفي اللحظة التي قال فيها عبارة « الأكثر شجاعة » ادركت انه يؤيد فْرد . ولكن ، لدهشتي ، كان واضحاً أثناء سير الاجتماع بأنني أملك بعض المؤيدين . أولاً تدخل دنيس هيلي ـــ وكان هذا أول تدخل له في الشؤون الداخلية ـــ وصاغ بدقة متناهية العبارات التي اعتقد أنني قلتها . ثم قال دوغلاس هوتون بأنه يشعر بالارتباك عندما

سمعني أُنكر الاعتراف بصحة الموقف الذي كان حريصاً على تأييده . لكن جيمس كالاهان وجميع من في الخزانة كانوا الى جانبي ، واصبح جلياً ان عدداً اكبر من الناس بدؤوا يتحققون تدريجياً من ان هذه المسألة ليست هي إظهار الشجاعة ولكنها ببساطة هي إذا كنا سنلزم أنفسنا بشيء عملي نستطيع وضعه موضع التنفيذ فعلياً او ما إذا كنا سنكتفي باطلاق الاصوات الخطيرة والمبهمة .

لايزال الرابح في ذلك الاجتماع هو موضع شك . ويبدو ان الامور المتعلقة بالمسائل الثلاث قد وضعت في طريقي . كنت اعرف ان رئيس الوزراء كان مجبراً على مضض للاعتراف بأنني كنت اتكلم كلاماً صحيحاً حول موضوع كان دائماً غامضاً ومتطرفاً بالنسبة له . على كل حال ، كان هارولد ويلسون بريئاً فيما يتعلق بمسألة الأراضي والتخطيط . وهذا هو أسوأ ما في الأمر لأنه كان يعتقد بأنه يستطيع فهم أي شيء لكونه اقتصادياً وخبيراً في الإحصاء وموظفاً مدنياً سابقاً . وربما كان هذا الجزء من الحياة الخاص بالنواحي الإدارية هو الشيء الوحيد الذي يجهله تماماً والذي لا يوجد لديه أي إحساس نحوه على الإطلاق . استطيع ان اقول هذا لانني منذ اربعة اشهر كنت اجهل هذه الامور مثله . والحقيقة هي اننا نترك دائماً المجال الخاص بالتنفيذ لأشخاص مثل آرثر سكفنغتون (Arthur Skeffington) وفرد ويلي كي يعالجوه وهؤلاء جعلوا هارولد يعتقد انني في جيب السيدة ايفلين وانني أُناضل من أجل ردّ الفعل ضد اشتراكيتهم البريئة [1] . ان هذه الصورة للمعركة قد تسرّبت الى الصحافة

(١) كانت شكوك هارولد ولسون لاتزال موجودة في عام ١٩٧١ .

حقاً ، وكان هناك سلسلة من تسرب الانباء غير الهامة لكنها كانت مزعجة وهي تتناول كيف انني كنت اسعى للقضاء على مشروع قانون فْرد ويلي بدون هوادة .

بعد اجتماع مجلس الوزراء ، واثناء حديثي مع السيدة ايفلين ، ذكرتُ لها بأنني وجدت سكرتيري الخاص غير جذّاب وانني لااريدها ان تظن بأنني سأحتفظ به كأمرٍ مسلّمٍ به . فانزعجتْ السيدة ايفلين كثيراً وقالت : « إنه رجل على مايرام ، ويجب أن لاتكون صعباً معه . إنك تعامل رجالنا بطريقة سيئة . » فأجبت : « إنني متأسف ، ايتها السكرتيرة ، لكنه مكتبي الخاص وليس مكتبكِ ، وعليّ ان اكون واثقاً بأن سكرتيري الخاص هو شخص أشعر بأنه يقف الى جانبي ويجب ان احذّرك بأنني سأحتفظ بـ موسلي اذا كان ذلك الشخص غير مُرضٍ . » عرفتُ الآن بأنني كنت كريماً جداً في وعدي بأنني لن أُعارض في نقل جورج موسلي ، وانني أجد عدم نكثي بالوعد أمراً صعباً على الرغم من المشكلة التي سوف يسببها ذلك للوزارة .

الاربعاء ٣ آذار :

عليّ اولاً ان أُعالج مسألة حدود الحكومة المحلية لمدينة بلايموث . كنت أفكر ملياً كيف استطيع ان اقوم باجراءٍ ما لتجنب جلب أحياء المحافظين الى مدن العمال مثل ليسستر ونوتنغهام وبذلك يتم تأمين المقاعد

البرلمانية العمالية في مدى اربع او خمس سنوات . إن احد الأسباب التي جعلتني أصرف وقتاً كبيراً على مشاكل مدينة باث ، هو أنني هنا اواجه مدينة يسيطر عليها المحافظون ، كما اواجه مقاطعة لوغرهدز (Loggerheads) التي يسيطر عليها المحافظون ايضاً ، ففي باث قررت ان أترك شبه الضواحي خارج المقاطعة ، وكان ذلك عملاً رائعاً . ولكن عندما بدأتُ في دراسة توصية مدينة بلايموث مساء الأحد ـــ الخاصة بجلب الضاحيتين المنتشرتين اللتين يسيطر عليهما المحافظون الى بلايموث ـــ وجدت ان لامبرر لابقائهما خارجها ، اقول هذا ولو كانت حياتي متوقفة على ذلك . على اية حال ، لكي اكون على يقين من ذلك قابلت عضوي البرلمان اللذيْن يمثلان بلايموث،وكلاهما من المحافظين ـــ جوان فيكرز (Joan Vickers) وهي المرأة الفظيعة التي فازت على مايكل فوت في ديفون بورت (Devon Port) ، ورجل أعرج ضئيل الجسم يدعى إيان فريزر[٢] (Ian Fraser) . قابلتهما في ردهة المجلس مساء الاثنين الماضي فقالت السيدة جوان فيكرز على الفور : « أوه،لاتعط اولئك الاشتراكيين شيئاً في مجلس المدينة : انهم لايستحقون التوسع . » كان فريزر اكثر تحفظا ، ولم أندهش عندما طلب اليوم مقابلة خاصة وقال إنه بصفته عضو برلمانٍ مسؤول يمثل مدينة بلايموث فانه لايستطيع ان ينكر حق مجلس المدينة في ضمّ الضاحيتين . ثم قال ، إن سكان بلايموث يزدادون وان المدينة داخل الحدود البلدية تضيق بهم وأخذ العديد في

(١) فازت السيدة جون فيكرز بمقعد المحافظين في عام ١٩٥٥ .

(٢) عضو برلماني عن دائرة ستون (Sutton) الانتخابية من ١٩٥٩ ـــ ١٩٦٦ .

الانتقال عبر الحدود البلدية الى ضواحي المدينة : وهو يشعر بأن ضاحيتي بلايمبتون (Plympton) وبلايمستوك (Plymstock) ينبغي ان تصبحا جزءاً من بلايموث . كان الشخص الثاني الذي تحدثت اليه هو لِنْ وليامز (Len Williams) من ادارة النقل . لقد أجرى اتصالاً مع منظمنا الاقليمي في منطقة جنوب غرب وخرج برأي ثابت وهو ان إضافة هاتين الضاحيتين اللتين يسيطر عليهما المحافظون الى بلايموث قد تجعلنا نخسر المقعد من وجهة نظرٍ برلمانية ، لذا فانه يرى ان تظلا خارج حدود المدينة . إن هذا الموقف يجعلني أرى المشكلة من جانبها المضيء . ومن وجهة نظر الحكومة المحلية فانه من الواضح ان بلايموث تحتاج الى هاتين الضاحيتين بينما لاتحتاج باث حقيقة الى ضاحية ايستون (Easton) .

دعوتُ بالوك (Bullock) ، أستاذ التاريخ البحري في غرينتش ، على الغداء . لقد أراد ان يتكلم معي حول المحافظة ليس على منزل « مسجل » ولكن على مجموعة مبانٍ في بلاك هيث (Black Heath) . ولدهشتي ، عندما ذهبت الى كاكستون هاوس في الاسبوع الماضي قابلتُ مجموعةً اخرى للبحوث تدعى مجموعة تاونزكيب (Towns Cape) . كانوا يعملون وفق خطة جديدة تقترح أن المحافظة على المباني الأثرية القديمة ينبغي ان لاتشمل فقط المباني المسجلة الفردية ولكن ايضاً المجموعات او الشوارع او المناطق الصغيرة من المدن القديمة . فمثلاً يمكن ان يوجد اربعة منازل مسجلة ويوجد بينها منزل واحد او منزلان ليسا ذا قيمة تاريخية فهدمهما سوف يدمّر القيمة الجمالية للمجموعة .

قضيتُ فترةً من الوقت في محاولة لاقناع السيدة ايفلين ، وجيمس

دنكان جونز بأن هذه الفكرة ذات اهمية كبيرة وان علينا ان نسنّ قانوناً بشأنها .

ولكن جنباً الى جنب مع هذه المسألة الخاصة بالمحافظة على المباني القديمة من الهدم ، برزت مسألة هدم المنازل الحديثة التي هي ذات اهمية سياسية ، والتي أثارها معي هارولد ولسون في الاسبوع الماضي . وقبل مضي ٢٤ ساعة أرسل سكرتيره الى سكرتيري موجزاً لما قيل اثناء الغداء وهو يصرّ على تلقّي إجابة سريعة . لذا فانني وجدت نفسي بعد ظهر اليوم جالساً على منضدتي الكبيرة مع السيدة ايفلين وباقي الحاشية من الموظفين . وهذا هو أسلوب السيدة ايفلين عندما تكون في أسوأ حالاتها . كانت غاضبة مني لبحثي الموضوع مراراً مع رئيس الوزراء دون ذكره مسبقاً اليها . وكانت غاضبة منه لتدخله . وكانت مقتنعة بأن الأمر كله عبارة عن وهم ، ولم تجد صعوبة في اثبات ان من بين ألـ ١٢ ــ ١٤ ألف منزل التي هدمت من قبل شركات البناء الخاصة في العام الماضي كانت الغالبية العظمى قد هدمت لأسباب وجيهة جداً ــ بسبب إنشاء الطرق مثلاً . أجبتُ بأن هارولد قد اثار نقطة ذكية جداً . لقد طلب مني ان اوضّح لماذا ينبغي ان نبدّد مواردنا بشكل عام بهدم كتلة من الشقق او منزل يستطيع البقاء ثلاثين عاماً آخر واستبدالها ببناء حديث فاخر . ثم تركت هذا الموضوع جانباً وقلتُ لها : « على اية حال ، إن السلطات المحلية أسوأ بكثير من شركات البناء الخاصة . فهي غالبا ماتهدم المباني وتترك نسخة كبيرة لعدة سنوات لأنهم يخططون الأشياء بطريقة سيئة . فقالت : « إنك تهاجم السلطات المحلية ، ولايوجد شيء مما

تقول . » وكان عليّ بعدئذٍ ان أُصرّ على ان علينا ان نجيب على سؤال رئيس الوزراء[1] بأي شكل كان .

كان هذا اليوم أحد أيامي « العصيبة » في الوزارة ، وكان الموضوع التالي الذي كنت شديداً بشأنه هو الحفر المملوءة بالحجارة . أرادني الموظفون ان اوافق على إنشاء حفر جديدة قرب إيغام (Egham) في منطقة سورّي (Surrey) . ولاحظت ان اقتراح المفتش يقضي بانشاء بحيرة صناعية عندما تنتزع الحجارة . ارادتني الوزارة ان أفرض نفوذي عليه واقول بأن الحفرة ينبغي ان تُملأ في فترة عشرين عاماً . لذا جمعت الموظفين وقلت لهم بأنني قلق إزاء الحقيقة الواضحة وهي وجود مناطق كبيرة حول لندن قد خُرّبت بحفر الحجارة . فلماذا لانأخذ بجدية الاقتراح القاضي بتحويل احداها الى مكان يوفر للمواطنين أسباب المتعة والراحة .

وكلما قدمتُ فكرة من هذا النوع كان موظفو الوزارة يثورون كالذباب . وقد هاجمني الموظف الأقدم بكآبة وقال إن الرجل المعنيّ بقضية ايغام قد مات البارحة فقط وينبغي ان لااثيرها بعد موته مباشرة . على اية حال ، لقد أصررتُ على رأيي . أردتُ ان أعرف ماهي الخطة التي لدينا كوزارة لانشاء نطاق أزرق حول لندن إضافة الى النطاق الأخضر . انني واثق تماماً بانه يمكن عمل الكثير اذا وضعنا في أذهان تجار الحجارة ان تصريح التخطيط لن يُعطى لهم الا اذا قاموا بدفع تكاليف تحويل حفر الحجارة

(١) حتى نهاية الاسبوع لم يكن الجواب قد أُرسل بعد .

البشعة الى أماكن للتجديف ، او التزلج على الماء ، او صيد الأسماك[1] .

دعيتُ مع رئيس الوزراء لنكون ضيفي شرف في حفل العشاء السنوي الوداعي لمجموعة حزب العمال في مجلس مقاطعة لندن . الذي حُلَّ الآن واستبدل بمجموعة مجلس لندن الأكبر . إنني معجب جداً بتقليد موريسون[2] الخاص بالحكومة المحلية . رأيت شيئاً من هذا التقليد عندما كنت أُعالج قضايا التعليم كوزير ظل في العام الماضي . وفي هذا العام رأيتُ أشياء اكثر تتعلق بقضايا الاسكان والتشريد . مع ذلك ، ياالحزب العمال اللندني ! في مظهره غير الانساني . كان الطعام في هذا العشاء مرعباً ، والجو قارساً ، ولم يبدُ على اي شخصٍ من الموجودين انه ممتنٌ بشكل حقيقي ، وكانت أحاديث هارولد ولسون وآيك هيوارد[3] (Ike Hayward) خالية من الانسانية . وجرى بعد ذلك استقبال كبير حيث أُمطرت بوابل من الشتائم بسبب قراري الخاص بـ هارتلي ، فأسرعت الى البيت ، وأنا أشعر بالألم ، واستلقيت على فراشي وأخذتُ اقرأ تقرير ملنر هولاند . قرأت التقرير الآن مرتين ، حيث كنت أبدأ يومي في الخامسة صباحاً ، واستمر في القراءة حتى موعد الفطور في الساعة الثامنة . إنها وثيقة تمتص الوقت ، وقد وجدت في القراءة الثانية أنها أفضل من المرة الاولى .

---

(١) استطاع بيتر ووكر ان يعلن هذه السياسة بحذافيرها بصفته وزير دولة للبيئة في آب عام ١٩٧٢ .

(٢) بسط هربرت موريسون نفوذه بشكل كبير على تطوير حكومة لندن بصفته عضواً في مجلس مقاطعة لندن من ١٩٢٢ ـــ ١٩٤٥ ورئيساً له من ١٩٣٤ ـــ ١٩٤٠ .

(٣) تولى السير اسحاق هيوارد (Isaack Hayward) رئاسة مجلس مقاطعة لندن من ١٩٤٧ ـــ ١٩٦٥ .

ملاحظة :

بدأ غضب جناح اليسار في حزب العمال يزداد حول فيتنام حيث ادّعوا بأن امريكا تشنّ حرباً استعمارية . ومنذ أوائل شباط بدأت الولايات المتحدة بقصف فيتنام الشمالية وفي الرابع من آذار اجتمع حوالي خمسين عضواً برلمانياً من حزب العمال بالمستر ولسون لكي يعلن بشكل واضح لا لُبس فيه بأن بريطانيا لاتستطيع ان تؤيد سياسة الولايات المتحدة . كان هذا الامر صعباً من الناحية السياسية بالنسبة لرئيس الوزراء ، الذي كان قد أكّد وجود علاقات طيبة مع واشنطن تعتبر بمثابة حجر زاوية من أجل سياسته الخارجية ، والذي كان يدرك مدى اعتماد بريطانيا على تأييد الولايات المتحدة من اجل مركز الجنيه الاسترليني . فقاوم هارولد أعضاءَ حزبه الجالسين في المقاعد الخلفية ، لكن في مجلس الوزراء ، استمرت السيدة كاسل بمهاجمته بعنف .

كانت الحكومة ايضاً تواجه مشاكل مع أرباب المهن الحرّة ، الذين رفضوا قبول التوصية التي أقرتها « هيئة اعادة النظر » القاضية بدفع منحة ٥ر٥ مليون جنيه استرليني بدلاً من الـ ١٨ مليون جنيه التي طلبوها . وفي السابع عشر من شباط ، طلب الاتحاد الطبي البريطاني من ٢٣ ألفاً من أرباب المهن الحرّة ان يستقيلوا من الخدمات الصحية في الأول من نيسان ، لكن رئيس الوزراء ظلّ مصراً على ٥ر٥ مليون جنيه استرليني ووعد باجراء مفاوضات لابرام عقد جديد . واستمر النزاع بين الاتحاد الطبي وبين وزارة الصحة حتى شهر حزيران .

كان المزارعون أيضاً غير راضين بشروط مراجعة الأسعار السنوية ، التي نشرت في ١٧ آذار . فقالوا بأن زيادة ألـ ١٠ ملايين جنيه استرليني في ضمانات الأسعار لم تعد تتلاءم مع زيادة ألـ ٢٩ مليون جنيه في تكاليف الانتاج . كما ان فْرد بيرت ، وزير الزراعة ، لن يمنح اكثر من الزيادة القليلة الأصلية في أسعار الأبقار المنتجة للحليب ، وفي الأسعار المضمونة للماشية المسمَّنة ، وشمندر السكر ، والبطاطا . وكما اعترف ريتشارد كروسمان ، فان هذه السياسة قد لاءمت مصالحه الزراعية بشكل جيد .

هناك انتخابان فرعيان في آذار ، وكلاهما سيجريان في دوائر انتخابية مسيطر عليها من قبل المحافظين : في صافرون والدن (Saffron Walden) ، وفي روكسبرغ (Roxburgh) ، وفي سلكيرك (Selkirk) ، وفي بيبلز (Peebles) .

الخميس ٤ آذار

هناك اجتماع ثانٍ لمجلس الوزراء هذا الاسبوع . وكان يبدو عدم وجود شيء على جدول الاعمال إلى ان اتصل بي جورج ويغ هاتفياً واخبرني بأن الموضوع الجاهز للبحث هو مستقبل المتحف الحربي الذي من المفروض ان يُبنى خلف حديقة مستشفى شلزيا الملكي . وقد سمع بأن هذا الموضوع سيحذف من جدول الاعمال لان الخزانة لاترغب في بحثه وكذلك الوزير الاول . في الحقيقة ، كان هذا الموضوع اول بندٍ على جدول

الاعمال وقد لُفت انتباه هارولد ولسون من قبل جورج في وقت سابق . اما بالنسبة لي ، فقد وجدت بين اوراقي الخاصة بمجلس الوزراء والموجودة في الصندوق الأحمر صفحةً واحدة تتضمن ايجازاً للموضوع مع ملاحظة مكتوبة في اسفل الصفحة من قبل الوزارة تقول : « لقد ارسلت لك الخزانةُ هذه الورقة وستكون ممتنّة اذا استخدمتها في النقاش . » وكانت في الحقيقة عبارة عن وصفٍ دقيق لاقتراح الخزانة الخاص بجعل المتحف خارج لندن وببيع الأرض او تأجيرها من اجل انشاء ٣٤ شقة فخمة .

كان كثير من أعضاء مجلس الوزراء ينظرون اليّ بريبة عندما اكّدتُ على اقتراح الخزانة لكنني اندفعت بشدة واوضحت ماذا يريد الوزير الاول ، ووزير المالية حقيقة : انهما يريدان البديل للمتحف الحربي ، وهو بناء ٣٤ شقة فخمة . كان سلوك هارولد اكثر ملامح مجلس الوزراء هذا إثارة . لقد أظهر نفسه بأنه حريص كل الحرص لكي يرى اننا توصلنا الى قرار كامل في مجلس الوزراء . وكان بامكان المرء ان يراه وهو يسجل الأسماء ويعدّ الرؤوس من كل جانب وأخيراً يعدّ نفسه ولكن الى جانبنا .

بينما كنت أفكر في المتحف الحربي في شلزيا ، كانت بربارة كاسل تثير مرة ثانية مشكلة فيتنام ومضاعفاتها . وكان هذا الموضوع يُناقش مراراً ، ولكنني كنت دائماً تقريباً مشغول الفكر بموضوع آخر بحيث لم اشترك في النقاش . وفي الحقيقة ، اعتقد انني استطيع القول بأنني لم اتكلم حول شؤون خارجية منذ ان أصبحت وزيراً ، وبدأت الآن أتساءل ما اذا كان على المرء ان يعزل فكره كلياً عن هذه الشؤون . قد تصبح مشكلة فيتنام مسألة حرجة للحكومة مثلما كانت الحرب الكورية محرجة

لحكومة أتلي وربما كانت اكثر إثارة للخلاف والنزاع داخل الحكومة . وبالتأكيد كان هناك اتجاه متزايد بين اعضاء حزب العمال البرلمانيين بأن علينا ان نلعب دوراً اكثر فعالية ، مع الروس ، بدلاً من الوقوف مع الامريكيين . كان مجلس الوزراء ، طبعاً ، يحظى بتأييد المعارضة . ولكننا في هذا الاسبوع واجهنا تمرداً علنياً في المقاعد الخلفية : لقد شكل حوالي ٤٥ عضواً من تكتل جناح اليسار حركةً تصرّ على بذل اكبر جهد حاسم لايقاف الحرب في فيتنام[١] .

تناولت طعام الغداء مع سكرتيريّ البرلمانيينْ وناقشنا كيفية معالجة تقرير ملنر هولاند والقراءة الثانية لمشروع قانوننا . كان سكرتيري الخاص الجديد ملائماً لهذا العمل ، فهو يعمل بنفس الاسلوب الذي كان يعمل به في مكتب مجلس الوزراء[٢] . وبناء على اقتراحه ، فقد ارسلت مذكرة عاجلة الى رئيس الوزراء اطلب فيها ان يقوم ملنر هولاند بعقد مؤتمره الصحفي الخاص يوم الخميس القادم ، وبعد ذلك بأسبوع نقوم بمناقشة تقريره ، وبعد ذلك بعشرة أيام نقوم بمناقشة القراءة الثانية لمشروعنا . إن ذلك سوف يجعلنا نضرب عصفورين بحجر واحد . وهذا يعني طبعاً ان نقوم باجراء مفاوضات كثيرة طيلة أيام هذا الاسبوع . كان عليّ ان اذهب وأرى فرانك لونغفورد ، زعيمنا في مجلس اللوردات ، وخلال الحديث حول مشروع القانون هنّأني لانني أشقّ طريقي دائماً في مجلس

(١) كان زعيم الكتلة النيابية اكثر قلقاً من كروسمان حول التمرد وتأثيره على الغالبية الضئيلة جداً التي تحظى بها الحكومة وهي ثلاثة .

(٢) لذا فانه كان يعرف قيود هوايت هول من اجل توفير الوقت البرلماني .

الوزراء ، وقال إنه متأثر بشكل خاص بطريقة معالجتي لمشكلة لجنة الاراضي . أجبت : « انني لم اشقّ طريقي هناك . » فقال : « آه نعم ، لم أسمع قطّ بأن شخصاً في مجلس الوزراء يدّعي ، كما تفعل انت ، بأنك لم تعرف شيئاً عن الموضوع ، ان هذا أسلوب ذكي . » يجب ان اقول بأنني لم افكر بالموضوع قطّ كأسلوب للتملص ، لكن فرانك يفكر كذلك ، ومهما يكن من أمر فهو شخص قديم وبارع في أساليب مجلس الوزراء .

كان عليّ في المساء ان أحضر حفل العشاء الذي يقيمه « معهد مهندسي البلديات » . كان هذا اول عشاء رسمي اوافق على حضوره ولكن على مضض . وقد تركت باقي الدعوات ، بما فيها دعوة رئيس بلدية غايلدهول (Guild Hall) ، وكلفتُ بها سكرتيريّ البرلمانيين ، وكلاهما يحبّان تناول العشاء في الخارج . لذا عُدت الى فنسنت سكوير لتبديل ملابسي . كان الطقس سيئاً ، وعندما خلعتُ ملابسي اكتشفت ان سترة العشاء قد أُرسلت من قبل مدبرة منزلنا السيدة ميك (Meek) الى التنظيف . لذا فانني هناك في المنزل بدون ثياب وبدون سترة عشاء . كان وقت العشاء هو الثامنة مساءً والساعة آنذاك كانت السابعة والدقيقة الاربعين . فكان عليّ ان ارتدي ثانية بزتي القديمة الداكنة ، وخرجت بلباس كئيب لأجد ان العشاء قد أُقيم في فندق جديد وأنيق جداً ، ويوجد حوالي اربعمائة مدعو وجميعهم يرتدون بزات السهرة البرّاقة ، وكان الرجال طبعاً يرتدون السترات ذات الذيل الخاصة بحفلات العشاء . ومما زاد الأمر سوءاً ان العشاء قُدِّم ببطء . كانت الساعة تشير الى التاسعة والدقيقة

العشرين عندما نظرت الى ساعتي ، فتوقفت عن الكلام مع رئيس المعهد ، واكتشفت اننا وصلنا الى نهاية طبق الديك الرومي عندما طلب مني ندل يرتدي بنطالاً بثلاث شرائط ان اترك الحفل في الساعة ٩٫٣٥ كأقصى حدّ وذلك كي اصوّت على مسألة الدفاع[1] . وكان على منظمي الحفل ان يوقفوا العشاء مؤقتاً وألقى رئيس المعهد خطاباً قصيراً ورددت عليه بخطاب مماثل . كان حفل العشاء على ما يرام لكن هذه الليلة كانت من اكثر الليالي ازعاجاً بالنسبة لي . كانت راحة النفس الوحيدة التي شعرت بها عندما قالت لي مولي اثناء عودتنا بالسيارة : « حسناً ، انني افترض انك سياسي لأنك تستطيع ان تتغلب على ذلك النوع من الصعوبات . »

كان النقاش حول الدفاع امراً يدعو للدهشة . فقد تخلّى المحافظون أخيراً عن فكرتهم الخاصة بايجاد رادع بريطاني مستقل ، وتخلينا نحن أخيراً عن فكرتنا الخاصة بالتخلص من الاسلحة النووية البريطانية . فأي استسلام كان اسوأ من الآخر ؟ بالتأكيد استسلامنا نحن . وقد انزعج اعضاء حزبنا في المقاعد الخلفية كثيراً .

الجمعة ٥ آذار :

كان يوماً مرهقاً في الوزارة . وكان لديّ بعد الظهر الاجتماع الاسبوعي

(١) بعد نقاش استمر يومين تمت الموافقة على ميزانية الدفاع لعام ١٩٦٥ . كانت نتيجة التصويت ٢٩٩ صوتاً مقابل ٢٩٣ صوتاً .

مع السكرتيرين جونز ، ووادل . أثرتُ أولاً مسألة « مصلحة الخرائط » ، التي اكتشفت للتوّ ، أنها تُدار من قبل الوزارة . وكان هناك تأخير مرعب في مراجعة « خريطة البوصة الواحدة » بسبب المعاونين غير الملائمين ، ولكنني لم احصل على نتيجة ولم استفد شيئاً . ثم سألت عما تمّ بدراسة مشكلة الغجر . كذلك لم استفد شيئاً . اخيراً ، أثرتُ مشكلة « المنزل المسجل » ، و «المنازل المجمعة » . تحققت في جميع هذه الحالات ان غضب الوزارة ناجم عن الفكرة المجرَّدة لأي تدخل من قبل الوزير . فهم يعتقدون بأن هذا النوع من العمل ينبغي ان يترك لهم قبل الوزراء .

كنا على وشك الانصراف من الوزارة عندما تلقيت مكالمة مفاجئة من « الاتحاد الوطني للعمال الزراعيين » — انهم يرغبون في مقابلتي بعد ظهر ذلك اليوم . وفي الساعة الثالثة جاء دنيس هودسون الصغير (Dennis Hodson) ، سكرتير الاتحاد ، ولم يكن معه صديقي القديم كوليسون (Collison) ، الذي هو رئيسه . كانت المشكلة ، طبعاً ، هي الاكواخ المؤقتة وتعهد الحزب منذ وقت طويل بعدم طرد اي شخص من كوخ مؤقت مالم توفر له السلطات المحلية منزلاً . وكان هذا التعهد مستحيل التحقيق لان المزارعين اذا عرفوا ان اي شخص يطردوه سوف يحصل بصورة آلية على منزلٍ من مجلس المدينة ، فانهم سيطردون العديد من هؤلاء بمنتهى البساطة . إن كوليسون يدرك الآن لماذا ينبغي ان احقق روح سياسة الحزب ولكنني لااستطيع ان احقق القرار حرفياً . لذلك كنت غاضباً عندما جاء المستر هودسون ليخبرني بأن اتحاد العمال الزراعيين غير مستعد لأخذ تسويتي المعقولة بعين الاعتبار وقد عادوا الى

موقفهم الأصلي المتناقض . جلست مع هودسون وناقشت الموضوع معه ، فكان يقول لي كل عشر دقائق تقريباً : « إنك تضيع وقتك سُدىً ، ايها الوزير . » وكنت اقول له : « كلا انني لااضيع وقتي . » أخيراً ، أخبرته انه اذا كان الاتحاد يشعر بخطورة حول هذه المسألة فانني لن ادخلها في مشروع قانون الايجارات الكبير . فأجاب بأنه في هذه الحالة فانني سوف أطارد وأُضايق في كل دائرة انتخابية ريفية بسبب فشلي في المحافظة على تعهد الحزب .

لقد تكدَّرت من هذا الموضوع حقيقة وعندما ذهبت الى محطة بادنغتون لأستقل قطار الساعة ١٠ر٥ شعرت بحرارة تحت ياقة قميصي بطريقة لم اعهدها منذ أصبحت وزيراً . لقد ازعجني هذا الأمر بنفس الطريقة التي كنت انزعج بها عندما كنت عضواً برلمانياً في المقاعد الخلفية ، وعندما كنت صحفياً قبل ذلك . إن هذه المسألة جعلتني أشعر بمدى استمتاعي بوظيفتي ، عندما فكرت بأن هذا هو اول حادث اشعر بانزعاج نحوه .» كم هي مرعبة وزارتي ، وكم هو مخيف مكتبي الخاص . إن الوظيفة لاتستحق كل ذلك وآه ، اللعنة على اتحاد العمال الزراعيين لانهم أفسدوا في النهاية يوماً مرهقاً » .

السبت ٦ آذار :

استيقظت لاجد ان ثلجاً كثيفاً قد تساقط اثناء الليل وان اكواماً كبيرة من الثلج تحيط بـ برسكوت كما يوجد ثلج على القنال تنعكس عليه أشعة

الشمس المشرقة . أخذتني آن الى كوفنتري بالسيارة لحضور اجتماع لممثلي عمال المصانع لبحث اغلاق مصانع باغنتون بسبب إلغاء صنع طائرة النقل من طراز هـ .س ـــ ٦٨١ (H.S - 681) . كنت اتوقع اغلاق مصانع آرمسترونغ ـــ وتورث منذ عام ١٩٤٦ . وكانت طيلة هذه المدة تستند بشكل رئيسي على تنفيذ اعمال عقد فرعي وان حقيقة اغلاقها لم تدهش احداً في كوفنتري . مع ذلك ، كان اغلاقها ضربة مدمرة . لكن كان هناك جانب مضيء . فجميع الشبان قد حصلوا على عمل في مكان آخر . اما الاشخاص المتجمعون الآن والمهددون بالفصل فهم اولئك الذين لديهم خدمة ١٠ او ١٥ سنة ، واعمارهم تقارب الخمسين او تزيد . كان الاجتماع رسمياً يتعلق بممثلي عمال المصانع ، لكنه عملياً كان مخصصاً لأناس من باغنتون وكان يحتشد في قاعة مصانع آرمسترونغ ـــ وتورث حوالي مائتي شخص . بدأتُ بحديث واقعي ، دافعتُ فيه عمّا فعلناه كإجراء صحيح وحتمي،وتركت معالجة مشكلة الفصل لِـ بيل ولسون (Bill Wilson) . ثم تكلم موريس إديلمان (Maurice Edelman) وشن هجوماً عنيفاً ضد الحكومة لمدة نصف ساعة ، متهماً إياي وفرانك كزنز بكل نوع من الجرائم ، بما فيها البيع للأمريكان . وتلا ذلك استجواب عدائي لمدة أربعين دقيقة . وفي النهاية عبّرتُ عن دهشتي من انه بعد أربعة اشهر فقط من فوزنا في الانتخابات يدعي موريس بأنني وفرانك كزنز مستعدان لبيع كوفنتري للامريكيين وتدمير صناعة الطائرات . اعتقد انني حقّقت شيئاً ما بحضوري الاجتماع ، ثم عدت بالسيارة الى المنزل وانا مقتنع بذلك نسبياً . اخذنا الاطفال بعد

الظهر في نزهة سيراً على الاقدام لمشاهدة اكوام الثلج .

الأحد ٧ آذار:

كنت هذا اليوم خالياً من المواعيد باستثناء حضور اجتماع لمدة ساعتين مع أعضاء حزب العمال في مدينة ردتش (Redditch) الذين سيخبرونني مدى فظاعة المدينة الجديدة التي فرضتها عليهم الوزارة . وجدت ان مشكلة المدن الجديدة تستهلك اكبر قدر من وقتي . فمن احدى المشاكل التي لمستها هي عناصر الاتحادات الذين اختارهم المحافظون على مدى ثلاث عشرة سنة . كان هناك نماذج لشخصيات معينة . فمثلاً كان يوجد دائماً حاكم مختص بشؤون المستعمرات . ويوجد دائماً إمرأة من « الخدمة الطوعية للنساء » ، ومسّاح للاراضي يحمل عواطف قوية نحو المحافظين . من جهة اخرى ، يوجد في مجالس المقاطعات معارضة راسخة ، وهي تدار غالباً من قبل مجموعات من حزب العمال الذين يمقتون موقف الاتحادات المتشامخ ، هذا الموقف الذي كانت تدعمه السيدة ايفلين بشدة وكذلك الوزارة . كانت مشكلة رديتش حادّة بشكل خاص لان المدينة نفسها تضم حوالي ثلاثين او أربعين ألفاً من السكان ــ ومعظم هؤلاء من الذين هربوا من بيرمنغهام ، التي تبعد عشرة أميال فقط ــ الذين لايريدون ان يُفرض عليهم سكان الأحياء الفقيرة في بيرمنغهام . قضيت ساعتين وأنا اتوسل

واتجادل مع هؤلاء الساخطين من اعضاء حزب العمال . انني اتعاطف معهم كثيراً في سرّي وبدأت أُدرك ان من احدى المهام التي يجب ان أقوم بها هي ايجاد وسيلة لاجراء تعيينات ملائمة في الاتحادات .

الأحد ٢١ آذار[١] :

هناك حادثتان في حياتي شبه الخاصة كوزير تستحق الذكر . الأولى كانت نشر كتابي : « التخطيط للحرية »[٢] (Planntng for Freedom) في يوم الخميس ، الحادي عشر من آذار . لقد افترضت بأن الكتاب سيكون موضع اهتمام كبير . عملياً ، كان الكتاب ساراً ، وهو شيء عديم الضرر . بدأتْ الاشياء باستعراض جميل وجيد للكتاب في صحيفة نيوستيتسمان (New Statesman) من قبل الكاتب دافيد ماركاند (David Marquand) ، الذي كان معادياً لي لكنه اعترف بأهمية الكتاب . وكان الاستعراض الآخر الوحيد للكتاب في الملحق الادبي لصحيفة التايمز . كان الناقد الغُفل الذي كتب صفحة كاملة هو مايكل اوكيشوت[٣] بدون ادنى ريب ، وكان منزعجاً من استعراضي الغُفل لكتابه في الملحق الادبي للتايمز . ما خلال النيوستيتسمان والملحق الادبي للتايمز ، لم يأخذ أحد الكتاب

(١) جعلتُ باقي يوميات آذار تمرّ بدون ان أُسجل شيئاً على شريط التسجيل . ففي اوائل نيسان نظرت الى قائمة مواعيدي الرئيسية وعلى محاضر جلسات مجلس الوزراء وسجلت اهم الأحداث ، لجعل اليوميات تبدو احدث مايكون .

(٢) عبارة عن مجموعة مقالات كتبت بين ١٩٣٨ و ١٩٦٤ (لندن : همش هملتون ، ١٩٦٥) .

(٣) استاذ العلوم السياسية في مدرسة الاقتصاد في لندن .

بجدية . لقد نُظر اليه من جانب واحد . قد يكون صحيحاً ، كما اقترح الملحق الأدبي للتايمز والنيوستيتسمان ، أنني بِجَمْعِ مقالاتي النظرية في مجلد واحد فانني قد كشفتُ الحقيقة وهي انني لست مفكراً جاداً بل صحفي سياسي يأخذ الأمور بشيء من الجدية . كذلك فربما كان الناقدون لكتابي مشمئزين وهم ينظرون الى سياسي بطريقتين في آنٍ واحد — ككاتب ، وكوزير . بصراحة ، إن الشعور السائد هو أن الوزراء ينبغي ان لا يكونوا كُتَّاباً ، وينبغي ان لا يؤلف الوزراء كتباً الى ان يتقاعدوا .

هل ينبغي ان أُعير هذا الموضوع اهتماماً ؟ فيما يتعلق بذلك فانني شخصية منشطرة . فلو اعطيتُ الفرصة لهجرت السياسة العملية وركزت على الكتابة . أي أنه لو اعطاني أتلي وظيفة منذ خمسة عشر او عشرين عاماً لأصبحت سياسياً محترفاً ومتفرغاً . ولكن بعد سقوط حكومة أتلي قضيتُ اثني عشر عاماً على المقاعد الأمامية للمعارضة بدلاً من إمتاع نفسي كصحفي سياسي نشيط جالسٍ على المقاعد الخلفية . لقد حصلت على وظيفتي الحالية متأخراً بضع سنوات . لكنني أشعر بأنني في قمة قوتي واعتقد ان لديّ الآن خبرة كافية ونضوج لتجنب بعض الاصطدامات التي كنت سأقوم بها لو انني رقّيت في وقت مبكر بهذه الوظيفة .

إن التجربة الشخصية الأخرى التي عليّ ان أسجلها هي المشكلة التي اواجهها في مكتبي الخاص ، والتي نجمت عن تخلصي من سكرتيري الخاص الجديد وجلب بديلٍ عنه ، وشكرا لله ، جون ديلافونز (John

Delafons) . وكلما فكرت في هذا الموضوع ادركت مدى خسارة جورج موسلي ، ذلك الرجل الأسمر ، ذي العينين الشبيهتين بعيني البوم ، وذي الشخصية الساخرة الذي عمل سكرتيراً شخصياً لسلفيّ المحافظيْن والذي كان متعباً بشكل عام ويريد الذهاب الى منزله . وفي اللحظة التي استبدَلَتْه فيها السيدة ايفلين شعرت بعزلة في مكتبي كما كنت أشعر اول يوم من الوزارة .

يستطيع السكرتير الخاص عمل الكثير من الجيد او غير الجيد ، من اجل تخفيف الضغط الواقع على الوزير لتمكينه من القيام بأعباء وظيفته.كان جورج موسلي لايقدّر بثمن لأنه يعرف كل شيء في الوزارة ، ولأنه يعلق بذكاء على كل شيء اكتبه ويخبرني اذا اعتقد بأنني افعل شيئاً ما بصورة خاطئة . لذا فانه منحني شعوراً بانني لن استرسل في الخطأ أبداً . وكان في بعض الاحيان ايضاً صادقاً في نقد سلوكي والآن اختفى كل هذا فجأة واصبح عُندي شاب انيق يتهادى الى مكتبي ويقف أمامي ولايرتكب شيئاً خاطئاً قطّ . انني اشك في ان شخصيته المتشامخة تخفي عملياً الشك والحذر ، كما يحدث غالباً مع الموظفين المدنيين . لكن ذلك لم يساعدني . وبعد اسبوعين ذهبتُ الى السيدة ايفلين وقلت لها : « إنه غير مناسب . »

في غضون اسبوع نُقل شاب من دائرة التخطيط وقُدِّم اليّ . لقد حدَّدتُ قيمته لأول مرة ، بصورة عملية ، اثناء مناقشة التقرير الخاص بـ وست ميدلاندز . كان سكرتيراً للمجموعة الاستشارية للتخطيط ، وهي عبارة عن مجموعة تضم كتبة مدينة ، وأمناء خزانة ، ومخططين كانوا

يعملون في العام الماضي مع موظفي التخطيط في الوزارة في مراجعة شاملة لعملية التخطيط . أنه شاب طويل ، وذو عينين كعيني جورج اللتين تشبهان عيني البوم ، لكنه كان اكثر حيوية ، وحاذقاً ، ونشيطاً . وفي خلال اسبوع استطاع ان يغيّر المكتب الخاص . أحضرته الى برسكوت نهار أمس اثناء عودتي من زيارة رسمية الى الريف الاسود (Black Country) . وقد اخبرني بأنه لم يقضِ مثل هذا الاسبوع قط في حياته الذي أدار فيه شؤون المكتب الخاص في اسبوعه الأول.اعرف الآن انني على احسن ما يرام . فلديّ شخص يستطيع التحدث اليّ ، واستطيع ان اتحدث اليه بحرية ، وعلاوة على ذلك فهو شخص يعرف طريقه فيما يتعلق بشؤون الوزارة وهو على استعداد ليكون مخلصاً لي في علاقاته مع الموظفين الآخرين .

بعد ان قرأت كتاب الكاتب هاسال (Hassal) بعنوان : روبرت بروك (Rupert Brooke) في عطلة عيد الميلاد الماضي قررتُ ان اقرأ كتابه عن حياة السير ادوارد مارش ، الذي لم يكن النصير لـ بروك فقط ، بل كان ايضاً نوعاً من السكرتير الخاص المحترف . بدأ عمله كسكرتير خاص في وزارة المستعمرات وبذلك اصبح سكرتير تشرتشل الخاص،واصبح فيما بعد سكرتيراً خاصاً لـ جيمي توماس (Jimmy Thomas) . لذا يمكن ان نستخلص من حياته صورة السكرتير الخاص التي كانت موجودة قبل عام ١٩٤٥ . كانت وظيفة السكرتير الخاص في أيام ما قبل الحرب العالمية الاولى نوعاً من الوظيفة الاجتماعية . فكانت مسؤولية مارش الرئيسية ان يسافر مع تشرتشل في يخت البحرية ، إنشانترس (Enchantress) ،

ويذهب الى مناطق صيد طائر الطيهوج[1] في الصيف . في تلك الايام كان في الحقيقة سكرتيراً خاصاً للوزير . وكان الوزير يستطيع ان يغيب عن مكتبه عدة أسابيع . ومن الأشياء التي كان يقوم بها مارش دائماً هي حضور جميع الانتخابات الفرعية حيث يلقي تشرتشل خطابات ويكون معه في جميع الانتخابات العامة ويكتب له مسودات خطاباته . وقد فعل مثل ذلك خلال فترة خدمته مع جيمي توماس منذ ذلك الحين ! إن فكرة تكليف سكرتيري الخاص ديلافونز بكتابة مسودة خطابٍ يُلقى في انتخاب فرعي ، او اشتراكه بأي شكل من الاشكال في انتخابات عامة ، يعتبر اليوم أمراً مضحكاً . إن الخدمة المدنية الحديثة شديدةٌ للغاية في تصميمها على عدم السماح لسياسة الحزب بالاندماج مع سياسة الوزارة . إنهم يساعدونني طبعاً ، الى حدّ كبير في حياتي البرلمانية او في الاجابة على اسئلتي . لكنهم يرفضون تماماً ان يفعلوا شيئاً له صلة بانتخاب فرعي ، إنهم في الحقيقة يرفضون مدّ يد العون في اي خطاب يعتبرونه سياسياً . والفرق الثاني الكبير هو ان المكتب الخاص اليوم أصبح اكبر بكثير عما كان عليه قبل الحرب . إن جون ديلافونز ، سكرتيري الخاص ، مسؤول عن قسم كبير في الوزارة ، ويوجد تحت إمرته المكتبان الخاصّان الآخران ، المكتب الخاص لـ جيم ماك كول ، والمكتب الخاص لـ بوب مَلش . ويوجد لديه أيضاً القسم البرلماني ، وقسم آخر للمراسلات . انني افترض وجود ٢٥ شخصاً في ذلك المكتب يعملون جميعاً من اجل الوزير ومن اجل موظفيْه البرلمانيين . إن الشخص الذي

(١) طائر يشبه القطا ويسمى بالانكليزية « Grouse » — المترجم .

يترأس المكتب الخاص ينبغي ان يكون قادراً على تسيير جميع هذه الأشياء . ونتيجة لذلك فانه يميز عن جميع أقرانه ، ويكسب ٢٥٠ جنيهاً أخرى كل سنة ، ويكون مرشحاً للترقية .

كانت احدى مهام ديلافونز الرئيسية هي تنظيم علاقاتي مع السيدة ايفلين ، ومع جيمس دنكان جونز ، ومع وادل . إنني اعرف تماماً الآن أن وادل هو رجل اداري تقليدي ، وان جيمس دنكان جونز يتمتع بمواهب كبيرة ، وهو مخطّط هوايت هول الحاذق ويجب على الوزير ان يتعامل معه بمنتهى الحرص .

بالنسبة للسيدة ايفلين ، كلما تعاملت معها اكثر كلما وجدت أنها امرأة بارزة . إنها داهية كما هي دائماً ، وان مهارتها وسرعتها في كتابة المسودات وقدرتها على أخذ الفكرة مني والتفكير فيها وكتابتها كل هذا يدعو للاعجاب . انني لاازال أُلاقي صعوبات جمّة معها عندما يتعلق الأمر بأفكار وأُناس من خارج الوزارة . اعتقد انني انتصرتُ عليها وذلك بسبب نجاح آرنولد غودمان ، ودافيد دونيسون في معالجة المادة (٢٢)[1] من مشروع قانون الايجارات . لكن لا . لايزال هناك مقاومة عنيفة ، كما لاحظت هذا الاسبوع عندما اقترحتُ ان نستفيد من أُناس من خارج الوزارة كالمعتاد وذلك فيما يتعلق بمهام وظائف موظفي الايجارات الجديدة ولجان تخمين الايجارات . تلقّيتُ إجابةً فاترة جداً من السيدة ايفلين ، على الرغم من أنها تعرف بأنها ستوافق في النهاية . إن تلك المشكلة تدور في

(١) تشرح المادة(٢٢) مبدأ « الايجار العادل » ، الذي يقرّر من قبل لجان تخمين محلية ..

ذهني بواسطة قبولي التدريجي لمعظم العاملين معي في الوزارة الذين هم من الدرجة الثانية . اقمت حفلة صغيرة في المكتب على إثر انتهائنا من كتابة مسودة مشروع قانون الايجارات وذلك احتفالاً « بالقراءة الثانية » وقد حضرها ، طبعاً ، واضع المخططات البرلماني المستر روي (Rowe) من مكتب رئيس مجلس اللوردات والرئيس الأعلى للقضاء . لكنني اكتشفت أنه على الرغم من وجود ثلاثين محامياً لدينا في الوزارة فقد خصص محامٍ واحد فقط لمشروع قانون الايجارات . كان باقي المستشارين لدي من الاداريين الذين لايعرفون شيئاً عن القانون . لا ريب أننا ارتكبنا اخطاءً ، ولا ريب أننا غير ملائمين . لكن الاقتناع الأساسي في الخدمة المدنية ان السكرتيرين المساعدين والرؤساء قادرون على معالجة اية مشكلة ، بما في ذلك إعداد مشروع قانون للايجارات ، حتى ولو انه ليس لديهم تدريب قانوني . أدركتُ الآن أن من أحد الاسباب الرئيسية لتفوق مجال التخطيط على مجال الاسكان في الوزارة هو ان المحترفين ــ المهندسين المعماريين والمخططين ـــ هم في شروط متساوية على الأقل مع الاداريين. إن جيمس، كبير المخططين ، واوليفر كوكس ، نائب كبير المهندسين المعماريين ، كلاهما من الدرجة الاولى ، وفي كل مرة أُقابل فيها رجالهم أُصبح اكثر تأثراً.لكن في مجال الاسكان من الوزارة فلا يوجد عملياً أي شخص يعرف شيئاً عن بناء المنازل . لهذا السبب كان عليّ ان أُحضر بيتر ليدرر وأُكلفه بمتابعة تطوير نظام البناء . ولهذا السبب ايضاً أُدرك مدى خطر الاعتماد الكلي على نصيحة الوزارة في اي أمرٍ يتعلق بالعالم خارج هوايت هول .

خلال هذا الشهر تأثرتْ حياتي كلها كسياسي بشيئين هما : نشر تقرير ملنر هولاند ، والاستعدادات لمناقشة القراءة الثانية لمشروع قانوني الخاص بالايجارات . اعتقد بانني استطيع كسب الشهرة الشخصية لما حدث . بعد ان توليت الوزارة مباشرة اجريت اتصالاً مع ملنر هولاند وسعيت لمعرفة اعضاء لجنته فرداً فرداً ، وخاصة دافيد دونيسون ، وبلشر (Pelcher) . وأخيراً أخذت بنصيحتهم ايضاً ، ليس فقط فيما يتعلق بمشروع القانون بشكل عام ولكن حول المادة الخاصة « بالايجار العادل » بشكل خاص ، ونتيجة لذلك استطعتُ ان أُقنعهم لتغيير خطط نشر التقرير الخاصة بهم . وبدلاً من الانتظار حتى الصيف من اجل نشر تقريرهم فقد وافقوا على نشره كأمرٍ مستعجل قبل مشروع قانوني ، مع أن هذا يعني ان يطبع كل فصل من التقرير فور الانتهاء من اعداده . وأدرك كل شخصٍ الآن بأن تقرير ملنر هولاند ، ومشروع قانون كروسمان هما جزءان من عملية واحدة . نُشر التقرير في الحادي عشر من آذار ، وكان عملي التالي هو تقديمه في مجلس العموم .

الاثنين ٢٢ آذار :

قضيت اسبوعاً كاملاً ، باستثناء اليومين الخاصّين بالدعاية الانتخابية في صفرون والدن[1] (Saffron Walden) وعلى الحدود

(١) أُجريت الانتخابات الفرعية في صفرون والدن بعد استقالة ر .آ . بتلر (R.A.Butler) وترقيته الى مجلس اللوردات والى عضوية كلية ترنتي في جامعة كمبردج . وكان هناك انتخاب فرعي في

الاسكتلندية ، في الاعداد والتحضير للنقاش الذي سيجري حول التقرير . ولكن عندما حلّت عطلة نهاية الاسبوع لم اكن قد أعددتُ الخطاب بعد . وكنت آمل ان يُعدّ معظم التقرير في الوزارة ، لكنهم كانوا مرة اخرى غير قادرين ان يفعلوا ذلك . هطلت الأمطار خلال عطلة نهاية الاسبوع لذا عملتُ طيلة مساء السبت ولمدة ١٢ ساعة يوم الاحد واعددتُ خطاباً كاملاً مكتوباً في الوقت المحدد من اجل النقاش هذا اليوم .

كان من المفروض ان تكون آن المسكينة في مجلس العموم لحضور النقاش لكن في اللحظة الاخيرة اضطرت ان تبقى في البيت لان باتريك وفرجينيا أُصيبا بحمى راشحة خفيفة . لذا فانها افتقدت سماع اول خطاب سياسي لي كوزير . لقد درست تكتيكاتي بعناية وحرص وقررت ان أشنّ هجوماً شاملاً على السجل الماضي للمحافظين وان اضع جميع اللوم عليهم بسبب أزمة الايجارات التي ورثناها عنهم . كنت انا وجورج ويغ نبحث طيلة أسابيع في اسباب فشلنا كي نلصق المسؤولية بالمحافظين فيما يتعلق بالمشاكل التي نعاني منها .

يوجد هنا قضية نستطيع من اجلها ان نضع المسؤولية على المحافظين ، لذا كان الخطاب هجوماً سياسياً قاسياً على المحافظين ، وكان المؤيدون لي يضجون بحماس خلفي . ومن المحتمل ان يكون الخطاب قد شوّه بملاحظة أبديتها حول تحاملي الطبيعي ضد أصحاب الاراضي . لقد

روكسبرغ بعد وفاة عضو المحافظين ، الكوماندور دونالدسون . وفي الاقتراع الذي جرى في الثالث والعشرين من آذار ، فاز بيتر كيرك بمقعد صفرون والدن لصالح المحافظين ، وفاز دافيد ستيل ، من الاحرار ، بالمقعد الاسكتلندي للمحافظين بأغلبية ٤٦٠٧ صوتاً .

وضعتها في النصّ في اللحظة الأخيرة لارضاء الجالسين في المقاعد الخلفية والمؤيدين لي .

الثلاثاء ٢٣ آذار :

حصل خطابي في نقاش الاثنين على ردّ فعل مختلِط من قبل الصحافة . فصحيفة الديلي تلغراف وصفت الخطابَ بأنه عرضٌ برلماني قاسٍ . من جهة اخرى ، فان ديماغوجيتي أفقدتني تأييد صحيفة التايمز ، مثلاً ، التي اعتبرته بأنه خطاب رعاع . على اية حال ، ليس لديّ وقت للقلق لان هذا اليوم هو يوم مؤتمري الثاني في الردهة الكبيرة خلال اسبوع — في هذه المرة لشرح مشروع قانون الايجارات بشكل مفصَّل . وقد عملتُ على توقيته بشكل جيد حيث يتمّ بعد اسبوع من تقرير ملنر هولاند .

عُقد مؤتمر الردهة في الساعة الرابعة . وقد طلب مني هارولد ولسون ان اعقده في هذا الوقت لأنه هو ايضاً يريد ان يعقد مؤتمراً ، كما ان دوغلاس هيوم سيعقد مؤتمراً هو الآخر في نفس اليوم . لذا فقد كان لدي ٤٥ دقيقة لشرح « مشروع القانون » ، و « البيان الابيض » . واجهتُ مصاعب كبيرة بالنسبة للبيان الابيض ، لقد كتبتُ معظم النصف الاول منه بنفسي ، وعملتُ أنا والسيدة ايفلين بجهد لكي نجعل عرض مشروع القانون في النصف الاول يبدو مفهوماً وسياسياً على مستوىً عالٍ .

الاربعاء ٢٤ آذار :

اكملتُ التقديم المزدوج هذا الصباح في اجتماع اعضاء الحزب البرلمانيين ، عندما حضر خمسون او ستون عضواً ليستمعوا أليّ حول المادة (٢٢) بشكل خاص . لقد أوضحت في هذ اليوميات ان المادة الخاصة بالايجار العادل ، والانظمة الخاصة بموظفي الايجارات ولجان التخمين كانت غالباً وبشكل كامل من وضع بلشر ، وآرنولد غودمان وصديقه دنيس لويدْ . من النظرة الاولى يبدو ان ما فعلناه هو أمر غير اعتيادي . والذي قلناه هو اننا لن نحاول ان نحدِّد ايجاراً عادلاً بأية طريقة اعتيادية واننا لن نربطه سواء باعادة عادلة على أموال اصحاب الأراضي او بايجار قياسي او بأي شيء آخر . بدلاً من ذلك ، فاننا سنقول ببساطة اذا طلب سواء المالك او المستأجر ايجاراً عادلاً فان هذا الايجار يجب ان يثبَّت — بشرط واحد وهو انه بتثبيته فان موظف الايجارات يجب ان يحذف قيمة النقص . والا فاننا نترك الموضوع له ليقوم بالعمل ، مع وجود حق الاستئناف الى لجان تخمين الايجارات اذا كان حلُّه غير مرضٍ لأيّ من الطرفين . إن ما قاله آرنولد غودمان لي هو : لاتحاول ان تخترع صيغة ما . احصل على أُناسٍ جيدين ودعهم يقومون بالعمل بوضع سلسلة من الحوادث السابقة المماثلة في قراراتهم الاولى . كان واضحاً من مناقشة هذا الصباح ان فكرة الايجار العادل قد اعتبرت غامضة بشكل كبير وسوف أُواجه وقتاً عصيباً في اللجنة ، وسأُقاتل من أجلها ضد أنصاري في المقاعد الخلفية .

الجمعة ٢٦ آذار :

بحثنا في مجلس الوزراء صباح امس مشكلة مشروع قانون الاعضاء الخاصين الذي قدَّمه آري نيف[1] (Airey Neave) ، الذي يؤمن إنصافاً لجميع اولئك الذين استثنوا لاسباب متنوعة من تسلم راتب تقاعدي مساعد للمتقدمين في السن.إن مشروع القانون هذا الذي من المفترض ان يُثار اليوم ، سيضع أعضاءَنا الهامشيين في المقاعد الخلفية في مصاعب كبيرة لان الكثيرين منهم شعروا بأنهم لايستطيعون ان يصوتوا ضده . وتصادف الآن ان القراءة الثالثة للاعتماد المالي الموحد[2] ستتم مساء الخميس وتستمر عادة حتى الخامسة او السادسة صباحاً . كان لدى جورج ويغ فكرة جيدة وهي اننا ينبغي ان نتابع النقاش حتى الحادية عشرة من صباح الجمعة وبذلك نقضي على جميع اعمال الاعضاء الخاصّين في يوم الجمعة ونهزم آري نيف . اعتقد ان هذه هي فكرة صائبة . وبما ان ستة من المواضيع المدرجة للنقاش تخص وزارتي وان جيمس ماك كول المسكين سيجلس خلال الليل لمعالجتها ، فانني بعد الذهاب الى حفل

---

(١) عضو برلماني من حزب المحافظين عن دائرة أبنغتون الانتخابية منذ عام ١٩٥٣ . وهو عضو لجنة سلكت (Select) المختصة بالعلوم والتكنولوجيا منذ عام ١٩٦٧ ، واصبح رئيسا لهذه اللجنة منذ عام ١٩٧٠ .

(٢) الاعتماد المالي الموحّد هو حساب وزير المالية ، المحفوظ لدى مصرف انكلترا حيث يودع فيه جميع الدخل ، إن تصويت اعضاء مجلس العموم على تغذية الحساب هو اجراء شكلي محض ، وفي المناسبات عندما يناقش مشروع القانون ، عادة ثلاثة مرات في كل دورة برلمانية ، فان الاعضاء الخاصين يستطيعون بشكل تقليدي ان يناقشوا مواضيعهم المختارة مع الوزير المسؤول . ويقرر الأمر بالاقتراع السري .

العشاء الرسمي في دورتشستر الذي سيقام لرئيس الوزراء الاسرائيلي سأتسلل بزة السهرة حوالي الساعة العاشرة والنصف لأرى كيف تسير الأمور .

عندما دخلت كان موضوعاً واحداً قد تمّ بحثه فقط ـــ وهو الموضوع الخاص بمعدلات الضريبة في اكسفورد ـــ وبدأت مناقشة الموضوع الثاني الخاص بوزارتنا ، وهو يتعلق بالتخطيط والمباني المسجلة . جلست هناك استمع لمدة ثلاث ساعات ثم ألقيتُ إجابة مرتجلة لمدة سبعين دقيقة حول النقاش الذي تمّ قبل ان اذهب الى البيت واستلقي على الفراش استعداداً للسفر بالقطار الى الشمال في اليوم التالي . بعد ذلك ، استمر النقاش ، واستمر . كانت سورة الغضب البرلمانية تسيطر على صحف يوم الجمعة . لقد نجحنا في أننا سوّينا الخلاف حول مشروع قانون آري نيف . ان ما جرى بصورة خاطئة هو ان زعامتنا في مجلس العموم قد خذلتنا . كنت الوزير الوحيد الذي اشترك في عملية النقاش ، على الرغم من ان كالاهان قد حضر لمدة دقيقتين او ثلاث . لكن رئيس مجلس العموم ، وزعيم الكتلة النيابية ، اللذين حضرا حفل العشاء في دورتشستر ، قد ذهبا الى منزلهما للنوم وحضرا الساعة الثامنة او التاسعة من صباح اليوم التالي ، تاركين أعضاء الحزب البرلمانيين في المقاعد الخلفية يناضلون لوحدهم خلال الليل . وفي هذا الصباح كان يوجد جورج ويغ فقط ليجيب على الأسئلة من جانبنا . لقد تمتع جورج بتنظيم كامل العرض ، لكن لا تضع « المتآمر السري » ليتكلم من المقعد الأمامي . لذا حصلنا على صحافة سيئة حول ما كان من مناورة صحيحة ومنطقية .

الثلاثاء ٣٠ آذار :

كان لدينا اجتماع قصير في الساعة العاشرة ، دعا إليه رئيس الوزراء ، لاستعراض الحدود الانتخابية قبل حضور اجتماع مجلس الوزراء في العاشرة والنصف . كان الحاضرون هم فقط : المدعي العام ، ورئيس مجلس العموم ، ووزير الداخلية ، وأنا . كان هارولد معنياً بشكل واضح ليؤكد بأنني ينبغي ان أقوم بعملي كسياسي بشأن قرارات الحدود المحلية ، حيث ان عدم إجراء تعديلات غير ملائم لنا . وكان معنياً بشكل مماثل ليؤكد على وزير الداخلية كي يقوم بعمله فيما يتعلق بحماية المقاطعات المعاد تنظيمها . ولكن فرانك سوسكايس المسكين كان يعاني من التهاب المفاصل . وهو يتقدم في السن . وحالما خرج رئيس الوزراء رفع يديه نحوي بنفور .

لدينا اليوم المناقشة التي تأخرت كثيراً حول السياسة الخارجية التي كانت تطالب بها بربارة كاسل . لم تَعُدْ اجتماعات مجلس الوزراء هامة جداً بالنسبة لي منذ ان شققت طريقي حول برنامج الإسكان وحصلت على تأييد رئيس الوزراء . يجب ان اقول بان هذا النقاش كان مضيعة للوقت . أُعدت لنا الأوراق الطويلة حول فيتنام ، وحول الشرق الأوسط ، وأوروبا . إن استنتاجي الوحيد هو ان مجلس وزراء يتألف من وزراء مشغولين بوزاراتهم لا يستطيع ان يؤثر كثيراً على إدارة السياسة الخارجية . توقفت اجراءات المناقشة في تمام الساعة ١١٫٤٥ لاتاحة الفرصة للذهاب الى

كنيسة وستمنستر لحضور الصلاة التذكارية على روح الفقيد هربرت موريسون[1] .

كان لدي بعد الظهر عمل رائع . ففي اجتماعات مجلس الوزراء في الأسابيع الماضية وافقنا على سياسية الدخولات . والآن لديّ مهمة تقديم هذه السياسة الى السلطات المحلية ، التي هي مسؤولة أمامي . كان جورج براون يريدني ان استخدم جميع نفوذي لاقناع السلطات المحلية كي ترفض زيادة ٢بنس لعمال التنظيفات الذين يتقاضون ادنى راتب على أساس انهم وقعوا عقوداً لمدة ثلاث سنوات ولا يستطيعون نقضها قبل انقضاء السنوات الثلاث . كان هذا شيئاً لا يُطاق : فقد ارتفعت تكاليف المعيشة وهم عمال يتقاضون ادنى راتب في البلاد . عندما تلقيت طلب جورج براون تحدثت اولاً الى بوب ملش ثم قلت للسيدة ايفلين : « انني لن اوافق على ذلك » . وكتبت رسالة عنيفة جداً الى الوزير الأول قلتُ فيها انني لا استطيع ، بوازع من ضميري ، ان امارس ضغطاً على السلطات المحلية في هذه المسألة . ولم أفعل . بعد الاجتماع وجدت نفسي موضع تهنئة على الرغم من ان رسالتي الى جورج براون كانت خاصة بشكل دقيق . لايوجد شيء خاص في هوايت هول ! كان كل شخص من السلطات المحلية يعرف انني وقفت مع العمال الذين يتقاضون ادنى راتب وقدروني لاجل ذلك .

---

(١) توفي في السادس من آذار .

الأربعاء ٣١ آذار :

كان هذا اليوم بارزاً في حياتي بشكل رئيسي بسبب الخبرة المروّعة التي حصلتُ عليها من استقبالي لوفد اتحاد مانشستر_الذي جاء ليحتج على سلوكي فيما يتعلق بمسألة وست هوتون[1] (Wist Houghton). لقد شجعْنا الاتحاد على مؤازرة هذا الحل الغير مرضي جداً الخاص بمكان وضع بعض الفائض من سكانهم . لكننا أعلنّا الآن قراري الخاص باستبعاد حوالي ثلاثمائة فدّان التي يريدونها من أمر الشراء الاجباري . شعرتْ مانشستر بأننا قد حطمنا المخطط وأدركت أننا قد عرَّضنا أنفسنا للذبح من قبل السير فيليب دنغل ، كاتب مدينة مانشستر المرعب .

كان الاجتماع تجربة كئيبة ، وبعده جمعتُ السيدة ايفلين وجون ديلافونز وقلت لهما يجب ان لا يتم اجتماع آخر مع وفد حيث جرى إيجازي بشكل سيّء وشعرت بأن الوفد يفوقني حيلة ودهاءً . بدا جون ديلافونز بائساً وبدت السيدة ايفلين بغيضة ، فقررت ان ارى وفد مانشستر مرة ثانية وان اصلح الامور في غياب الاثنين .

---

(١) في شباط ١٩٦٥ أكّد الوزير ، بتعديلات جوهرية ، أمر الشراء الاجباري في مانشستر للاراضي في وست هوتون . عندما وجدتْ مانشستر نفسها غير قادرة على قبول هذا الأمر ، عَرَض الوزير المساهمة في تكاليف استخدام خبراء لوضع خطة تقبلها جميع السلطات المعنية . كانت الاختلافات في الرأي بين مانشستر ووست هوتون أساسية بحيث لايمكن وضع اي مخطط يمكن القبول به ، وفي تشرين الاول عام ١٩٦٦ سحب الوزير مساعدته ، على مضض ، لأي مخطط تطويري لِـ مانشستر في وست هوتون .

على أية حال كان هناك حادثة تدعو للسرور بعد هذا الاجتماع الكئيب . فقبل عدة أسابيع كنت قد طلبتُ تصفية سلسلة اجتماعات المناقشات الخاصة بالمعاونين.افترضتُ انني سأتحدث مع جماعة مناقشة ولم أكن مستعداً استعداداً كافياً . على أية حال ، وجدتُ نفسي في كاكستون هول (Caxton Hall) في الساعة الواحدة مع ستمائة حامل تذكرة هناك ، وكذلك كان يوجد عدد كبير يصطف في رتل في الخارج . ثم وضعتُ لهم عدداً من الأفكار الخرقاء . وأنهيتُ كلامي بأنهم حسب تعابير التركيب والبنية عبارة عن سلطة تخلّد نفسها . وعندما حان وقت الاستجواب ادركت ان إثارتي لهم قد نجحت .

الخميس ١ نيسان :

ذهبت هذا الصباح لرؤية تومي بالوغ في مستشفى « لندن كلينك » . فقبل اسبوعين من اجتماعنا معاً أخبرني بأنه يشعر بوخزة موضعية في قلبه . وعلى أية حال ، عندما كنت أتسامر مع بام بيري أخبرني ان الطبيب أعطى تومي تقريراً صحياً يدعو للاطمئنان . ثم اتصلت هاتفياً بزوجته يوم السبت فسمعت منها بأنه أُصيب بذبحة صدرية وأُرسل الى الـ « كلينك » . على كل حال ، وجدته في حالة جيدة بعد ان زاره هارولد ــ على الرغم من حقيقة أنه يدفع ستين جنيهاً في الاسبوع .

كان هذا اليوم يتميز بأول أكبر أزمة لمجلس الوزراء . كانت بوادر

هذه الأزمة تتجمع منذ وقت طويل . كان لدينا مسبقاً مسألة إلغاء طائرة هـ .س . ٦٨١ (HS-681) ، وإغلاق مصنع آرمستروغ ــ وتورث في دائرتي الانتخابية . وكان واضحاً ان هذا يعني ان نلغي كذلك طائرة ت س ر ــ ٢ (TSR-2) . لذلك لم اندهش عندما انعقد مجلس الوزراء فجأة للموافقة على الإلغاء . أظهر النقاش ان هناك تحول معيّن بين الأشخاص المعنيين . أراد جيمس كالاهان ، شأنه شأن وزير المالية ، ان يلغي الطائرة كلياً لاسباب مالية بحتة . وقد وقف ضده كل من : (آ)ــ دنيس هيلي ، الذي أراد ان يلغي طائرة ت س ر ــ٢ ويستبدلها بالطائرة الامريكية ف ١١١ ــ آ وهذا يعني توفير معيّن في الأموال ولكنه يتطلب زيادة كبيرة في الإنفاق بالدولار ؛ (ب) ــ روي جنكنز ، الذي اراد ان يلغي الطائرة ت س ر ــ٢ ويستبدلها بطائرة بريطانية ــ هي نفس وجهة نظر جورج براون تقريباً ؛ (جـ) ــ جورج ويغ، الذي حمل وجهة نظر وهي انه ربما كان علينا ان نلغي كلا الطائرتين لكن يجب علينا ان لا نتخذ اي قرارٍ بشأنهما حتى ننتهي من إعادة التقييم الاستراتيجي الذي سوف يُظهر نوع الطائرة المطلوبة . لقد اوجز جورج (اقنعني ذلك كما اقنع الآخرين) ان هدفنا الرئيسي يجب ان يكون تجنب إلزام أنفسنا بالطائرة الامريكية ؛ ويمكن تحقيق ذلك بشكل افضل وذلك بتأجيل القرار الخاص بالطائرة ت س ر ــ٢ حتى نتمكن من إقرار ما اذا كنا نحتاج أية طائرة من هذا الطراز. كان واضحاً قبل منتصف النهار بوقت طويل أننا لن نسير بعيداً في ذلك الصباح . استمعنا الى خطاب مطول من دنيس هيلي ؛ وإلى خطابٍ مشوش من هارولد ويلسون بدا فيه كأنه ضد هيلي ،

لكنه لم يكن واضحاً فيما يريد . تكلم هيلي كثيراً حول العرض الرائع الذي حصل عليه بشأن طائرة ف ١١١ ــ آ .عندما مضت ساعات الصباح كان واضحاً جداً أنه أصبح رجل ماكنمارا ، وأن رؤساء الأركان يكرهون طائرة ت س ر ــ٢ وهم مصممون على طائرة ألـ ف ــ١١١ آ بدلاً منها . تشوشت الأمور بموقف كالاهان الذي يقول بأنه لا يريد طائرة جديدة إطلاقاً وبموقف جورج براون الذي يقول بأنه لا يشعر بالتأكيد أي الطائرتين كان أساسياً ، وانفضّ الاجتماع بسبب جنازة الاميرة الملكية[1] .

واستؤنف النقاش ، بعد انتهاء نقاش الشؤون الخارجية الذي جرى حول حرب فيتنام ، في الساعة العاشرة من تلك الليلة ودام الاجتماع لمدة ساعتين ونصف الساعة . في النهاية ، بعد مناقشة مشوّشة اخرى ، لخص هارولد ويلسون فحوى النقاش : هناك ثلاثة احتمالات[2] الاحتمال الأول ، هو إلغاء طائرة ت س ر ــ ٢ دون تبني العرض الامريكي . الاحتمال الثاني ، هو إلغاء الطائرة مع تبني العرض الامريكي . الاحتمال الثالث ، هو إبقاء مسألة الطائرة ت س ر ــ ٢ كما هي دون اتخاذ قرارٍ نهائي الى ان ننتهي من إعادة التقييم الاستراتيجي . كنا حوالي عشرة نؤيد الاحتمال الثالث وكان من بين هؤلاء العشرة فْرد بيرت ، وويلي روص ، وأنا . لكننا هُزمنا لأن تحالفاً غريباً كان قد تمّ بين اجتماعي الصباح والمساء . كان أساس التحالف هو تأكيد دنيس هيلي بأنه في حالة تبني عرض الطائرة

---

(١) كبرى بنات الملكة ــ المترجم .

(٢) وحسب اقوال رئيس الوزراء : « كانت هناك غالبية واضحة تؤيد إلغاء طائرة ت س ر ــ ٢ » .

ف ١١١ ـــ آ فإننا لانحتاج الى افتراض اية التزامات من أي نوع كان . هل كان هذا التأكيد حقيقياً ام لا ؟ انني لست ادري . وانني اشك في صحة ذلك . لكنه كان كافياً ليتمكن روي جنكنز ، وجورج براون ، وجيمس كالاهان ، كل حسب اسبابه الخاصة ، من تأييد الإلغاء لانه يعفينا من اي التزام امريكي . عرفتُ مصادفة من جورج ويغ ان هارولد كان يؤيد التأجيل ، لكنه لم يقدّم وجهة نظره بوضوح وسمح بهزيمتنا . واجه هارولد مشكلة كبيرة في هذه المناسبة ليتأكد ان كل عضو في مجلس الوزراء قد الزم نفسه برأي . وراح هارولد ، حول المائدة ، يحصي الأصوات بطريقة تدعو للسخرية ، وبشكل فردي مجبراً كل وزير للافصاح عن رأيه شخصياً وبدقة حول الاحتمالات الثلاثة . لماذا تصرَّف بهذه الطريقة ؟ هل انحاز الى دنيس هيلي لان بعد هذا القرار الخاص فان فكرة تبني العرض هي خارج السؤال ؟ انني لست ادري .

الاحد ٤ نيسان :

ماذا حدث داخل الوزارة خلال شهر آذار ؟ حسناً ، اعتقد بأنني اتخذت الترتيبات اللازمة لاعادة تنظيم القسم المختص « بتسجيل » المباني . على الاقل ، ضاعفت عدد الموظفين الكتبة وبذلك خفضت الوقت اللازم لاعداد القائمة من عشر سنوات الى ثلاث . بالنسبة لمصلحة الخرائط لم أُحدث تغييراً ، واقترحت الآن ان يوكل هذا العمل بكامله الى

فْرد ويلي في دائرة الاراضي والموارد الطبيعية ، او الى فْرد بيرت في دائرة الزراعة . وبعد ذلك ، كما ذكرت آنفاً ، هناك عمل المجموعة الاستشارية للتخطيط . في نهاية الاسبوع الماضي ألقيت خطاباً افتتاحياً في معهد تخطيط المدن حول العلاقة بين السياسة والتخطيط . ثم أقمت حفل عشاء لاعضاء المجموعة الاستشارية للأبحاث واخبرتهم باني سوف اقبل تقريرهم الخاص باجراءات التخطيط حالما تصلّح بعض الاشياء غير الملائمة ، وسوف نحوله الى قانون . هذا عمل أسهل بالنسبة لي كي أنفذه لأنني قادر على جعل ريتشارد ليولن ــ ديفيز مسؤولاً عن عمل الابحاث ، لذا فإن لديّ الآن المجموعة الاستشارية للأبحاث ، والمجموعة الاستشارية للتخطيط ، تعملان يداً بيد .

ماذا عن التأثير الذي نحدثه خارج الوزارة ؟ اعتقد ان كل شخص الآن يعرف ان وزارة الاسكان هي احدى الوزارات الديناميكية . لقد اصدرنا توجيهنا الاول الى السلطات المحلية حول خططهم الاسكانية ، وعملنا سلسلة من الوعود حول العمل الذي سنقوم به . لقد وعدتُ بأن أُصلح الشؤون المالية للحكومة المحلية . كما وعدتُ ان اقدم مخططاً للمعدلات المتفاوتة للمستقرضين ، ووعدت ان أُعيد تنظيم الاعانات المالية الخاصة بالاسكان . وهذا يشكل عدداً كبيراً من الوعود التي سنحققها إن حالفنا الحظ ؟ لكننا بدأنا على الأقل باظهار اننا نستطيع المحافظة على وعودنا : لقد نجحنا في مشروع قانون الايجارات الكبير من خلال « قراءته الثانية » وبدأنا الآن في مرحلة دراسته في اللجنة .

من الواضح ، بالنسبة لجمهور الناخبين ، ان الاسكان يؤثر اكثر

من أية مسألة اخرى فردية . وكان هارولد ولسون يقول مراراً : « نستطيع ان نكسب او نخسر الانتخابات القادمة بالاسكان .» وهذا هو سبب رغبته في جعلي وزيراً للاسكان ، وجعلي خارج دائرة مجلس الوزراء الداخلية حيث تناقش هناك الاشياء مثل الدفاع ، والميزانية ، والطائرة ت س ر ــ ٢ . يدور في خلدي الآن سؤال وهو ، بالاضافة الى عملي الوظيفي الحالي ، ما اذا كان لاينبغي ان اجعل طريقي اكثر قرباً من مركز الاشياء . لااعتقد بانني سافعل ذلك في الوقت الحاضر .

قضيت معظم ايام الاسبوع المنصرم في الاستعداد لمناقشة « القراءة الثانية » التي ستجري يوم الاثنين الخامس من نيسان ، وهو اليوم السابق لمناقشة ميزانية جيمس كالاهان . في هذه المرة لن استطيع القاء خطاب سياسي ، وعليّ ان أُلقي خطاباً دقيقاً ومحكماً ويعتمد بشكل أساسي على مشورة موظفي الوزارة . قضى روجرسون ، ووادل اربع ساعات يوم الاربعاء واربع ساعات مساء الخميس وهما يناضلان مع المسودات . لكنني في الحقيقة لم اكن راضياً ، فأحضرت جني الى برسكوت بعد ظهر الاحد . عملنا خلال يوم الاحد وأنهينا الخطاب الخاص « بالقراءة الثانية » بشكل جيد .

الاثنين ٥ نيسان :

كان بحث الميزانية في مجلس الوزراء عبارة عن اجراء شكلي . وفي

الحقيقة ، تبيّن ان الميزانية جيدة ولاداعي للقلق الذي حذرتنا منه الصحافة نتيجة الأزمة القائمة بين جورج براون وجيس كالاهان .

مع انني لم اكن مهتماً كثيراً ، فقد أدركت ان جميع جوانب الضريبة قد أُعدت من قبل نكي كالدور (Nicky Kaldor) ، وان نجاح تومي بالوغ الكبير كان في قرار الحدّ من الاستثمارات الاجنبية واعادة فرض القيود على الاستثمارات . طبعاً ، لقد لعب هارولد ولسون الدور الحاسم . لقد عقد اجتماعين مطولين في وزارة المالية وكانت هذه الميزانية من انجازه الحقيقي — مع ذلك كانت ايضاً نجاحاً شخصياً كبيراً لوزير المالية . إن كالاهان رجل ذو شعبية . فهو رائع في التليفزيون ، وكفوٌ في مجلس العموم ، وأصبح محبوباً لدى الخزانة . من جهة اخرى ، انغمس جورج براون في الملذات مؤخراً ، واصبح رجلاً آخر ، وكذلك فهو رجل غير كفوٌ في ادارة وزارة التخطيط . لذا ، ففي المعركة التي نشبت بين الخزانة ودائرة الشؤون الاقتصادية ، خرجت الخزانة منتصرة من حيث المكانة والمركز . انني افترض بأن هارولد كان قانعاً بمراقبة المعركة بينما كان يتأكد من ان الميزانية تعدّ حسب رغبته . وبعد اجتماع الميزانية حركتُ « القراءة الثانية » لمشروع القانون .

كنت قلقاً جداً خلال عطلة نهاية الأسبوع لانه كانت هناك شائعة مفادها أن بياناً سيصدر اليوم الساعة ٣٫٣٠ حول قرار الحكومة بشأن طائرة ت س ر — ٢ . اجتمعت بـ جورج ويغ يوم الاحد وهو اجتمع بـ هارولد (الذي عاد لتوه من عطلة نهاية اسبوع ناجحة مع

الجنرال ديغول في باريس)[1] . وقال رئيس الوزراء على الفور : « كلا ، يجب ان يناقش مشروع قانون الايجارات بعد ظهر الاثنين . ويجب ان يصدر البيان حول طائرة ت س ر — ٢ في مجرى نقاش الميزانية ، ولو ان ذلك غير ملائم . » لذا شققتُ طريقي وقدّمتُ شرحاً غير عاطفي لمشروع القانون مركزاً على المادة (٢٢) المثيرة للجدل[2] . لقد أذهل ذلك بدون شك المسكين جون بويد — كاربنتر وخفّض معنويات كنتين هوغ في خطابه النهائي . وكان كل ذلك في صالح مشروع القانون .

ملاحظة :

قُدّمت الميزانية في السادس من نيسان ، وأعلن وزير المالية بنفس خطابه الغاء طائرة ت س ر — ٢ . وكانت الثقة الاجنبية بالجنيه الإسترليني لاتزال قليلة مع ان أرقام الصادرات كانت تشير الى الارتفاع . كانت الميزانية مضغوطة ، وكان هناك زيادة في الرسوم على البيرة ، والمشروبات الروحية ، والتبغ ، ورخص قيادة السيارات ، بالاضافة الى زيادة الـ ٦ بنس في ضريبة الدخل التي نشرت في الخريف الماضي . كما ان أنظمة التعامل بالعملات الاجنبية قد أثرت على سفر الاجانب والاستثمارات

---

(١) قضى هارولد ولسون عطلة نهاية الاسبوع مع الرئيس الفرنسي ووزرائه في بحث الموقف الاقتصادي ، خاصة احتياطي الذهب الذي يملكه الفرنسيون ، وكذلك الشؤون الخارجية . وحذّر رئيسُ الوزراء الفرنسيين من ان الحكومة البريطانية على وشك ان تعلن اجراءات معينة لشراء اسلحة من الولايات المتحدة .

(٢) كانت نتيجة التصويت على القراءة الثانية ٣٠٦ ضد ٢٨٦ لصالح مشروع القانون .

الخاصة في الخارج . كان يخيم على الحي التجاري في لندن جو كئيب بسبب انتقادات وزير المالية حول أرباح الاعمال التجارية والتي لن تعتبر اكراميات مسموح بها للاعفاء من الضريبة ، كما وانتُقدت ضريبة ارباح رأس المال التي فرضها كالاهان واعتبرت بعيدة عن التطبيق العملي ، وذلك في عامي ١٩٦٥ — ١٩٦٦ بنسبة ٣٠٪ للأفراد و٦ر٥٥٪ بالنسبة للشركات . وبعد عامي ١٩٦٥ — ١٩٦٦ ، فان الشركات سوف تدفع ضريبة شركات موحدة بنسبة لم تُعلن بعد ولكنها لاتتجاوز ٤٠٪ . وهذا الاجراء سوف يضرب الارباح ، وسوف يخفض على الفور علاوات الاستثمار القائمة حاليا في مجال الصناعة . كذلك فان الاستثمارات فيما وراء البحار غير مشجعة . وقد انتُقد هذا الاجراء واعتُبر اسلوباً قصير النظر لتخفيض الضريبة المُربحة والمفيدة من ايرادات الاسهم المالية الاجنبية ، كما اعتُبر تثبيطاً للمستثمرين فيما وراء البحار من الاستثمار المتبادل في هذه البلاد .

الثلاثاء ٦ نيسان :

كان الصباح سهلاً ، ومن ثمّ تناولتُ طعام الغداء مع اللورد هولفورد[1] (Holford) ، وجيمس ماك كول وذلك لمتابعة النقاش حول

(١) اللورد هولفورد هو مهندس معماري ومستشار في تخطيط المدن ، وهو استاذ لمادة تخطيط المدن في جامعة لندن من ١٩٤٨ — ١٩٧٠ . وهو ايضا عضو مجلس المباني التاريخية في انكلترا منذ عام ١٩٥٣ .

« المباني المسجلة » . بعد ذلك قصصت شعري بينما كان جيمس كالاهان يلقي كلمته ــ وعدتُ حوالي الساعة الخامسة والنصف لأرى كيف كانت تسير الأمور معه . ثم رجعت الى الوزارة لاقابل بيتر ليدرر ، وبعد ذلك ذهبت الى حفل . لقد قضيتُ يوماً عادياً ساراً بينما كان موضوع الميزانية على كل لسان في جميع انحاء البلاد .

الاربعاء ٧ نيسان :

كان علي أن ألقي كلمتين هامّتين في الصباح في مركز الاسكان ، حول شركات الاسكان ، وتبع ذلك حفل غداء رسمي ، والكلمة الثانية في الساعة السادسة في « معهد تخطيط المدن » . وكانت الكلمتان على مايرام . وكانت الكلمة التي ألقيتها حول تخطيط المدن بمثابة خطاب افتتاحي تبعه حفل عشاء رسمي .

الجمعة ٩ نيسان :

كانت الفقرة الاولى على جدول الاعمال يوم الخميس مثيرة للاهتمام . فقد استلمنا مذكرة حول مسألة ما اذا كان علينا ان نعيد تسليح الهنود ام لا وبالتحديد ما اذا كان علينا ان نزودهم بالغواصات . ولأول مرة استلمت زمام النقاش العام . فقلت بأنني لا أرى أي مبرّرٍ لاعطاء الهنود غواصة اذا كان علينا ان نعطي غواصة للباكستانيين ايضاً ،

رغم انني لم اعترض على بيعهم ثلاثين طائرة من طراز « هنتر » بسعر زهيد . وعلى اي حال هل يجب علينا حقيقة ان نلزم انفسنا بسياسة تتعلق بشرق السويس قبل اجراء التقييم الاستراتيجي ؟ وأيّدني في ذلك عدد من الاعضاء الآخرين واستطعنا ان نؤجل القرار الخاص بالغواصات في غياب هارولد (كان مصاباً بالانفلونزا) .

بعد الظهر استقبلتُ وفداً من النساء اللواتي يمثلن شارع مارشال في مدينة سمثويك وقد شكل هذا الموضوع معضلة بالنسبة لي لفترة من الوقت . فقد كان مجلس المدينة يريد التصديق على قرض لشراء منازل في شارع مارشال منعاً لمجيء السكان الملونين الى هذا الشارع . هذا في الوقت الذي تقدمنا فيه بمشروع قانون لتنظيم العلاقات العنصرية والذي يتضمن بنوداً خاصة ضد التفرقة العنصرية[1] . لذا فن الواضح انه لايمكن التصديق على القرض . مع ذلك ، فقد طلب مني بيتر غريفثز برسالة ، وهو الشخص الذي هزم غوردون ووكر ، ما اذا كنت أرغب في الذهاب لرؤية السيدات الخمس صاحبات الشكوى ، اللواتي يمثلن شارع مارشال ، بنفسي . ولم اكن افكر بالموافقة على ذلك ، ولكنني اعتبرت انه من الأفضل كبديل أن أخبره أن يأتي بهن لمقابلتي في الوزارة . فأحضرهن في الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر يوم الخميس . وتصرّفن كالمصابات بالهستريا وصرخن في وجهي كثيراً .

(١) تليت القراءة الثانية لمشروع القانون هذا في الثاني من أيار ١٩٦٥ ، ومُنح التصديق الملكي في الثامن من تشرين الثاني ١٩٦٥ . وكانت مواده لا تفي بالغرض ، فصدر ملحق له يتضمن الاجراءات التكميلية المتعلقة بالتمييز العنصري في مجالي الاسكان والتوظيف وذلك في عام ١٩٦٨ .

وبينما كنت أقابلهن ، لاح لي انني سمعت حديثاً هامساً من قبل بوب ملش ، الذي كان يجلس الى جواري ، لكنني لم اهتم بالأمر كثيراً الى ان ركبت القطار في صباح اليوم التالي لأذهب الى بلاك كنتري (Black Country) مع سكرتيري الخاص الجديد جون ديلافونز فقد ظهرت عناوين رئيسية على الصفحات الاولى لجميع الصحف تقول بأن بوب ملش قد أهان نساء سمثويك . وفي الوقت الذي وصلت فيه الى مدينة « هاليس اوين » (Halesowen) حيث اقوم بزيارة رسمية ، كان الجميع يلاحقونني من اجل اجراء مقابلة . واضطررت ان اقاتل من اجل بوب في مؤتمر صحفي طويل وأن اقوم بمقابلة تلفزيونية طويلة قبل ان استقل السيارة الى ديتشلي بارك[1] (Ditchley Park) لحضور مؤتمر كبير حول الاسكان .

الثلاثاء ١٣ نيسان :

كان لدي الاجتماع الاول للجنة الدائمة حول مشروع قانون الايجارات صباح هذا اليوم من الساعة الحادية عشرة والنصف حتى الواحدة . وبناء على نصيحة جورج ويغ حاولت ترتيب الامور مع الزعماء البرلمانيين للحصول على لجنة كبيرة تضم خمسين عضواً وذلك لاعطاء الفرصة لاعضائنا البرلمانيين الجالسين في المقاعد الخلفية ، وأسندتُ لـ « تام » مهمة تجميع المتطوعين الست والعشرين من حزب العمال .

(١) ديتشلي بارك هو منزل كبير وجميل يقع في ضواحي اكسفورد يستخدم للمؤتمرات والمناقشات الدولية .

وعندما عدت يوم الاثنين من كوفنتري حيث كنت اقوم بحملة لتحسين المنح ، دهشت عندما اكتشفت بان العدد الكلي للجنة اصبح خمساً وثلاثين فقط . وزادت دهشتي عندما علمت بان اللورد رئيس المجلس ، وزعيم الكتلة النيابية ، دون ان يقولا اي شيء لي ، اقترحا ان تتكون اللجنة من خمس وعشرين عضواً ، عملاً بنصيحة فريدي وارن[1] (Freddy Warren) ــ وقد رفع العدد الى خمس وثلاثين بناءً على طلب المعارضة .

ويشير كل هذا الى الخطأ في قيادتنا البرلمانية . فكان باودن (Bowden) وشورت (Short) يُوجَّهان من قبل فريدي وارن كما كان وليام وايتلي[2] (William Whiteley) موجَّهاً من قبل سلفه تشارلز هاريس[3] (Charles Harris) . فقد قال لهما وارن ببساطة بأن عدد الاعضاء المناسب لهذه اللجنة هو خمس وعشرون ، فلم يراجعا حساباتهما ، كما فعل جورج ويغ وأنا ، فلو كان هناك خمسون عضواً لأربكنا المحافظين الذين كانوا سيواجهون صعوبة في تجميع لجنة من خمسين عضواً ، ولربما كنا حصلنا على اكثرية افضل مما سنحصل عليه بلجنة اصغر . اما بالنسبة لاجتماع اللجنة الاول فقد كان عبارة عن « قراءة ثانية » روتينية ، وكان من الواضح بأن المحافظين لم يكونوا راغبين في المعارضة .

---

(١) كان فريدي وارن يعمل سكرتيرا خاصا لزعيم الكتلة النيابية . إن البقاء في الوظيفة مدة طويلة يوفر معرفة جيدة « للاقنية المعتادة » التي يجري من خلالها العمل البرلماني .

(٢) عضو برلماني عن دائرة دورهام (Durham) من ١٩٢٢ ــ ١٩٣١ ، ومن ١٩٣٥ ــ ١٩٥٦ ، وكان زعيم الكتلة النيابية لحزب العمال من ١٩٤٢ ــ ١٩٥١ .

(٣) كان السير تشارلز هاريس سكرتيرا خاصا لزعماء الكتل النيابية المتعاقبين من ١٩١٩ ــ ١٩٦١ .

الاربعاء ١٤ نيسان :

لديّ اليوم اجتماع مع بويد ــ كاربنتر (Boyd - Carpenter) لبحث مستقبل اللجنة الدائمة ، واقترحت عليه عقد ثلاثة اجتماعات في الاسبوع حتى « أحد العنصرة » من اجل إنهاء مشروع القانون . وكان اقتراحه المعاكس اجتماعين في الاسبوع ، وهذا كما قال سيكون مناسباً له لأنه رئيس « لجنة الحسابات العام » ، واذا اجتمعنا يوم ثلاثاء فينبغي ان يكون ذلك بعد الظهر . واوضحت له بأنني اعتقد بأن علينا ان نبدأ بثلاثة ، ولكن يجب ان اعترف انه بعد الاجتماع الاول لا استطيع ان اشكو في الحقيقة من اية قرصنة . واخيراً حصلت على وعدٍ شبه نهائي من بويد ــ كاربنتر بأنه سيعطيني البند الأول المعقد جداً من مشروع القانون ، بالاضافة الى الجدول الاول في نهاية الاسبوع الاول الذي يلي العطلة . فاذا نفذ وعده فاننا لانستطيع ان نتقدم بسرعة اكبر فيما لو اتبعنا اسلوب تحديد اوقات للتصويت على اجزاء من مشروع القانون منعاً لاعاقته . على اية حال ، فانني اتوقع اننا عندما نصل الى الجوهر ينبغي ان نلجأ الى اسلوب تحديد القانون المالي وكل مشاريع القوانين الاخرى ، حالما نعود من عطلة عيد الفصح .

وبعد الظهر مشيت عبر الممر مع السيدة ايفلين شارب الى غرفة وزير المالية لبحث موضوع القروض الوطنية بحضور الموظفين الرسميين . تقدمنا نحن بمذكرة وكذلك تقدم هو بمذكرة وقال منذ البداية بانه راغب في

دراسة مذكرتنا اولاً وانه سيأخذ مقترحاتنا بعين الاعتبار من اجل تنفيذ التعهد الانتخابي بأرخص مايمكن . لكنه اضاف بأنه يريد ايضاً ان يرى مذكرة تُقدَّم من قبلنا حول الحجم الكلي لمشكلة الاسكان . فقلت إنه ليس لدينا اي اعتراض على ذلك ــ ولاحظت بأنه يتكلم بنبرة سلطةٍ جديدة نتيجةً لنجاح ميزانيته . واخيراً قال لي : « قبل ان تناقش هذا في لجنة التطوير الاقتصادي برئاسة جورج براون يجب ان تصل الى تفاهم خاص معي حول اجمالي المصروفات العامة التي ستخصصها للاسكان خلال السنوات الأربعة القادمة . » بعد الموافقة على رأيه ، عُدنا الى مذكرتنا .وتبادلنا الحديث بشكل منطقي .

السبت ١٧ نيسان :

اخذنا العائلة الى لندن في بداية الاسبوع ، وقضى باتريك وفرجينيا أيام الاثنين ، والثلاثاء ، والاربعاء في المدينة ثم ركبا السيارة معي بعد ظهر يوم الخميس في عطلة عيد الفصح المريحة بطقسها المتغير : من هبوب الريح والعواصف الى شروق الشمس الرائعة . وقد كانت عطلة العيد في لندن تتميز بهذا الطقس المعتاد . وقاما بزيارة حديقة الحيوان ، والمتاحف ، واصطحبتهما صباح يوم الخميس الى متحف التاريخ الطبيعي حيث شاهدنا المستحاثات وحيوانات ما قبل التاريخ قبل ان نتناول طعام الغداء الرائع في مجلس العموم بمناسبة عيد ميلاد آن . وبما ان هذا الخميس هو خميس الجسد فقد كان المكان شبه خالٍ ، والناس الوحيدون في المطعم ،

كانوا مثلنا ، مع اطفالهم . وكان ذلك متعة لنا وطلبنا لانفسنا قالباً كبيراً من الحلوى. ومن هناك ذهبنا بالسيارة الى هامبستد (Hampstead) لرؤية تومي بالوغ ، الذي بدأت صحته في التحسّن الآن ، ومن ثمّ جئنا مباشرة الى برسكوت ، اذ وصلنا الى هنا دون متاعب تذكر او اي ازدحام للسيارات ، حيث انطلقنا من هامبستد في الساعة الرابعة ووصلنا منزلنا في الساعة السادسة . وقضينا الجمعة الحزينة بهدوء . وذهبنا اليوم لزيارة شقيقتي الكبرى بريدجت باردسلي (Bridget Bardsley) ، في أوديل (Odell) بالقرب من مدينة بدفورد (Bedford) حيث التأم شمل العائلة . وكان لدى شقيقتي بريدجت ولداها سيو (Sue) ونيكولاس (Nicholas) وشقيقتي الاخرى ماري ، وتشارلز وودهاوس وابنتهما آن ،

بالاضافة الى ولدينا اللذين كانا أصغر الموجودين من الاطفال . كان طعام الغداء ممتعاً . وكان تشارلز وودهاوس ، الذي يعلّم في مدرسة دراغون في اكسفورد ، حريصاً على معرفة ما اذا كان باتريك ينوي الذهاب الى هناك في الربيع القادم . لكنني لم اكن قادراً على تقرير ذلك .

وبعد صعود مثير الى برج الكنيسة ، عدنا بالسيارة في جوّ عاصف لنقيم حفل عشاء لرئيس الحزب في دائرتي الانتخابية وزوجته ـــ السيد والسيدة دافيد يونغ ، وهما مدرّسان . وهو الآن ليس رئيساً لحزبي فحسب بل انه مرشح محتمل للبرلمان . وعلمنا منهما ان هناك فضيحة كبيرة في كوفنتري لان وكيلتي في الانتخابات ، وني لاكن (Winnie

Lakin) ، قد طردت من الحزب بزعم انها قد تلاعبت بالاصوات في بعض الانتخابات في مؤتمر الحزب الاقليمي منذ اسبوعين[1] . وفي الحقيقة ، ان هذا كله كان جزءاً من صراع بين حزب المدينة ، الذي يقوده روي هيوز (Roy Hughes)،وبين دائرتنا الانتخابية في شرق كوفنتري . لذا فان كوفنتري كانت في حالة سيئة جداً قبل بضعة اسابيع من الانتخابات البلدية . ولحسن الحظ لم يكن هذا صحيحاً بالنسبة للبلاد ككل . في الحقيقة ، ينبغي ان اقول الآن بأننا خلال عطلة عيد الفصح هذه قد استطعنا التوصل الى مركز اقوى بكثير مما توصلنا اليه سابقاً ، فيما عدا فترة الاسبوعين الاولين لهذه الحكومة . فقد حقق هارولد ولسون نجاحاً كبيراً خلال رحلته الى نيويورك وواشنطن[2] ـــ تماماً كالنجاح الكبير الذي احرزه من زيارته للجنرال ديغول منذ ثلاثة اسابيع . وتوجت موقفه ميزانية جيمس كالاهان وكأنها وضعته على قمة العالم . وكذلك كان الحال بالنسبة لسياسة الدخل لجورج براون (لقد عين الآن كلاً من اوبري جونز[3] (Aubrey Jones) وهيلاري ماركاند[4] (Hilary

---

(١) ثبت فيما بعد ان هذا الادّعاء كان كاذباً .

(٢) طار هارولد ولسون في ١٤ نيسان الى نيويورك وواشنطن لاجراء محادثات مع السيد فولر (Fowler) ، وزير المالية الجديد ، ولاجراء محادثات مع الرئيس جونسون حول الموقف في فيتنام . كذلك قابل فيلي براندت ، الذي كان في ذلك الوقت رئيسا لبلدية برلين ، والذي كان وقتئذ في الولايات المتحدة ايضا .

(٣) عضو برلماني من المحافظين عن بيرمنغهام (هول غرين) من ١٩٥٠ ـــ ١٩٦٥ . وكان وزيراً للوقود والطاقة من ١٩٥٥ ـــ ١٩٥٧ ، ووزيراً للتموين من ١٩٥٧ ـــ ١٩٥٩ ـــ ، وكان رئيساً للمجلس القومي للأسعار والدخل من ١٩٦٥ ـــ ١٩٧٠ .

Marquand) كمسؤولين عن مجلس الاسعار والدخل) .

الاحد ١٨ نيسان :

جاء دافيد بتلر[٥] (David Butler) لزيارتي اليوم . وكانت هذه احدى زياراته الروتينية . وأشك بأنه كتب في يومياته : « زُرْ كروسمان كل اربعة شهور » . وكالمعتاد كان يطرح علي أسئلته ويسجل أجوبته عليها في دفتره الصغير . وعلى اية حال ، فقد ذكرتني زيارته بانه قد حان الوقت لكي افكر بالستة أشهر الاولى لحكومة العمال .

وبشكل عام ، فان التحليل الذي كتبته في : «مقدمة الى والتر باجيهوت » قد تأكد . فمن المؤكد بأن مجلس الوزراء هو الآن جزء من العنصر «المحترم» في الدستور ، بمعنى ان القرارات الحقيقية قلّما تتخذ هناك ، الا اذا اختار رئيس الوزراء بملء ارادته ان يظهر بأن المجلس قد اتخذ القرار بشأن مسألة ما . وانني ايضاً على حق بأن اعترف بأهمية لجان

---

(٤) عضو برلماني من حزب العمال عن شرق كارديف من ١٩٤٥ ــ ١٩٥٠ ، وعن ميدلزبورو من ١٩٥٠ ــ ١٩٦١ . وكان عمله خلال ايام الحرب كمستشار في وزارتي العمل والانتاج وعمله كمدير للمعهد الدولي للدراسات العمالية في جنيف (١٩٦١ ــ ١٩٦٥) قد جعله رجلاً ملائماً كنائب للرئيس . مات في عام ١٩٧٢ .

(٥) عضو كلية نفيلد في جامعة اكسفورد . وهو عالم في علم الانتخابات ، ومؤلف لكتاب : « التغيير السياسي في بريطانيا » ، ودراسات في الانتخابات العامة البريطانية .

مجلس الوزراء . فأنا عضو دائم في لجنتين : الشؤون الداخلية ، ولجنة التطوير الاقتصادي . بالاضافة الى ذلك ، فانني احضر في لجنة الهجرة ولجنة الاذاعة وكذلك في لجنة التشريع . ولكنني لست عضواً في لجنة الخدمات الاجتماعية[1] . ولم اكنْ طبعاً عضواً في اي من اللجنتين الهامتّين فعلاً وهما لجنتا الدفاع والشؤون الخارجية . انني مبعد عنهما تماماً . فأنا وزير في الجبهة الداخلية .

إن الشيء الهام فعلاً والذي فشلت في ملاحظته عندما كتبت تلك «المقدمة» هو وجود شبكة كاملة من اللجان الرسمية التي يحضرها الموظفون بالاضافة الى لجان مجلس الوزراء التي يحضرها الوزراء فقط عادة . وهكذا فان عمل الوزراء يقابله وبشكل موازٍ كامل ودقيق عمل على المستوى الرسمي . وهذا يعني انه غالباً ما يتم اعداد المسألة بشكل مسبق في اللجنة الرسمية الى نقطة يصبح بعدها من الصعب جداً التوصل الى اية نتيجة غير تلك المقررة مسبقاً من قبل الموظفين الرسمّيين في تلك اللجنة ؛ واذا تم الاتفاق على مستوى أدنى من اللجنة الوزارية ، فليست هناك حاجة إلا الى موافقة رسمية فقط من مجلس الوزراء بكامل اعضائه . وهذه هي الطريقة التي يؤكد فيها «هوايت هول» على ان جهاز مجلس الوزراء غير ضارّ نسبياً .

وكان هناك مفاجأة كبيرة اخرى وهي اكتشاف ان محاضر جلسات مجلس الوزراء لم تكن صحيحة ، او بعبارة أدقّ لم تكن صورة طبق الأصل لما يحدث في مجلس الوزراء فعلياً ونفس الشيء ينطبق على

---

(١) اصبحت عضواً فيها بعد فترة قصيرة .

محاضر جلسات لجان مجلس الوزراء . إن ما يسجلونه عادة ليس ما قيل فعلياً ولكنه ملخص للايجاز الرسمي الذي يحضره الوزير معه ، وكذلك المذكرات الرسمية حول السياسة الأصلية، والنتائج الرسمية . إن المحاضر لاتصف أبداً الصراع الحقيقي الذي يحدث . ويستعاض عن وصف الصراع بالصيغة التالية : «وخلال النقاش طرحت النقاط التالية ...» . وفي هذا الملخص قلما يذكر اسم الوزير الذي طرح الموضوع للنقاش .

إن هذا النوع من الترابط بين محاضر جلسات مجلس الوزراء (التي تؤمن التوجيهات الرئيسية لـ هوايت هول) وبين اللجان الرسمية يقوي بشكل كبير موقف موظفي الدولة الرسميين ضد السياسيين . وهذه أمثلة ثلاث على نظام عمل هذا الجهاز :

١ – كنا مشغولين في وزارتي لفترة من الوقت في محاولة للتوصل الى افضل طريقة للسيطرة على الحجم الكلي للإسكان ، بما في ذلك مشاريع الأسكان الخاصة ، إما عن طريق ممثلي الخزانة أو بواسطة الرقابة الشخصية . وقد تم كل هذا العمل بعد المناقشات التي جرت في لجنة التطوير الاقتصادي وفي مجلس الوزراء ، وقد نقلت المسؤولية الى اللجنة الرسمية . وفي الحقيقة بدأ هذا عندما دَعَّم هارولد ولسون في مجلس الوزراء برنامجي المتزايد للاسكان ، ولكنه ربح الأمر لصالح رأيه عندما قال بأنه يتوجب علينا أن ننظر الى السيطرة على الحجم الكلي بواسطة الرقابة الشخصية . وفي اللحظة التي قال فيها ذلك بدأ جهاز هوايت هول بكامله العمل ، وبدأت لجنة رسمية باعداد ورقة عمل حول السيطرة بواسطة الرقابة الشخصية . ثم قُدمت ورقة العمل تلك فيما بعد الى لجنة التطوير

الاقتصادي كمذكرة رسمية . وكانت مذكرة غريبة جداً ، لانه على الرغم من أنها وُضعت نظرياً لصالح السيطرة بواسطة الرقابة الشخصية إلا أنها لم تظهر ذلك أبداً . واستطاع تشارلي بانل ان يوجه اليها ضربة شديدة بملاحظة بسيطة وهي انه لايمكننا الحصول على السيطرة بواسطة الرقابة الشخصية لمدة ثمانية عشر شهراً لأن ذلك يتطلب تشريعاً . لذا كانت فكرة الاعتماد كلياً على الرقابة الشخصية قبل الانتخابات مجرّد حلم . والدرس المستخلص من هذه القضية هو ، أولاً : إن اي شيء يقوله رئيس الوزراء يدخل الى هوايت هول ، بمعنى أنه اذا صرح بأنه يؤيد امراً ما فستبذل هوايت هول ما بوسعها لتجعل العرض يبدو معقولاً . وثانياً : إننا مهما قلنا كوزراء ، او حتى كرئيس للوزراء ، فالعمل الفعلي سيقوم به الموظفون الرسميون .

٢ – يتعلق هذا المثال بمالية الحكومة المحلية ، واعتقد بانني قد ذكرت سابقاً ، بأسف شديد ، بأن عليّ ان أُعين السير بروس فريزر في الخريف بدلاً من السيدة ايفلين ، وكأسلوب لتهدئتي قيل لي بأنه سيمضي الأشهر المتبقية في وزارة المالية للقيام بالعمل التمهيدي الخاص باصلاح الضريبة المحلية ، اي المعدلات . ودعوته للعشاء مع ماك كول في اليوم السابق ، وتمتعنا بسهرة أطلعني خلالها على رأيه ، الذي يبين انه سلبي تماماً . فهو يرى انه ليست هناك اية فرصة لفرض ضرائب محلية اضافية كما كان يرفض أية امكانية لزيادة ضريبة الدخل ايضاً . وقال : « سأقوم بوضع مذكرة » ، فأجبته : « حسناً ، ولكن بحق السماء ، أرني اياها اولاً » . ولكنني سرعان ما اكتشفت بأن المذكرة كانت قد أُعدت في

وزارة المالية منذ إسابيع خلت ، وان وزير المالية قد اطلع عليها وكذلك رئيس الوزراء على ما اعتقد ، ولكنني لم اطلع عليها أنا الوزير الذي له اكبر علاقة بالموضوع . وهكذا فان المذكرة توزع الآن في هوايت هول ، وما لم اكن قوي التفكير فسيتم الحكم مسبقاً على موضوع مالية الحكومة المحلية الى مرحلة سأجد من المستحيل بعدها ان ابدي أية مقاومة .

٣- ومثال آخر واضح عن كيفية عمل اللجان الرسمية يبرز في شيء كنت أراقبه خلال الشهرين الفائتين وهو تطور مشروع قانون لجنة الأراضي. وبالطبع كانت هذه خطوة فيها صعوبة كبيرة حيث كان فرد ويلي المسكين يمضي معظم وقته فيها، وكلما وجدنا عدم اتفاق في لجنة مجلس الوزراء، كانت المسألة تحال الى اللجنة الرسمية. وبمرور الوقت كانوا يجدون حلاً يقع في مذكرة من ستّ أو سبع صفحات والتي نناقشها نحن فيما بعد كوزراء. وطبيعي أنه من الصعب تغيير حلّ وضعه الموظفون الرسميون.

إن أحد الآثار العجيبة لهذه اللجان الرسمية هو اعطاء نفوذ اكبر لوزارة المالية، لماذا؟ لأن الموظف الذي يتولى رئاسة هذه اللجان إما ان يكون السكرتير الدائم نفسه أو مساعد السكرتير المسؤول. وعندما يجتمعون، على الرغم من انهم يتجادلون فيما بينهم، فإنهم يحاولون قدر استطاعتهم تسوية خلافاتهم ومن ثم يصدرون رأياً منسقاً يعبّر عن وجهة نظر هوايت هول. وغالباً ماتكون وجهة نظر هوايت هول المنسقة رأياً يسيطر عليه تفكير وزارة المالية.

ونتيجة كل هذا هو انه توجد طريقتان يؤثر من خلالهما موظفو الحكومة على الوزارة، ويأتي الضغط الأول من داخل الوزارة حيث يحاول

الموظفون ان يجعلوا المرء يرى الأشياء بطريقة ادارية، ويميل الوزراء للحصول على موجز اداري فقط. والضغط الثاني يأتي من التداخل بين الوزارات وهو يظهر عندما تحاول اللجنة الرسمية ان تؤثر برأيها الموحَّد، المعبّر لوجهة نظر مختلف الوزارات، على الوزراء المختصين في مذكرة رسمية واحدة، وقلّما ترى وزيراً يستطيع التغلب على مذكرة رسمية تعبّر عن وجه نظر عدة وزارات دون دعم من رئيس الوزراء، او الوزير الأول، او زير المالية، وهنا تظهر الأهمية الكبرى لعلاقة المرء برئيس الوزراء. فاذا لم يكن المرء يتمتع بدعمه او على الأقل بدعم وزير المالية او الوزير الأول، فليست هناك أية فرصة للتغلب على الرأي الرسمي.

ولكن رغم هذه التقييد الكبير لسلطة الوزراء في اتخاذ القرارات، فإن مركزهم يبقى كبيراً اذا ماقورن بمركز الوزراء بدون حقائب وزارية، فقليلو الحظ طوني ودجوود بنْ، مدير عام البريد، وكنيث روبنصون، وزير الصحة، وبيغي هربسون، وزيرة المعاشات، كانوا يمرون بأوقات عصيبة أكثر منا. وأنا متأكد من أنهم يجدون صعوبة كبيرة في فرض آرائهم على موظفيهم. لأنه على الرغم من ان مناقشات لجان مجلس الوزراء والمجلس نفسه غالباً ماتكون غير حقيقية وتعكس فقط وجهات نظر الادارات، مع ذلك فإننا كوزراء في المجلس نملك مركزاً داخل هوايت هول، وفي البرلمان، وفي الوطن بشكل عام، فللوزير أهميته، كما ان باستطاعة الوزير الرئيسي ان يفرض نفسه بسهولة أكثر من وزير بدون حقيبة وزارية، في وزارته وفي مجلس الوزراء طبعاً[1].

(١) ناقش كروسمان هذه الافكار في محاضراته التي القاها في جامعة هارفارد عام ١٩٧٠ . ونشرت « كوجهات نظر شخصية » عام ١٩٧٢ .

بعد أن نظرنا الى التقييدات على سلطة مجلس الوزراء، سأحاول التأمل في عمله، وبالطبع فهو ليس عبارة عن جهاز صانع للسياسة متناسق وفعّال، إنه عبارة عن مجموعة من وزراء الادارات الذين ينقسمون عملياً الى مجموعات، ويحافظ هارولد ويلسون على علاقات ثنائية مع جميع الأطراف. والمجموعة ذات الأهمية الكبيرة هي مجموعة الدفاع والسياسة الخارجية، هذه المجموعة التي أبعدت عنها أنا وحوالي نصف الوزراء الآخرين. وتأتي في المرتبة الثانية مجموعة التخطيط الاقتصادي، التي تتألف من رئيس الوزراء، وبراون، وكالاهان، وأي شخص آخر يرغبون في دعوته — ومراراً دوغلاس غي، وفي المناسبات أنا وفرانك كزنز. ثم يأتي بعد ذلك بعض الأقسام ذات العلاقة بالسياسة الداخلية، مثل قسم الإسكان الذي أديره أنا كمسؤول رئيسي ويعمل تحت إمرتي وزيران آخران هما تشارلي بانل في وزارة العمل، وويلي في وزارة الأراضي والموارد الطبيعية. ويختلف عنا تماماً قسم دوغلاس هوتون للأمن الاجتماعي، وكذلك بالطبع قسم الزراعة الذي يديره فرد بيرت. وأعطيت جميع الأقسام حرية العمل بشرط ان تعمل بهدوء. وكمثال دعا رئيس الوزراء الى اجتماع واحد فقط للجنة الوزارية في «المبنى رقم ١٠» للنظر في شؤون الاسكان منذ توليه منصب رئيس الوزراء.

وفيما يتعلق بجدول أعمال مجلس الوزراء، فإن هارولد ويلسون يسير على قاعدة أنه يجب ان نناقش في المجلس فقط الأمور التي لايمكننا حلّها في لجنة وزارية أو التي يرى رئيس الوزراء أنها هامة لدرجة يجب معها أن

تتخذ قراراتنا الشخصية حولها. وفي الحقيقة لايتخذ أي قرار في المجلس إلا اذا كان رئيس مجلس الوزراء يرغب بشكل خاص في مناقشته هناك.

يبدو لي وكأن رئيس الوزراء يحب كثيراً حلّ الامور بشكل خاص مع الوزراء بالمناقشات الثنائية اذا استطاع ذلك. ومن جهة ثانية، فهو تقليدي في رغبته ان يجعل جهاز الوزارة يعمل بطريقة تقليدية. وهو تقليدي بنفس الدرجة فيما يتعلق بالتشريع. فنحن نحضّر مشاريع القوانين في اداراتنا، ثم نقدمها الى لجان وزارية خاصة، اذا كانت مشاريع قوانين رئيسية، والى ما يوازيها من لجان الموظفين الخاصة، ثم يصدر «بيان ابيض» ويناقش سطراً سطراً في مجلس الوزراء. بعد ذلك، يُعدُّ مشروع القانون ويقدم الى لجنة التشريع، التي يرأسها اللورد رئيس المجلس او قاضي القضاة، ومن المفروض ان تدرس اللجنة التشريعية مشروع القانون بالتفصيل قبل ان يرسل الى مجلس العموم.

إنني اقدم هذا الوصف لان مشروعي لقانون الايجارات مرّ بهذه المراحل واستطعت ان ارى تأثير هذه المراحل. فاذا كان رئيس الوزراء الى جانبك، فبمقدورك ان تنهي مشروع قانونك بأقل مايمكن من الازعاج من قبل زملائك. ولم يكن هناك اية محاولة جدية لتغيير اي بند هام من بنود مشروعي للقانون في أية مرحلة. ونفس الشيء صحيح بالنسبة لمشروع قانون الفولاذ. جرى نقاشان في مجلس الوزراء لكنهما ليسا لمحتويات مشروع القانون، وعندما وصل البيان الأبيض الى مجلس الوزراء كنت احد القلائل الذين قدموا مقترحات. لكنها كانت حول تقديم البيان، ولم يبحث احد أي موضوع يتعلق بجوهر البيان او مضمونه.

وكما اذكر هناك مشروعا قانونين تم تغييرهما بشكل أساسي في مجلس الوزراء وهما : مشروع قانون لجنة الأراضي ، ومشروع قانون الشكاوى ضد سوء الادارة[1] .

ففي الحالة الاولى أُحيلت المسألة الى مجلس الوزراء نظراً لوجود خلاف بين فْرد ويلي المسؤول عن مشروع القانون وبيني أنا رئيسه . أما بخصوص مشروع قانون الشكاوى ضد سوء الادارة فقد ناقشناه مطولاً الاسبوع الماضي في مجلس الوزراء . وهناك سببان لذلك . أولهما ان هارولد ولسون كان مريضاً بالانفلونزا ، وثانيهما ان اللورد قاضي القضاة وصاحب المشروع كان ضعيفا جداً . لقد واجه صعوبة كبيرة اثناء نقاش مشروع قانونه الخاص بلجنة القانون ، على الرغم من كونه اقتراحاً ممتازاً . وهو يواجه الآن صعوبة في مشروع قانونه الخاص بالشكاوى ضد سوء الادارة ، وليس السبب هو ان مجلس الوزراء لايرغب في ذلك ولكن السبب هو ضعف تأثير قاضي القضاة .

هل تغيَّر مجلس الوزراء خلال فترة الأشهر الستة الاولى ؟ فبالنسبة للأزمة الاقتصادية فان مجلس الوزراء لم يفعل شيئا خلال ما يسمى بـ « المائة يوم » ما عدا الموافقة الروتينية . والقرارات الوحيدة التي سمح لنا باتخاذها كانت تتعلق برسوم الوصفات الطبية ، وبالمعاشات التقاعدية ، ورواتب اعضاء البرلمان . وكذلك القرار الذي تورطت فيه مع جورج براون لايقاف بناء المكاتب في لندن تم ترتيبه بعد مكالمة هاتفية بيني وبين هارولد

(١) مشروع قانون ينصّ على تعيين مفوضّ برلماني يبحث في الشكاوي ضد سوء الادارة لدى موظفي الحكومة .

وقت طعام الفطور[1] . ولكن حتى منذ «المائة يوم» لم يصبح مجلس الوزراء ذلك الجهاز الذي يتخذ القرارات بشكل جماعي - لقد كنا نتعامل بشكل رئيسي مع خلافات ثانوية يجب حلّها . وكنا قد وُعدنا باجراء مناقشة للسياسة الاقتصادية العامة قبل بحث الميزانية ، ولكن تلك المناقشة لم تحدث قط . وبدلاً من ذلك ، تسربت أنباء الى الصحافة عن وجود خلافات بين كالاهان وبراون كان جزءٌ منها يدور في المقرّ الريفي لرئيس الوزراء والجزء الأخير يجري في المجموعة الاقتصادية الخاصة التي كان هارولد ولسون قد أسّسها . وكل ما عرفته عن هذا الموضوع كان ما اخبرني به تومي بالوغ وما نشر في الصحافة . وسمع مجلس الوزراء بموضوع الميزانية قبل يوم واحد فقط من تقديمها للبرلمان . وهكذا فقد تمّ ابعادنا كلياً عن التخطيط الاقتصادي العام .

وكان هذا صحيحاً أيضاً بالنسبة لسياسة الدفاع . واعترف بأنه قبل ذهاب رئيس الوزراء الى واشنطن أعطانا فكرة عن رأيه في الرادع النووي المستقل . والكن لم يكن هناك مذكرة وتحدث بسرعة في مجلس الوزراء وحصل على موافقته . وبعد ذلك قُدم موضوعان لمجلس الوزراء يتعلقان بالدفاع : مستقبل الطائرة هـ . س - ٦٨١ - الذي قدم بشكل متأخر جداً لايسمح بالغائه ، ومستقبل طائرة ت س ر - ٢ . وبخصوص ت س ر - ٢ شرحت كيف ان كلاً منا أُجبر على التفكير بثلاث اختيارات وضعها رئيس الوزراء .

(١) لعب جورج براون ، وهارولد ولسون ، وكروسمان دوراً في هذا الأمر .

إن المسألة الهامة الأخرى التي طرحت في مجلس الوزراء كانت برنامجي للاسكان . وكان سبب تقديمها للمجلس طبعاً هو وجود خلاف بيني وبين وزير المالية . ونجحت سياستي نتيجة للدعم الثابت لرئيس الوزراء بالاضافة الى تحالفي مع جورج براون . ورغم ذلك فقد واجهتنا بعض المصاعب لان جميع الوزراء الآخرين قد استاؤوا من حصول الاسكان على أموال اضافية على حساب ميزانياتهم . وهذا هو سبب وقوف بربارة كاسل ضدي ، على سبيل المثال .

اعتقد انني سجلتُ القرارات الرئيسية التي اتخذت نتيجة عمل مجلس الوزراء الجماعي الحقيقي . وقد أعطى هارولد ولسون بعضنا حرية التصرف في وزاراتهم ورسم السياسة الخاصة بها . ولكن يجب ان اقول بأنه كان يسيطر تماماً على الشؤون الخارجية والدفاع ، بالاضافة الى القرارات الرئيسية . وهنا تمّ استبعاد مجلس الوزراء ، بينما لعب رئيس الوزراء دوراً فعالاً في حسم النزاع بين جورج براون وكالاهان .

على اية حال ، حتى في المجالات التي يدير فيها حكومته كانت تحدث بعض المناسبات الرسمية التي يختار ان يُظهر فيها الحكومة اثناء العمل . ولم يكن يُجري تصويتاً في مثل هذه المناسبات ، ولكنه كان يجمع الآراء ويكتبها في لائحة على قصاصة من الورق ، وطالما شاهدته يستمتع في خلق عقدة ومن ثمّ يجبرنا على العمل بجدّ لاتخاذ قرار بتصويت فردي من كلّ مناّ .

دعوني أُقيمّ مجلس الوزراء حسب السلطة التي نمارسها . حسناً ، هناك رئيس الوزراء وهو ليس في المقام الأوّل بين أقرانه على الاطلاق ، فهو

رئيس للوزارة بسلطته العليا . وفي المرتبة التالية من بعده هناك نزاع بين جيمس كالاهان وجورج براون . وبالطبع برز جورج كملك في سياسة الدخل وكان يديرها بنفسه بنجاح وتفوق . ولكن رغم ان أهميته كانت كبيرة ، فيجب ان اقول انه في صراع هوايت هول كانت وجهات نظر جيمس كالاهان هي المسيطرة بينما كانت آراء جورج براون على العكس . فسياسة التخطيط الاقتصادي التي من المفروض أنها عمل براون الأساسي فهي نادراً ما تتم في دائرة الشؤون الاقتصادية – فالتخطيط يتم بشكل أساسي حتى الآن في وزارة المالية . وكان للاقتصاديين والموظفين في وزارة المالية كل النفوذ ، اما اولئك الذين أُخذوا من وزارة المالية ووضعوا ضمن ملاك موظفي براون في دائرة الشؤون الاقتصادية فليس لهم اي نفوذ . لذا كانت الأهمية الكبرى لرئيس الوزراء ولوزير المالية .

ومن له أهمية أيضاً ؟ اعتقد بأن لوزير الدفاع اهميته . ولكن انطباعي في الوقت الحاضر هو ان الرجل الوحيد الذي برز في مجال الدفاع بإرادة وعقلية خاصتين به هو روي جنكنز في وزارة الطيران . سبق ان قلت بأن الوزراء بدون حقائب وزارية ليست لهم اهمية كبيرة ، وبالتأكيد فانهم دون اهمية في اي مكان آخر . ولكن روي جنكنز هو مثال لوزير بدون حقيبة وزارية استطاع ان يرفع من مكانته باستمرار . فقد رفض روي عرضاً لمنصب وزير دولة لشؤون التعليم ، وسمح لطوني كروسلاند ان يحصل عليه – هذا ما يقوله هو على الأقل . وبالتأكيد فقد برز في الطيران ، وهكذا في حال سقوط جورج براون من المحتمل ان يصبح رئيساً لدائرة الشؤون الاقتصادية . وكان قادراً ان يلعب هذا الدور لأن دنيس

هيلي لم يكن مسيطراً في وزارة الدفاع وترك تسيير امورها لرئيس الوزراء وجورج ويغ .

وفيما يتعلق بالشؤون الخارجية ، فباعتقادي ان رئيس الوزراء هو الشخصية المهيمنة والمسيطرة في عهد مايكل ستيورات اكثر مما كان عليه الحال في عهد باتريك غوردون ووكر .

وماذا عن الخدمات الاجتماعية، حيث كان دوغلاس هوتون السيد الأعلى في مجلس الوزراء ، بينما يعمل لديه بيغي هربسون ، وكنيث روبنصون كوزيرين بدون حقائب وزارية ؟ حسناً ، من المؤكد ان دوغلاس كان محترماً في مجلس الوزراء ، وهو نقابي عمالي بارز وشخص ذو أهمية ، وقد كلف باعادة النظر في اسعار السلع الزراعية ، وكان فرد بيرت يعمل تحت اشرافه . فهو من الوزراء الكبار بهذا المعنى . ولا اجده مؤثراً ولكنه بالتأكيد رئيس رائع . وقد اوضح لبقية المجلس بأنه مسؤول عن بيغي وكنيث ، وسمحنا له بتنفيذ سياستنا الخاصة بالتأمين الاجتماعي بطريقة يبدو لي أنها حطّمت كل استراتيجيتنا . ولكنني لو قلت ذلك في مجلس الوزراء لاصطدمت مباشرة مع شخصية قوية بحد ذاتها . وفي الحقيقة فانني اعتقد بأنه هو وأنا متساويان تقريبا في السلطة في مجلس الوزراء .

ومن ايضاً له أهمية حقيقية ؟ ففي مجال الكومونولث يوجد ثلاثة وزراء هم: بربارة كاسل، وآرثر بوتوملي، وطوني غرينوود ،والاخيران مجرد تابعين لرئيس الوزراء . وتتحدث بربارة كثيراً في مجلس الوزراء عن أشياء اخرى لاتتعلق بادارتها الصغيرة . وهي حتى الآن لم تثر اموراً محرجة ، ولكنها ستفعل . لقد تحدثت مسبقاً عن عدم أهلية فرانك سوسكايس

المسكين في وزارة الداخلية . وبالنسبة للتعليم يبدو ان طوني كروسلاند الآن اكثر ثقة بنفسه مما كان يحتمل ان يكون منذ بضعة اسابيع مضت ، وهو يبرز في المجلس كرجل لديه شيء هام يشارك فيه من الناحية الاقتصادية .

وبالطبع يجب ان لاينسى المرء الأشخاص الذين لايملكون سلطة مثل فرد لي ، وتوم فريزر وزير النقل . ان فريزر مصيبة فعلية . فهو الوزير الوحيد الذي رأيته يتغير ويرجع عن آرائه في لجنة وزارية . فمنذ بضعة أسابيع ووفقاً لنصيحة ادارته جاء الى اجتماع لجنة وقال بأنه لايرغب في ان تُمنح ورشات السكك الحديدية حق المنافسة في الطلبات من الخارج . وكان هذا خرقاً لا مسوّغ له لتعهد اشتراكي لم تستطع اللجنة تحمله . وهكذا طلبت لجنة التطوير الاقتصادي من الوزير ان يغيّر رأيه فقام بتغييره .

لقد أبقيت فرانك كزنز للنهاية لانه ما زال رجلاً غامضاً فعلاً ، فهو يظهر كأنه متحامق فظيع ، يتحدث عن كل موضوع ، وهو يقول الشيء الواضح عادة ، ولكنه يقوله بطريقة عمالية ولهذا اهميته لان احداً غيره لايتحدث بتلك الطريقة في هذا المجلس ، كما ينبغي ان نُذكّر بما يفكر به الاشخاص الواعون في الحركة العمالية . وهذا ما يعكسه هو بأمانه ، كما يعرض من وقت لآخر نفس الخبرة التي يجب ان يظهرها السكرتير العام لاتحاد العمال حول موضوع مثل احواض السفن . وليس لدي أية فكرة عن نوع الوزارة الجديدة التي يقوم بانشائها في فيكرزهاوس (Vickers House) . وكل ما اعرفه انه يحتل منزلة اكثر فأكثر ويتمتع

بدعم كبير من هارولد ولسون الذي يعتقد بحماس بأن وزارته الجديدة للتكنولوجيا يجب ان تنجح اذا كان سيحافظ على وعده بتحديث الصناعة البريطانية . وبالطبع هناك شيء آخر يمكن قوله عن فرانك فهو الزعيم النقابي الوحيد الذي أدخله هارولد ولسون الى مجلسه . وهكذا فهو يمارس بأدنى حدّ فيتو قوي جداً .

ملاحظة :

كانت الحكومة تترنح في مسيرتها بالأغلبية الصغيرة التي تتمتع بها ، والتي ازدادت الى أربعة بينما كان مقعد أوبري جونز في دائرة غرين هول في بيرمنغهام شاغراً . وحدث اختبار برلماني رئيسي في بدايه شهر أيار في النقاش الذي دار حول «البيان الابيض» الخاص باعادة تأميم صناعة الفولاذ . وكان جناح اليسار في حزب العمال قد أرضي بعروض لتأميم الشركات الأربعة عشر الكبرى والتي كانت تنتج اكثر من ٩٠٪ من الحديد والفولاذ في البلاد وتستخدم ٧٠٪ من مجموع القوى العاملة في الصناعة . وسيتم التعويض بسخاء على المساهمين برصيد حكومي يبلغ ٦٥٠ مليون جنيه استرليني . ولكن المعارضة لم تكن مقتصرة على المحافظين والاحرار ، لأن بعض اعضاء جناح اليمين في حزب العمال مثل وودرو ويات (Woodrow Wyatt) ، وديزموند دونيلي (Desmond Donnelly) ، هددا بالامتناع عن التصويت وحتى بالتصويت ضد زعيم الكتلة النيابية . وساهمت كلمات التهدئة التي قالها الوزير الاول في الاسراع

بظهور الاعتراضات من جناح اليسار وبشكل ملحوظ من إيان ميكاردو (Ian Mikardo) ، ومايكل فوت (Michael Foot) ، وتوم دريرغ (Tom Driberg) ، ضد اي تدخل بمبدأ التأميم .

ولم تكن الأمور هادئة خارج البرلمان ، ففي شهر أيار أُغلقت مناجم الفحم في جنوب ويلز بسبب حادث قَسَم سخيف . وحصلت اضرابات متفرقة وتظاهرات في الصناعات الهندسية في ميدلاندز – ولم يكن متوقعاً ان تقدم اللجنة الملكية للنقابات العمالية برئاسة اللورد دونوفان (Donovan) تقريرها حتى عام ١٩٦٨ او ما يقاربه . وفي اثناء ذلك ، اعترض بعض عمال السيارات من ذوي الاجور العالية على سياسة جورج براون الخاصة بوضع القيود على الدخولات الاضافية .

وقد برزت هذه المشاكل في اوائل شهر أيار ، عندما تعرّض حزب العمال لخسائر فادحة في الانتخابات البلدية حيث أبدت عدة مناطق انتخابية تحولاً نحو المحافظين يصل إلى نسبة ٧٪ .

الأحد ٢٥ نيسان :

قضيت اسبوعاً ممتعاً أنا وآن في « مَلْيون » (Mullion) كانت أيامه مشمسة وباردة . وعندما كنا هناك كنت افكر بشكل رئيسي بشاطىء البحر وأمضينا كل وقتنا نسير على الشاطىء ونشاهد خليج « مَلْيون » ومواقع « الكرافانات » . إن المحافظة على الساحل ناجحة حتى الآن ، وباستطاعتنا القيام بعمل كبير بهذا الخصوص .

ومنذ بضعة أشهر طلب مني كوزير حضور حفل غداء مع الأمير فيليب للبدء « بعملية نبتون » ، وهي اللعبة الدعائية التي كانت « مجموعة الشركات الوطنية » تحاول عن طريقها شراء الأميال التسعمائة المتبقية من الشاطىء غير الملوث . ورفضتُ الدعوة بشكل آلي لانه كان يبدو لي ان المشروع بكامله موجّه بطريقة خاطئة ، فلو أعلنت « مجموعة الشركات الوطنية » عن طرح أراضي الشاطىء للبيع فسيكون كل ما عليها عمله هو وضع سعر للأراضي الواقعة على الشاطىء التي لا قيمة لها في الحقيقة ما لم توجد رخصة تخطيط . وعندما تحدثت الى آن عن الموضوع في احدى الليالي قالت : « لماذا لا تجمدون الشاطىء كما جمدّتم بناء المكاتب في لندن ؟» فأجبتها بأن هذه الفكرة سخيفة لانها تتطلب تشريعاً آخر . ولكن ملاحظة آن أوحت إليّ بفكرة ما زلت افكر فيها محاولاً ايجاد طريقة لتوجيه ضربة دراماتيكية لموضوع الشاطىء هذا الصيف كما فعلنا في موضوع بناء المكاتب في لندن خلال الخريف الماضي .

بدأ البريد يصل الى الفندق في الصناديق الحمراء وقد أثار ذلك دهشة صاحب الفندق المتوقعة . ولكنني لم اعبأ بهذه الصناديق حتى بدأت تصل أنباء بأن ودائع جمعيات البناء بدأت بالاضمحلال لان المستثمرين كانوا يحولون اموالهم الى مناطق استثمار اكثر ربحاً . مثل قرض الحكومة الجديد الذي يعطي ٩٪ . ونتيجة لذلك فان اصحاب شركات البناء ، الذين يعتمدون على أموال الرهن العقاري عندما يقومون ببناء المنازل الجديدة ، وكذلك صاحب المنزل الذي يبيع منزله على رهن قديم تعرضوا

فجأة لنقص في رؤوس الأموال . وفي نهاية هذا الاسبوع عرفت مدى المشاكل التي سأواجهها .

فقد ظن المحافظون بأنهم قد ظفروا بي . فتقدموا بطلبين متتاليين للاقتراع على «توجيه اللوم» احدهما يتعلق بالقروض الداخلية في التاسع والعشرين من نيسان ، والآخر يتعلق بالمعدلات في الخامس من أيار (وقد تم اختيار التوقيتين بعناية ليتصادفا مع موعد الانتخابات البلدية) .

الاثنين ٢٦ نيسان :

لم أرجع في عربة النوم من كورنوال (Cornwall) لأن ذلك يكلفني كثيراً (حيث كنت في عطلة ولذلك لم يكن هناك تذكرة مجانية) بالاضافة الى ضياع الوقت . وبدلاً من ذلك عدتُ مع آن بالسيارة في يوم ماطر أثناء الطريق الى برسكوت ، لمشاهدة الأولاد ومن ثمّ الانطلاق الى لندن بعد استراحة بضع ساعات . كان موعدي الاول مع رئيس الوزراء لاجراء حديث معه حول سياستنا في النقاش الذي سيجري بخصوص القروض الخارجية . فوجدته كما هو دائماً يفضل الحديث في الوضع السياسي العام . واستطعت في النهاية ان اعرض عليه افكاري حول معدلات الفائدة المتفاوتة – وهذه المسألة كانت موضع اهتمامي الوزاري الرئيسي في الوقت الحاضر . فلا بد ان اجد طريقة لتنفيذ تعهد الحزب الذي وعد باعطاء معدلات فائدة مخفضة للمالك الذي يشغل العقار وللسلطات المحلية التي تبني المنازل . وشرحت ملّخص فكرتي لرئيس

الوزراء – معدل فائدة ٤٪ لبناء المنازل عن طريق الادارة المختصة ، وهو صالح للمالك شاغل العقار وللسلطات المحلية أيضاً . ثم انتقل للتحدث عن المناقشة الاولى لتوجيه اللوم ، وقال بأنه يعتقد بأن على جيمس كالاهان ان يتولى زمام النقاش . فقلت بأنها ستكون فكرة عظيمة لو كان السيد كالاهان على استعداد للقيام بذلك .

الثلاثاء ٢٧ نيسان :

كان يجب ان اذهب الى لجنة مشروع قانون الايجارات ، ولكن جيم ماك كول يفي بالغرض وهكذا استطعت الذهاب الى مجلس الوزراء عوضاً عن ذلك . وهنا بدأ رئيس الوزراء كلامه بقوله انه يعتقد بأن علي ان افتتح النقاش حول توجيه اللوم بخصوص القروض الداخلية وان يقوم كالاهان باستئناف النقاش . وكما توقعت امتنع كالاهان بذكاء . فقد كان يرى ترك الموضوع لي بصفته موضوعاً يخص الحكومة المحلية . واضطررت لقبول ذلك . وبجهد حصلت على شكل من السلطة كي اخبر مجلس العموم بأننا مضطرون لوضع خطة وطنية لتكامل الاسكان في القطاعين الخاص والعام . ومن الواضح ان مجلس الوزراء وجد انني سأواجه يوماً صعباً يوم الخميس ، وعندما يواجه احدنا يوماً صعباً فانه لايلقى تعاطفاً كبيراً . وكنت متأكداً من ان كالاهان انما امتنع عن الحديث بسبب صورته الجيدة في الوقت الحاضر نتيجة لنجاحه في الميزانية ، وهو لايرغب في تشويهها في إقباله على مساعدتي . ولكن النقاش استمر نصف يوم فقط

وتم الاتفاق على ان يقدم جاك دياموند الجواب الضروري في النهاية .

واثناء ذلك كنت أتلقى في الوزارة تقارير مزعجة جداً حول القروض الداخلية . ففي البداية قَدَّم بيل فيسك (Bill Fiske) وزملاؤه في مجلس لندن الكبرى تقريراً لي بأن ما لايقل عن نصف استثمارهم الرئيسي لهذا العام سيكون ضمن القروض الداخلية ، ومعظمه في رهونات على المنازل القديمة بنسبة ١٠٠٪ . بينما هم يقومون باقتراض الاموال من وزارة المالية ويقدمونها كقروض . ويمكنني تصور رفض وزير المالية لهذا : إنها مخالفة كان من المفروض عدم السماح بها . وكانت السيدة ايفلين تريدني ان اقبل بسياسة وزارة المالية وان اوبخ فيسك لسوء تصرفه . أُدركتُ انه مع وجود اقتراع لتوجيه اللوم بانتظاري فليس بإمكاني إظهار انني كنت احاول تجميد دفع الاموال من اجل رهونات السلطات المحلية في وقت تقوم فيه جمعيات البناء نفسها بتجميد اموالها . كما استقبلتُ ايضاً وفداً يمثل الاتحاد الوطني لاصحاب العمل في تجارة البناء يرأسه كيربي لينغ (Kirby Laing) رئيس مجموعة شركات لينغ . فقدم الوفد صورة مثيرة مماثلة وهي ان جمعيات البناء تقوم بتخفيض رؤوس أموالها ، وأخبرني بأن ٥٠ ألف بداية مشروع قد أُوقفت فعلاً . ويجب ان اقول بأنني عندما استجوبتهم بعناية اتضح لي بأن ما يعرفونه عن تلك الايقافات جاء من الصحف – وهذا الهلع في الحقيقة مبعثه ذاتي الى درجة ما . ومع ذلك ، فهذا يهيء الجو الذي سيجري فيه النقاش هذا الاسبوع .

الاربعا ٢٨ نيسان :

وجاء وفد آخر بخصوص موقف القروض الداخلية . وكان هذه المرة من جمعيات البناء . وعرفت منهم بأن ما يحدث يختلف كثيراً بين جمعية وأخرى : فجمعية هاليفاكس خفضّت مشاريعها بنسبة قليلة ، وان جمعية آبّي الوطنية (Abbey National) ، وهي جمعية تمول بالدرجة الاولى عمليات الإسكان الجديدة في جنوب انكلترا ، هي السبب الرئيسي لهذا الهلع . وقد اخبرني هذا الوفد بأن جمعية «آبي الوطنية» ، التي وضعت في الاعتبار بانها ستتعامل مع حكومة عمالية ، اتصلت بعملائها وقالت لهم ببساطة : «لاتوجد أموال اضافية» .

وقمت طوال اليوم بدراسة مسودة خطابي . ومع اقتراب موعد النقاش ازداد اهتمامي اكثر فأكثر بخط النقاش الذي سأسير عليه . وكنت ارغب في تبني اسلوب قاسٍ مضاد للمحافظين ، فأقوم بمهاجمة المعارضة لافتقارهم للوطنية ولرفضهم التصدي للدفاع عن الجنيه . وبما أنني لا أملك إجابة بخصوص القروض الداخلية ، فمن المؤكد بأن الهجوم هو خير وسيلة للدفاع . ولكن هارولد ولسون وجيمس كالاهان حاولا ان يثنياني عن عزمي وحتى الساعة العاشرة والنصف مساءً لم اكن قد وضعت خطابي .

الخميس ٢٩ نيسان :

استيقظت في الساعة السادسة صباحاً وفي رأسي فكرة لنهاية خطابي . لم لا اقترح فكرة خطة وطنية للبناء ؟ وهذه فكرة طرحتها مع منفذي البناء ومع جمعيات البناء وتلقيت رداً ايجابياً إلى حدّ ما . فقررت استخدام هذه الفكرة للاستفاضة في الحديث . وعملت طوال هذا الصباح ، وانا اعرف بأن علي ان أظهر في « شرفة المجلس» فوراً بعد النقاش هذا المساء ومن ثمّ يجب ان استقلّ قطار الساعة ١٠ر٩ الى ستافورد للعمل يوم الجمعة بكامله في نيوكاسل – أندر – لايم (Newcastle - Under - lyme) .

وتمكنت من إنهاء خطابي وذهبت الى النقاش عارفاً بأنني سأتذوق لأول مرة طعم العقاب الحقيقي[1] . وقد ألقى تِدْ هيث (Ted Heath) خطاباً قوياً ، اتهمنا فيه بالتهرب من تعهداتنا وخداع الشعب . ماذا سأُجيب ؟ فكلامه صحيح . وقد تلقيت إطراءً كاذباً بعد الغداء لأن بيتر براون قال عندما قرأ المسودة بأنها بيان رائع للسياسة سيفوز بالعناوين الرئيسية في كل مكان . وكنت متأكداً تماماً بأن ذلك لن يحدث ! لكن تعليقه شجعني . ورغم ذلك عندما ألقيت خطابي تبينت انني لم أُفلح فيه ، والسبب الأساسي هو أنني فشلت في الهجوم بالقسوة الكافية . فقد تقدمتُ بشرح منطقي ومعقول للموقف ، وأتبعته باقتراح حذر عن كيفية

(١) فازت الحكومة بـ ٢٩٦ صوتاً مقابل ٢٨٤ .

معالجة المشكلة . وكجوابٍ على اقتراعٍ فظّ لتوجيه اللوم أعتقد أن كلامي بدا سطحياً – ومهذباً ، ومجهداً ، ولكنه خدعة ابتكرت في اللحظة الأخيرة لاخراجي من الورطة . والأمر الأكثر أهمية – على المدى الطويل – هو انني كنت قد اخترتُ جواً غير ملائم لطرح فكرتي الجديدة . وآمل ان لا اكون قد حطمتها تماماً .

لايحتاج المرء في مجلس العموم لوقت طويل كي يتبين بأن خطاباً ما لم يكن ناجحاً . واليوم لم يكن هناك أحد من زملائي ليجلس بجانبي ويدعمني . وعندما جلست اتضح لي أنني قد وقعت . وشعر رجالنا بالحرج والحزن ، والسبب هو انهم كانوا يحترمونني ويتوقعون هجوماً قاسياً على المحافظين . وكان ما حصلوا عليه هو خطاب خجول ومتردد ، وليس ما كان يتطلبه الموقف على الاطلاق .

وعلى اي حال ، لم يكن لدي وقت للتفكير لانني كنت مضطراً للذهاب بسرعة الى لايم غروف (Lime Grove) من اجل العرض التليفزيوني . وتحدثت في الطريق الى طوني شريمزلي (Tony Shrimsely) ، المراسل السياسي لصحيفة صانداي ميرور (Sunday Mirror) . واعطيته في السيارة كافة التفاصيل للحلّ ذي الأمد الطويل الذي وضعته لمشكلة القروض الداخلية . وبعد ذلك وخلال دقائق كنت اتحدث الى تيد هيث في « شرفة » المجلس . وكنت متعبا في ذلك الوقت – فقد كنت أعمل منذ الساعة السادسة صباحاً . وعلى اي حال ، اعتقد انني ظهرتُ هادئاً ومتيقظاً وكان هيث ايضاً هادئاً نسبياً ، وهكذا كانت محادثاتنا لائقة . ولكنني اعتقد بأن الانطباع العام في اليوم التالي هو ان ظهوري على الشرفة

كان مثل خطابي متردداً . ولا اعتقد بأنني حطمت مركزي الشخصي ولكن ذلك شكّل تراجعاً بالنسبة لي . وشعر اصدقائي بالأسف وقالوا : «ان ديك يواجه موقفاً حرجاً . أما زملائي في مجلس الوزراء ، فقد كان يشوب تعاطفهم فكرة حقودة : «حسناً ، ها هو ذلك المارق الواثق من نفسه والذي لم ينجح في عمله» .

الجمعة ٣٠ نيسان :

كانت الزيارة الرسمية الاعتيادية هذه المرة الى نيوكاسل – أندر – لايم حيث وضعت حجر الأساس لأبنية المجلس البلدي الجديدة . وكان رئيس البلدية شخصية غير عادية ، يشبه شخصية آرنولد بينت (Arnold Bennett) تماماً ، ويرتدي قبعة رمادية ، وقميصاً أبيض متسخاً ، ويتصرف باسلوب ملفتٍ للنظر – وهو راديكالي يساري أصيل قضيت معه وقتاً رائعاً وبعد الافتتاح الرسمي ذهبنا الى ترنتهام غاردنز (Trentham Gardens) ، التي كانت فيما مضى قصراً لدوقة سذرلاند (Suther Land) وهي الآن قصر لحفلات السمر خلال أيام الاسبوع بملاحق كبيرة للتسلية في اجازة نهاية الأسبوع . وهناك شربنا مدة ساعة قبل ان تقدم لنا وجبة فخمة في صالة احتفالات كبيرة يحيط بها صور عائلة سذرلاند وتخدم فيها فتيات نشيطات يرتدين التنانير الاسكتلندية . وبعد زيارة رسمية قصيرة لمدينة ليك (Leek) – وهي دائرة هارولد ديفز[1]

(١) احتفظ ديفز بالمقعد النيابي من ١٩٤٥ – ١٩٧٠ ، حيث منح لقب لورد ،

(Harold Davies) الانتخابية – ركبت قطاراً الى بيرمنغهام حيث كان من المقرر ان اتحدث في الانتجابات الفرعية التي ستجري في هول غرين[١] (Hall Green) . والقيت أفضل خطاب في حياتي – كان خطاباً مملوءاً بالحيوية والثقة – ولكن ، للأسف ، كان أمام حوالي خمسين او ستين شخصاً في قاعة فارغة وبدون حضور صحفيين . وعدت الى برسكوت في سيارة رولزرويس يملكها ثري يهودي ، وهو مرشح للانتخابات البلدية في بيرمنغهام . ووصلت في الساعة الحادية عشرة والنصف الى هناك لأجد ان عائلة هارتري (Hartree) قد أعادت آن معها من فيلم في مدينة بانبري (Banbury) وتمتعنا بنهاية السهرة .

الأحد ٢ أيار :

كنت مضطراً للعودة الى بيرمنغهام لالقاء الخطاب الرئيسي في احتفال الأول من أيار الذي سيجري في دار البلدية – وكان عدد الحضور حوالي ثمانمائة ، وهذا عدد لا بأس به ، ولكن الجوّ العام كان فاتراً بشكل مريع . ومرة ثانية ، تكوَّن لدي انطباع بأن الجو هنا غير ملائم واعتقد انه كان سيئاً بنفس الدرجة التي كان فيها في كوفنتري . وكان آلبرت روز

---

(١) جرت هذه الانتخابات بسبب تعيين العضو البرلماني المحافظ اوبري جونز رئيساً لمجلس الاسعار والدخولات وذلك في السادس من أيار وقد فاز بالمقعد ريجينالد آير (Reginald Eyre) لصالح المحافظين بتحول نسبة ٣٪ عن حزب العمال .

(Albrt Rose) قد اتصل بي منذ بضعة أيام فقط ، وهو راغب بيأس ان يحصل على نشرة تحمل صورتي لتشجيع المرشحين ، الذين اصابهم القنوط في شرق كوفنتري بسبب طرد وني لاكين (Winnie Lakin) من الحزب . وبذلت ما استطعته ولكنها ليست نذيراً حسناً وانني اتوقع نتائج سيئة .

الأربعاء ٥ أيار :

كان لهذا اليوم أهمية كبيرة بالنسبة لي — إنه يوم الاقتراع على توجيه اللوم حول المعدلات . وقد تم القيام بعمل تحضيري كبير في الوزارة ، لتزويدنا بالمعلومات الضرورية أنا وبوب . وقررت ان ادع بوب يبدأ النقاش وهذا لصالحي الشخصي ، نقاش يوم كامل ، وليس كسابقه . ومن ثمّ أنهي النقاش بخطاب حزبي سياسي ، وبما انني لست ملتزماً بنصّ سأتمكن من توجيه الضربات بقسوة اكبر وان اظهر بمظهري الطبيعي . وفي يوم الاثنين والثلاثاء اتضح لي اكثر فأكثر بأنني ، رغم رأي «تام» المجامل ، محتاج في الحقيقة لاستعادة سمعتي لدى أنصاري من أعضاء البرلمان الجالسين في المقاعد الخلفية وأتغلب على المحافظين ، الذين كانوا يأملون بالاعتماد على نجاحهم يوم الاربعاء الماضي كي يهزمونني اذا استطاعوا ذلك . لقد كانوا مستميتين من اجل هزيمة وزير الاسكان . وهكذا فان كثيراً من الأمور كانت تعتمد على نجاحي .

وعلى اي حال ، كان اليوم حافلاً بالعمل لأنه بالاضافة الى النقاش الذي سيجري في الساعة الثالثة والنصف كان علي ان أحضر مؤتمراً كبيراً

حول مقترحات تخطيط البيكاديلي (Piccadilly) في الصباح . ومنذ بضعة أسابيع كنا نعمل في الوزارة لتقديم تقرير فني للصحافة يقترح ان ميدان البيكاديلي الجديد يجب ان يبنى على ركائز . وبذلت جهداً كبيرا من اجل هذا البيان الصحفي وللتحضير للمؤتمر الصحفي ، والسبب الرئيسي هو انني كنت متفائلاً بأن الدعاية المناسبة لذلك في صحف الخميس ستمنع النقاش في مجلس العموم من احتلال العناوين الرئيسية . حسناً ، لقد كان المؤتمر الصحفي ناجحاً[1] . والتقيت يوم الثلاثاء برؤساء تحرير جميع الصحف الاسبوعية الهامة ، واليوم عقدت المؤتمر الصحفي الكبير في الساعة الحادية عشرة ومن ثم عقدت مقابلة تليفزيونية واخرى في الراديو حتى الساعة الواحدة تقريباً . وكم كان مناسباً انني لم أكن مضطراً لتحضير كلمة افتتاحية شاملة لفترة بعد الظهر .

وبعد ان انتهيت من المؤتمر الصحفي في البيكاديلي ذهبت مباشرة الى مجلس العموم لاستمع الى نهاية اجتماع اعضاء حزب العمال البرلمانيين حول الفولاذ ، الذي عقد بشكل عاجل استعداداً لنقاش اليوم التالي . ووصلت في الوقت المناسب لاستمع الى ديزموند دونيلي (Desmond Donnelly) وهو يلقي كلمة معدّة باتقان وبحرص قبل ان يستلم هارولد ولسون زمام النقاش . كان خطابه مؤلفاً من : آ — مقطع حول الفولاذ ، ب — ومقطع حول المائة يوم الثانية ، جـ — وإطناب في الحديث اكد فيه للحزب خطر ان يلقن من قبل أقلية ، وقال إنه بدلاً من

(١) لقد نجحت فعلاً في تحقيق هدفي .

السماح بحدوث ذلك ، سواء كانت أقلية فولاذ ، او أقلية مسالمة أو أية أقلية اخرى ، فسيقول لهم ان يذهبوا الى الجحيم . ورغم انني وجدت ما تبقى من الخطاب ، وخاصة حول السياسة الخارجية ، مثيراً للاشمئزاز — وبشكل خاص التأكيد بأن بريطانيا تملك زمام المبادرة في جميع انحاء العالم — شعرت براحة عندما سمعت التعهد في المقطع الأخير بأنه ، مهما حدث ، فان أقلية الفولاذ ، مثل ديزموند دونلي ، وودرو ويات (Woodrow Wyatt) ، ستحجز في مكانها[1] .

ويأتي الآن دور مناقشة المعدلات . وكنت سعيداً لأنني أُعطيتُ الافتتاحية لـ بوب ملش : فقد ألقى كلمة متميزة وعنيفة ، رغم انه استلم نفس الموجز الذي استلمته أنا . لقد عاد بوب الى شدته السابقة عندما كان ضابطاً برتبة ملازم أول . وهو شاب شديد ، ومن الطبقة العاملة من مدينة بيرموندسي (Bermondsey) ، وكان في احد الاوقات منظِّماً لاتحاد العمال العام وعمال النقل ، كما كان ضابطاً في وحدة نقل خلال الحرب ، وهو اليوم سياسي محترف بشكل حقيقي . وهو رجل قليل التجربة ، ومتردد الى حد ما ، ويدعم كثيرا رئيسه أياً كان . لكن دعوني أقول بأنه ، رغم أنه يكرهني من قبل ، قد أصبح مخلصاً الى حد بعيد ، وبذل ما في وسعه بعد الظهر ، وبالنسبة لاستلامي زمام الحديث في النهاية ، فاذا بحثُ النقاش فان ذلك يعود الى انني كنت اقاتل من اجل حياتي ،

(١) طبقاً لما قاله ولسون ، فقد أرهق جورج براون نفسه كثيراً مع « دونلي » ، وكان هو نفسه قد وجد « ويات » مقنعاً جداً ، انظر كتاب « ولسون » — صفحات ١٠٠ — ١٠١ . ويقدم « ودرو ويات » رواية اخرى مختلفة عن دوره في العملية .

بواسطة خطابٍ واعٍ – وخصام عنيف مع المعارضة استعدت بهما احترام اعضاء حزبي وشعبيتي بينهم[1] .

وهذان النقاشان من أجل توجيه اللوم للحكومة جعلاني اتحقق انني ولأول مرة اواجه موقفاً حرجاً فعلاً ، وانني اناضل من اجل وجودي السياسي . وادركت لأول مرة ايضاً انه اذا استطاع التحالف ضدي من اسقاطي وتقويض ثقتي بنفسي فانه سيكون من الصعب جداً استرداد تلك الثقة واستعادة مركزي .

الخميس ٦ أيار :

بما أنني كنت مقتنعاً بحديث هارولد الى الحزب بأنه لن تحدث أزمة وزارية كبيرة عكفت طوال النهار على حلّ المشاكل الادارية . وأمضيت طيلة فترة بعد الظهر ، عندما كان بامكاني الاستماع الى المناقشة حول الفولاذ ، جالساً مع السيدة ايفلين ، وجون ديلافونز ، وبقية الموظفين ، ونحن نحاول ايجاد طريقة لتنفيذ تعهد الحزب بضمان معدلات فائدة منخفضة لكل من السلطات المحلية ولمشتري المنازل الخاصة . وهنا يجب ان أضيف كلمة عن جون ديلافونز . فهو يثبت انه سكرتير خاص رائع ، ومتفان في عمله ، ومتحمس ، ورغم انه لا يعرف الكثير عن الاسكان ، فهو نافع الى حد بعيد . وقبل ان يبدأ الاجتماع حذرني من ان السيدة

(١) فازت الحكومة باغلبية قليلة ـــ ٢٧٩ صوتاً مقابل ٢٧٥ .

ايفلين كانت مغتاظة وتكاد ان تمزق شعرها طوال هذا الصباح بسبب افكاري . فأخبرته بأن يقول لها ولبقية الموظفين بشكل مسبق أنني سوف أفرض القانون – إن هذه هي سياسة الحزب ويجب ان ننفذها – وهذا ما فعلته على وجه التحديد ، فكنت اقرأ بصوت عالٍ ، وكأنني اقرأ الانجيل المقدس ، المقطع الخاص بالبيان الانتخابي حول تمويل الإسكان ، قائلاً بأن من واجبنا ان نحاول تنفيذ ذلك التعهد بجدارة . وأضفت قائلاً وأنا ألقي نظرة قاسية الى حد ما على ارجاء الغرفة : «اودّ الاستماع الى الاعتراضات التي قد تطرح وبشكل محدّد حول إمكانية تنفيذ معدلات الفائدة بنسبة ٤٪ عبر المنصة» . وهذا مما جعل الأمر بمنتهى السهولة وسرعان ما حصلت على الموافقة على ان تزودني الوزارة بمذكرة لتقديمها هذا الاسبوع الى وزير المالية ، ولتقديم نسخة اخرى عنها الى رئيس الوزراء في الوقت نفسه .

وفي المساء اقمت حفل عشاء لِـ ريتشارد ليولن – ديفز كي نناقش شؤون المجموعة الاستشارية للأبحاث . وبعد العشاء دخلنا الى المجلس لنستمع الى نهاية المناقشة حول الفولاذ . ولم يكن هناك ازدحام كبير في القاعة . وصعد هو الى الشرفة ليراقب من هناك ونزلت أنا الى الأسفل وجلست هناك بهدوء استمع الى جورج براون ينهي كلامه . ولم اكن متخوفاً ، لانني كنت قد سمعت وعد هارولد ولسون القطعي خلال الاجتماع الحزبي . وفي الحقيقة ، تذكرت انه كان قد قال لي في محادثة خاصة ، بأنه موافق ، وأنه تحدّث إلى وودرو ثلاث او اربع مرات حول فكرته بأن المساهمة بنسبة ٥١٪ تشكل درجة كافية من الرقابة الحكومية

التي تفرض على صناعة الفولاذ . لكنني لم آخذ هذا مأخذ الجدّ[1] . لذا فانني عندما سمعت جورج براون في نهاية خطابه يسمح لنفسه بخمس دقائق اضافية ليوجه رسالة خاصة الى وودرو ويات ، وديزموند دونلي ، دهشت من جراء ذلك[2] .

الجمعة ٧ أيار :

إتصلت هاتفياً بـ جورج ويغ أثناء طعام الفطور كما افعل في معظم الأحيان وسألته عما يجري . وقلت : «انظر ، جورج ، من الافضل ان يعلم رئيس الوزراء أنه والوزير الأول لن يتمكنا من الافلات بهذا النوع من التصرف . فهو يقوّض الأساس الكلي للوحدة داخل مجلس الوزراء» . فهدّأني جورج ويغ بقوله : «لاتكن سخيفاً ، فقد استشار جورج براون هارولد بعد ذلك فوراً وقد تحدثت اليه منذ ذلك الحين . وهو يعتقد انه يمكن ان يكون هناك فائدة لما حدث» . وكانت هذه ميزة جورج ويغ ، فكلما تحاول التصرف بطريقتك الخاصة فانه يحاول ان يطغى عليك .

---

(١) وكذلك كان الأمر بالنسبة لـ ولسون على ما يبدو .

(٢) وعند نهاية المناقشة سأل ويات الوزير الأول : « اذا تقدمت الصناعة (هل هو) مستعد للاستماع ؟ » فأجاب جورج براون : « الاستماع هي الكلمة الدقيقة ، وبالتأكيد ساستمع » . ونجحت الحكومة في الاستمرار بالحكم بأقلية ضئيلة اذ حصلت على ٣١٠ صوتاً مقابل ٣٠٦ . وكانت وجهة نظر رئيس الوزراء في هذا هي : «ان (جورج) كان يبدو ميّالاً لوجهة نظرهم اكثر مما كان يتوقعه أحد . » انظر كتاب : « ولسون » ــ صفحة ١٠١ .

واضطررت ان اقطع محادثتنا لكي اذهب الى المكتب قبل ان استقلّ القطار الى كامبردج (Cambridge)، حيث كان منتظراً ان اقوم بزيارة رسمية مع جيمس دنكان جونز ، وجون ديلافونز . وتحدثت في القطار الى جيمس دنكان حول اقتراح آن بتجميد كامل لجميع رخص تخطيط الشاطىء . وكالعادة فقد كان ردّ فعله الأولي على الفكرة سلبياً تماماً . ولكن آن كانت محقّة . فبالاضافة الى عدم استحالة إقرار تجميد كامل ، كان من ضمن صلاحياتي القانونية ان اناقش في المستقبل صحة كل رخصة تخطيط تؤثر على الشاطىء . وبالطبع ، قدم جيمس دنكان شرحاً مفاده انني لن استطيع القيام بذلك ما لم امتلك الصلاحية الادارية للتصرف بكل رخص التخطيط تلك . ثم راجعنا مسألة تخطيط كامبردج بكاملها وحذّرني بخصوص الجدال حول الطريق الدائري الداخلي . وهو رجل ذكي في تلخيص المعلومات لوزيره وشعرت بثقة كاملة بنفسي قبل ان ادخل سيارة رئيس البلدية وانطلق لافتتح مجموعة من الشقق السكنية للمتقدمين في السنّ . ولكن طوال يوم من الزيارات والمناقشات مع مجلس كامبردج كنت افكر في المناقشة التي جرت حول الفولاذ وأشعر بالانزعاج اكثر فأكثر . وتملكني شعور أنه طوال فترة الاسبوعين الفائتين لم يكن ريتشارد كروسمان وحده يواجه مشكلة شخصية بخصوص الإسكان . كان الرأي العام قد نفذ صبره بالنسبة لحكومة العمال جميعها والآن فاننا مضطرون لمواجهة مشاكل خطيرة خارج وداخل مجلس الوزراء بسبب مشكلة الفولاذ . لا استطيع ان أتصور كيف سيتخلص هارولد وجورج من هذه المشكلة .

لقد قدّما هذه التنازلات الى وودرو ويات ، وديزموند دونلي ، وهما اقلية في المقاعد الخلفية ، بعد ساعات فقط من الإنكار المطلق لوجود مثل هذه التنازلات على الخريطة . ولم يتغيّر الانطباع الذي لديّ عندما ذهبت بعد انتهاء عملي اليومي لأمكث مع نيكي كالدور وزوجته كلاريسّا . فعندما وصلت الى هناك وجدت ان نيكي في لندن يجري محادثات مع جيمس كالاهان . لكن كلاريسّا ، التي هي عضو في المجلس البلدي لمدينة كامبردج ، قد تحدثت معي مطولاً حول الموقف المحلي – وهو صعوبة إيجاد اشخاص لكسب أصوات الناخبين في الدوائر الانتخابية وكيف ان الحماس قد تلاشى لدى أعضاء الحزب في المدينة . وقالت إنه لايوجد هناك استعداد للمساعدة ، ولا شعور للمساهمة في اعمال حكومة العمال ، لان الحكومة لم تكن تتصل مع الأحزاب المحلية . وبعد ذلك وصل نيكي في المساء ، وجاء فكتور روتشيلد (Victor Rothschild) لحضور حفل العشاء[1] . فقال نيكي بأننا يجب ان لا نستسلم للأوهام طالما اننا لم نخفض قيمة العملة . وعلينا ان نمرّ في فترة طويلة من نقص في حجم العملة المتداولة والبطالة لكي نظهر انفسنا . فجادلته ضد هذا التشاؤم ، بشكل غاضب وربما بشكل وقح ، ولكنني اعرف انني لا استطيع الأجابة على القضية التي طرحها نيكي .

عدتُ الى برسكوت بالسيارة يوم السبت في الوقت المحدد كي

(١) إن اللورد روتشيلد كان عالم حيوان بارز في جامعة كامبردج ، كما كان حتى عام ١٩٧٠ رئيساً لقسم الأبحاث في شركة شلّ . بعد ذلك اصبح مديراً عاماً لـ « هيئة مراجعة السياسة المركزية » التي أنشئت في مكتب مجلس الوزراء من قبل ادارة المحافظين الجديدة .

استقبل تومي بالوغ ، الذي كان يقضي فترة نقاهة في غافن فارنغدون[٩] (Gavin Faringdon) في منطقة بيركشاير (Berkshire) لمدة عشرة أيام . وبعد التداول معه وجدت انه يشارك « كالدور » الرأي . ووافق على اننا ، بما انه فشلنا في تعويم الجنيه ، ينبغي ان نخفض مقدار العملة المتداولة على نطاق كبير ولهذا السبب فان حظّي في جعل مجلس الوزراء يتبنّى معدلات فائدة منخفضة للأسكان كان لاشيء . في الحقيقة ، اننا لن نكسب شيئاً بجعل حكومة العمال هذه تسير ببطء . والشيء المعقول هو اجراء انتخابات بأسرع وقت ممكن .

حسناً ، ربما يكون ذلك صحيحاً ، لقد فكرت فترة من الوقت بأن انتخابات تجري في أيار أو حزيران قد تكون افضل شيء بالنسبة لنا . ولكن ينبغي علينا ان لانجري مثل هذه الانتخابات ، اذا كان السبب فقط هو اننا عرضة لفقدان ٣٠٠ او ٤٠٠ مقعد في جميع ارجاء البلاد في الانتخابات البلدية التي ستجري يوم الخميس القادم . إن نجاح المحافظين ضمن هذه الأبعاد لن يكون مقدمة جيدة لحملة انتخابية .

الاثنين ١٠ أيار :

انطلقنا الى محطة القطار قبل الوقت المحدّد لمغادرته بتسع دقائق لذا كان علينا ان نسير بسرعة مذهلة في الساعات الاولى من صباح يوم صيفي

(٩) منزل اللورد فارنغدون في بسكُت بارك (Buscot Park) .

بديع عبر شوارع فرعية كي نصل الى هناك في الوقت المناسب . وبعد ان وصلت المحطة وركبت القطار ، نظرت الى لائحة مواعيدي فوجدت من حسن الحظ ان لدي مقابلة مع رئيس الوزراء في الساعة العاشرة والنصف ، اي بعد نصف ساعة من وصول القطار الى محطة بادنغتون ، حيث من المفروض ان نبحث الحدود البرلمانية . وبدلاً من جعله يمتحنني حول الحدود ، فسوف اخبره بأن علينا ان نعقد اجتماعاً لمجلس الوزراء بأي ثمن لبحث أزمة الفولاذ قبل اجتماع الحزب يوم الاربعاء . ذهبت الى مكتبي مباشرة ورأيت ديلافونز وقلت له : «حسناً ، انني سأُقابل رئيس الوزراء بعد نصف ساعة» . فأجاب : «لقد أُلغي الاجتماع مقدماً» . عندما سمعت ذلك لم اعرف ماذا افعل لذا جلست في مكتبي ثم تناولت سماعة الهاتف وكلمت فرانك كزنز . إنه يجلس دائماً في مواجهتي على مائدة مجلس الوزراء ومع انني لا اراه كثيراً إلا أننا كنا نتبادل التعاطف الطبيعي . وعندما سمع بأنني أرغب في رؤيته ، كان مسروراً بشكل واضح . لذا اخبرته بأنني سآتي على الفور . ثم اتصلت هاتفياً بـ جورج ويغ وتركت له رسالة في مكتبه بأن اجتماعي مع رئيس الوزراء قد أُلغي وانني اريد عقد هذا الاجتماع .

وجدت فرانك كزنز واثقاً من نفسه . وأخبرني بأنه يفكر في الاستقالة منذ فترة من الوقت بسبب عدم اقتناعه بوظيفته . وكذلك كشف النقاب بأنه قضى مساء الأحد مع «ميكاردو» وعددٍ آخر من الاشتراكيين من جناح اليسار وأن وجهة نظره ، وهي مثل وجهة نظرهم ، هي ان المسألة جميعها يجب ان تسوّى في اجتماع الحزب . فقلت له بأنني

اعتقد بأن ذلك يعتبر خطيئة كبيرة : إنها مسألة يبتّ فيها مجلس الوزراء ويجب علينا نحن الاثنين ان نطلب اجتماع مجلس الوزراء رسمياً صباح الثلاثاء . هل يؤيدني في ذلك ؟ فقال بأنه سيفعل . كان ذلك كل ما استطعت ان افعله تقريباً قبل ان يتكلم جورج ويغ على الهاتف ويبدأ بشرح مطوّل الى فرانك كزنز ، وكيف ان كل شيء يسير بنظام . وعندما أخبره فرانك بأنني أجلس هناك بجانبه ، قال جورج بأنه رتّب الامور كي اجتمع مع رئيس الوزراء في الساعة الحادية عشرة . لذا أسرعت عائداً الى «داوننغ ستريت» وأنا مغتبط جداً لان اجتماعي الذي ألغي قد وضع على جدول الأعمال بهذه السرعة .

وجدت هارولد جالساً في قاعة مجلس الوزراء . فقال على الفور بأنه سيكون حريصاً على ان يراني رسمياً حول الاسكان فقط ؛ واوضح ايضاً لماذا لم يحافظ على موعده معي الساعة ١٠٫٣٠ - لانه قد يُظن بأنه يبحث موضوع جورج براون معي . فقلت بأننا من المؤكد ان نبحث الاسكان وبدأت بالتحدث قليلاً حول سياسة الوزارة بشأن معدل الفائدة الجديد ، لكن هارولد انتقل سريعاً الى جورج والى أزمة الفولاذ . فقلت بدون مواربة بأن الشيء الجوهري هو دعوة مجلس الوزراء للاجتماع يوم الثلاثاء وبعد ذلك الحصول على دعم اجتماع الحزب صباح الأربعاء . فأجاب بأنه ينوي عقد «مؤتمر ردهة» ذلك اليوم يشرح فيه كيف ان جورج براون فعل ذلك من تلقاء نفسه وكيف انه هو نفسه لم يتدخل في ذلك . فقلت بأن ذلك لن يكون اكثر من تشويه صورته . ولما كانت الصحافة تشير مسبقاً الى انه يتخلى عن مسؤولياته ، فان مؤتمراً من هذا

النوع من الممكن ان يعطيها مبرّراً للقول بأن رئيس الوزراء قد ترك الوزير الأول في مأزق . وعند احدى النقاط سألني : «هل تعتقد بأن عليّ ان اكون وحيداً في تحمل وطأة ذلك ؟» فقلت له : «كلا ، اعتقد ان وظيفتنا في مجلس الوزراء هي ان نؤيدك . وفي اللحظة التي تَجمْعُنا فيها غداً ، فان مجلس الوزراء سيتحقق بأنه لايستطيع ان يتخلّى عن جورج . يجب ان نتفق على تأييد ما قال وان نسمح له ان يضيع وقته وهو يستمع الى اقطاب الفولاذ . وعلى اي حال ، فاننا بعد ان نمنحه الدعم العام ، نستطيع ان نحاسبه على انفراد حول عمله سيء الحظ» .

ناقشنا هذا الموضوع مراراً فترة من الوقت إلى أن وصلت رسالة تقول بأن كالاهان وآخرين ينتظرون لرؤية هارولد . فخرجت على الفور وذكرت لِـ كالاهان أثناء مروري به بأنني كنت ابحث موضوع الاسكان (من المؤكد ان صحف الصباح في اليوم التالي ستتضمّن بياناً صحفياً من المفترض انه صادر عن «داوننغ ستريت» ، بأن رئيس الوزراء قد أمضى وقتاً طويلاً وهو يبحث المشاكل الملحّة لقروض الاسكان) . وذهبت مباشرة الى غرفة جورج ويغ واخبرته بما حدث . فانفجر جورج ويغ صارخاً في وجهي : «من أنت لتقول بأن هناك خطأ ما في خط سير جورج براون ؟» فقلت له بأن اتخاذ جورج براون لهذا الخط مع دونلي وويات ، بعد أن أكّد لنا رئيس الوزراء في اجتماع اعضاء الحزب البرلمانيين بأنه سيرسل جميع الاقليات الى الجحيم ، يعتبر تصرفاً مسيئاً ، فقال ويغ فجأة : «إن هذه هي وجهة نظرك ، أهي كذلك ؟ حسناً في هذه الحالة فاننا نحارب بعضنا وهذه هي نهايتها» . بدأت أُدرك انه في هذه الحادثة

قد أُعطيت لي ولِـ جورج نصيحة متضاربة . كانت نصيحة ويغ بأن جورج براون لم يفعل شيئاً خاطئاً جداً وان الشيء الواجب عمله هو مواجهة ذلك بتحدٍّ خلال الاسبوع وليس بعقد اجتماع لمجلس الوزراء . وكنت اقول بأن عقد اجتماع لمجلس الوزراء يوم الثلاثاء هو أمر جوهري . وخلال النهار كنت مهتماً ان انتظر لأرى من منا سينتصر . جاءت بربارة كاسل إليّ بعد الظهر بشأن تصريح تخطيط للتطوير في بلاك بيرن (Blackburn) . فأخبرتها عن حديثي مع فرانك كزنز وسألتها ما اذا كانت ستؤيدني في المطالبة بعقد اجتماع لمجلس الوزراء يوم الثلاثاء ، فقالت بأنها ستفعل . بعد ذلك بوقت قصير جاء جون ديلافونز ليقول بأن مجلس الوزراء مدعو للاجتماع صباح الثلاثاء الساعة ١١,٠٠ .

الثلاثاء ١١ أيار :

إن اجتماع مجلس الوزراء يعني بأنني استطيع فقط النظر في مشروع قانون الايجارات في مرحلة دراسته من قبل اللجنة ، لقد كنت مهملاً إياه كثيراً . استهلّ هارولد الاجتماع بتقرير مطول ومتشعّب ، وتلاه دفاع رائع من قبل جورج براون تضمّن اعترافاً صريحاً بأنه كان من المفروض ان يخبر الوزير « فردلي » ، قبل ان يدلي ببيانه . عند هذه اللحظة أشار هارولد إليّ فتدخّلت ، وألقيتُ بياناً كاملاً يتألف من ثلاث نقاط . قلت اولاً بأن ما يجب ان نقرره هو ما اذا كنا سنتخلى عن جورج براون أو ما اذا كنا سندعمه . ولايمكن ان يكون هناك نصف اجراءات . ويجب علينا

إما ان نقبل صراحة بأننا ملزمون بعرضه للاستماع الى أقطاب الفولاذ او ان نلقي به جانباً . وأنا شخصياً ، لا أشك بأن علينا ان نقبل ما قاله كما قيل على حسابنا . وكانت نقطتي الثانية هي انني على الرغم من حملي لوجهة النظر هذه ، فانني اعتقد ايضاً بأنه قد فعل شيئاً بعيداً عن الحكمة لانه يتناقض تماماً مع تأكيدات رئيس الوزراء لأعضاء الحزب البرلمانيين . وأكدت على ان ذلك هو الذي قوّض أركان معنويات الحزب . وأخيرا ، أنهيت كلامي بأنه يبدو لي بشكل جوهري بأن مجلس الوزراء عندما يقرر خط سيره ، فان على رئيس الوزراء ان يذهب الى اجتماع الحزب صباح الاربعاء ويلقي بياناً ، وينبغي عليه ان يخضع نفسه للاستجواب ، لأن اعضاء الحزب يجب ان يشعروا بأن من حقهم ان يستشاروا .

سررت عندما اتصل بي توماس بالوغ في المساء ليهنئني على خطابي الذي وصفه له هارولد ولسون بطريقة متحمسة جداً . ويبدو انه يشعر بأن اجتماع مجلس الوزراء قد حقق نجاحاً ، وشعرت أنا كذلك .

قضيت فترة بعد الظهر الطويلة والقلقة في الوزارة . بعد ذلك كان عليّ ان اذهب بسرعة الى جامعة لندن لمناقشة حركةٍ حول التفرقة العنصرية مع أيان ماك ليود (Iain Macleod) . إنها دائماً نوع من المجازفة ان يصرح المرء بما يجول في خاطره عندما يكون وزيراً ، وحاولت ان أُعدّ هذا الخطاب بشكل ملائم في فترات الاستراحة بين سلسلة الاجتماعات الطويلة . وطلبتُ من أيان ماك ليود ان يمرّ عليّ في الوزارة كي استطيع ان آخذه معي الى شارع غووار (Gower Street) في سيارة الوزارة لانني لا اريد ان اذهب واتناول الطعام مع الشباب في الخامسة

والنصف . لذا جاءني في الساعة السادسة بينما كنت ارتدي بزة العشاء الرسمية . قدَّمت له قدحاً من الشراب وتناولت ملاحظات الخطاب من مكتبي . ولاحظت عندما اخذت مكاني في النقاش فقط بأنني بطريق الخطأ لم اتناول ملاحظات الخطاب وكتاب هانسارد (Hansard) فقط ولكن ايضاً بعض الأوراق الرسمية التي تتعلق بالعلاقات العنصرية . وسار النقاش نفسه ، وهو عبارة عن حركة عدم ثقة بسياسة حزب العمال بشأن العنصرية ، بشكل جيد وتدبرت الأمور كي نفوز بنسبة ٢ الى ١ . ثم أوصلت أيان ماك ليود الى شقته في شارع «سانت جيمس». لقد سررت بمقابلته لأول مرة منذ تولينا السلطة ، واخبرته بمدى استمتاعي بكوني وزيراً . فقال : «طبعاً» ، انك تتمتع بذلك . فتولي منصب وزير هو الشيء الوحيد الذي يستحق الجهد في العالم» . فقلت بأنني لا انظر الى هذا المنصب بهذه الدرجة لكنه ممتع . فقال أيان مرة ثانية : «طبعاً» ، أنت وأنا رجلا سياسة . فحياة الوزير هي الشيء الوحيد في العالم الذي يستحق ان يحصل عليه الانسان» . وأدركت انه يعني ما يقول .

كنت على وشك ان أطلب من «مولي» ان تأخذني بالسيارة الى منزلي عندما شعرت بأنني جائع – اذ لم أتناول شيئاً منذ وقت الغداء ، وبما ان الساعة الآن هي الحادية عشرة وأنا موجود في شارع سانت جيمس، ذهبت الى مطعم برونيار (Prunier) الذي كنت احتفل فيه دائماً أنا وآن بعيد ميلادها . وهناك وجدت نفسي اجلس الى جانب أربعة أشخاص اعتقد أنهم صيادون – وهم بليدون ، ومتبجحون ، ذوو هندام حسن ، ومخمورون قليلاً . شعرت بعدم الارتياح لجلوسي بجانبهم ووضعت

رزمة اوراق المجلس الصغيرة تحت قدميّ وتظاهرت بأنني اقرأ كتاب « هانسارد » بينما كنت اتناول عشائي ، ثم خرجت ومشيت الى البيت عبر الحديقة العامة .

الاربعاء ١٢ أيار :

كان هذا الصباح . محدَّداً لاجتماع الحزب ، ومررت في الساعة الحادية عشرة لاستمع الى هارولد ولسون وهو يلقي خطابه . وقد قُدِّم له النجاح على طبق من قبل وليام ووربي[1] (William Warbey) ، الذي أثار بسؤال وجّهه غضب جميع اعضاء الحزب ضده وبذلك خفف الضغط عن هارولد . وعند نهاية الاجتماع علمت بان التكتيكات التي نصحت بها قد نجحت الى حدّ الكمال . وانتهت ازمة الفولاذ .

بعد الظهر عقدنا الجلسة الاولى للجنة مشروع قانون الايجارات . ورغم الضجيج الكبير الذي أحدثه المحافظون قمت في الاسبوع الماضي بالتحرك من أجل زيادة عدد جلسات اللجنة من اثنتين الى ثلاث ، وجعل الجلسة الثالثة تعقد في أيام الأربعاء الساعة الرابعة . وخلال ذلك الاجتماع الاول أُربكت بسلسلة من الرسائل والتي كان من الضروري ان أتحدث بها

(١) هو عضو في البرلمان عن بروكستو (Broxtowe) التابعة لـ نوتنغهامشاير من ١٩٥٣ — ١٩٥٥ وعن آشفيلد (Ashfield) التابعة لـ نوتنغهامشاير من ١٩٥٥ حتى استقالته عام ١٩٦٦ . وكان يتبنى موقفاً يسارياً متطرفاً حول قضية فيتنام ونشر في عام ١٩٦٥ كتاباً بعنوان : «فيتنام الحقيقة » (لندن ، دار مرلين للنشر ، ١٩٦٦) .

الى سكرتيري الخاص . وكنت في منتصف حديثي للجنة حول احد التعديلات عندما وصلت رسالة أخرى تشير الى أن بعض الأوراق الوزارية مفقودة . وببطء اكتشفت بانني تركت في مطعم برونيار الأوراق التي كنت قد أخذتها لاحضارها الى المناقشة مع أيان ماك ليود .

وعند الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والاربعين ، عندما ارتأيت تأجيل اجتماع اللجنة وخرجت الى الممر ، أُخبرت بأنه يجب عليّ ان اعود الى مكتبي وان انتظر موعداً عاجلاً مع رئيس الوزراء ، الذي كان يلقي عبر المذياع خطاباً حزبياً سياسياً – وهو إلتماس أخير قبل انتخابات البلدية التي ستجري يوم الخميس . ولكن لم أر سبباً يمنعني من الذهاب الى المنزل لأرى عزيزتي آن بينما انتظره . وكان هذا المساء الذي اتفقنا فيه على قبول دعوة لمشاهدة مسرحية امريكية في موسم المسرح العالمي في آلدويتش (Aldwych) . ونحن لانذهب مراراً الى المسرح ولكن في هذه المناسبة كنا قد تلقينا دعوة من السفير الامريكي الى حفلة تقام في السفارة لكي نتعرف على أبطال المسرحية . وعندما وصلت الى المنزل أخبرت آن عن الحدث غير العادي والذي تحققت الآن انه جرى في « برونيار » . ولم يمر وقت طويل حتى وصلت رسالة من جورج ويغ تقول بأنني يجب ان أراه فوراً . وعندما وصلت ، كان يبدو عليه الجدّ . واوضح لي أنه لايوجد شيء اكثر ازعاجاً لرئيس الوزراء وله من ان ارتكب هفوة أمنية . وكان رئيس الوزراء قد أعلن يوم الاثنين الفائت ، ليحوّل الانظار عن أزمة الفولاذ ، قواعد أمنية جديدة بحيث يكون جورج ويغ المنسق الرئيسي ، ثم اخبرت

جورج بما حدث بالضبط . فبدا رصيناً وقال انني يجب ان انتظر لأرى رئيس الوزراء .

وبمرور الوقت نزل الى الاسفل ، وجلست وحيداً في غرفته ، وبعد عشرين دقيقة جاء ديرك متشل (Derek Mitchell) ، وهو السكرتير الخاص لرئيس الوزراء ، وقال : «تعال لمقابلته . لا اعتقد بأن الموضوع خطير جداً» وعندما ذهب الى المبنى رقم (١٠) عبر الباب الخلفي من مكتب جورج رأيت رئيس الوزراء – يختفي في المصعد . وأُوقف المصعد وتمكنت من الصعود إليه . وابتسم عندما رآني ، وقال انه سمع من جورج ويغ ما حدث وسيسرّه ان يجيب على أية أسئلة يرغب المحافظون بطرحها . وقال لي : «يتملكني شعور بالخفّة ، فقد القيت افضل خطاب حزبي سياسي عبر المذياع . ووجهت ضربة حقيقية للمحافظين . أما بالنسبة لك ، فحمداً لله انك لم تكن تتناول العشاء مع «كريستين كيلر» . فالأمر غير مهم ، يا عزيزي ، ويمكنك الذهاب وانت مسرور» . وهكذا ذهبت الى المسرح ومن هناك الى السفارة الامريكية ، حيث كان هناك حشد كبير يقفون صفاً من اجل الطعام . وذهبت أنا وآن الى المنزل لتناول بعض الطعام . وما كدنا نصل الى «فنسنت سكوير» ، حوالي الساعة الثانية عشرة ، حتى بدأ الهاتف يرن . وعند ذلك الوقت كانت الطبعات الاولى من الصحف قد ظهرت : وكتب تشابمان بنشر (Pincher Chapman) مقالاً في صحيفة الاكسبريس كان له تأثير على بقية الصحفيين في شارع الصحافة . وكان كل واحد منهم يرغب في كتابة رواية من بنات افكاره للطبعات الثانية . ولم أقل شيئاً لأي منهم عدا

مندوب صحيفة التايمز . وكشفت له الحقيقة وهي أنني كنت اتناقش مع أيان ماك ليود وان الاوراق تتعلق بالعنصرية وليس فيها أية اسرار .

الخميس ١٣ أيار :

استيقظت هذا الصباح لأجد أن «تشابمان بنشر» قد كتب مقالا كيف ان احد الاشخاص قد أدلى بمعلومات ضدي . ومن الواضح ان هذا الشخص قد وجد الاوراق تحت الكرسي الذي كنت اجلس عليه في المطعم ، واخذها الى منزله ، واحتفظ بها حتى الساعة الثانية عشرة من اليوم التالي ثم سلمها للشرطة ، ولكنه قبل ان يفعل ذلك عرضها على صحيفة الديلي اكسبريس . ولا يمكن ان يحدث شيء اكثر ازعاجاً من ذلك .

وبغض النظر عن ازمة « برونيار » الشخصية ، فقد كان لدي يوم مليء بالعمل لانهاء سياسة القروض الداخلية لتعميمها على مجلس الوزراء ولاحراز تقدم بخصوص سياستي الخاصة بالشاطيء ، كذلك كان لديّ اجتماع للجنة مشروع قانون الايجارات . وبصراحة ، لم اكن أملك الوقت الكافي لأسجّل ان اليوم هو يوم الاقتراع في الانتخابات البلدية قبل ان اذهب الى لايم غروف (Lime Grove) لاجراء نقاش مع إريك لابوك (Eric Lubbock) ، وإينوخ بويل (Enoch Powell) حول المعدّلات . وكنت قد قررت ان اقدم خلال هذا النقاش سياستي بشأن فرض الضرائب المحلية . وكنت ما أزال غاضباً لانني واجهت موقفاً صعباً خلال

مناقشة توجيه اللوم حول القروض الداخلية بسبب رفض جيمس كالاهان التكلم حيث تركني اتحمل العبء لوحدي . ورغبت في ارسال رسالةٍ له بأنني لا اريد هراءً اكثر ولكن تعديلاً صحيحاً للتمويل المحلي ، وان اقوم بذلك بالطريقة الوحيدة التي اعرفها – بأن اقولها جهارا . وفي الواقع ، كان عندي الكثير لاقوله وربما كان هذا هو السبب بانني نجحت فيما قمت به من اعمال في ذلك الاسبوع في «الشرفة» اكثر مما كنت قد فعلته خلال الاسبوع الذي سبقه ، عندما كنت اواجه تيد هيث . وفي النهاية اخبرتني آن انه كان احد افضل الاعمال التي سمعتني اقوم بها ، وبالتأكيد كنت اعرف بأنني كنت هادئاً وحاذقاً ومؤثراً ، وبأن «لابوك» ، و«بويل» كانا لطيفين جداً معي قبل ان استقل سيارتي لأذهب برفقة بيتر براون الى محطة «كنغ كروس» لنركب قطار الليل الى نيوكاسل . وفي طريقنا الى المحطة عرجت على فنسنت سكوير لاحزم أمتعتي وكان لدي متسع من الوقت لافتح التليفزيون واشاهد الحلقة الثانية من برنامج «الشرفة» ، الذي كان يعالج موضوع الانتخابات البلدية . وكان واضحاً منذ البداية بأن حزب العمال سيواجه موقفاً محرجاً .

السبت ١٥ أيار :

لم أشعر بدهشة كبيرة عندما قرأت صباح يوم الجمعة بأننا قد خسرنا ما بين ثلاثمائة وأربعمائة مقعد ، وبأن النتائج في الشمال الشرقي

كانت تشكل كارثة[1] . وكانت هذه اوقاتاً عصيبة بالنسبة لوزير . واتخذت التدابير كي أعقد مؤتمراً صحفياً في الساعة الحادية عشرة من هذا الصباح وكان آخر شيء أريد التحدث عنه هو نتائج الانتخابات البلدية . وبالخطأ ، وجدت نفسي اتحدث عنها ، وبالخطأ ايضاً ، قررت ان أخبر الناس بما حدث فعلاً في «برونيار» في بداية الاسبوع . ولا اعلم لماذا فعلت هذا . وعلى أية حال ، كانت هذه الرواية في هذا الصباح تتنافس مع كارثة الانتخابات البلدية في احتلال اعمدة الصحف .

وكانت هذه زيارة رسمية اخرى استمتعت بها كثيراً . فأمضيت صباح يوم الجمعة مع العاملين في الاسكان في نيوكاسل وقمت بجولة في المدينة لأرى بعض مشاكلهم . وكان مقرراً ان اقوم بعد الظهر بزيارة الى مجلس مقاطعة دورهام (Durham) في مبنى قصرهم الرائع خارج «دورهام» . وكان المسؤولون عبارة عن مجموعة من الأشخاص الرشيقين من اقصى الجنوب ، يديرون مؤسسة مدنية كبيرة ويستمتعون كثيراً بالقنص وصيد الأسماك والرماية ، هذه الهوايات التي كانت تبدو كأنها جزء من عملهم . وعدتُ بسرعة من «دورهام» لأرى احدى أكثر مشاكل التخطيط صعوبة في نيوكاسل ، إنها ساحة إلدون (Eldon) — وهي ساحة جميلة من العصر الجيورجي[2] سيقومون بهدمها لكي ينشئوا

(١) ربح المحافظون ٥٥٢ مقعداً ، وخسر العمال ٣٧٤ مقعداً ، وخسر الاحرار ١٧٤ مقعداً . وفي انتخابات الدائرة الانتخابية الاسكوتلندية التي جرت في الرابع من أيار خسر العمال أربعة مقاعد وربح الوطنيون الاسكتلنديون اربعة مقاعد .

(٢) خاص بعهد جورج الخامس — المترجم .

مركزاً تجارياً جديداً . إنني اعارض هذا بشدّة وقد عنّفت موظفينا الاقليميين في نيوكاسل وقلت لهم أنهم مخربون لأنهم اعطوا موافقتي . ولكني أعلم بأن ذلك أصبح الآن أمراً واقعاً ، وعندما اعود الى الوزارة سأكون مضطراً لكتابة توجيهات تقضي بأن عليهم الحصول على ترخيص[1] .

وفي هذا المساء أقام رئيس بلدية نيوكاسل حفل عشاء استطعنا خلاله مناقشة موضوع حدود خط الساحل والحكومة المحلية . وهو رئيس بلدية عمالي ، وفيما بعد خلال السهرة كانت الصدمة القوية للانتخابات موضوعاً للحديث . وذهبت الى فراشي عند الساعة الحادية عشرة عالماً انه يجب عليّ ان استيقظ في الساعة الثامنة والنصف .

اليوم ، السبت ، كان الصباح بارداً ، وممطراً مصحوباً بالرعد ، ومعتماً. وخرجت بصحبة ألدرمان سير نيكولاس غارو (Alderman Sir Nicholas Garrow) رئيس مجلس مقاطعة «نورثمبر لاند» ، وموظف التخطيط لديه . وكانا حريصين ، مثل موظفي «دورهام» ، على فرض شخصيتهما ، الجماعية والفردية ، عليّ كي يُثنياني عن عزمي لأنشاء نيوكاسل الكبرى التي يجب ان تبنى على حساب أغنى منطقة خاضعة للضرائب في المقاطعتين ، ووجدت أن جهود «نورثمبرلاند» لبناء المدينة الجديدة تثير الشفقة ، لكنني بذلت ما بوسعي من أجلهم ، فافتتحت مصانعهم الجديدة وقمت بزيارة مدينتهم الجديدة . ثم أسرعت إلى سندرلاند (Sunder Land) حيث وجدت إضافة الى حوض

---

(١) وكانت فضيحة كبيرة اذ ان عملية التطوير لم تتحقق ، وكان هدم ساحة إلدون مأساة .

بناء السفن ، موقعاً بحرياً جميلاً ، وغداءً ممتازاً . وقضيت فترة رائعة بعد الظهر مع مجلس له أفضل سجلّ في بناء المساكن في بريطانيا : وهو عضو عمالي متحمس بشكل كامل . وقمنا بجولة في الريف على متن اوتوبيس وشاهدنا المكان الذي سيبنون فيه مدينة تابعة لهم . ثم ذهبت بالسيارة مسافة أربعين ميلاً الى «دارلنغتون» كي استقل القطار ، لأصل الى بيرمنغهام في الساعة التاسعة حيث ستكون سيارة بانتظاري لتوصلني الى برسكوت عند الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين . لقد كان اسبوعاً حافلاً بالعمل وكنت بحاجة الى يوم من الراحة .

الأحد ١٦ أيار :

كان لدي وقت كي أتأمل وأفيق من صدمة الانتخابات البلدية ، وبرغم أنني توقعت مجموع الخسائر ، إلا أنه عندما تحدث لك بعض الخسائر فان ذلك يبدو أسوأ بكثير . ففي بيرمنغهام كانت الخسارة ١٢ مقعداً ، وفي كوفنتري كانت ٤ مقاعد – وهذا خطير بشكل مريع . كان لدي اجتماع هذا المساء مع «ألبرت روز» ، و «وني لاكين» لبحث مشاكل كوفنتري ، لان ثلاثة مقاعد من المقاعد الأربعة التي خسرناها كانت في شرق كوفنتري وكان مقعدان على أقل تقدير بسبب القرار الفاضح لطرد «وني» من الحزب اثناء الحملة الانتخابية . ولكن مهما تكن مصاعب كوفنتري ، فقد بدا لنا جميعاً بشكل واضح بأن المرء لا يستطيع ان يتوقع من جمهور الناخبين ان يصوّتوا لصالح حزب العمال بعد

حوالي ثمانية أشهر من عمر حكومة العمال التي بذرتْ الكثيرَ من الحَبّ ، ولم تحصد شيئاً . ولم ننفذ من الوعود الكثيرة التي قطعناها على انفسنا — بما في ذلك معدلات الفائدة المنخفضة والايجارات المخفضة — اي شيء للناخبين ، حتى مشروع قانوني الخاص بمنع طرد المستأجرين . لذا فمن الطبيعي ان نواجَه بالعديد من الممتنعين عن التصويت وبالمتحولين نحو المحافظين . ومما لاشك فيه ، كما يرى المراقبون ، بان نتائج الانتخابات البلدية سيكون لها تأثير سلبي على انتخابات قد تجري في الصيف ، ولكن هذا الرأي خاطىءٌ طالما ان اجراء مثل هذه الانتخابات كان بعيداً قبل هذه الكارثة : إن هارولد ولسون يفضل الربيع بشكل واضح . كلا ، ان ما فعلته هزيمة الانتخابات البلدية هو التأكيد على الموقف غير المستقر الذي يكتنف الحكومة . فاذا مات شخصان من رجالنا ، فان ذلك سيدمّر الاغلبية بالنسبة لنا . ففي الاقتراع الأخير كان هايمان (Hayman) المسكين ، مريضاً ، وكان لزلي سبريغز (Leslie Spriggs) مستلقياً في عربة اسعاف في سبيكرز يارد (Speaker's Yard) . إننا نقترب من حافة الهاوية بشكل مخيف وان لديّ انطباعاً بأنه في احسن الظروف فانه الفرصة ستتاح لنا في تشرين الأول ، بعد ان نكون قد أنهينا الدورة البرلمانية في تموز .

ولكن ينبغي علينا ان ننجز مشروع قانون الفولاذ ، ومشروع قانون لجنة الأراضي ، وتشريع المعدلات . ونتيجة للنزاع الذي حصل بيني وبين السيدة إيفلين ، اصبح الموظفون يقومون بعملهم جيداً ، وبمساعدة قليلة مني أعدَّتْ السيدة ايفلين مذكرة واضحة لمجلس الوزراء أدرجت فيها خطة

الاسكان للسنوات الأربع ، وطالبت بصلاحياتٍ لتنفيذ النظام الجديد الخاص بفرض فائدة مقدارها ٤٪ على الاعانات المالية للسلطات المحلية ، وبفرض فائدة ٤٪ على قروض مالكي المنازل . ولحسن الحظ ، لم تتكلف الدولة كثيراً في الأشهر الاثني عشر الأولى وهذا هو ما يهم وزير المالية ، علاوة على ذلك فانني في موقف مساومة كبير معه لانني يجب ان ابدأ التفاوض مع جمعيات البناء والسلطات المحلية على الفور اذا كنت سأجعل السياسة جاهزة للعطلة الصيفية .

ملاحظة :

وكما وعدت الحكومة ، فقد خُفِّضت الرسوم الاضافية على الاستيراد الى ١٠٪ في نهاية شهر نيسان ، ولكن على مصرف انكلترا في نفس الوقت ان يطلب ودائع خاصة . وفي الخامس من أيار طلب اللورد كرومر ، محافظ المصرف ، من المصارف التي تقوم بعمليات التقاصّ[1] ان تقيّد السُّلف المصرفية ، باستثناء المصدّرين ، الى ٥٪ فقط حتى آذار ١٩٦٦ . لكن هذه المصارف لم تعط وعوداً بتخفيض عمليات إعطاء القروض .

أظهرت ارقام التجارة لشهر نيسان ، التي نشرت في الثالث عشر من أيار ، زيادة في الاستيراد واستمرت ثغرة التجارة بالتوسع ، حيث ان الاستيراد ارتفع الى ٢٥١ مليون جنيه والصادرات انخفضت الى ٣٩٢

(١) المصارف المقاصّة = المصارف التي تتبادل الشيكات وتصفية الحسابات فيما بينها ـــ المترجم .

مليون جنيه في شهر أيار . واقترن هذا بشعور من الاستياء في الاوساط المالية بلندن بسبب ضرائب رأس المال وضرائب الشركات التي اقرها وزير المالية وانكار سياسة الأسعار والمداخيل التي اقترحها الوزير الأول والتي تدعو للتفاؤل . وقد تقوّض التقييد الطوعي بمنح اجور الى سعاة البريد في منتصف نيسان . وقد هددت الآن بمطالب من رجال المناجم ، ورجال السكك الحديدية وسائقي الاوتوبيسات في لندن . وبشكل متوقع ، استمر الجنيه في الهبوط في عمليات البيع والشراء على الرغم من ان رئيس الوزراء ما زال يرفض التفوه بكلمة : تخفيض سعر العملة .

وكذلك بقي معارضاً بعناد لاي طلب لاجراء انتخابات عامة . وقد طُرد اعضاءُ حزب العمال عبر ردهات المجلس وتحمل كلا الجانبين جلسات طوال الليل في بحث تفاصيل مشروع القانون المالي ، الذي كان مقدراً له ان يصدر في شهر تموز ، مع حوالي ٤٤٠ تعديل من الحكومة فقط . لكن الاقتراع السرّي كان عملاً مكتوماً بالنسبة للحكومة ، باغلبيتها المشكوك فيها . وأبرز مشروع قانون الايجارات الخاص بـ ريتشارد كروسمان نفس المشاكل المتعلقة بالتوقيت وتأمين الأعضاء . كذلك فقد وجد وزير الأسكان ان جهوده لبناء منازل اكثر قد أُحبطت . وكانت معدلات الرهن العقاري قد بلغت الآن ٧٪ وكان وزير المالية غير قادر على اعطاء الوزير المساعدة المالية التي طلبها .

الاثنين ١٧ أيار :

ان الاجتماع مع وزير المالية لم يضف في الحقيقة أي شيء جديد . وقد اعطيته مذكرتي مقدماً ، وبمساعدة «ويلي روص» قدمتها باختصار . ورداً على مذكرتي ، استهل الكلام قائلاً بأننا اذا حصلنا على ما طلبناه فسوف لايكون هناك اي مجال للزيادة في اي خدمة اجتماعية اخرى وهذا موقف لايستطيع ان يتصوره . ثم شرع يسأل بعض الاسئلة المتقطعة حول اسباب احتياجنا الى برنامج اسكان اكبر وما اذا كنا لا نستطيع حل الموقف بتبنّي المنازل القديمة ووضع عائلات شابّة فيها . اعتقد أنها الاسئلة التي يطرحها دائماً وزراء المالية المحافظون مع وزراء إسكانهم، ومما يدعو للقنوط قليلاً ان جيمس لم يبذل جهداً ليحكم على خطتنا من وجهة نظر استراتيجية الحكومة ككل ، لكنه نظر اليها بمنظار وزير المالية . ومما يكدِّر النفس ايضاً انه كان يميل لأعلامنا بأن جميع خططنا كانت كالنجمة في السماء من وجهة نظر الأزمة . آه يا عزيزي ، إنني افهم الآن سبب كُره جورج براون له ولماذا يشعر هارولد بالانزعاج من سلوكه . واستطيع ان افهم ايضاً لماذا كان نيكي كالدور ، وتومي بالوغ ، وروبرت نيلد – الذين كانوا في غرفته عندما كنا نتحدث – يقولون جميعاً بدون تحفظ بأنه كان ينبغي ان نخفض قيمة العملة في شهر تشرين الاول الماضي وان النقص في حجم العملة المتداولة الذي بدأناه الآن يجب ان يستمر بقوة .

وفي المساء كان لدي اجتماع مع اعضاء اللجنة الدائمة العماليين

المختصة بدراسة مشروع قانون الايجارات . وقد طلبوا ان يروْني بخصوص المادة (١٥) ، التي تعالج انظمة نقل المنازل المسيطر عليها الى القطاع المنظَّم . ان عمل مشروع القانون هذا هو تجميد جميع الايجارات المسيطر عليها لإعطاء الناس ضماناً كاملاً ، إلا اذا تغيّر المستأجر . ولكن حالما يتغير المستأجر وفق مشروع القانون هذا ، فان المنزل يصبح بشكل آلي منظّماً وليس مسيطراً عليه . من جهة اخرى ، لقد خطط هذا كله كمرحلة اولى ، وقلت في «القراءة الثانية» ان هناك مرحلة ثانية . وعندما فرغنا من معالجة المنازل واخراجها من السيطرة وحصلنا على نظام الايجارات بالترتيب ، كنا ننوي نقل جميع اقسام المنازل المسيطر عليها الى منازل منظمة ، والمادة (١٥) تعالج ذلك . طبعاً ، هناك عدد من انصاري في المقاعد الخلفية يمقتون حقيقة جميع مشروع قانوني لان ما كانوا يرغبون فيه هو العودة الى ايجارات ثابتة بالنسبة لقيمة خاضعة للضريبة . إنهم يكرهون كل الفكرة الخاصة بايجارات عادلة متغيرة ، التي يمكن ان ترتفع وتنخفض من قبل موظف الايجار . وهكذا . فان اربعةً من اعضاء لجنتي وهم : فرانك ألون[1] (Frank Allaun) ، وإريك هفر[2] (Eric Heffor) ، ولينا جيغر[3] (Lena Jeger) ، ويوليوس سيلفرمان[4] (Julius Silverman) ،

---

(١) عضو برلمان عمالي عن دائرة سالفورد (Salford) منذ ١٩٥٥ ، وكان سكرتيراً برلمانياً خاصاً لوزير الدولة لشؤون المستعمرات من ١٩٦٤ ــ ١٩٦٥ .

(٢) عضو مجلس مدينة ليفربول من ١٩٦٠ ــ ١٩٦٦ وعضو برلمان عمالي لمنطقة والتون في ليفربول منذ ١٩٦٤ .

(٣) عضو برلمان عمالي عن دائرة هولبورن وسانت بانكراس ــ جنوب من ١٩٥٣ ــ ١٩٥٩ ، ومنذ ١٩٦٤ .

كانوا ينتظرون اللحظة التي يستطيعون فيها اختبار الوزير ، وجاءت هذه اللحظة مساء يوم الاثنين . فاخبروني بأنهم سيقفون موقفاً متصلباً لمنع هذه المادة من الصدور لانها ستكون اعترافاً ضمنياً بأنني اذا عالجت مسألة المنازل غير المسيطر عليها مرة ، فان الايجارات المسيطر عليها سترتفع ، فأخبرتهم بأن هذا صحيح تماماً واضفت بأن من الواضح ان كثيراً من الايجارات المسيطر عليها اليوم ، وبشكل خاص في اسكتلندة ، منخفضة بشكل خيالي . ناضلت لمدة ساعتين واعتقد انني في النهاية قد تغلبت عليهم . على كل حال ، عليّ ان اسرع في الذهاب من اجل تناول العشاء مع السيدة ايفلين ، التي كانت في صورة رائعة . لقد اكرمت وفادتي في منزلها في كنسنغتون (Kensington) ، وكان الضيوف الآخرون هم : جيمي جيمس ، مخططنا الرئيسي في الوزارة ، ورجل كنت اريد ان اقابله منذ وقت طويل هو دان سميث[٥] (Dan Smith) وهو زعيم نيوكاسل العمالي وهو صديق شخصي كبير للسيدة ايفلين ، وشعرت بأنها بدأت فعلا تفهمني كوزير وانا بالتأكيد بدأت افهمها كسكرتيرة دائمة .

---

(٤) محامي ، وعضو برلمان عمالي عن بيرمنغهام من ١٩٤٥ ــ ١٩٥٥ ، وعن آستون ، وبيرمنغهام منذ ١٩٥٥ . لا يمت بصلة القربى الى سيدني سيلفرمان .

(٥) عضو مجلس مقاطعة نيوكاسل من ١٩٥٠ ــ ١٩٦٦ ، وكان رئيساً لمجلس التخطيط الاقتصادي الشمالي من ١٩٦٥ ــ ١٩٧٠ ورئيساً لشركة التطوير في بترلي ، وآيكلف من ١٩٦٨ ــ ١٩٧٠ ، وعضواً في اللجنة الملكية المختصة بالحكومة المحلية من ١٩٦٦ ــ ١٩٦٩ . وبتوجيهاته النشيطة أعيد تطوير جزء من نيوكاسل والريف المجاور واستثماره . وفي عام ١٩٧٣ ألقي عليه القبض بتهمة التآمر للرشوة .

الثلاثاء ١٨ أيار :

عندما بدأنا بدراسة المادة (١٥) في لجنة مشروع قانون الايجارات اليوم وقف اتباعنا ، مع الأسف ، موقفاً صلباً ، وأمضينا الصباح كله ونحن نتجادل ، والمحافظون ينظرون إلينا بسرور . ولكن هذا يمكن ان ينقلب الى كارثة . فاذا كان اتباعنا هم سبب تأخيري بخصوص المادة (١٥) ، فلن اكون عادلاً اذا وجهت اللوم الى المحافظين اذا ما بدؤوا هم أيضاً بمحاولة اعاقة التصديق على هذه المادة ، وهذا ما لا يفعلونه في الوقت الحاضر . فقد كانوا يجلسون في مقاعدهم مسرورين بينما كان فرانك ألون ، ويوليوس سيلفرمان ، ولينا جيغر يلقون خطابات مطّولة ويقولون بأنهم سيصوتون ضد المادة – وليس مجرد الامتناع عن التصويت – اذا ما تجرأت على طرحها للتصويت . ومع انقضاء الصباح ، كنت اواجه أزمتي البرلمانية الاولى . فقد كنت وحدي مسؤولاً بشكل كامل عن مشروع القانون وعن اتخاذ قرارٍ بشأن التكتيكات . فاقترب من مقعدي ديك مابون[1] (Dick Mabon) ، الاسكتلندي ، وهو احد اثنين من المساعدين المسؤولين بمرتبة وزير في وزارتي ، وهمس في أذني : «لو كنت مكانك لأذعنت لهم : لندع النقاش حول المادة ينتهي الآن كي تتمكن من مقابلتهم هذا المساء وتقدم لهم التنازلات التي يريدونها» .

كنت افكر فيما اذا كنت سأعمل بنصيحة مابون عندما أعلن

(١) مساعد سكرتير الدولة لشؤون اسكتلنده من ١٩٦٤ ـــ ١٩٦٧ ، وعضو برلماني عن دائرة غرينوك (Greenock) منذ كانون الأول عام ١٩٥٥ .

المحافظون بسذاجة عن عزمهم التصويت ضد المادة (١٥) لوحدهم . ورأيت الفرصة مناسبة كي اطلب اقتراعاً سرياً . ومن الواضح انه كان من الافضل ان أُهزم من قبل أتباعنا في المقاعد الخلفية في الاقتراع السري ، وفي هذه الحالة يمكنني ان ارفع تقريراً عن الموضوع بكامله الى رئيس الوزراء ، بدلاً من ان أذعن في السرّ . وكبديل عن ذلك ، فان الاقتراع السرّي قد يثير تشامخهم . انني لا اعتقد بأن هناك فرصة كبيرة لحدوث ذلك لكن الأمر جدير بالمحاولة .

وفي حوالي الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين تمّ الاقتراع السري ، ورغم ان الاعضاء الثلاثة قد أقسموا ان يقترعوا ضد المادة ، فقد اقترعوا لصحالها عند طرحها للتصويت ، وحصلت على اكثرية صوتين . لقد أثرتُ تشامخهم وتغلبت على أزمتي الأولى . وعلى أية حال فقد قابلتهم مرة ثانية في تلك الليلة لنناقش المادة (٢٢) الاكثر حرجاً ، إنها المادة المشهورة التي تتعلق بالايجار المعتدل ، والتي يمكن ان نصل اليها في الاسبوع القادم . وأمضيت ساعتين ونصف معهم واعتقد انني قد اقنعتهم بأنني ربما اكون محقاً فيما يتعلق بالأجر المعتدل . وعلى الأقل لقد جعلتهم يدركون ان لديهم وزيراً مسؤولاً قوياً كما اعطيتهم أيضاً فكرة عن التفكير الأساسي الذي أوحى بالمادة (٢٢) .

وبعد الظهر أصرَّ هارولد ولسون على اجراء مناقشة حول حادثتي في « برونيار » رغم ان ذلك كان يتضمن القاء كلمة خاصة من قبله في نهاية الوقت المحدد للمناقشة . وعنَّف فعلاً المحافظين وقال إن « موظفا وسيداً » لم يتصرف في الحقيقة تصرفاً يليق بموظف او بسيّد بتسليمه أوراقاً سرية الى

صحيفة الديلي اكسبريس . ولم يشترك أحد من المحافظين الجالسين في المقاعد الأمامية في النقاش . وفي الواقع ، كان بعضهم محرجاً جداً وجاؤوا إليّ فيما بعد ليقولوا لي بأنْ هذه القضية عبارة عن حادثة شخصية كان من الممكن ان تشكل كارثة بسبب سوء تصرف بعض المحافظين . وبينما كنا نخرج من قاعة المجلس قال لي هارولد : « حسناً ، لقد أسعدني ان أردّ لك ولجورج ويغ الاعتبار في وقت واحد» . في الحقيقة ، كان جورج في وضع سيء مع الصحافة منذ عهد قريب وكذلك كان مع اعضاء الحزب البرلمانيين . لقد ردّ رئيس الوزراء في معالجته لموضوع الأمن باظهار التباين بين هذه المعالجة وبين صفات ذلك «الموظف والسيد» مدار البحث .

الخميس ٢٠ أيار :

كنت قادراً هذا الاسبوع على إلقاء نظرة فقط على مجلس الوزراء لانني كنت مشغولاً بمشروع القانون . ومن المؤكد ان هناك شعوراً بين عدد متزايد من الوزراء بان جميع تكتيكاتنا كانت مستهجنة جداً . ففي هذا العام بشكل خاص كان الحصول على مشروع قانون مالي مؤلف من مائتي صفحة[1] ، ويخلق كل انواع الصعوبات في الأوساط المالية بلندن ، يبدو أمراً جنونياً ، في الوقت الذي نريد فيه ان نستعيد ثقة الرأسماليين في العالم . كذلك ، فان ربط مشروع القانون المالي بتأميم الفولاذ يبدو أمراً

(١) كان يشتمل على ٩٠ مادة و ٢١ جدولاً .

مستهجناً أيضاً بالنسبة لحكومة راديكالية متطرفة تتمتع بأكثرية ثلاثة . طبعاً ، اصبح الموقف أسوأ بكثير بسبب عدم الفعالية المطلقة لدعاية حزبنا والنقص التامّ في التنسيق بين «ادارة النقل» وبين مجلس الوزراء . وكنت قادراً على طرح هذه النقطة في مجلس الوزراء قبل ان اهرع الى مشروع قانوني . ومن الممكن ان يتحسن الوضع الآن حيث ان جورج ويغ قد عين ضابط ارتباط غير رسمي بين «ادارة النقل» ومجلس الوزراء . لكنني مرتاب حول ذلك . إن ما نحتاجه هو ما كان لدى المحافظين دائماً – وهو وزير ذو حقيبة وزارية يكون مسؤولاً عن العلاقات مع الحزب . فمثلاً ، ينبغي ان يكون قاضي القضاة في دوقية لانكاستر ، مسؤولاً عن الارتباط مع الحزب والصحافة ، بدلاً من أن يكون مسؤولاً عن التأمين الاجتماعي ، وبدون ذلك لاتستطيع أية حكومة ، وخاصة حكومة العمال ، ان تعيش بحالة من الاستقرار .

لم يكن لمحادثتي مع الأعضاء البرلمانيين في المقاعد الخلفية يوم الثلاثاء أي أثر عاجل . إن الساعات الثلاث بعد ظهر الاربعاء والساعات الثلاث يوم الخميس استهلكت بخطاباتهم.ونتيجة لذلك ، لم نحرز تقدماً في الاسبوع الماضي . وعلي ان اجعل جلستي الاولى – التي تستمر طيلة الليل – يوم الاربعاء من الاسبوع القادم اذا اردنا ان نحافظ على جدول التوقيت الذي خطّطناه . على أية حال ، فانني سأقابل اعضاء البرلمان – في المقاعد الخلفية – مرة أخرى يوم الاثنين القادم وآمل ان أجعلهم يقفون الى جانبي ، فمما لاشك فيه ان معنوياتهم قد تحسنت هذا الاسبوع . كم يستطيع هؤلاء الأعضاء البرلمانيون ، في المقاعد الخلفية – ان يتدخلوا

بالنسبة لنتائج الانتخابات البلدية التي كانت بمثابة كارثة ؟ الجواب السريع : لاشيء يذكر . ولكن ليس هناك شك بأن تلك الهزيمة قد أقضّت مضجع كل امرىء ، حتى الوزارة . وشعرت بالاختلاف في موقفهم بالنسبة لي خلال هذا الاسبوع .

الجمعة ٢١ أيار :

حسناً ، لقد انتهينا الآن من جلستنا الأولى – طيلة الليل – واستلقى «تام» على الأرض في كيس نوم فاخر ، واستلقيت أنا على أريكة بدون وسادة . فاذا كنا سنستضيف هؤلاء الذين يعملون طيلة الليل مرة او مرتين في الاسبوع خلال الاسابيع القليلة القادمة فانني سأسعى لتوفير قدر اكبر من وسائل الراحة لي اكثر مما كنت في الليلة الماضية . وعدنا الى فنسنت سكوير في الساعة الخامسة صباحاً ونمنا لمدة ساعتين . ثم استلقيت وجهزتُ نفسي للذهاب الى اكسفورد من اجل افتتاح مجمع استهلاكي «سوبر ماركت» في كاولي (Cowley) ، وكانت هذه مناسبة ممتعة . كان لدى مجلس مدينة اكسفورد الشجاعة لانشاء مركز تجاري وكان عملاً ناجحاً ، ولم ينجز من قبل شركات تطوير خاصة بل من قبل المدينة نفسها . علاوة على ذلك ، فقد عوملت كعضو قديم عائد الى مجلس مدينته القديم[1] . وكان هذا اليوم سارّا فعلاً وقد انتهى

(١) كان كروسمان زعيماً لمجموعة العمال من ١٩٣٤ ــ ١٩٤٠ .

بمشاهدتي للمنازل الخشبية ثم عدت بالسيارة الى برسكوت لقضاء عطلة نهاية الاسبوع .

الأحد ٢٣ أيار :

للأسف ، ضاع الجزء الأخير من الاسبوع بشكل كامل بسبب حادثٍ لعين ثانٍ ، والذي سيكون محرجاً اكثر من اضاعتي لأوراقي الوزارية في مطعم « برونيار » . والأمر يتعلق بكوخ ، او بالأحرى بنصف كوخ ، في كريمبوت لين (Creampot Lane) ، التي تمتد الى القنال على جانب كروبريدي (Cropredy) من ناحيتنا . فمنذ خمسٍ وثلاثين عاماً هناك عائلة سبنسر (Spencer) — المؤلفة من رجل ووالدته — وهي تعيش في نصف الكوخ ، وهو غير مجدّد ، بينما جدَّدنا نحن النصف الآخر لأحد عمالنا الزراعيين ولم نتمكن من التخلص من عضوي عائلة سبنسر لأن والد آن عندما اشترى الكوخين كانا مستأجريْن مقيميْن ، ولم يسمح له بنقلهما . ومنذ وجود السيد « بريتشت » هنا عرضنا على الرجل مرتين ان نجدد له نصف الكوخ الذي يسكنه وان نصلح له السقف وان نضيف له حمَّاماً ، مقابل الزيادة الطبيعية للايجار ، فأجاب بأنه يفضل الاستمرار في العيش في الكوخ المخرَّب وان يدفع ايجاراً مقدارة خمسة شلنات في العام . وعندما كنت في اكسفورد يوم الجمعة علمت بأن أحد محرري صحيفة اكسفوردميل (Oxford Mail) قد ذهب الى القرية وتحدث الى

ساكني الكوخ وحصل على رواية ينوي نشرها . حاولت اصلاح الأمور مع صحيفة اكسفوردميل ولكن عندما عرفت اسم المحرر الصحفي وارغمته على الاتصال بي كان حذراً ، وعرفت انني لا استطيع ان افعل شيئاً . وهكذا كان الأمر . وعُدنا في اليوم السابق ، السبت ، من يوم جميل أمضيناه مع ابن عمي ما يكل هوارد (Michael Howard) ، الذي يعيش في لامبورن (Lambourne) ، فوجدت بانتظاري سيارة فيها ثلاثة أو أربعة صحفيين ، بما فيهم الاكسبريس والتلغراف ، يقفون بجانب جدار الحديقة . فأدركت حدوث شيء سيء . ففي الوقت الذي شاهدوني فيه كانوا قد انتهوا من رواياتهم ولاشك بأننا سنقرأ هذه الروايات على الصفحات الاولى للصحف في صباح الغد – روايات تتحدث كيف ان وزير الاسكان يسمح لقروي ان يعيش في كوخ حقير بينما يقوم بتحسين النصف الاخر لاحد مزارعيه . وسيكون مثيراً للاهتمام ان نرى ما ستكتبه الصحف حول ذلك . وشعرت بأنني رجل غرّ لأننا ، منذ ان امتلكنا المزرعة ، قمنا ببناء اربعة منازل حديثة من الطراز الأول في القرية لرجالنا وعند الجسر حوّلنا ثلاثة اكواخ قديمة الى كوخين لبناء حمّامات . وهكذا فجميع رجالنا يسكنون في منازل حديثة بدون ايجار ، أما فيما يتعلق بالمسكن المخرّب ، فهو على هذه الحالة منذ خمسة وثلاثين عاماً بسبب المستأجر المقيم فيه عندما تم شراؤه .

ويجب ان أُضيف حادثاً محزناً آخر . فقد كنت طوال هذا الاسبوع قلقاً بشأن مستقبل «وني لاكين» ، وكيلتي في كوفنتري شرق ، ويوم الاثنين الماضي جاء السيد مون (Moon) ، وهو مراسل صحيفة

«كوفنتري ايفننغ تليغراف» في وستمنستر ، لمشاهدتي واخبرني بأن اللجنة الفرعية للتنظيم في ادارة النقل ستتخذ قراراً في قضيتها بعد ظهر يوم الثلاثاء . فاتصلتُ بـ ساره باركر (Sara Barker) وقلت لها الوقائع كما اعرفها فأكدت لي بأنهم واثقون عملياً من اعادتها الى وظيفتها . وسمعت صباح الأربعاء بأن «إدارة النقل» قد أعادتها الى وظيفتها . ولكن فيما بعد أعلنت صحيفة «كوفنتري إيفننغ تليغراف» في نفس اليوم بأن طردها قد ثُبِّت من قبل مجلس مقاطعة كوفنتري . وهذا يعني حدوث مشاكل لانهاية لها . لقد أعدناها الى الحزب ، ولكن معركة فريدة من نوعها ستبدأ الآن وهي لن تعود علينا بأية فائدة في كوفنتري .

الاثنين ٢٤ أيار :

تأثرت آن كثيراً بالضغط الذي نتعرض له حول موضوع كوخنا في كريمبوت لين . ويزداد كرهها للموضوع لأنها تشعر بأننا كنا متراخين وبذلك جعلنا أنفسنا مذنبين .

ولا بدّ ان أقول بأن مقالات صحف يوم الأحد كانت رهيبة ، ففي صحيفة أخبار العالم مقال يثير الاشمئزاز ، وفي صحيفة صاندي اكسبريس مقال آخر لا يحتمل . لكن مدير مزرعتنا السيد « بريتشت» قام بعد ذلك بعمل ناجع وبالتأكيد كانت صحف الاثنين أفضل بكثير . وكتبت صحيفة الديلي تليغراف مقالاً لم يكن سيئاً جداً ، رغم انها نشرت صورتين متناقضتين ومزعجتين (القصر الريفي الجورجي من ناحية والكوخ

الحقير من ناحية اخرى) . اما صحيفة صَنْ ، والديلي ميل ، والتايمز فلم تذكر الموضوع اطلاقاً ، وكذلك صحيفة كوفنتري ايفننغ تليغراف . وهذا يدل في الواقع على ان الرواية قد غطيت فقط في صحيفتي الاكسبريس والتليغراف .

وحالما عدت الى لندن حاولت ان اعرف ما الذي يفكر فيه الناس . وكان الاكتشاف الأول الذي قمت به في وزارتي أن السيدة « ايفلين » ، و« جونز وادل » لم يقرأا عنه شيئاً ، وعندما وصلت الى مجلس العموم عرفت ان زملائي قد اعتبروا الموضوع كواحدة من تلك الهجمات المسيئة والكاذبة ، وقال لي جورج براون ونحن بانتظار اقتراع سريّ : « حسناً ، ياديك ، انك تحتمل عني جزءاً من الهجوم » . ولم يبد على اي شخص من مؤيدينا في المجلس انه يفكر ولو للحظة ان القصة قد تكون صحيحة ومن هذا المنطلق لم يحدث اي ضرر . وفي صخب السياسة اليوم فلا ينتج عن ذلك ضرر كبير وُينسى الموضوع خلال ثمانٍ وأربعين ساعة[1] . وفي الواقع ، لو ان هذا الأمر لم يحدث بعد مشكلة « برونيار » بهذه السرعة لما كان له أية أهمية على الاطلاق . وبالمناسبة ، فان هذه الحادثة قد أتت عليّ بالخير اكثر من الشرّ . فقد كانت عبارة عن طرفة استساغها الجمهور ومن السخرية أنها جعلتني أبدو ولأول مرة إنساناً تظهر فيه نقاط ضعف الانسان وليس آلة حاسبة كثيرة الأخطاء .

---

(١) لقد ثبتت صحة ذلك في قريتنا فقط ، حيث من السهل معرفة الحقيقة . اما في الاماكن الاخرى فان الوصمة تبقى دائمة وتظل الرواية في ذاكرة الناس بشكل مبهم لسنين طويلة ــ مع حسرة لدى الاصدقاء ، وسرور لدى الاعداء .

بدأنا بالاستعداد من اجل جلسة اخرى - تستمر طيلة الليل - حول مشروع قانون الأيجارات لأنه بعد عملٍ بطيءٍ جداً خلال الاسبوع المنصرم فان الطريقة الوحيدة للسير به هي دفعه قُدُماً . وبعد أن أمضينا يوم الاثنين في وضع خططنا وبالاتفاق مع أتباعنا في المقاعد الخلفية اقترحنا ان نبدأ جلسة في الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الاربعاء وان نستمر فيها بدون توقف حتى الساعة الواحدة من بعد ظهر الخميس . وبالنسبة لاحراز التقدم المطلوب ، فقد تم الاتفاق على انه ينبغي علينا ان نُخبر المحافظين باننا مصممون على انجاز «القسم الثالث» في يوم الخميس عند وقت الغداء ، وعلى ترك « القسم الرابع » والجداول والمواد الجديدة كي تبحث في الاسبوع الذي يلي الاسبوع القادم . وجمعنا جميع الموظفين في المكتب وأعلمناهم عن مدى السرعة المطلوبة في العمل . وكان لديهم عمل كثير لاننا لم نصل في الاسبوع الى المادة (٢٢) الشهيرة - وهي العقبة التي يجب ان نتخطاها قبل ان نبدأ الجلسة التي ستستمر طيلة الليل .

كان اول تعطيل لي اليوم من قبل وفد من شركات البناء برئاسة « كيربي لينغ» . وكانت شكواهم النقص الفادح في أموال الرهونات العقارية . وقبل الاجتماع مباشرة قُدم لي آخر ارقام بدايات المشاريع السكنية ، اي حتى نيسان من هذا العام ، لقد أظهرت الارقام بأن بدايات المشاريع السكنية في هذه الأشهر الاربعة تزيد ٤٪ في هذا العام عما كانت عليه في عام ١٩٦٤ ، وهذا الرقم يعتبر أعلى رقم في تاريخ البناء في البلاد . فقلت : « دعونا نبدأ بالحقائق . واليكم هي» . وعندما قرأتُ

هذه الارقام بصوتٍ عالٍ قلت : «هل هذه الارقام متفق عليها ؟» وطبعاً كان عليهم ان يوافقوا . ثم قلت : «حسناً ، إن تهديدات جمعيات البناء ، على أساس هذه الارقام ، بخصوص النقص في اموال الرهونات العقارية في آذار الماضي ليس لها تأثير على بدايات المشاريع السكنية» . واجاب كيرلي لينغ على ذلك بقوله : «لكن جمعيات البناء الصغيرة لاترى المستقبل التي ينتظرها» . وكان واضحاً انه ، طالما ان المتعهدين الكبار قد بدؤوا بتخفيض برامجهم ، فان المتعهدين الصغار الذين يبنون اكثرية المنازل المعدة للبيع لم يشعروا بعد بالهواء الساخن الذي يلفح وجوههم .

على اية حال ، فان من الواضح بأنه ، مع السلف المالية المتوفرة لجمعيات البناء هذا العام والتي هي أقل بحوالي ٣٠٠ مليون جنيه عن العام الماضي ، فان توقف عمليات البناء سيتم سريعاً اذا لم تُتخذ اجراءات عاجلة بشأنها . وكان تشارلي بانل يحثني بعد الاجتماع على نشر الأرقام الحقيقية . فقلت : «لا وحياتك ، فلن أندفع بنشر مدى كذب جمعيات البناء . وانني أُفضل أن أدعهم يتهمونني بعدم الكفاءة والعجز الآن لانهم قد يكونون على حق ومن الممكن ان نجابه صعوبات كبيرة في نهاية هذا العام . ولكن اذا كانوا على خطأ فمن الأفضل عندئذٍ ان يدركوا مدى حماقتهم»[1] .

---

(١) كنت اطبق احدى القواعد التي تعلمتها خلال الحرب كمقاتل مختص بالحرب النفسية . وبعد ان طلب تشارلي بانل ان انشر الارقام الحقيقية كذلك فعل رئيس الوزراء ، لذا كان علي ان اكتب تقريراً خاصاً عن سبب حذري من نشر ذلك .

حدث تعطيلي الآخر من عملي بحضور اجتماع لجنة مجلس الوزراء الخاص بالاذاعة . فقد وضع طوني ودجوود بن (Tony Wedgwood Benn) مذكرة دقيقة اقترح فيها الحصول على التزام مؤكد بأن على هيئة الاذاعة البريطانية (B . B . C) ان تموّل برنامجها الموسع جزئياً عن طريق الاعلانات ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى علينا ان نصدر تشريعاً لمنع «راديو كارولين» ، وهي محطة الاذاعة التي تبث الاغاني الشعبية من فوق ظهر سفينة راسية خارج المياه الاقليمية لساحل إسكس (Essex) . وكنت ضده على طول الخط بخصوص «راديو كارولين» لانني لم أر أية فائدة في خسارة أصوات الشبان قبل ان تقوم هيئة الاذاعة البريطانية بتأمين بديل عنه . وبخصوص إعلانات هيئة الاذاعة البريطانية فانني معها من حيث المبدأ لكنني لست مقتنعاً تماماً بأن من الحكمة اقتراح ذلك الآن . فاذا حاولنا ان نقنع الحزب ان يلزم نفسه مقدماً بهذه المسألة ، فعلينا ان ننشرها بشكل واسع . وما يجب ان نفعله هو إجراءٌ تفحص قاسٍ لهيئة الاذاعة البريطانية بدون التزام من جانب سياسة الحكومة .

انني أُحب طوني بِنْ كثيراً وكنت أرجو منه كل خير عندما عيّنه هارولد مديراً عاماً لمصلحة البريد . إلا أنني الآن لست سعيداً بشأنه وانا أراه اثناء العمل . ففي كل مناسبة يكون فيها على وشك ان يقدِّم خطة لمجلس الوزراء يحدث تسّرب في الأخبار اذ انه يعطي التفصيلات الكاملة مقدماً . بالاضافة الى ذلك ، فان هناك قسوة غريبة تكتنفه وهذا مما يجعله غير محبّب كزميل . ومما لاشك فيه انه جعل نفسه ممقوتاً من قبل المحافظين – على الرغم من ان ذلك لايشكّل شيئاً ضده – لكنه حتى بيننا

في مجلس الوزراء فانه لا يُحدث الاقتناع ، لانه ، برغم انني أشك في كونه مؤمناً بالحزب ، يتمتع في بعض الاحيان بنوع من الاستقامة المستقلة التي تبرز بشكل واضح اثناء العمل . كنت في البداية حريصاً على ان يكون وزيراً للنقل ، لكنني لست واثقاً من انه سيحرز تقدماً عندما ننتقل الى المرحلة الثانية من هذه الحكومة . قد يكون من المناسب له ان ينتظر وان يتعلم .

غادرت الوزارة في الساعة ٣٠ر٤ بعد الظهر وذهبت مباشرة الى مجلس العموم لحضور اجتماع في الساعة الخامسة مع رجالنا في المقاعد الخلفية بشأن مشروع قانون الايجارات . وكانوا متحمسين للغاية وراغبين في المساعدة ، فهؤلاء الاعضاء انفسهم ، الذين كانوا قد جعلوا الحياة مستحيلة بالنسبة لي منذ اسبوع واحد فقط ، مستعدون لتحطيم المحافظين في الجلسة التي ستستمر طيلة الليل .

بقيت في مجلس العموم بعد الاجتماع لتناول العشاء ومن ثم ذهبت الى المنزل حوالي منتصف الليل ، تاركاً مشروع القانون المالي قيد النقاش في المجلس . إن الفوائد التي سنجنيها من هذا الاجراء المعقد المثير للجدل هي موضع تخمين كل فرد . لكنني كلما أفكر بذلك اكثر فانني اصبح اكثر حيرة لاننا بأكثرية ثلاثة ، وأشياء هامة كثيرة ، علينا ان ننجزها ، نجد ان هارولد ولسون والكتلة الداخلية التي تتخذ القرارات قد جازفوا بكل شيء من اجل اكثر الاصلاحات المالية تعقيداً خلال ثلاثين عاماً ، هذه الاصلاحات التي لن نرى أية فائدة منها على الاطلاق في حالة تنفيذ ضريبة الشركات حتى السنة التي تلي السنة القادمة . وربما كانت حقيقة

كون جيمس كالاهان موظفاً سابقاً في مصلحة ضريبة الدخل وكون نيكي كالدور ، كبير مستشاريه الاقتصاديين ، خبيراً سابقاً بالضرائب — هذه الوظيفة التي يتوهم هارولد ولسون نفسه ايضاً انه خبير بها — هي السبب في إلزام انفسهم في خطاب ميزانية الخريف بضريبة أرباح رأس المال وضريبة الشركات في ميزانية الربيع . إنني اشك في ان التعهد الذي قطعوه على انفسهم قد تمّ من اجل تهدئة الاتحادات وجعلهم اكثر احتمالاً للتعاون مع سياسة الدخل الطوعية لجورج براون .

الثلاثاء ٢٥ أيار :

كان عليّ ان اعود الى لجنة مشروع قانون الايجارات في الساعة ٣٠ر١٠ صباحاً . وجرى جدال بيني وبين تام داليل ، وجون ديلافونز لانني وجدت انهما قد تجاوزاني ، مدعيان بأن عليّ ان اكون بعيداً في لجنة مجلس الوزراء الخاصة «بمجلس البحوث العلمية الاجتماعية» . لكنني شعرت بانني لا استطيع ان اكون بعيداً عن مشروع قانون الايجارات في مثل هذا الصباح الحرج ، خاصة وانني يجب ان أتولى زمام النقاش حول موظفي الايجارات وان أخبر «بويد — كاربنتر» شخصياً عن خططنا .

وقد رتبت أموري على أساس ان انجز كل ذلك خلال جلسة الصباح قبل أن أذهب الى «ألبرت هول» (Albert Hall) حيث من المقرر ان اخاطب سبعة آلاف امرأة من الجمعيات النسائية في مؤتمرهن السنوي .

ذهبت الى هناك بالسيارة مع آن وتحدثنا معاً وتساءلنا عن مدى شعور جميع هؤلاء النسوة اللواتي قرأ الكثير منهن الرواية المريعة ، والتي تثير الاشمئزاز ، نحوي كالك «لكوخ حقير» . وعندما دخلنا القاعة سمعنا صوتاً لا يصدق ، حيث كانت السبعة آلاف إمرأة يحبسن ضحكاتهن ويهمسن معاً . والقيت خطاباً بعد ان انتهى سيسيل دي لويس[1] (Cecil Day Lewis) من القاء قصيدة عصماء كتبها بهذه المناسبة . ومما أثار دهشتي ان هاته النسوة قد سألنني بعد القاء خطابي النوع الصحيح من الاسئلة ، ووجدت نفسي أُجيبهن بشكل طبيعي .

عدت الى الوزارة لرؤية شخص امريكي يدعى غوردون (Gordon) وهو الشخصية رقم (٢) في مؤسسة فورد لمنطقة اوروبا . وهو الرجل الذي ينبغي علينا ان نقنعه اذا كان لدينا أي أمل في الحصول على مساعدة من مؤسسة فورد من اجل اقامة المركز البريطاني لدراسات البيئة[2] . واتخذت الترتيبات لدعوة غوردون مساء الخميس مع ريتشارد ليولن —ديفز .

الأربعاء ٢٦ أيار :

كان هذا اليوم رائعاً . بدأت العمل في الساعة العاشرة صباحاً في اللجنة التنفيذية الوطنية في «إدارة النقل» . وسرعان ما اصبحنا في خضمّ

(١) أصبح شاعر البلاط الملكي في عام ١٩٦٨ ، ومات في عام ١٩٧٢ .

(٢) كان الوزير والمجموعة الاستشارية للابحاث ، بزعامة ريتشارد ليولن — ديفز ، يأملون في الحصول على منح ملائمة من الحكومة ومن مؤسسة فورد من اجل هذا المركز .

نزاعات اللجنة التنفيذية الوطنية التقليدية . بدأ ميكاردو هجوماً على اللجنة الفرعية التي يرأسها بيسي برادوك (Bessie Braddock) ، وهذه اللجنة الفرعية التي تشرف على قائمة المرشحين الموصى بهم ، على أساس ان عضو الجناح اليسار من اتحاد العمال العّامين وعمال النقل الذي كان مرشحاً برلمانيا في ويمبلي (Wembley) قد حذف من القائمة تلقائياً . وأخيراً كان عليَّ ان اخرج بعد مضي ساعة ، بعد ان أدليت بصوتي لصالح جناح اليسار بالطريقة التقليدية ، لذا لم اكن هناك عندما صادقت اللجنة التنفيذية على تبرئة «وني لاكين» . كان علي ان اكون في الوزارة الساعة ١١ر٣٠ لرؤية السير سيدني لتلوود (Sydney Littlewood) ، وهو محام بارز ، ورئيس سابق لجمعية القانون ، وقد اقترحته السيدة ايفلين بحماس كرئيس للجنة تخمين الايجارات في لندن . وجدت السير سيدني صلباً جداً ورجعياً للغاية ، لكنه شخصية جيدة وربما كان من النوع الذي اريده . وسأكون اكثر سعادة اذا استطعت ان اضم دافيد دونيصون اليه في اللجنة كشخصية اخرى هامة .

كان انشغالي الرئيسي هذا الصباح في إعداد الخطاب الكبير الذي سألقيه في الساعة ٢٠ر٢ بعد الظهر أمام مجالس المقاطعات . وهذا هو واحد من المناسبات الكبيرة الثلاث أو الأربع المقررة لوزير الاسكان والحكومة المحلية . وكانت الوزارة مشغولة لبضعة أيام بارسال موجز عن المواضيع . أخيراً أخبرتهم بأنني سأعدّ موجزاً بنفسي حول المحافظة على الشاطىء ، وسأعتمد على الارتجال فيما يتعلق بباقي المواضيع . لم يتوفر لي وقت كثير هذا الصباح ، لانه كان يتوجب علي ان اذهب الى مجلس

العموم مرتين من اجل التصويت على مرحلة لجنة مشروع قانون الاعدام الذي كان يبحث في هذا الوقت . وقد تركت وقت الغداء حراً للاعداد النهائي لكنني أُخبرت فجأة بأن رئيس الوزراء يريدني ان اتناول طعام الغداء معه في المبنى رقم (١٠) . وجدته يجلس في غرفة في الطابق الأول . تناولنا كأساً من «الشيري» مع مارسيا وأخذني بعد ذلك الى الطابق العلوي في المصعد وتوقفنا في الشقة الكائنة فوق غرف الاستقبال الرسمية في الطابق الأول . ووجدت هنا في غرفة جلوس صغيرة زوجاً من الأطباق القذرة وعليها خبز وزبدة ، وكأساً مملوءةً الى نصفها بالحليب . وكان واضحاً ان ماري ولسون قد تناولت طعام الغداء قبل خروجها . تناولنا كأساً آخر من «الشيري» هنا قبل الانتقال الى غرفة طعام صغيرة حيث وضعتْ خادمة ايرلندية أمامي طبقاً وعليه قطعة لحم « ستيك » ، وقطعتي خضار وقليلاً من السَّلَطَة . وكان على المائدة علبتا بيرة مثلجة من نوع « سكول » التي لا أحبها . لاحظ هارولد ذلك واثناء تناوله الماء قَدَّم لي كأساً من «الكلاريت[1]» . وبعد الغداء مباشرة ذهبنا الى غرفة جلوسه الصغيرة وهنا قدَّم لي كأساً من البراندي التي يحبها كثيراً . رفضت البراندي وقبلت كأساً ثانياً من الكلاريت .

وليس ادلّ على «البرجوازية الصغيرة» من الطريقة التي يعيش فيها هارولد ولسون في ذلك المبنى المحتشد بالموظفين الصغار . ولكن الحقيقة وهي انه لايستعمل الحُجَرات الخاصة للجلوس بعد العشاء – بخلاف

(١) خمرة بوردو الفرنسية الحمراء — المترجم .

السير دوغلاس هيوم – هي دليل على ان مركزه الجديد في الحياة لم يفسده . فالمبنى رقم (١٠) لم يغيّره ، لكنه غيّره بحيث تبدو حُجَراته مثل حُجَرات منزله في هامبستد تماماً . فقوة هارولد انه لا يشعر بمركب نقص لكنه يعيش حياته الحقيقية والطبيعية . وهو لايحترم الطبقات الراقية لانها تتمتع بأذواق ثقافية رفيعة ينبغي عليه ان يشاطرها اياها . ولم اسأله رأيه حول الرواية البغيضة الخاصة بقصر برسكوت والكوخ الحقير . لكنه حدّثني عنها كأنها كذبة نموذجية روّجها المحافظون . ولم يكن لديه مأخذ ضدي لكوني أعيش في منزل فخم في الريف .

لقد أرادني ان اكون معه هناك ليخبرني عن خططه حول الاسكان . لقد قرّر ان نخفض جميع الخدمات الاجتماعية لتنفيذ مشروع ضخم للاسكان وايصال الانتاج السنوي للمنازل حتى ٥٠٠ ألف منزل بحلول عام ١٩٧٠ . وقال : «إننا سوف نجعل الاسكان اكثر انجازات هذه الحكومة شعبية . ولن ننشىء ميلاً واحداً من الطرق اذا كان التخفيض ضرورياً لكي ننفذ بناء نصف المليون من المنازل في العام ، هذا هو ما أؤمن به» . وقال ايضاً : «لقد كان عندي في وقت سابق وزير المالية وكتبت له مذكرة وتحدثنا حول هذا الموضوع . وهو يعرف الآن تماماً بأن هذا هو الخط الذي يجب ان نقنع مجلس الوزراء للقبول به» . وعندما انتهى من كلامه وجدت نفسي أشكو له عدم ملاءمة مشروع القانون المالي . فقال : «أوه كلا ، إن مشروع القانون المالي مفيد جداً . إنه يصدر في الوقت المناسب . وأمامنا خمسة أسابيع لنعالج مشروع القانون المالي في مرحلة دراسته من قبل اللجنة وسوف نسير فيه بنجاح . هذه هي

النقطة الأساسية . أن يصدر في الوقت المناسب وان نفوز» . لقد دُهشت من الاطراء الغريب الذي أسبغه على مشروع القانون الذي سبّب ذعراً وجزعاً لدى الأوساط المالية في لندن ، ولكن طبعاً هناك دائماً شيء ما في المناقشات التكتيكية التي يطرحها هارولد ولسون . فاذا استطاعت الحكومة ان تبقى في الحكم بعد هذه الأسابيع الخمسة برغم اكثرية الثلاثة ، واذا استطاعت ان تكمل مرحلة دراسة مشروع القانون في اللجنة في مجلس العموم ، فان ذلك يعتبر هزيمة ساحقة للمعارضة وتدعيماً لسلطتنا .

ذكرت في اللحظة الأخيرة ان بوب مليش يستحق ان يكون وزير دولة . فقال هارولد : «انني اريد اكثر من ذلك . إن بوب ينبغي ان يكون وزيراً للأشغال عندما يذهب تشارلي بانل العجوز . لقد تقدمت به السن ولم يعد قوياً» . اذن هناك صحة لما يشاع عن تعديل وزاري هذا الصيف !

ووجدته خلال وجبة الطعام هذه ودوداً ومبادراً للغاية . لذا قلت أخيراً ، وأنا أشعر انني مُقدم على مخاطرة كبيرة : «حسناً ، اذا كان للاسكان كل هذه الأهمية فانني في الحقيقة لا استطيع قبول بروس فريزر كبديل عن السيدة ايفلين» . وتشجعت على قول هذا له لانني كلما نظرت الى الوزارة اكثر ، كلما تحققت ، وكذلك السيدة ايفلين ، بأن مجيء بروس فريزر سيكون ضربة محطمة - وبشكل خاص لأن أياً من المساعدين لا يشكل شخصية قوية . وقلت كل هذا لـ هارولد ثم اضفت قائلاً : «إن كنت ترغب في ان تقوم الوزارة بعملها فعليا لايمكنك اعطاءنا

رجلاً مختصاً بالشؤون المالية عوضاً عن السيدة ايفلين . وانا أرغب في بقاء السيدة ايفلين سنة اخرى» . وكانت هذه فكرة خطرت لي بشكل مفاجيء عندما اقترح عليّ تشارلي بانيل ان اقيم حفل عشاء وداعي كبير لها في «لانكاستر هاوس» فوجدت انها تكره الفكرة . لذا كنت اقوم بتحضير حفل عشاءٍ صغير لها مع وزرائها السابقين والآن ، شكراً للسماء ، ظهرت فرصة لها كي تستمر في العمل فيما اذا وافق رئيس الوزراء .

لكن عقارب الساعة الآن تشير الى الثانية والدقيقة العشرين بعد الظهر وعليّ ان أُسرع في الخروج ، وركوب سيارتي لأذهب عبر النهر الى قاعة مجلس المقاطعة وهناك وخلال ثلاثين ثانية من دخولي الى قاعة المجلس الكبيرة كان الجميع واقفين لاستقبالي ، وسمح لهم اللورد هيثكوت آموري (Heathcoat Amory) بالجلوس وقام بتقديمي لهم . ولم يحدث على الاطلاق ان بدأت بمثل هذا البرود في خطابٍ رئيسي . فتحدثت اليهم مدة اربعين دقيقة ، وشكراً لله ، انني كنت قد كتبت جزءاً من الخطاب . وقد تكون كلمة جيدة اذا ما تم طبعها ، وعلى أية حال فقد كان افضل من أي شيء قدم لي في مذكرة جيمس دنكان جونز .

وكان علي ان أعود الى مجلس العموم عند الساعة الرابعة بعد الظهر لبدء جلستنا الكبيرة التي ستستمر طوال الليل لنبحث مشروع قانون الايجارات . وكنت أعبر ردهة الاقتراع السري في الأسفل عندما قابلت زعيم التكتل البرلماني ، الذي قال انه استلم لتوّه رسالة من زعيم التكتل المحافظ

يقول فيها انهم مستعدون لتقديم مشروع قانوننا يوم الخميس بعد عطلة أحد العنصرة – سيقدموه لنا موقعاً ، ومختوماً وجاهزاً للاصدار – شريطة ان لا نحاول عقد جلسات تستمر طوال الليل . وحدثني بكل هذا بينما كنا نعبر ردهة الاقتراع السرّي خلال اجتماع لجنة مشروع القانون المالي ، والذي كان منعقداً كالمعتاد . (اننا نقوم بهذا ليلاً ونهاراً في هذه الفترة ، وهذا يعني على الأقل ان تكشف نوايا أشخاص مثل زعيم التكتل البرلماني) . وهكذا فان تهديد صباح الثلاثاء بعقد جلسة تستمر طوال الليل كان كافياً لاخضاع المحافظين . ولكن بعد ظهر يوم الأربعاء لم يكن لدى جون بويد – كاربنتر المسكين وقتاً كافيا ليتلاءَم مع التعليمات الجديدة من زعيمه البرلماني او أن يخبر موظفيه بما حدث . وهكذا استمروا في المعارضة عندما بدأنا بمناقشة المادة (٢٢) ، الخاصة بالايجار المعتدل . واستمرت المناقشة ثلاث ساعات ونصف الساعة ومن ثم أخذتني آن لتناول طعام العشاء في قاعة طعام الغرباء . وبعد ذلك عادت هي بالسيارة الى الريف وبقيت أنا حتى الساعة الخامسة صباحاً في جلسة استمرت طوال الليل لدراسة مشروع قانون الايجارات ، وقد كانت تجربة شاقة بالنسبة لي حقاً . وقد كان يوماً مليئاً بالعمل ، فقد ألقيت كلمة هامة في قاعة مجلس المقاطعة وكلمة اخرى هامة في اللجنة ومن ثم جلسات متتابعة ساعة بعد الاخرى .

الخميس ٢٧ أيار :

كنت متعباً جداً عندما رجعت الى الوزارة بعد ثلاث ساعات من النوم . وقد أُلغي اجتماع مجلس الوزراء[1] ، شكراً لله ، لكنني كنت اعلم بأن النقاش حول المادة (٢٢) ما زال مستمراً في اجتماع اللجنة المنعقد في الطابق العلوي . على اية حال ، كان عليّ ان اعود الى الوزارة للاعداد للمجابهة الكبيرة مع كالاهان حول سياستي الاسكانية والتي كان متوقعاً ان تحدث في غرفة رئيس الوزراء في مجلس العموم عند الساعة الخامسة بعد الظهر . وقد تم توزيع مذكراتي ، كما تم توزيع مذكراته ، وكذلك تم توزيع مذكرة «ويلي روص» ، وبالاضافة الى ذلك كان هناك بالطبع دراسات موجزة وأخرى مضادة لها . وكانت هذه إحدى المناسبات الكبيرة التي يوضع فيها الوزراء في الحلبة مثل أبطال الملاكمة بعد أسابيع من التدريب لكي يتصارعوا . وحالما سمعت أن اللجنة قد توصلت الى : «ان تلك المادة رقم (٢٢) ينبغي ان تحذف» ذهبت مباشرة الى اللجنة وتجادلنا لمدة ساعتين وبعد ذلك القيت خطاباً لخّصت فيه الموضوع ، وقد أُشير اليه بأنه خطاب قوي . ثم جاء الاقتراع السرّي ففزنا في هذه المادة الهامة باغلبية صوت واحد فقط . ولم نستطع الحصول على اصوات اكثر لاننا لانملك في اللجنة سوى اكثرية صوت واحد .

---

(١) تأجل اجتماع مجلس الوزراء حتى صباح يوم الجمعة . وكان رئيس الوزراء قد أمضى مساء الاربعاء ، ٢٦ أيار في مناقشة تخفيض معدل فائدة المصارف مع جيمس كالاهان وجورج براون . انظر كتاب : « ولسون » ، صفحة ١٠٧ .

وبمجرد ان انتهى الاقتراع السرّي قدتُ سيارتي عبر شارع فكتوريا متوجهاً الى ناطحة السحاب الموجودة في جهة اليمين حيث توجد مكاتب مجلس مدينة «وستمنستر» . وقد شاهدت مناظر رائعة من قمة ناطحة السحاب من السحب المتجمعة في السماء الى الشمس المشرقة (لقد تغير الطقس الآن) . وقام رئيس بلدية وستمنستر وعدد من الاصدقاء بتسليتي اثناء تناول طعام الغداء الرائع غير الرسمي . وبعد ذلك كان علي ان اعود الى الوزارة لاجراء مقابلة مميزة مع وفدٍ من مجلس محافظة مدينة كراولي (Crawly) الجديدة . أمضيت وقتاً طويلاً وانا استمع الى هذا الوفد وهو يشكو من شركة بناء المدينة الجديدة وكذلك الاستماع الى رئيس شركة بناء المدينة الجديدة وهو يشكو من السلوك غير المحتمل لمجلس محافظة المدينة .

عندما تخلصت من الوفد ذهبت مرة اخرى الى مجلس العموم لحضور الاجتماع الهام في غرفة رئيس الوزراء . وسرعان ما اتضح انه ، على الرغم من توقعات الموظفين ، لن يكون هناك حتى مباراة «ظل» للملاكمة طالما ان وزير المالية قد أذعن قبل أن يبدأ النقاش . فقررت ان لا ألقي خطاباً آخر وتم الاتفاق سريعاً على أساس ان يُقدم المخطط الذي أعدَّه الموظفون في وزارتي كما ورد في المذكرة الخاصة بسياستنا بشكل تقريبي ، وذلك بالنسبة للرهونات العقارية وبالنسبة لقروض السلطة المحلية . حسناً ، اذا كانوا يريدون ذلك ، فليكن . وفي الحقيقة تمّ عمل شيءٍ قليل . فقد تحدثنا حول الموضوع فقط ولم يكن لدي مجال للقتال .

لذا كان باستطاعتي ان أُغادر سريعاً وان اعود الى الوزارة وأن أُقدم تقريراً للسيدة ايفلين التي كانت تنتظر لتسمع نتيجة الصراع . واخبرتني بان طعام الغداء الذي تناولته مع رئيس الوزراء كان له مفعول السحر . فقد أرسل « هلسبي » في طلبها وأخبرها بما قاله رئيس الوزراء حول ما طلبته منه بشأنها وسألها ما اذا كانت ستبقى في الوزارة او كما قال رئيس الوزراء : «ان تبقى في الوزارة مع السير بروس فريزر» . وأخبرتني السيدة ايفلين ان هناك كلام كثير في وزارة المالية وملخصه هو : «انتظروا حتى نجلب بروس فريزر الى وزارة الاسكان ، عندئذٍ سندحرهم» . إن وزارة المالية تكره فكرة أنني أُحظى بدعم رئيس الوزراء في برنامج الإسكان الكبير هذا . والآن يبدو أن السيدة ايفلين ستبقى وسنكون قادرين على تأجيل مجيء بروس فريزر لمدة سنة . وفضلاً عن ذلك ، يمكن حصول الكثير خلال مدة اثني عشر شهراً من التأجيل .

حان الوقت لتنظيف جسمي والذهاب الى حفل عشاء هام يقام في منزل ريتشارد ليولن-ديفز ، كانت الخطة ان نجري حديثاً مع « غوردون » من مؤسسة فورد وان نتأكد من انه سيؤيد فكرتنا ، وكانت خطة ريتشارد وخطتي ان نجد مؤسسة تقوم بعمل نوع من الدراسات بعيدة المدى ، والتخطيط والبحث الذي تقوم به مجالس البحث للعلوم الطبيعية والذي من المفروض ان يقوم به مجلس بحث العلوم الاجتماعية الجديد من اجل الخدمات الاجتماعية . ونحن نعلم ان كل ذلك يعتمد على ايجاد المال للأنشاء طالما ان وزارة المالية لن تخطو خطوة واحدة إلا إذا ذهبنا

اليهم وقلنا لهم باننا سنحصل على الكمية الرئيسية من الأموال من مصدر خاص .

لقد دهشت لوجود فكتور روتشيلد وزوجته تيسا هناك . ولم يخلق وجودهما موقفاً سهلاً لان غوردون رجل حذر ، مثل جميع رجال المؤسسة الامريكية المحترفين الذين يطوفون ليقرروا ما اذا كانوا سيعطونك المال . وهم يشعرون بسرور كبير في جعلك على احرّ من الجمر وعليك ان تخمن ماذا سيكون تصرفهم . إن مهمة إصطياده بالخطاف لم تكن سهلة بوجود فكتور ، الذي هو من ألمع (وأحياناً أخبث) المتحدثين في العالم لكنه الشخص الذي لايحرّض غوردون على الخروج من قوقعته . وفي نهاية السهرة شعرت بأن الفرصة التي لاحت أمامنا أصبحت بعيدة المنال .

لقد صرفت سيارتي ووافقت على ان يأخذني ريتشارد بسيارته من هامبستد . وفي الطريق مررنا بتجربة تركت أثراً سيئاً في نفسي . كنا نسير بالسيارة عبر حديقة « ريجنت » العامة حوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً واذا بسيارة تقف امامنا فجأة وتقطع علينا الطريق ونزل منها ثلاثة شبان واتجهوا نحونا وأخذوا يصيحون على ريتشارد بلهجة إيرلندية واضحة وأمروه بالخروج من السيارة على أساس انه قد عرّض ارواحهم للخطر بقيادته السيئة للسيارة . فلو كان لوحده فانني لا أشك لحظة بأن هؤلاء المشاغبين كانوا قد جرّوه في ذلك الممر المظلم للحديقة ، وأشبعوه ضرباً ولكماً وتركوه مرمياً على قارعة الطريق . والذي حصل ، هو أنهم أصرّوا على أخذه الى مركز شرطة عندئذٍ قلت له : « تابع سيرك » . وهكذا حاولنا الأفلات منهم فطاردوننا مسافة ميل حتى شارع « بيكر » ثم وقفوا أمامنا بسيارتهم وقطعوا

علينا الطريق مرة ثانية . فبقينا في السيارة واغلقنا النوافذ . فأخذوا يصيحون علينا عبر النوافذ فخرج إليهم ريتشارد ، فاعتقدت بأنه سيُهاجم من قبلهم لذا خرجت من السيارة من الجانب الآخر ، وسرتُ عبر الشارع الى كاراج واتصلت بالشرطة هاتفياً . لكنني وجدت ان من الصعوبة ان اشرح لهم طبيعة الحادث الذي عليهم ان يأتوا من اجله واستغرق اقناعهم بالمجيء وقتاً طويلاً . وعندما عُدت وقلت بأن الشرطة ستصل انصرف الشبان وأوصلني ريتشارد الى منزلي .

كم هي هادئة حياتنا في هذه البلاد وكيف ان شعور الخطر من العنف قد زال من عقولنا نهائياً ! فبالنسبة لِـ ريتشارد ولي كانت الصدمة عنيفة لانه كان بامكان الشبان الثلاثة ان يشبعوننا ضرباً ، لكنهم طبعاً امتنعوا خوفا من القانون . وعندما وصلنا الى فنسنت سكوير كنا لانزال نحن الاثنان في حالة اضطراب شديد .

الجمعة ٢٨ أيار :

كان عليّ ان استقل قطار الساعة الثامنة صباحاً من محطة بادنغتون لأكون في الوقت المحدد اللازم للقيام بزيارتي الرسمية لِـ سوندون (Swindon) . لقد قررت ان اذهب الى هناك لأرى التباين بين مدينة اخذت على عاتقها التوسع الخاص بها وبين مدينة جديدة أُنشئت من قبل واحدة من شركات بناء المدن الجديدة الكبيرة . لقد أُخبرت ، طبعاً ، من

قبل وزارتي بأن سوندون هي مكان رهيب : فعلى الرغم من ان السكان جذابون وأذكياء ، فكل شيء قاموا به كان أدنى مما تمّ في المدن الجديدة . واكتشفت على الفور ان مبأنيهم ليست جميلة وان تخطيطهم ليس من الدرجة الاولى ، مع ذلك ، شعرت عندما قمت بجولة في المدينة بأنهم قاموا بعمل هائل . وزاد سكان سوندون بمقدار ٣٠ أو ٤٠ ألفاً ، وفي الحقيقة لقد انشؤوا مدينة جديدة دون ان يصرفوا بنساً واحداً من اموال وزارة المالية ودون ان يستخدموا مواد البناء باهظة الثمن التي تستخدمها شركات بناء المدن الجديدة وبدون الصدام الذي ينشب في كل مكان بين شركات بناء المدن الجديدة وبين مجالس محافظات المدن الجديدة المحلية . علاوة على ذلك ، فان اعضاء المجلس البلدي ليسوا متبجحين مثل المعيَّنين في مجالس المدن الجديدة . في الحقيقة انهم أناس ظرفاء ووديعون ، وهم موالون لحزب العمال ، والكثير منهم عمال في السكك الحديدية ، وهم موالون لي شخصياً لانني اعتدت ان ألقي عليهم محاضرات في « سوندون » بانتظام في الثلاثينات[1] عندما كان «اتحاد العمال التعليمي» في أوجه ، بزعامة ذلك الرجل المسن العظيم ، روبين جورج (Reuben George) .

ومن « سوندون » ذهبت بالسيارة الى نيوبري (Newbury) متأخراً قليلاً عن الموعد المحدّد . لقد سبق أن عيّناً مسبقاً شركة ريتشارد ليولن — ديفز الهندسية كشركة استشارية لتقديم تقرير لنا عن إمكانية إنشاء مدينة في منطقتي نيوبري وسوندون . أنا متأكد من كل ما شاهدته أننا لسنا

(١) كان كروسمان يلقي محاضرات لصالح اتحاد العمال التعليمي من ١٩٣٨ — ١٩٤٠ .

بحاجة الى مدينة جديدة وان محاولة بناء واحدة يعتبر اسرافاً كبيراً . وكل ما نحتاج إليه هو ان ندع المدن القديمة توسّع نفسها وبصراحة فانني لا اجد سبباً لماذا لاتمضي « سوندون » قُدُماً . وعندما وصلتُ الى نيوبري وجدت انهم نافرون من التوسع الى الحدّ الذي تريده الوزارة . وفكرتهم هي ان يتوسعوا بحدود ٢٠ الى ٤٠ ألفاً مثلاً . والشيء الأخير الذي يريدونه هو ان يتوسعوا في مدينة يصل تعدادها الى ٨٠ ألفاً ، ويجب ان اقول بأنني بعد ان تجولت في منطقتهم الجميلة ملتُ للموافقة على فكرتهم .

الأحد ٣٠ أيار :

إن هذه الحكومة في موقف حرج . فهي تعمل داخل مجلس العموم بشكل جيد للغاية ، اما خارجه فهي تخسر بسرعة قوة اندفاعها . وفي الحقيقة ، ان كل ما يدعمنا هو إحجام البلاد عن العودة الى قُصُور أليك دغولاس هيوم وعجز حكومته . ولكن ، يا إلهي ، إن الموقف ضدنا . فالجنيه لم يستقر ، على الرغم من النقص في حجم العملة المتداولة الذي لجأنا إليه . كذلك فان الثقة الاقتصادية لم تُستردّ كما أن مشروع القانون المالي لايقدم لنا أية مساعدة في هذا المجال . لذا فانه من الصعب ان نتبيّن طريقنا . اننا نناضل بصعوبة ، ولن أُفاجأ اذا أجرينا انتخابات في تشرين الأول .

لقد فكرت بأن الشخص الذي يستضيفنا في عطلة نهاية الاسبوع هذه سوف يساعدني في الاستجمام والراحة من الشؤون السياسية . كانت

الضيفة هي سيليا ستراشي (Celia Strachey) ، أرملة جون ستراشي[1] الذي مات فجأة منذ سنتين على إثر عملية جراحية صغيرة أُجريت له ليتخلص من الألم الذي يشكو منه في ساقه على الرغم من إصابته بانسداد تاجي من قبل . وظهرت لديه جلطة دموية أودت بحياته وتركت سيليا أرملة سياسية في حالة يائسة . لقد كانت مكرّسة نفسها لزوجها جون طيلة حياتها وكانت شبه مخطوبة له عندما وقع في حبّ مليونيرة اميركية . وقد خاضت سيليا معركة وانقذته من المليونيرة وبعد ان تزوجته دافعت عنه وحمته من العديد من النساء اللواتي وقع في حبهن خلال حياته الزوجية . وكانت زوجةً رائعة ويمكن مقارنتها بالزوجات الرائعات : دورا غيتسكل ، وجيل فوت . وجميع هؤلاء الزوجات من النوع الذي ينزع الى الاستئثار بحب واهتمام زوجه وقد حاربن كالنمور دفاعاً عن ازواجهن ، خلافاً لِـ آن ، سياسيات ولسن مجرد مهتمات بالسياسة . ولحسن الحظ ، أصبحت سيليا في اواخر أيام جون فنانة ماهرة جداً . وفي إحدى المرات كانا هنا في برسكوت وكان جون يعبّر لي عن آرائه وافكاره فنظرت سيليا الى المكان وقالت بأنها ترغب في المجيء مرة اخرى لرسمه ، لذا طلبت منها ان تجيء ، حالما تشعر بأن ذلك مناسب ، بعد موت جون . وكانت هذه عطلتها الاسبوعية . وكانت ممتعة حقاً في حديثها مع أطفالي واعطتهم

(١) عضو برلماني عمالي عن دائرة أستون بيرمنغهام من ١٩٢٩ ــ ١٩٣١ ، وعن دائرة دندي من ١٩٤٥ حتى وفاته في عام ١٩٦٣ . تولى منصب وزير التموين من ١٩٤٦ ــ ١٩٥٠ ووزير دولة للشؤون الحربية من ١٩٥٠ ــ ١٩٥١ في حكومة العمال التي جاءت الى الحكم بعد الحرب ألّف عدة كتب هامة عن النظرية الاشتراكية .

دروساً في الرسم ، وكانت تنظر عبر النافذة ، الى وادي « شيرويل » بصمت . لكن ما تريده حقاً هو حديث سياسي ، وهذا شيء لاتحصل عليه في مكانها النائي في إسكس (Essex) ، وهذا ما جعل عطلة نهاية الاسبوع شيئاً مؤلماً ومضنياً . وجعلتني اتحقق مدى الخلاف بينها وبين آن فلدينا طفلان صغيران اعمارهما سبعة وخمسة ، ومهما يحدث لي فان لديها الكثير من الحبّ في حياتها للسنوات العشر القادمة ، وكذلك ، بخلاف عائلة ستراشي ، فان لدينا هذا المكان .

بالمناسبة ، يجب ان اكتب الآن حول الاصلاحات التي نجريها في المنزل . فمنذ شهر او شهرين لاحظنا ان المسامير الموجودة في سقف المنزل بدأت تصاب بالصدأ ويجب تغيير جميع الألواح الأردوازية التي تكسو السقوف ووضع مسامير جديدة فيها . وبينما كانت السّقالات مركّبة أعطينا تعليمات بأن تُزال رؤوس المدخنة الثمانية التي ترتفع خمسة اقدام والتي هي من الطراز الفكتوري . وكنت اقول دائماً بأن هذه الرؤوس تجعل المنزل يبدو وكأنه خروف مقلوب رأساً على عقب ويرفع أطرافه في الهواء . ووجدنا ، وهذا يدعو للسرور ، رؤوساً ارتفاعها ستة اقدام وتؤمن تعديل تدفق الهواء في الموقد ، لذا يوجد الآن نصف دستة من الرؤوس التي يبلغ ارتفاعها خمسة اقدام قائمة على المصطبة (الترّاس) وهي تبدو كالأعمدة الكورنثية وتقوم مقام القواعد لأصص الأزهار . والباقي أرسلت الى بنت زوجتي ، فنيس باري (Venice Barry) ، لتضعها في منزلها في ستوكن تشرش (Stoken Church) كذلك فقد انتهزنا فرصة وجود السّقالة كي

نطلي نافذة كاذبة على الجانب الشرقي من المنزل حيث ان الجدار الخارجي القديم الذي يبلغ ارتفاعه اربعة اقدام جعل فتح نافذة حقيقية أمراً مستحيلاً ، كما قمنا بطلاء رؤوس نوافذ كاذبة على الجانب الجنوبي ، وهذا مما ازال المنظر الكالح للمنزل . واستطعت ان اكتب رسالة في عطلة نهاية الاسبوع هذه الى كلوغ وليامز ـــ إليس[1] (Clough Williams - Ellis -) أشكره فيها لاقتراحه بنزع رؤوس المدخنة عندما كان مقيماً عندنا هنا منذ بضع سنوات .

الاثنين ٣١ أيار :

ذهبت بعد الظهر الى غرفة رئيس الوزراء في تمام الساعة الرابعة لحضور اجتماع مع كالاهان . وجاءت الدعوة للاجتماع هاتفياً يوم السبت وبنفس الوقت طُلب مني أن أُلغي مقالاً حول الاسكان كنت قد أعطيته الى صحيفة « صاندي ستزن » (Sunday Citizin) . وفجأة أبدى هارولد فتوراً حول ما اذا كنا نستطيع اعلان مخططي الخاص بالرهن العقاري دون الحاق الأذى بالجنيه . وهكذا جلست مع رئيس الوزراء ووزير المالية بينما كان الاقتراع السرّي يدور من حولنا حول مشروع القانون المالي . وسألاني اولاً حول جدولي الزمني . فأوضحت بأن علي ان ارسل مذكرة سرية على الفور الى جميع أمناء الصناديق في المقاطعات أدعوهم فيها

---

(١) مهندس معماري شهير ومخطط مدن ، وهو صاحب ومصمم قرية بورتميريون (Portmeirion) في شمال ويلز ، منح لقب « فارس » في عام ١٩٧٢ .

لاجتماع تبحث فيه الصيغة الجديدة التي يجب ان تتخذها الاعانة المالية للاسكان . فقال هارولد على الفور بانني لا استطيع في هذه المباحثات ان أشير الى اقتراحي الخاص بتحديد النسبة المئوية التي يدفعونها الى ٤٪ . كذلك يجب ان اكون حريصاً كي لا اعقد اجتماعات مع جمعيات البناء حول الرهونات العقارية . وكان واضحاً ان شيئاً ما قد حدث وأدى الى زعزعة ثقته لانه منذ بضعة أيام فقط كان يتكلم وكأننا نستطيع السير قدماً بخططنا الخاصة بنا ونبدأ حملة الاسكان [الآن أصبح قرض صندوق النقد الدولي في حوزتنا مسبقاً] ، والآن ، على الرغم من ان قرض صندوق النقد الدولي قد قُدِّم لنا ، فقد بدا وكأن الجنيه قد أصبح في مركز حرج جداً وكان رئيس الوزراء ووزير المالية يعدّان لفترة اخرى من اجراءات الطوارىء . وعندما جلست معهما أصبحت مدركاً اكثر فأكثر لمدى بُعدي عن المجموعة الداخلية في المجلس التي تخطط السياسة الاقتصادية . لقد بحثا أمامي عدداً من الأمور التي لم استطع إدراكها لانه لم يُقدَّم لي موجز عنها . وأخيراً تم الاتفاق على : (١)– ينبغي علي ان اعمل جميع تحضيراتي داخل الوزارة ، (٢)– أن لا أُعلن شيئاً للسلطات المحلية حتى العاشر من حزيران ، المصادف ليوم الخميس الذي يلي أحد العنصرة . ويبدو ان هارولد وكالاهان قد اعتقدا بأن هذا يعطيهما وقتاً كافياً للاعلان الذي ينويان اصداره . وانني افترض بأنهما خطّطا لتخفيض معدل فائدة المصارف يوم الثلاثاء أو الاربعاء بعد أحد العنصرة ، عندما تكون الأزمة الحالية قد انتهت .

بالنسبة لي كان هذا الحديث غير مقنع ومزعج . وكان هارولد

لايزال مصمماً على المضي قدماً بسياسة الاسكان الجديدة ، وبدلاً من أن يقوم هارولد بجرّ وزير المالية الى الأمام فان جيمس يقوم الآن بجرّه الى الخلف . وكان واضحاً جداً ان وزارة المالية تعتبر جميع سياسة الاسكان نوعاً من الاثم المالي ، وهي تستخدم هذه الفرصة للقيام بجهد آخر لتخريب هذه السياسة .

كان عليّ ان أذهب الى لجنة مجلس الوزراء المختصة بلجنة الأراضي . ولم نعقد اجتماعاتٍ منذ بضعة أسابيع – في الحقيقة لم تعقد اجتماعات منذ موافقة مجلس الوزراء على السياسة الخاصة بذلك . ويجري الآن إعداد « بيان أبيض» لا استسيغه كثيراً ولكنني لن اقوم بتحديه . أمضينا فترة الصباح بكاملها حوله ولم يَفهم البيانَ أحدّ سوى ويلي ، وماك ديرموت ، اللذين يمثلان وزارة المالية وهما محاميان قديران جداً واشتراكيان كذلك .

وفي ذلك المساء دعوت غوردون على العشاء وهو من مؤسسة فورد كما سبق ان ذكرت . وفي صباح اليوم التالي سافر الى امريكا حيث كان بحاجة الى النشاط الزائد الذي يحدثه تناول وجبة مع وزير . وبمساعدة « تام داليل» أمرت بإعداد أحسن عشاء يمكن ان يقدمه مجلس العموم وآمل ان يكون قد شعر بأن الوزير عامله بشكل صحيح . وبينما كنا نتناول طعام العشاء دخلت مباشرة ببحث المقترحات معه وعلمت بشكل واضح ان مؤسسة فورد مستعدة للمساعدة في تمويل « مركز لدراسة البيئة» ، يُنشأ في بريطانيا على غرار «المعهد الدولي» في طوكيو وفي بعض العواصم الاوروبية . وإن أهم شيء من وجهة نظر مؤسسة فورد هو ان يتم بناء

شبكة من هذه المعاهد وان يكون المعهد البريطاني من ضمنها . اما من جانبنا فينبغي ان نتأكد من انه مفيد لنا .

ويريد ريتشارد ليولن – ديفز ان يُلحق المعهد بجامعة لندن ، حيث هو الآن استاذ فيها . اما جيمس دنكان جونز فهو يشك بأن ريتشارد يرعى مصالحه الخاصة ويفضل ان يُدار المعهد من قبل شخص تحت اشراف الوزارة . وكان واضحاً لي بأن هذين الاقتراحين لن يرضيا غوردون . فهو يريد مركزاً مستقلا بشكل حقيقي لا يُلحق بجامعة ما ، وينبغي ان يموّل بشكل كبير من قبل الحكومة ويبقى مع ذلك مستقلاً عنها . ووافقتُ أخيراً بأن نقوم بمحاولة اجراء مناقشة في اوائل آب على ان يقوم حوالي عشرين شخصاً بعمل التفاصيل مع غوردون ومع باقي عناصر مؤسسة فورد .

وفي مساء الاثنين عقد مجلس العموم جلسة استمرت الى ساعة متأخرة من الليل وهو يناقش مشروع القانون المالي ، وجلست في غرفتي لدراسة الاوراق الموجودة في الصناديق وكنت اذهب بين الحين والآخر للتصويت في اقتراعات سريّة لاتنتهي حول فقرات غامضة لايفهمها احد . على أية حال ، استطعت ان اتملص في تلك الليلة وان اذهب الى منزلي بعد الساعة الحادية عشرة . اما «تام» فقد وصل الى منزله في السادسة من صباح الثلاثاء .

ملاحظة :

لخلق جوّ من الثقة ، بين رجال المصارف الأجانب والمحليين ، فقد خُفِّض معدل فائدة المصارف الى ٦٪ في الثالث من حزيران . ولكن ، بنفس الوقت ، أُعلنت رقابة مشدَّدة على الشراء بالتقسيط . وما زال الاسترليني في مركز حرج ، على الرغم من ان الارقام لم تنشر حتى الثاني من تموز ، ففي شهر حزيران نفذ حوالي اربعة وعشرين مليون جنيه من احتياطي الذهب . وفي التاسع والعشرين من حزيران طار وزير المالية الى واشنطن لاجراء محادثات مع وزير المالية الامريكي حول دعم الدولار للجنيه . وبدا أن التخفيضات في نفقات الإدارات أمرٌ لا مفرّ منه ، واستعدَّتْ «لجنة دراسة النفقات العامة» ، التي تتألف من خمسة حكماء ، لمراجعة خطط الوزراء وبرامجهم .

إن مؤتمر «الكومونولث» الذي عقد في لندن في شهر حزيران لم يحوّل الانظار عن الأزمة كما كان يأمل رئيس الوزراء . وكانت الورقة الرئيسية التي يريد ان يلعب بها هي اقتراح مبادرة سلام في فيتنام . كما ان ادارة الحرب الآن لم ترعب جناح اليسار في حزب العمال فقط ولكن الرأي العام ايضاً . ففي أحد الاتحادات التعليمية في اكسفورد ، حيث قام وزير الخارجية ، مايكل ستيوارت ، في السابع عشر من حزيران ، بالدفاع عن موقف الحكومة ، أصبح حديث الصحافة . وكانت خطة ولسون هي إرسال بعثة سلام تتألف من رؤساء حكومات بريطانيا ، ونيجيريا ، وترينيداد ، وتوباغو ، وغانا ، وسيلان ., وباستثناء رئيس تانزانيا ، فان

رؤساء وزراء الكومونولث وافقوا على خطة ولسون . واوشكت المجازفة ان تفشل عندما شكـت بعض الوفود من التكتيكات التي استخدمت من أجل الحصول على موافقتها وعندما بدا الصينيون وكأنهم معارضون لقبول الزائرين . ولكن الفكرة بقيت واردة خلال الشهر .

الثلاثاء ١ حزيران :

كان عليّ ان استيقظ مبكراً لمقابلة جورج براون الساعة ٤٥ر٩ في دائرة الشؤون الاقتصادية . ووجدته أنيقاً بشكل بارز مع انه لم يذهب للنوم حتى السادسة والنصف صباحاً واستيقظ ثانية في الساعة ٣٠ر٨ . كان الغرض الرسمي من مقابلتنا هو بحث ما يمكن عمله بالنسبة لمراجعة التخطيط في المنطقة الشمالية الغربية وفي ميدلاندز ، وقد قُدمت مراجعة التخطيط هذه بالنسبة للمنطقتين على شكل مسودة الى دائرتة والى دائرتي ايضاً . وهاتان المنطقتان هما منطقتا التداخل بين الدائرتين . وكانت مراجعة تخطيط غرب ميدلاندز ، التي أُعدت بادارة المستر باغ (Mr. Pugh) من ادارتي افضل بكثير من مراجعة تخطيط المنطقة الشمالية الغربية ، التي أُعدت بإدارة المستر مكنتوش (Mr Mackintosh) من ادارته وهي تلبي مطالب جورج للعمل . وكانت كلتا الوثيقتين غير عميقتي التفكير . وفي الحقيقة كانتا وثيقتين سطحيتين بشكل مرعب — فهما مجرد تجميع للحقائق المعدّة للحكومة المركزية مع مسح اجتماعي عُمل بشكل

سريع واستنتاجات سريعة . ويستطيع المرء أن يدرك مدى المرحلة الابتدائية التي يوجد فيها التخطيط فقط عندما يعرف مثلي العدد الكبير من العاملين في هذا المجال ، وما هو نوع هذا العمل ، ومدى الفراغ الذي كان موجوداً قبل عمل هذه التقارير . قلت لجورج قليلاً من هذا ونصحته ان لايعتمد على أهمية هذه التقارير ، وينبغي ان توزع في المقام الأول دون ان تودع للطباعة .

بعد ذلك ، كما يحدث عادة مع جورج ، تكلمنا عن الموقف الاقتصادي وعن التطور في الأقاليم . وركزت كلامي على التغيير الاستثنائي منذ تشرين الثاني الماضي ، عندما بدأتْ دائرة الشؤون الاقتصادية بعمل ضجة كبيرة كدائرةٍ تقوم بالتخطيط الاقتصادي بشكل حقيقي بينما كانت وزارة المالية منصرفة للشؤون المالية . على أية حال ، ركّز جورج كلامه على سياسته الخاصة بالدخولات وترك التخطيط الاقتصادي الهام يقع على عاتق وزارته بينما كانت وزارة المالية تقوم بالمهمة . وأخبرني عن اجتماع عُقد في «شيكرز[1]» في عطلة نهاية الاسبوع الماضية بين رئيس الوزراء ، وبينه ، وبين كالاهان ، لكنني أشك كثيراً ما اذا كانت دائرة الشؤون الاقتصادية ستسترد مركزها المسيطر . وربما لن تستطيع قطّ أن تحقق ذلك تحت نوع الزعامة التي أوجدها جورج براون — وهي زعامة موهوبة ، وذكية ، وهائجة ، ومرحة ، ومتحيرة — وهذه ليست الزعامة المطلوبة لمواجهة وزارة المالية بشروط متساوية . وفي الحقيقة ، إن دائرتي

(١) المقر الريفي لرئيس الوزراء .

تعتبر اكبر عائق لوزارة المالية وتقف في طريقها بقوة تفوق دائرة الشؤون الاقتصادية .

ومن هناك ذهبتُ مباشرة الى لجنة مشروع قانون الايجارات التي وصلت الى المواد الخاصة بمضايقة المستأجرين . ونظراً لوجود عد كبير من المشاكل القانونية حول هذه المواد فقد أحضرنا النائب العام وأمضينا طيلة الصباح ونحن نناقش ذلك . وأصبحت مشكلة مضايقة المستأجرين حادة عندما أُعدتُ الحماية للمستأجرين في «قانون الحماية ضد انتزاع الأرض» . وكان بعض مالكي الأراضي يلجؤون الى الطريقة السهلة وهي قذف المستأجرين خارج الأرض دون انتزاع الأرض منهم بشكل قانوني . لذا أخبرت الوزارة بان هذا يجب ان يعالج بأي ثمن في مشروع القانون الجديد . وعندما نُشر القانون تأكدتُ ان المواد الجديدة قد عالجت المشكلةَ وقد غضبتُ عندما قيل في هيئة الاذاعة البريطانية أولاً وبعد ذلك في صحيفة «الايكونوميست» ، ان المواد الجديدة لم تفعل شيئاً جيداً . والآن عندما طُرح القانون للنقاش في اللجنة اعترف المدعي العام بطريقة خرقاء وجود جميع انواع الثغرات والأخطاء في هذه المواد التي دافعتُ عنها بحماس ضد أي هجوم . ومرة اخرى فان المرء يندهش لوجود نقاط ضعف عجيبة في كفاءة الخدمة المدنية . وبما ان كاتب المسودات البرلماني الذي كتب مسودة مشروع القانون كان رجلاً ممتازاً ، فقد شعرت بأن في امكاننا ان نحصل على فريق عمل في الوزارة على درجة كبيرة من الكفاءة اذا لم نعتمد كلياً على الفئة الادارية من الموظفين .

تابعنا بعد الظهر نقاش «البيان الأبيض» للجنة الأراضي في لجنة

مجلس الوزراء . وشعرت بيأس عندما فكرتُ بأن هذه الأشياء الكبيرة سوف تنتج عن مثل هذا الاجراء . وكان يبدو لي بأن مشروع قانون لجنة الأراضي عندما يدرج في سجل القوانين سيكون غير مقبول لدى الجمهور وسيكون موضع سخرية بسبب غموضه وبسبب إسهامه الضئيل في حلّ أية مشكلة . ومن الواضح الآن أن الشيء الوحيد الذي قدمه مشروع القانون حقيقة هو فرض ضريبة على التحسين ، التي كان من الممكن ، بالمناسبة ، ان تنظم بشكل افضل من قبل قسم الضرائب المختص بالأراضي الداخلية . ولو كان مشروع القانون من مسؤولية وزارتي لاتخذت قراراً متطرفاً وهو مصارحة الجمهور بأننا خفضنا اقتراحنا الأصلي الكبير وتبنّينا مشرون قانون معتدل وعملي وقصير المدى ، وركّزنا على اعطاء السلطات المحلية صلاحيات اكبر للشراء الاجباري للأراضي . لكن هذه ليست طريقة فرد ويلي ، ومشروع القانون هذا هو مثال قائم لإجراء كثير الأدّعاء لكن لن يكون له تأثير هام قبل سبع او ثماني سنوات على الأقل منذ بدء العمل به .

عندما عدت الى الوزارة وجدت جيمس دنكان جونز ، وجيمي جيمس يعملان في مشروع « فورد » . وقد قاما مسبقاً باستئجار « كلية تشرتشل» لمدة اربعة أيام في شهر آب وبدأا بتوجيه الدعوات ، وتستطيع الخدمة المدنية ان تعمل بسرعة عندما ترى ان هذا العمل هو في مصلحتها . وبما ان مجلس العموم كان لايزال يترنح من جراء الجلسة التي استمرت طيلة النهار ، فقد كان اليوم يوم راحة في الواقع وكان باستطاعتي أن آخذ آن الى المسرح حيث شاهدنا رواية مسرحية من تأليف الكاتب

آيفي كومبتون - بيرنت (Ivy Compton - Burnett) . وكان هذا العمل المسرحي مخفقاً إخفاقاً تاماً . لكنني قضيت أمسية جميلة مع هلغا غرين (Helga Greene) ، وابنها غراهام وزوجته جودي ، وهي ابنة باتريك غوردون ووكر . وبعد ذلك ذهبنا الى مطعم «برونيار» لتناول طعام العشاء وحدثني غراهام ، وجودي عن التعليم - وهو الجزء الوحيد من برنامج حكومة العمال الذي يهتمان به حقيقة . وقد دُهشت لسماعي ان غراهام وجودي يطوفان في منطقة شلزيا (Chelsea) التماساً لأصوات الناخبين من اجل الانتخابات البلدية . فهما عُمّاليان متحمسّان ويشعران بيأس نتيجة الوضع الراهن للحكومة .

الأربعاء ٢ حزيران :

أمضيت الصباح بكامله في الاعداد للقرارات الكبيرة الثلاثة التي سأعلنها ظهر الخميس حول حدود مدن : ليسستر (Leicester) ، وتوربي (Torbay) ، وبلايموث (Plymuoth) . استقبلت اولاً ممثلي صحف ميدلاندز كي اشرح لهم قراري الخاص بـ ليسستر . ثم استقبلت بعد ذلك ممثلي صحف ديفونشاير بخصوص مدينتي توربي وبلايموث . كذلك اجريت مقابلات خاصة مع ممثلي صحف : الغارديان ، والتايمز ، والفاينانشال تايمز لكي أتأكد بأنهم يفهمون الفلسفة العامة التي تكمن وراء هذه القرارات عند تعليقهم عليها[1] .

(١) هناك ايضاً احتمال بأن قرارات الوزير سوف تعرض للخطر ثلاثين مقعداً عمالياً في البرلمان .

لقد وَصَفْتُ سابقاً في هذه اليوميات كيف توصلتُ الى قراري حول مدينة بلايموث ، وطبَّقتُ نفس المبادىء في توربي . كانت ليسستر اول قضية لي يكون فيها قرار الحزب السياسي مركزياً . قرأت تقرير اللجنة بعناية شديدة ووجدت بأن مقاطعة ليسستر قد وافقت على ان تحصل مدينة ليسستر على وحداتها السكنية التي بنتها خارج حدود المدينة والتي هي حالياً داخل حدود المقاطعة . ويجب ان تُوضَّح الحدود الجديدة على هذا الأساس وبدون غموض . في الحقيقة ، كانت توصيات اللجنة تسوية صعبة ، وليس فيها ما يرضي المدينة او المقاطعة[1] . وبدأت اتساءل بيني وبين نفسي ما اذا كان لايوجد تبرير سليم وعملي لاعطاء المدينة ممتلكاتها السكنية وترك الباقي للمقاطعة ، بحيث يُقال لمجلس المقاطعة : «لقد أعطيناكم الآن كل هذا ، فابدؤوا بالتخطيط لتعاون معقول بينكم وبين المدينة» . انني ادرك طبعاً بأن هذا الحل سوف يضع اقصى عدد من اصوات العمال داخل المدينة واقصى عدد من اصوات المحافظين خارج المدينة في المقاطعة ، وبذلك يتم تأمين مقاعد العمال في اعادة التوزيع البرلماني القادم . هذا هو الخط الذي فرضته على الوزارة . ان هذا عمل يدعو للقلق لأنه يجب عليّ أن أكون متأكداً بأن أحداً ما لايستطيع اتهامي بتحديد المناطق الانتخابية لمصلحة حزب العمال . ويجب عليّ ايضاً ان اتأكد بأنني لا أُثير غضب مجلس مدينة ليسستر وأنهم لايشجبون

(١) كانت مشكلة ليسستر معقّدة لان المدينة ، التي يسيطر عليها حزب العمال ، لا تزال محتفظة بمدارسها الثانوية بينا مقاطعة ليسستر ، التي يسيطر عليها المحافظون ، تمارس تجربة شهيرة تتمتع بشعبية كبيرة في مجال التعليم الشامل .

الترتيبات التي اقترحها . كذلك علي ان اتأكد بأن هذا الاجراء سوف يكون أساساً حقيقياً لانهاء الحرب الباردة بين المقاطعة وحاضرتها .

وفي اسابيع المشاورات لم ازعج نفسي باخفاء العامل السياسي عن موظفي وزارتي لكنني كنت حريصاً على عدم ذكر ذلك اثناء ايجازي للصحفيين صباح الأربعاء .

أكملنا بعد الظهر في لجنة مشروع قانون الايجارات المادّة المتعلقة بمضايقة المستأجرين وبدأنا بدراسة صيانة العقارات المستأجرة . ومن مزايا مشروع القانون أن الحماية التي أعدناها لجميع المستأجرين للعقارات غير المفروشة قد منحت ايضاً لأول مرة الى من يسمّون « بأصحاب الرخص » ، وهم : الأشخاص الذين يعيشون بمنازل مؤقتة ، والنظّار[1] ، والعمال الزراعيون . وأردت ان ينال العمال الزراعيون الذين يطالبون بالالغاء التامّ للأكواخ المؤقتة ، الحماية الكاملة . لكن المحافظين كانوا يسعون لادخال تعديل على المادة بحيث تحدَّد مدة صلاحيتها باثني عشر شهراً[2] . وكان جيم ماك كول ، وديفي (Davey) محامينا الوزاري ، وكاتب المسودات البرلماني جميعهم قلقين جداً حول هذا التعديل لانهم يعتقدون بأن المحافظين يملكون حجة قوية جداً . اما بالنسبة لي فكان الموضوع أمراً سهلاً ، ربما لانني اعتبر نفسي مزارعا واستطيع التكلم بخبرة

(١) الاشخاص الذين يتولون الاشراف على العقارات او الأراضي في غياب المالك — المترجم .

(٢) بعد انقضاء هذه المدة يستطيع المزارع ان يطرد المستأجر قانونياً حتى ولو لم يتوفر مكان ايواء بديل .

عملية حول المشكلة . بعد ذلك جلسنا لمناقشة مشروع القانون المالي في جلسة استمرت طوال الليل .

الخميس ٣ حزيران :

كان على «هلسبي» ان يراني صباح هذا اليوم حول مستقبل سكرتيري الدائم . فجاء في الساعة العاشرة ، بعد ان رأى السيدة ايفلين ، وبروس فريزر . لقد أجريت حديثاً أخيراً وطويلاً مع السيدة ايفلين يوم الاربعاء . وقد حثّتني على ان أبلغ هلسبي بأن بروس فريزر هو شخص غير مناسب لوزارة الاسكان وأنها باقية في منصبها لتمكيني من الحصول على شخص أفضل ، فان لم يكن هذا الشخص هو فيليب ألن من وزارة الداخلية ، فليكن دونيت (Dunnett) من وزارة العمل . وكنت مدركاً للأمور فخيبت ظنها . وكنت أعلم بأن خطي يجب ان يكون واضحاً بأنني لست ضد بروس فريزر شخصياً ولكن بما أن الاسكان كان الدائرة الرئيسية حتماً في استراتيجية الحكومة خلال الخريف والشتاء القادمين ، فنحن بحاجة للمحافظة على المعنويات عالية ولذلك فان الوقت غير مناسب لتغيير القيادة . وهذا هو سبب رغبتي في ان تستمر السيدة ايفلين في العمل حتى الربيع وبهذه الطريقة حاولت إقناع «هلسبي» ، الذي قال آنذاك : «حسناً ، ليس هناك سوى ادارة اخرى له — وهي وزارة الأراضي والثروات الطبيعية» . ثم سألني ما اذا كنت اعرف ان المدعو بيشوب (Bishop) ، السكرتير الدائم هناك ، يرغب في ترك العمل . وبرزت هنا

فكرة رائعة جديدة — وهي أن يلتحق بروس فريزر بوزارة الأراضي والثروات الطبيعية هذا الخريف وبينما يدير هذه الوزارة الصغيرة فانه يرعى مشروع قانون اخلاء العقارات المستأجرة ، وهذا ما لا أرغب القيام به على الاطلاق . ومن ثمّ عندما يتم تشكيل لجنة الأراضي واخلاء العقارات المستأجرة فإن بروس فريزر يأتي الى وزارة الاسكان ويجلب معه وزارة الاراضي والثروات الطبيعية ، كسكرتيرٍ دائم للوزارة الجديدة المؤلَّفة من الوزارتين .

وسأل هلسبي : «هل يمكننا ان نحصل على موافقة رئيس الوزراء على هذا ؟» فأجبته «بحق السماء لاتتحدث عن الموضوع الآن» . فقال : «ولكن لايمكننا خداعه ، فاذا كنا نريد ان نرسل بروس فريزر الى وزارة الأراضي والثروات الطبيعية على ان يعود الى وزارة الأسكان فيجب ان يقال ذلك الى رئيس الوزراء» . فأقنعته بأنه يجب ان لانفصح عن نوايانا الى هذا الحدّ . وهكذا اشتركت أنا ، وهلسبي ، وبروس فريزر ، والسيدة ايفلين في مؤامرة لايجاد الطريقة المثلى والوقت الأنسب من اجل إقناع رئيس الوزراء بأن يسمح لي بالاحتفاظ بالسيدة ايفلين على رأس عملها خلال هذا الشتاء الحرج . اما بالنسبة للمستقبل ، عندما تعود وزارة الأراضي والثروات الطبيعية الى الاسكان فلن يساورني القلق بشأن ذلك . فمن المحتمل جداً ان لا اكون وزيراً للاسكان في ذلك التاريخ المحدّد .

وبعد التحدث الى «هلسبي» ذهبت الى اجتماع مجلس الوزراء — وهو الأخير قبل عطلة عيد العنصرة . وبعد ان جلسنا قال هارولد ولسون مباشرة بأن لديه عملاً مستعجلاً يجب ان يتم انهاؤه قبل الساعة الحادية عشرة والنصف . وشرح فيما بعد بأن هناك فرصة الآن لعقد صفقة

ينخفض بموجبها معدل فائدة المصارف من ٧٪ الى ٦٪ مقابل قيود جديدة على الشراء بالتقسيط . وأخبرنا بأن هذه الفرصة ربما تكون الأخيرة قبل الخريف لتخفيض معدل فائدة المصارف . وكان القيام بذلك أمراً حيوياً ولكن محافظ المصرف لن يوافق إلا اذا رافق التخفيض قيود جديدة على الشراء بالتقسيط تكون صارمة بشكل كافٍ بحيث تترك أثراً لدى رجال المصارف في زوريخ . وسرعان مابدا أن جورج براون يعارض هذه السياسة بشدة بحجة أنها ستثير موضوع البطالة الذي كان يخشاه . وكان يؤيده الى حدّ ما طوني كروسلاند ، الذي قال لنا بأنه ضد شروط الصفقة لانها غير منطقية وهو لا يعتقد بأن من الحكمة ربط معدل فائدة المصارف بقيود على طلب المستهلك . ثم تحدث وزير المالية . وكان صريحاً جداً . وقال بأن وزارة المالية تعارض هذه السياسة ولكنه شخصياً معها بدون حماس .

ثم جاء دور بقيتنا ، وسرعان ما اتضح بأن الاكثرية تؤيد خط هارولد ولسون رغم معارضة الوزير الأول ، ووزير المالية ، وطوني كروسلاند ، وكنت مع الاكثرية ، وكانت احدى الملامح الهامة لهذه المناقشة هي ان هارولد ولسون كان مضطراً خلال المناقشة ان يسلّم بعدد من الامور ـــ وهذا شيء لا يفعله بسهولة ، وأشار الى ان ما يزعج هذه المرة أن ما نشرته الصحف كان صحيحاً الى حدّ كبير ، ان دائرة تحركنا تضيق اكثر فأكثر كما إن حرية مناورتنا قد قيدت بدون رحمة ، وعلينا ان نخرج من هذا الوضع بطريقة ما ، فالقرار بالمراهنة على تأثير تخفيض معدل فائدة المصرف بشكل مفاجىء وفي الوقت الذي كان فيه الجنيه في

مركز ضعيف يعتبر محاولة يائسة للقيام بذلك في آخر لحظة ممكنة . لقد اعترف بكل ذلك وهذا جعلني أدرك حقيقة ان الحكومة تواجه موقفاً صعباً .

وبعد ذلك كانت هناك مناقشة حادّة حول الحاسبات استمرت ساعة ونصف الساعة . لقد تغيبت اكثر من مرة عن اجتماعات مجلس الوزراء خلال الاسابيع الاخيرة بسبب لجنتي الدائمة حول مشروع قانون الايجارات ، وفاتني اجتماعان حول هذا الموضوع ، وكان الجدال فيهما يطول بين فرانك كزنز وبقية اعضاء مجلس الوزراء . إن هارولد يدعم كزنز لانه ألزم نفسه بالثورة العلمية . ولكن من الواضح بأن احدى العقبات التي تواجهه هي المستوى الضعيف الواضح للحاسب البريطاني بالنسبة للامريكي . واذا كنا سنجبر الهوايت هول على شراء الحاسب البريطاني ، فاننا سنقوم بتغطية العجز بطريقة قد يصعب الدفاع عنها .

وبقيتُ طيلة اجتماع المجلس لانني رأيت بأن الفقرة الأخيرة كانت تتعلق بأعمال الحكومة في المستقبل . وبتمام الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين ، وعندما انتهى النقاش حول الحاسب ، قال هارولد بأنه يرغب في ان يحدثنا حديثاً مثيراً . فقال بأننا جميعا متعبون وبحاجة الى عطلة اسبوع ، وأشار الى الشائعات في الصحف التي تقول بأن الوزراء يأتون اليه يستجدون من اجل اجراء انتخابات في شهر تشرين الأول .

ورغم ان هذا غير صحيح ، لم ينكر ان عضواً او عضوين في مجلس الوزراء قد عبّرا عن افكار يائسة حول مستقبل الحكومة . وقال بأنه ليس هناك سبب لليأس . فحالما نبدأ العطلة الصيفية و لدينا شهران قادمان

دون اجتماع للبرلمان فاننا سوف نتمكن من إصلاح الأمور . وكان يعمل على افتراض اننا سوف نستمر في الحكم حتى العام القادم على الأقل لأننا وقتئذٍ سيكون لدينا أشياء جيدة نعرضها ــ لجنة الأراضي ، على سبيل المثال ، وضمان الدخل . وسيكون لدينا ايضاً برنامج ايجابي للاصلاح معدٌّ بالتفصيل ، وهذا سوف يحسِّن علاقاتنا مع الجمهور . وهكذا فلن تطول رحلة قلقنا . وبعد ذلك كررت شكواي حول العلاقات بين مجلس الوزراء والحزب ، وبيَّنت انه لا فائدة ترجى في ان نطلب من شخص ما ان يقوم بهذا العمل خفيةً ، ملمِّحاً بالطبع الى جورج ويغ . وقلت بأن ما نحتاج اليه هو شخص له مرتبة وزارية كاملة يجلس معنا هنا ولكنه يكون ايضاً على اتصال دائم مع الحزب . وقال هارولد على الفور بأنه يبذل جهده لاصلاح ذلك ولا يمكنه اصدار بيان الآن ، ولكن سيكون هناك شخص جديد يتحدث في «ردهة المجلس» . فسألت من يكون الشخص فقال إنه ليس من العدل اعطاء اسم . وقلت انه لا يكفي ان يكون هناك موظف آخر في «ردهة المجلس» ، فنحن بحاجة الى شخص في الوزارة .

كان هارولد ممانعا وكنت اعرف سبب ذلك . فقد كان يندِّد في العديد من خطبه بالمحافظين لانهم يصرفون أموال الحكومة على وزير مخصص فقط للاهتمام بسياسات حزبهم . فعندما يُلزم هارولد نفسه بشيء ما علناً فليس هناك شخص اكثر عناداً منه في رفض التخلي عن هذا الالتزام ، مهما كانت الحاجة كي يفعل ذلك .

الجمعة ٤ حزيران :

أعلنت يوم أمس قراراتي الثلاثة حول الحكومة المحلية ، وكان عملي الأول اليوم هو أن أرى كيف عالجتها الصحف . فوجدت مقالات جيدة تماماً في التايمز والغارديان . وبالتأكيد ، لم يجدوا أي شيء مثير في قراراتي ولم يصدروا اية اتهامات متحّيزة . فهذه قضية من الأفضل ان لا يقال عنها الكثير .

وكانت هناك نكسة مريعة بعد اجتماع مجلس الوزراء يوم أمس . فالتعيين الذي زعم هارولد بأنه سيغلق الفجوة بين المجلس والحزب هو عودة جون هاريس[1] الى « ردهة المجلس » . وذلك يؤكد وجهة نظري وهي أنه لم يكبر منذ أن ذهب الى « داوننغ ستريت » . فبدلاً من أن يكيف نفسه مع مركزه الجديد فانه يحاول ان يكيف مركزه الجديد مع نفسه (إن المبنى رقم (١٠) ، كما رأيته في اليوم السابق ، هو صورة منزله الصغير في هامبستد) ، وهذا هو سبب عدم تطوره الى رئيس وزراء قوي . فهو يسمح لـ جيمس كالاهان ان يكون وزيراً للمالية تحت نفوذ الخزانة وان يجعل جورج براون يلهث وراء سياسته الخاصة بالدخل بينما يفشل في انجاز الخطة الوطنية وهي الهدف الحقيقي لدائرة الشؤون الاقتصادية . وبالاضافة الى ذلك ، ورغم انه يقابل عدداً من الوزراء الرئيسيين باستمرار إلا انه

---

(١) هو موظف أبحاث سابق لدى حزب العمال وسكرتير لـ « هيو غيتسكل » . وكان موظفاً للنشر في الحزب من ١٩٦٢ ـــ ١٩٦٤ ، وبعد فوز حزب العمال في الانتخابات اصبح مستشاراً رسمياً لـ باتريك غوردون ووكر ، ولـ مايكل ستيوارت ، ولـ روي جنكنز .

يفتقر الى مجلس وزراء داخلي واستراتيجية حقيقية معاً .

وعندما أحاول تقييمه كرئيس للمعارضة فيما مضى فإنني أجد نفسي اوجّه اليه نفس الانتقادات التي اوجهها اليه الآن تماماً ، واذكر آنذاك انني قلت لنفسي ، لماذا لا يكون لديه الشجاعة ليشكل جماعة داخلية ، ولماذا لا يملك سياسة ثابتة تضعها تلك الجماعة الداخلية ؟ وكان السبب الذي يبديه دائماً في تبرير عدم تنفيذه لذلك هو انه سوف يعيد تنظيم مجلس وزراء الظل ، ولكنه في الحقيقة لم يفعل ذلك أبداً ، وهو يسمح لكل عضو في المجلس ان يتحرك ضمن المجال التقليدي لمركزه فقط .

إثنين العنصرة ، ٧ حزيران :

هذا يوم جميل ، وقد تنبأت هيئة الاذاعة البريطانية بهطول الامطار في غضون الساعات القليلة القادمة ولكنها كانت تتنبأ بهطول المطر كل يوم من أيام عطلة «العنصرة» بدون نجاح ، وبدأت أشعر بذلك الاحساس من الارتياح الذي يشعر به المرء عندما تختفي الحقائب والصناديق الخاصة بالبريد ، ولم يكن هناك اي شيء من هذا القبيل خلال عطلة نهاية الاسبوع ، وفي الواقع ، بدأت العطلة صباح يوم الجمعة عندما اكتشفت بأن المكتب لن يفتح لانه يوم عطلة لجميع الموظفين ، لذا كنت قادراً على ارسال «تام» بسيارتي الى كنغز كروس (Kings Cross) ومشيت أنا عبر

الحديقة العامة كي اقصّ شعري . وركبت قطار الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق ، ونظرت من النافذة الى ريف حزيران الذي هو أغنى واكثر اخضراراً مما كنت اعرفه من قبل ، ووصلت في الوقت المناسب لاتناول غداءً مبكراً مع الاولاد ، الذين كانوا يسرعون في العودة الى الفصل الأخير من المدرسة قبل عطلة « العنصرة » .

مازالت آن متضايقة من روايات الصحف التي نشرت منذ اسبوعين حول كوخ عائلة سبنسر . وكنت قد نسيتها تماماً الى ان وصلت الى البيت . لقد أثّرتْ عليّ في حينها ، ولكن حدثت اشياء كثيرة منذ ذلك الحين . وكان تأثير هذه الروايات هنا في البيت اكثر بكثير ومازال موجوداً . وسبب ذلك جزئياً هو الفضيحة التي تسبّبنا بها لعائلة ماريوت (Marriot) ، التي تعيش في الشقة الكائنة فوق منزلنا ، وهي النصف الآخر لكوخ عائلة سبنسر . وذلك بسبب اكتشافنا الآن لأسباب شكوى سبنسر ، واسباب تحدثه للصحافة . فهو لم يكن يشكو طالما أن جو (Joe) ، راعي أبقارنا ، كان يسكن بجواره . ولكننا بعد ذلك بنينا المنازل الجديدة في القرية وقدمنا افضلها لـ جو بشكل طبيعي . وبعد ذلك ترك «كريمبوت لين» (Creampot Lane)فارغاً وفعلت شيئاً كنت ارغب في فعله دائماً ، وهو ان اقدمه الى طوني لاينز[1](Tony Lynes) وهو أحد رجال ريتشارد تتموس (Richard Titmuss) وكان دائماً يرغب في الحصول على كوخ في الريف . وكان بريتشت (Pritchett) ،

---

(١) هو باحث اجتماعي . وفيما بعد سوف يقضي بعض الوقت في دائرة الصحة والتأمين الاجتماعي كمستشار لـ بيغي هربسون (Peggy Herbison) .

وهو رجل داهية في مثل هذه الامور ، يعارضني في ذلك وظلَ يجادل بأنه يجب علينا الاحتفاظ بحقنا في طرده اذا ما اردنا الحصول على عامل زراعي هناك .

ولكن طوني كان موافقاً بشكل كامل وهكذا حصل عليه وسرعان ما استقرّ فيه وبدأ باستضافة صديقاته في عطلات نهاية الاسبوع . وهو من زعماء جناح اليسار ورجل مثالي . وكانت احدى صديقاته سيدة باكستانية لديها طفل صغير . واعتاد طوني ان يجرّ عربة الطفل بينما هي كانت تسير بجانبه عبر شوارع القرية وبدأ حديث القرية . اما فيما يتعلق بالسيد سبنسر في الجزء المتهدّم من «كريمبوت لين» ، فلم يستطع ضبط نفسه ــ وهكذا حدث الانفجار . ورغم ان الأمر يبدو واهياً فانني لا استطيع لوم السيد بريتشت وآن على ما فعلاه . وكان افراد عائلة ماريوت ، الذين يعملون هنا في تدبير شؤون المنزل ، يرغبون في الانتقال الى منزل خاص بهم . وفي الواقع ، فان الطريقة الوحيدة للاحتفاظ بـ ماريوت كعامل في الحديقة هو ان نعطيه منزل «كريمبوت لين» . لذا فان طوني سيرحل وسينتقل ماريوت الى المنزل . وهذا سوف يهدّىء عائلة سبنسر لوقت يكفي كي نجد لهم منزلاً من منازل مجلس المدينة .

الأحد ، ١٣ حزيران :

لقد قضيت اسبوع عطلة «العنصرة» وأشعر بارتياح تامّ . انني

اقول اسبوع عطلة ولكن عندما أجمع الأيام وهي : الاثنين ، والثلاثاء ، والخميس ــ فان مجموعها هو ثلاثة أيام ــ لان «جيني» قدمت يومي الاربعاء والجمعة وانجزنا بعض العمل هنا . ومع ذلك ، اجتمعنا معاً كعائلة مدة أطول من اي وقت مضى ، لانني أمضيت عطلة عيد الفصح في ليزارد (Lizard) مع آن .

كان الطقس سيئاً بالنسبة لحصول الاعشاب المجففة للعلف . وتمّ أخيراً حصاد مرج آموس (Amos) . فالجو مازال ممطراً والشمس لا تظهر الا قليلاً ، لكن المرءَ يشعر هنا بارتياح كبير ، وهو يبحث مشاكل المزرعة مع «بريتشت» . وقد حققت عطلة نهاية الاسبوع هذه شيئاً واحداً وهو تقوية الشعور بالعزلة الذي لم يفارقني قطّ مذ أصبحت وزيراً . وليس هناك شك بأن حصولي على هذه الوظيفة وأنا في السابعة والخمسين ولديّ اطفال صغار ، وكذلك مزرعة «برسكوت» ، بالاضافة إلى أنني مراقب من الداخل ، ولست مشاركاً . ثم جاءت مرحلة اخرى عندما كانت الحكومة تعمل بزخم وأصبحت منغمساً كلياً في عملي الخاص بي . ففقدت شعوري بالعزلة وهذا هو سبب كون هذه اليوميات تتصف بالتشنج . ولكن الشعور بالعزلة عاودني الآن ، وأجدني اقول لنفسي ، واحياناً الى أناس آخرين : «حسناً ، انكم تعرفون انه قد مضى على وجودي كوزير ثمانية او تسعة شهور . وهي مدة طويلة تكفي لتحقيق أهدافي» . وعندما اقول ذلك ، هناك قدر كبير من التكلف في هذه الملاحظة ، وهناك ايضاً جزء يسير من الضمان لانني ارغب دائماً في

التأكد من انني اكيِّف نفسي بما يحدث . ولكن يوجد ايضاً عنصر من حقيقة اكثر عمقاً .

فانني لا اتوقع ان أظل وزيراً مدة طويلة جداً . فربما أمضي قُدُماً شاقاً طريقي قليلاً لكنني من الصعب ان أحصل على ترقية لانني وصلت القمة وحصلت على فرصتي ـــ وان جزءاً من تلك الفرصة يتألف من كوني مراقباً من الخارج على الداخل .

والآن دعوني أضيف الى هذه الصورة الأحداث السياسية لعطلة نهاية الاسبوع هذه .

اولاً ، لقد قدم الى هنا «توماس بالوغ» ، و «بِنْ» و «تيسّا» وهم في طريق عودتهم من منزل«بِنْ» في لويس ووتر (Loweswater) حيث أمضوا يومين او ثلاثة . ووصلوا الساعة ٨ر٣٠ يوم الأحد الماضي وأجرينا حديثاً في تلك الليلة وآخر في صباح اليوم التالي قبل ان يتابعا سفرهما الى «شيكرز» . انني أشعر بشيء من الغيرة من توماس لانه طُلب اليه ان يذهب الى شيكرز أما أنا فلا . طبعاً ، لا أُريد ان اذهب في الحقيقة وانا متأكد بانني ساكون منزعجاً اذا طُلب مني ذلك . وبالتأكيد فانني لا أشعر بالبهجة بالبقاء هناك وكذلك آن . مع ذلك ، هناك شعور بأن شخصاً ما قد تُرك خارج الجماعة الداخلية .

أخبرني توماس بأنه قد تخلّى عن جميع آماله في بناء نظام رئاسي ، بحيث يكون لدى رئيس الوزراء هيئة حقيقية من المساعدين في المبنى رقم (١٠) تمكنه من السيطرة على نشاطات وزرائه وعلى تطوير استراتيجية مركزية . وكنت دائماً أحسبه متفائلاً جداً بشأن هذا الموضوع واذكر

انني اخبرته بقصة سمعتها من هيو كارلتون غرين [1] (Hugh Carleton Greene) . فعندما كان هارولد زعيماً للمعارضة طلب من نورمان بروك [2] (Norman brook) ، الذي كان آنذاك رئيساً لمحافظي هيئة الاذاعة البريطانية ، أن يحضر للغداء وأخبره عن أفكاره حول توسيع هيئة مساعدي رئيس الوزراء . وبعد ظهر ذلك اليوم هرع نورمان بروك الى كارلتون غرين في ألـ « بي بي سي » واخبره بوضوح كيف انه اقنع هارولد بأن تفكيره بهيئة رئاسية من المساعدين هو خطأ كبير لأن ذلك من شأنه ان يخلق الشكوك لدى دائرة الموظفين . وفي الحقيقة كان هارولد تقليدياً بشكل عميق في قبوله سلطة دائرة الموظفين ، وهو يرغب في ترك جميع الأشخاص الهامين في مراكزهم الهامة ــ فمثلاً ، يظل « هلسبي » رئيساً لدائرة الموظفين ، ويظل أوتو كلارك Otto Clarke) ، ودنيس ريكيت [3] (Denis Rickett) الرجلان الهامّان في الخزانة . ويعتقد توماس بأنه قد فات الأوان الآن بالنسبة لِ هارولد كي يخرج من هذا الموقف . وليس هناك من حلّ سوى المضيّ بالأشياء كما هي تقريباً الآن في

---

(١) سكرتير ثانٍ في الخزانة من ١٩٦٠ ــ ١٩٦٨ . واصبح نائباً لرئيس المصرف الدولي لاعادة البناء والتطوير في عام ١٩٦٨ .

(٢) زميل ريتشارد كروسمان في زمن الحرب . وكان مديراً عاماً لهيئة الاذاعة البريطانية منذ عام ١٩٦٠ . وفي عام ١٩٦٩ اصبح برتبة « محافظ » في الاذاعة واستقال من منصبه في عام ١٩٧١ .

(٣) كان نورمان بروك (الذي اصبح في عام ١٩٦٣ اللورد نورمان بروك) رئيساً لمحافظي هيئة الاذاعة البريطانية منذ عام ١٩٦٤ . وكان مثالاً للموظف الكبير في هوايت هول بصفته سكرتيراً لمجلس الوزراء من ١٩٤٧ ــ ١٩٦٢ ورئيساً لدائرة الموظفين من ١٩٥٦ ــ ١٩٦٢ .

هوايت هول ، حيث يوجد تأكيد كبير على الثقة بالخدمة المدنية وحقها بالمبادرة بما في ذلك تصميم على منع طرح أية أفكار اخرى جديدة . إن الفرصة التي كانت متاحة لنا عند بداية تولي الحكم لإحداث تغييرات أساسية قد تلاشت الآن بسبب فقداننا للمبادرة اولاً ولوقوفنا في مكاننا ثانياً . ولسوء الحظ ، فبدلاً من تغيير الأشخاص الهامين ، فقد اختار هارولد في البداية ان يُشغل نفسه بخلق وزارات جديدة لا لزوم لها . وعندما أمعن النظر في هوايت هول وأرى التغييرات التي فُرضت عليها بواسطة قرارات هارولد ، فانني ادرك مدى الجهد الذي بذله هو او أسنده الى الآخرين من اجل أغراضٍ زهيدة جداً . وكان باستطاعته ان يحقق الكثير باجراء تغييرات في الاشخاص بشكل فردي .

كذلك فان من الصعوبة بمكان الدفاع عن هذه الوزارات الجديدة الصغيرة بالنسبة لمزاياها المتعلقة بالعمل . ما هي قيمة وزارة منفصلة للأراضي والموارد الطبيعية ؟علينا ان نتخلص منها باسرع ما يمكن . وما الذي تحقق من خلق وزارة « بربارة » الصغيرة لتطوير ما وراء البحار ؟ بالتأكيد إنها لم تفعل شيئاً سيئاً ، لكن الحقيقة ايضاً هي وجود ثلاثة وزراء لدينا في مجالات ما وراء البحار وهم : بربارة كاسل ، وطوني غرينوود ، وآرثر بوتوملي ، مع ثلاث وزارات يمكن جمعها في وزارة واحدة برئاسة وزير واحد يعمل بشكل صحيح ومريح . وبذلك يكون هناك مجال لوزير يتولى شؤون المعاشات في مجلس الوزراء ويستطيع أن يحقق شيئاً هاماً بالتأكيد لمستقبل الحزب كله بتنفيذه الاصلاحات التي نريدها للتأمينات الاجتماعية .

لكن الوزارتين الجديدتين الهامتين طبعاً هما وزارتا التكنولوجيا ، والشؤون الاقتصادية . ويبدو أن وزارة التكنولوجيا منظمة بشكل سيّء ،فقد أُعطيت بداية ضعيفة جداً بسبب نوعية الوزراء الذين اختيروا لها . وبالنسبة لدائرة الشؤون الاقتصادية ، فان اختيار جورج براون كوزير أول ومسؤولاً عنها جعل فشلها محقّقاً . لقد فشل كلياً في اعطاء الاولوية للخطة الاقتصادية التي تدعم موقف حكومة العمال — وفضّل سياسة الدخولات عليها .

وقد ناقشت موضوعاً آخر مع توماس لانني كنت اعرف أنه ذاهب الى « شيكرز » وهو برنامجي للإسكان . فوجدت انه يتفق تماماً مع هارولد على مخاطر اصدار بيان في نهاية شهر تموز حول شكلٍ جديد للاعانة المالية للإسكان . إنني استطيع طبعاً البدء بمباحثات مع الجمعيات السكنية والسلطات المحلية حول خطة الإسكان ، ولكن يجب عدم مناقشة الناحية المالية . وبعد رحيل توماس ، وجدت في اول بريدٍ قادمٍ من لندن رسالةً من هارولد ولسون مرفقة بنسخة عن مذكرة كان قد أرسلها الى جورج براون حول هذا الموضوع . وطلب فيها من جورج قبول فكرة خطة إسكان وطنية ومن ثمّ اقترح ان تؤخذ من الخطة الاقتصادية وأن تعطى ليس فقط المركز الاول في الأهمية ولكن الاسبقية في ميعاد التنفيذ على جميع الخدمات الاجتماعية . وهذا يعني أنه ، رغم ان الخطة الوطنية ككلّ قد لا تكون جاهزة حتى الخريف ، فان خطة الإسكان الوطنية يمكن ان تسبقها في شهر تموز .

ويساورني الشك فيما اذا كانت سياسة عملية ان نتوقع من مجلس

الوزراء ان يمنح الإسكان الأسبقية على جميع الخدمات الاجتماعية . فقد قال كالاهان اكثر من مرة ان حجم الإسكان الذي اطلبه في السنوات الاربعة القادمة سوف يستهلك عملياً جميع الاموال المخصصة للتوسع . ومهما كان قول هارولد ، فانني لا اتوقع ان يقبل مجلس الوزراء بذلك .

لذا عندما جاءت « جني » الى برسكوت يوم الجمعة أعددتُ اجابة مهذبة لرئيس الوزراء ، ترحب بفكرة خطة إسكان وطنية لكنني تساءلت ما اذا كان بالإمكان البدء بها قبل شهر ايلول اذا قبل وزراء آخرون بكونها أمراً مستعجلاً . وبمجرد ان انتهيتُ من كتابة مسودة المذكرة وجدت ان نسختي من إجابة جورج براون قد وصلت مسبقاً ، وهو يذكر فيها انه ليس هناك مجال أبداً لخطة اسكانٍ وطنية قبل ايلول وأبرز صعوبة جعل وزراء آخرين يقبلون بدرجة الأفضلية المطلوبة[1] .

هناك موضوع آخر جرى بحثه خلال هذه العطلة وهو « المعدّلات » . وفي يوم الأربعاء أحضرتْ « جني » مسودة المذكرة التي أعدَّتها الوزارة ، والتي من المفروض ان اقدمها في الاجتماع الذي سيدعو إليه رئيس الوزراء يوم الثلاثاء القادم . وانني لست مقتنعاً بتاتاً ، على الرغم مما يخبرني به موظفو وزارتي ، بأن ضريبة دخل محلية هي أمر مستحيل . لكنني مقتنع تماماً بأننا بعد الأشهر الخمسة التي بدَّدناها فليس لدينا وقت لوضع الأساس لانجاز مشروع قانونٍ كبير لاصلاح المعدّلات في الدورة

---

(١) بدأت أُدرك الآن مدى أهمية هذه المذكرات الشخصية التي ترسل من وزير لوزير ومن ثمّ الى مجلس الوزراء ، والتي تشكل سياسة مجلس الوزراء .

البرلمانية القادمة . وكلّ ما تُركت معه هو مشروع قانون مؤقت صغير في الدورة الحالية . ويهدف مشروع القانون هذا ببساطة الى المحافظة على معدّلات منخفضة في الربيع القادم ، لأنه أمر حيوي ان لا يكون هناك زيادات في المعدّلات قبل الانتخابات البلدية ، أو حتى في اسوأ الحالات ، قبل الانتخابات العامة اذا جرت مثل هذه الانتخابات . بعد ذلك يمكن تقديم اجراءٍ طويل المدى في وقت لاحق في الدورة البرلمانية .

وفي يوم الجمعة من عطلتي ، المصادف للرابع من حزيران ، ذهبت الى كوفنتري لاجراء بعض المقابلات . وقد جاء بين ثلاثين وخمس وثلاثين شخصاً من مناطق بعيدة مثل نيونيتون (Nuneaton) ، وروغبي (Rugpy) . لقد جاؤوا ليس لرؤية عضو البرلمان عن « كوفنتري شرق » وانما لرؤية وزير الإسكان . ولحسن الحظ ، استطعت معالجة العديد من المشاكل بسرعة : فقد جاؤوا ليسألوا عن طلبات التخطيط وكنت مجبراً ان اقول انني لا استطيع مناقشة طلب ما لأن ذلك سيكون شبه قانوني ــ بما انني أنا القاضي . وبعد هذه المقابلات خرجت مع ألبرت روز (Abert Roze) ، ودافيد يونغ وزوجته ، وآن ، لنتناول طعام العشاء ولنتحدث عن الموقف في كوفنتري . فالمعاملة التي تتعرض لها « ويني لاكين » مزعجة . فمأمور تنفيذ المدينة أخذ علماً فقط بتقرير «اللجنة التنفيذية الوطنية» الذي يبرىء ساحتها، كما أن «لجنة الادارة العامة» للمدينة أخذت علماً بذلك بناءً على توصية مأمور التنفيذ ، لذا لم تتلق « ويني » المسكينة أي اعتذارٍ او اي قرار وحتى أنهم لم يكتبوا اليها لإخبارها بقرار اللجنة التنفيذية الوطنية . وللأسف ، لا يمكننا ان نفعل

شيئاً . وأخبرتُ « ألبرت » أنني اوافق مع « بيل ولسون » انه يتحتم على ويني ان تقيم دعوى تشهير ضد صحيفة كوفنتري ايفننغ تليغراف — خاصة وان الحزب لا يرغب في اعادتها الى وظيفتها بطريقة نظيفة ومشرّفة .

وبصرف النظر عن فضيحة لاكين ، كان الموقف في كوفنتري محزناً للغاية . وسمعت تلك الليلة انه لم يعقد اي اجتماع في أية دائرة من الدوائر الانتخابية الثلاثة — حتى ولا في منطقة « كوفنتري جنوب » — منذ الانتخابات الماضية . وعملياً لم يجرِ أي نشاط انتخابي قبل الانتخابات البلدية ، على الرغم من نشاطات المحافظين . ولأول مرة منذ عدة سنوات — وربما لأول مرة في التاريخ — فاز المحافظون بأغلبية الاصوات في الانتخابات البلدية في « كوفنتري شرق » ، وتم انحياز ١٦٪ من الاصوات التي من المفروض ان تكون لنا الى المحافظين في ستوك (Stoke)العليا كما خسرنا ستوك السفلى بدون داعٍ . ما الذي يجب ان نفعله ؟ وقررنا القيام بحملة في الخريف وان اقوم بعقد اجتماع في كل حيّ لتشجيع الحملة .

وأخيراً سألوني السؤال الذي كانوا ينتظرونه جميعاً : ما هو مستقبل الحكومة ؟ والشيء الذي كانوا يريدون سماعه هو ان كل شيء على ما يرام ولكنهم لن يصدقوا ذلك لو قلته . وشرحت لهم الخطر الذي نواجهه الآن من جرّاء سحب جزء من العملة المتداولة لمنع التضخم وحتى خطر البطالة ، كما كشفت لهم بانني لست متحمساً بخصوص دعم هارولد لسياسة شرق السويس وللسياسة الامريكية في فيتنام . وتطرقتُ الى مناقشة

العلاقات بين الحكومة والحزب ، واخبرتهم بانني أمضيت ذلك اليوم في تحضير مذكرة تحثّ على ان يصبح « المحاسب العام » منسّقاً يحظى بعضوية كاملة في مجلس الوزراء . ولا بدّ ان اقول بأن ألبرت روز لم يبدُ انه مستاء جداً من العلاقة بين الحكومة والشعب . ولكنني مازلت مقتنعاً بأن هذه المذكرة التي سأرسلها الى هارولد هي اهم الاعمال التي قمت بها حتى الآن فيما يتعلق بنشاطات هذا الاسبوع . ويجب عليّ ان أتغلب على معارضات هارولد وأن أقنعه بضرورة وجود منسّق من هذا النوع . ونشرت صحيفة الديلي تليغراف هذا الصباح نتيجة استفتاء اجراه معهد غالوب يظهر تقدم المحافظين على العمال بنسبة ٤٫٥٪ ، وهذا ليس بسبب انخفاض تأييد حزب العمال ولكن بسبب انحياز « الاحرار » الى حزب المحافظين . وكان اكثر الاشياء نذيراً بالشؤم في الاستفتاء ، على أية حال ، هو إظهار ان الاكثرية العظمى تتوقع الآن نصراً للمحافظين . وكانت توقعات النصر التي يتنبأ بها معهد غالوب في استفتاءاته دليلاً يمكن الاعتماد عليه الى حدّ بعيد اكثر من توقعات الاقتراح نفسه .

هناك شيء آخر أرغب في تدوينه . انني أتساءل الآن ما اذا لم يكن من واجبي ان احاول ان استخدم مجلس الوزراء بطريقة لم استخدمه فيها من قبل . أليس من الواجب ان أقوم بجهد حقيقي لأدخل شيئاً من رجاحة العقل والاستراتيجية المركزية في إدارتنا للامور ؟ وها نحن ، نسير على غير هدى ، وحركتنا متوقفة بينما تتولى دائرة الخدمة المدنية ادارة الأمور أكثر فأكثر كل يوم . ويتم رسم السياسة الآن في الوزارات المختلفة ويقوم هارولد بتنسيقها فقط في اللحظة الأخيرة . فلا يوجد مجلس وزراء داخلي

له سياسة مترابطة في هذه الحكومة ، ولكن هذا هو ما نحتاجه اكثر من اي شيء آخر اذا كنا نريد ان نمسك بزمام المبادرة من جديد خلال هذا الصيف ، ويجب ان يكون لنا هدف محدّد واضح :

وهذه إحدى نقاط ضعف هارولد ، فهو يرى عمله ، لا كشروع في وضع استراتيجية ، ولكن كتنفيذ للبيان الانتخابي للحزب ، فهو يعمل دائماً على ان يحاول جورج ويغ ، وتومي بالوغ ان يقنعاه بأنه من ضمن التعهدات الثلاثة والسبعين للبيان الانتخابي ، قد تم حتى الآن تنفيذ اثنين وخمسين منها ، ولكن من وجهة نظر جمهور الناخبين فان هذا التمسك التطبيقي بالتعهدات غير مهم على الاطلاق ، وقد قرأت مسودة « البيان الابيض » حول لجنة الأراضي فاذا كان أي شخص يظن بأننا سوف نكسب أصواتاً بسبب هذه الوثيقة ، فيمكنه ان يعيد التفكير بذلك ، فالشيء الذي فشلنا في تحقيقه هو الاتفاق على هدف وعلى اسلوب تنفيذ يساهمان في ايقاف الوطن على قدميه ، فسياسة جورج براون للدخل ، في شكلها الحالي الطوعي ، قد أعطيت اكثر مما تستحق ومن الواضح انها اخفقت في تحقيق اهدافها ، فتأميم الحديد والفولاذ يبدو أنه غير ملائم ، وكذلك الأمر بالنسبة لمشروع القانون المالي ، ومع ذلك يجب ان يكون لدينا سياسة صحيحة تضمن تلبية احتياجات الأشخاص العاديين ، وهذا يعني ضمان الدخل ، وسياسة الإسكان وعلاوة على ذلك استراتيجية تربط بين هذه الأشياء باسلوب تنفيذ مركزي متناسق ، إنني اعرف كل هذا ، كما ان كل عضو في مجلس الوزراء يعرف هذا الى

حدّ ما . ومع ذلك هل نُفذت هذه الأشياء ؟ واذا كانت لم تنفذ ، فكيف لي ان اقنع هارولد باننا نحتاج الى أشياء اكثر ؟

عندما سألت ذلك السؤال ، كنت اعرف الجواب . فاذا كنت سأحاول التدخل بذلك ، عليّ أن اواجه شيئين . فمن جهة ، سوف أُتهم بانني ابذر الشقاق في مجلس الوزراء وسوف ينظر الى عملي هذا كأنه موجه ضد ولسون . والطريقة الوحيدة التي تستطيع بها ان تتجنب الاتهام بأنك ضد ولسون هي الذهاب اليه شخصياً وجعله إما ان يأخذ بنصيحتك او يعارضها . فاذا اتخذتُ مبادرةً علنية من هذا النوع امام مجلس الوزراء فان ذلك يعني بانني اتحدى زعامته بشكل واضح . وهذه هي المشكلة الخالدة في حزب العمال — انها مشكلة زعامة حزب العمال . والمرء لا يستطيع ان يبدي وجهة نظره بقوة دون ان يُتّهم بخلق النزاع الحزبي . وهذا طبعاً بسبب المخاطر التي تكتنف طرحي للمبادرة في مجلس الوزراء لان نقاشنا الخاص سوف يتسرب الى الصحافة . ومن جهة اخرى ، فاذا لم ابذل أي جهد خلال شهري حزيران وتموز ، هل أنظر الى نفسي كعضوٍ مسؤول في مجلس الوزراء هذا ؟ وهل استطيع الصفح عن نفسي لفشلي ؟ ان هذا السؤال هو مجرد مناقشة بيني وبين نفسي لانني في الحقيقة وبصدق لا أشعر بالذنب والفشل ، وانني لا اعتبر ان هذا النوع من المبادرات هو من مهام عملي . وهارولد لم يضعني في مجلس الوزراء لهذا الهدف ، واستبعدني بعناية تامة من الاستشارة المركزية ومن محادثاته في «شيكرز » . لذا استطيع ان اقول لنفسي بتبرّم ، لماذا اجعل نفسي غير

محبوب ؟ لكنني قلت ذلك مراراً في الماضي . لقد حان الوقت كي ابذل جهداً واحداً حقيقياً في مجلس الوزراء .

الثلاثاء ١٥ حزيران :

هناك اجتماع مميز لمجلس الوزراء اليوم . وقد ذهبت الى المجلس قبل الذهاب الى لجنة مشروع قانون الايجارات على الرغم من عدم وجود شيء على جدول الاعمال يثير اهتمامي . مع ذلك ، كنت قلقاً بشأن الموقف الخاص بفيتنام وفكرت بأن عليّ ان أُثير هذه المشكلة . لقد ساء الموقف اكثر فأكثر بسبب تورط الامريكيين بشكل كبير في فيتنام ، ووجدت نفسي امس اعود بذاكرتي الى حفل غداء أُقيم في « بام بيري » منذ بضعة أسابيع عندما كان جو ألسوب [١] (Joe Alsop) ضيف الشرف الرئيسي . انني أتذكره وهو يجلس بجانبي ويشرح للحضور بانه سعيد لاول مرة منذ عدة سنوات لأن الرئيس الامريكي برأيه قد التزم بشكل ثابت بمتابعة الحرب الفيتنامية حتى النهاية . وقد تأثرت في ذلك الوقت وصدّقت « جو » بنسبة ٧٥٪ . وللأسف ، فانني اصدقه الآن بنسبة ١٠٠٪ والأمور تبدو كئيبة اكثر فأكثر . وبدأ تأثير ذلك ينعكس على اعضاء حزب العمال البرلمانيين ، حيث كان الموقف يزداد حدّة ولم يقتصر تنظيم الرسائل ورفع اصوات الاحتجاج في الدوائر الانتخابية لأعضاء جناح

(١) هو محرر صحفي أمريكي يكتب حول الشؤون السياسية والخارجية منذ الثلاثينات . وكانت وجهات نظره بالنسبة لفيتنام تميل نحو جناح اليمين .

اليسار . وبدأ الضغط يزداد على هارولد . اما مايكل ستيوارت الذي كان انكلو ــ أميركياً ١٠٠٪ فانه لا يشعر بأية مصاعب ، ومع كل هذا الذي يجري ، فانني اعتقد بأنه يجب إثارة مشكلة فيتنام في مجلس الوزراء . لكن ذلك لن يأتي بنتيجة . وسبب ذلك هو أن هارولد يستطيع القول ، ومؤتمر الكومونولث على وشك الانعقاد ، أن مبادرة كبيرة هي الآن في الطريق ــ وهو لا يريد ان يقول اكثر من ذلك حولها لأسباب واضحة . وبدا ان هذا قد أقنع مجلس الوزراء ، كذلك كنت راضياً لأن جورج ويغ كان يطمئنني حول هذه المبادرة كل صباح على الهاتف ويخبرني بانها ستحقق نجاحاً كبيراً .

وفي الساعة ٥٫٣٠ حضرنا اجتماعاً طال انتظاره مع رئيس الوزراء حول الحكومة المحلية والتمويل . وقال هارولد بأنه عقد هذا الاجتماع الخاص من أجلي لان الخزانة كانت تقتحم دائرة عملي الخاصة بتمويل الحكومة المحلية . فكان عليّ ان اقدم مذكرة وزارتي وكان على وزير المالية ان يقدم مذكرة وزارته . وعندما ذهبت الى غرفة هارولد في مجلس العموم وجدت حشداً في الخارج ــ حوالي ثلاثة عشر او اربعة عشر شخصاً ، من ضمنهم موظفون من وزارة المالية ، وموظفون من وزارة الاسكان ، وموظفون اسكتلنديون ، وموظفون ايرلنديون وعدد من الوزراء . ووقفنا هناك حوالي نصف ساعة ــ انه تأخير غير اعتيادي في حياة هوايت هول ــ بينما كان هارولد يجري حديثاً مع رئيس الوزراء الهندي . وهذا اعطاني فرصة للتحدث الى بروس فريزر ، ولم نستغرق وقتاً طويلاً للاتفاق على ان يكون هدفنا هو إعادة وزارة الاراضي والموارد الطبيعية الى وزارة الاسكان وان يكون

هو مسؤولاً عنها . وبعد ان حصلت على موافقته الشفوية ، كنت حريصاً على دعمه في الاجتماع نفسه حيثما استطعت . كانت اجراءات الاجتماع فظّة الى حد ما . فحالما دخلنا قاعة الاجتماع وجلسنا ، قال جيمس كالاهان بانه لا يرى مبرراً لعقد هذا الاجتماع . وقال ايضاً لماذا يحاول وزير الإسكان والحكومة المحلية ان ينفذ ما يريد باللجوء الى هذا الاسلوب من العمل ؟ ويجب ان تبحث هذه المسألة وفق التسلسل العادي فتدرس من قبل لجنة من الموظفين وبعد ذلك تناقش على مستوى أعلى من قبل لجنة مجلس الوزراء . وأتاح له هارولد فرصة الصياح والتبرّم ثم سمح للنقاش ان يدور وطُرحت قضيتي على بساط البحث تدريجياً . يجب ان نصادق على مشروع القانون قصير الأمد فوراً وذلك لاغاثة دافع الضريبة في شهر آذار القادم ومن ثمّ نقوم في الدورة البرلمانية التالية باصلاح طويل الأمد لمعالجة المعدّلات . كان النقاش متقطعاً لأنه رغم ان رئيس الوزراء كان يحاول باخلاص دفع الأمور إلى الامام فمن الواضح انه لم يكن يعرف الى اين يريدها ان تصل . وفي الواقع ، بدأت أشعر بالتعاطف مع تساؤلات كالاهان عن سبب تصريف الأمور بهذه الطريقة الخاصة . ولكن ، بعد الاجتماع اصطحبت الموظفين الى غرفتي في الطابق العلوي من اجل كتابة المذكرة بشكل صحيح وللتأكد من انها تتضمن الاستنتاجات التي نريدها . وما قررناه في النهاية هو ان يضع بروس فريزر فوراً مذكرة مطولة حول سياسة مجلس الوزراء تحلل المسائل التي تحتاج الى اتخاذ قرار . ووافق جميع الموظفين على ان تقدم هذه المذكرة في الاسبوع القادم الى اللجنة الوزارية . الاسبوع القادم ؟ فكلما عُجِّل بالأمر كان من الأفضل ،

وفضلاً عن ذلك ، فقد كنت أطالب بالعمل في إطار التمويل المحلي وقد بدىء به الآن .

الاربعاء ١٦ حزيران :

كان لدي في الصباح سلسلة كاملة من الاجتماعات في الوزارة . وشرعنا على سبيل المثال ، بمناقشة إدارة مراقبة الايجارات ، وحجم المناطق للجان تقدير الايجارات ، وكيفية إعداد العناصر اللازمة لذلك . وبعد ذلك حضرت اجتماعاً حول ادخال نظام البناء المنسّق ، وكانت نتيجته حصول معركة بين بيتر ليدرر ، وكبير مهندسينا المعماريين . وفي النهاية ، وقبل طعام الغداء بقليل ، حصل انفراج بسيط ـــ وهو قدوم وفد احتجاج من مجلس حماية الريف البريطاني . وكان اعضاؤه ذلك النوع من الناس الذين يمكن أن يضعهم كاتب روائي في احد فصول روايته لتمثيل وفد احتجاج بصورة هزلية . وكان يقودهم رجل أعمال غوغائي قصير القامة ، ومحام كبير هادىء وقدموا لي مذكرة عنيفة حول تصرفي بشكل مغلوط عندما سمحت بعمليات شراء إجبارية في منطقة الحزام الأخضر . وبعد انصرافهم قال لي جيمس دنكان جونز : « إنك لا تعرف ان ذلك الرئيس هو مستشار يقدم المشورة للمستثمرين بشكل دائم حول كيفية الحصول على تراخيص تمنح للبناء في منطقة الحزام الأخضر » .

وجاهدت طوال فترة بعد الظهر في العمل بمشروع قانون الايجارات وأحرزت تقدماً بطيئاً . وبعد أن أمضيت أربع ساعات في العمل ،

أسرعت الى الطابق الذي توجد فيه اللجنة ودخلت الى الغرفة رقم (١٤) حيث وجدت اجتماعاً حافلاً لفرع حزب العمال اللندني ، وعرضت عليهم مزايا مشروع القانون ومن ثم أجبت على الأسئلة . وليس لدي أدنى شك بأنهم كانوا متأثرين ومسرورين الى حدّ كبير بمشروع القانون هذا لانه يعتبر الانجاز الأول المتين لحكومة ولسون في مجال الخدمات الاجتماعية . وعندما ذهبوا ، نزلت الى الطابق السفلي لأتناول طعام العشاء بهدوء وبدأت بالتحضير لجلسة اخرى طوال الليل لمناقشة مشروع القانون المالي . وأشكر الله انه قيل لي أن بامكاني الذهاب الى البيت عند الساعة الحادية عشرة لانني مطلوب لحضور الاجتماع حول مشروع قانون الايجارات في صباح اليوم التالي .

الخميس ١٧ حزيران :

استيقظت باكراً وبدأ القلق يساورني فيما اذا كان من الممكن ان نفشل في الحصول على النصاب القانوني عندما تعود لجنة مشروع قانون الايجارات للاجتماع في الساعة العاشرة صباحاً . وما كان عليّ ان أقلق . فعلى الرغم من ان معظم الاعضاء المؤيدين لي كانوا في المجلس طوال الليل ، فقد وجدتهم جميعاً يجلسون في اماكنهم عند الساعة العاشرة والنصف ونصف دقيقة ، عندما وصلت . ان ذلك يجعل المعنويات عالية . وليس هناك أدنى شك بأن الساعات التي نقضيها في مناقشة المواد المتعبة والمتعلقة بالضريبة المفروضة على الشركات التي تشكل جزءاً من مشروع القانون

المالي تصبح محتملة بسبب الحقيقة وهي أننا بأغلبية ثلاثة اصوات نهزم تحدّي المعارضة ليلة بعد ليلة ونربح معركة الاقتراع .

لقد دعوت « بيغي هربسون » على الغداء لانني كنت ارغب في معرفة توافق خططها المتعلقة بضمان الحدّ الادنى من الدخل مع مقترحاتي الخاصة باعادة تخفيض المعدلات . ولم يكن لديها ما تقوله لي حول ذلك ، ولكنها حدثتني بصراحة عن موضوع دوغلاس هوتون . وتخيلت أن ما تبغضه حقيقة هو كونه رئيساً لها . وكان اعتراضها الحقيقي مختلفاً جداً ـــ وهو انه لا يدير الأمور على الاطلاق ولا يفعل شيئاً سوى القيام برفع افكارها وينال الشكر والثناء على ذلك . وبعد ان ذهبتُ ، جاء جورج ويغ عبر غرفة طعام الاعضاء وجلس معي ليحثني مرة اخرى على دفع رئيس الوزراء كثيراً في هذه المرحلة . وأخبرني ان من المفروض ان يصدر البيان الكبير في الساعة السابعة من ذلك المساء ويجب ان اكون هناك . فأخبرته بأنني ذاهب الى نوتنغهام في زيارة رسمية . ثم انضم الينا هارولد واخبرته عن اجتماع اعضاء حزبنا في لجنة مشروع قانون الايجارات وكان مسروراً للغاية . لكنه لم يمكث طويلاً لانه كان سيأخذ جورج ويغ معه لبحث حدث هام والذي لا اعلم عنه شيئاً . انني اعتقد الآن ان هذا الحدث يجب ان يكون مبادرة سلام من اجل فيتنام خططت لتهدئة جناح اليسار في الحزب .

بدأت بعض الظهر مفاوضاتي مع الجمعيات السكنية حول خطة الاسكان الوطنية . وكان جاك دياموند يمثل وزارة المالية ، وهو الذي كتب مذكرة تهكمية حول الفكرة كاملة . فقد جاء الى الاجتماع بعد ان مكث

اثنتين وعشرين ساعة على المقاعد الأمامية ، وكان تعباً الى درجة يصعب عليه ان يتحرك . وربما كان هذا امراً حسناً لأنه جعل الاجتماع يجري بسهولة كبيرة . ولم يكن ممثلو الجمعيات السكنية لطفاء فقط ، بل كانوا متحمسين للخطة .

وعندما رحلوا ركبت السيارة الى محطة « القديس بانكراس » لاستقلّ القطار الى نوتنغهام . وعند وصولي الى هناك مباشرة دعاني مهندس المدينة المعماري الى الطابق العلوي للفندق لنشرب كأساً ، وقد تساءل فيما اذا كنت أرغب في مشاهدة التلفزيون ، لذا ذهبت الى غرفة اخرى وما ان استقريت لمشاهدة حديث مايكل ستيوارت عن فيتنام في أكسفورد حتى انقطع لتقديم نشرة للأخبار . وظهر رئيس الوزراء على شاشة التلفزيون وهو يعلن عن ارسال بعثة من دول الكومونولث الى فيتنام ومن خلفه كان بوب منزيس [1] (Bob Menzies) يصفق له قائلاً : « أقرّ ان هذه الرحلة هي من تدبيرك ايها العزيز القديم . في الحقيقة إنها فكرتك » . ان وسيلة التحايل السياسية هذه التي شاهدتها في التلفزيون تناقض تماماً حديث مايكل سيتوارت الذي سبقها والذي جاء بعدها عندما انتهت نشرة الأخبار (فقد كان حديث ستيوارت ناجحاً بشكل رائع وقدّم القضية الامريكية بمهارة اكثر من الامريكيين أنفسهم) وذهبت للنوم دون ان اكون متأثراً الى حدّ كبير وكنت اقول في نفسي : «مسكين

---

(١) كان السيد روبرت منزيس رئيساً لوزراء استراليا من ١٩٣٩ ــ ١٩٤١ ومن ١٩٤٩ حتى ١٩٦٦ ، كما كان ايضاً وزيراً للخارجية من ١٩٦٠ ــ ١٩٦١ . وقد ترأس هو نفسه بعثة مماثلة لبعثة ولسون ــ الى الكولونيل ناصر في أيام أزمة السويس عام ١٩٥٦ .

هارولد . لقد ألزمه جورج ويغ مرة أخرى باحدى ألعابه البهلوانية[1] . »

الجمعة ١٨ حزيران :

عندما ألقيت نظرة على صحف هذا الصباح وجدت ما يبرّر شكوكي بشكل واضح ــ انه طبق طُبخ في آخر دقيقة من قبل جورج وهارولد لاخراج رئيس الوزراء من مأزق « المصاعب المحلية الصغيرة » . ووجدت أن العمل بكامله غير جذّاب لكنني اعرف ايضاً بأنني لست عادلاً مع هارولد لحملي مثل هذا الشعور . علاوة على ذلك ، فهو من ذلك النوع من الرجال الذين ينتهزون الفرص ، ولماذا يُنتقد هارولد ولسون على ذلك ، بينما كان هارولد ماكميلان ينتهز الفرص ويكسب التأييد[2] ؟ إن ما يقلقني حقيقة هو ان فرص النجاح قليلة جداً ولا تبرِّر الدَّور الذي اختاره لنفسه . وانني استنتج بانه يمكن الادعاء بانه سيمضي شهراً في هذا العمل ــ وهذا الشهر هو الشهر الحاسم عندما يتحتم على مجلس

---

(١) وحسب قول ولسون فقد خطرت له الفكرة بينما كان « يتمشى في باحة قصر شيكرز » .

(٢) كان شهر حزيران وتموز من عام ١٩٦٣ فترة عصيبة بالنسبة لحكومة المحافظين حيث واجهت كارثة في الانتخابات الفرعية وفضائح تتعلق بالأمن . لكن رئيس الوزراء هارولد ماكميلان كان قادراً على تحويل أنظار جمهور الناخبين ، وزرع الأمل في نفوسهم عندما وقّع بالأحرف الاولى ممثلون عن الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، والاتحاد السوفياتي على معاهدة في الخامس والعشرين من تموز لحظر التجارب النووية في الجو وتحت سطح البحر . وقد أُرسل السير ألك دوغلاس هيوم الى موسكو لحضور الاحتفال الرسمي للتوقيع على المعاهدة في الخامس من آب . وكان البرلمان يقترب آنذاك من نهاية دورته ، مع انه لم يعين تاريخ محدّد لاجراء الانتخابات العامة .

الوزراء ان يتخذ جميع القرارات حول مستقبل الاقتصاد والأسبقيات بين مختلف الوزارات . إن الجبهة الداخلية هي المجال الذي يجب أن يثبت فيه هارولد زعامته وان يظهر شجاعته ، ولكنه مسافر في رحلة استعراض للمهارة الى فيتنام[1] .

أمضيت الصباح في افتتاح حمّام للسباحة في «بيستون» (Beeston) ــ وهي عملياً احدى ضواحي نوتنغهام ــ وفترة بعد الظهر في « دربي » . وليست بيستون مركز صناعة المراجل فحسب ولكنها مركز زراعة الورود في بريطانيا ، وقدّم لي مجلس المدينة ستة وثلاثين شجيرة ورد ــ وهذا افضل بكثير من آنية الخزف الكالحة التي يحصل عليها المرء عادة في حفلة افتتاح . واعضاء مجلس المدينة في اواسط اعمارهم ولكنهم ذوو حيوية واندفاع . وفي « دربي » ، كان اثنان من بين اعضاء مجلس المدينة الستّة الذين اختيروا لاستقبالي يتجاوزان الثانية والستين . يالدربي الميتة ــ هذه المدينة الفكتورية الصناعية المعدمة بإدارتها العمالية التي تخشى أي تغيير . وقد أُعلن اليوم بأن هيئة السكك الحديدية البريطانية ستمنح ثمانمائة أخصائي وظائف في المدينة . وسألت رئيس البلدية العمالي عن ذلك فقال : « لن نعطيهم منازل تابعة لمجلس المدينة . فليس من واجبنا ان نؤمن لهم السكن » . وعدتُ من هناك الى برسكوت في سيارة تابعة لوزارة الأشغال .

(١) كان من المقرر ان تزور البعثة موسكو ، وواشنطن ، وبكين بالاضافة الى هانوي وسايغون .

الأحد ٢٠ حزيران ٠

اتصلت هاتفياً بـ جورج ويغ في الصباح الباكر لانني مازلت قلقاً حول رحلة الاستعراض الى فيتنام ، وقلت له : « يجب ان ندرس الآن ما يجب ان نفعله اذا ابتعد ولسون عن العمل مدة شهر » ، ومن الواضح انه فهم الأمر فأجاب : « لا تقلق بهذا الشأن الآن ، ولنواجه الأمر عندما يحدث » ، ولم يجعلني هذا أشعر بحماس اكثر ، وبالتأكيد وعلى المدى القريب فان هذا سوف يخفف التوتر بين مؤيدينا الجالسين في المقاعد الخلفية ، ولكن المشاكل ستبدأ في مجلس الوزراء ، وقد طُلب رأينا حول معدل فائدة المصارف قبل اتخاذ القرار النهائي ، ومن المضحك حقاً ان لا تُطلب مشورتنا يوم الثلاثاء الماضي قبل ان تنشر الأنباء عن رحلة الاستعراض ، وعندما قرأت الاوبزرفر اليوم وجدت في مقال نورا بيلوف (Nora Beloff) وصفاً دقيقاً للترتيبات السرّية « للضربة الموفقة » ولبيانٍ كان عليه ان يبقيه سرّاً لأنه لم يستطع ان يضمن عدم تسربه من قبل زملائه في مجلس الوزراء ،

الأحد ٢٧ حزيران :

كانت اعمال مؤتمر الكومونولث لاتزال مستمرة طيلة الاسبوع المنصرم وكذلك ردود الفعل لمبادرة هارولد للسلام ، إن هذا بالتأكيد يتردد

في هوايت هول وفي وستمنستر لكنه انتهى الآن عملياً والمهمة اصبحت ميتة [1] .

ولكي اكون عادلاً مع هارولد ، كان لها التأثير المطلوب في دوائر الحزب البرلمانية . لقد كنت اتناول طعام الغداء مع سكرتيريّ البرلمانيين ، كما افعل كل اسبوع ، عندما جاء هارولد وطلب مني ان أسير معه عبر الممر . وكنت اشعر بنقد شديد نحوه لهذا الاستعراض السياسي . وحالما سرنا معاً جاء « ماني شنويل » ومدحه بطريقة مبالغ فيها ، وعندما اتجه « ماني » نحو غرفة الشاي ، قلت لرئيس الوزراء : « انني قلق فعلاً ، يا هارولد ، من انه اذا فشل هذا الاستعراض فينبغي ان تتغيب لمدة شهر » . فقال : « لا اعتقد بأن المدة ينبغي ان تكون شهراً . وينبغي ان تكون اسبوعين كحدٍ أقصى . » ثم اردف قائلاً هذه الكلمات الهامة : « على كل حال ، اعتقد أننا حققنا معظم الفائدة التي يمكننا ان نستخلصها منها مقدماً . » وهذا جعلني اتساءل ما اذا كان العامل الذي أغراه على الأخذ بنصيحة جورج ويغ هو توقع فشل مؤتمر الكومونولث في اليوم الأول نتيجة للخلاف الشديد حول روديسيا . فأفريقيا السوداء هي الآن عملياً في حرب مع روديسيا بينما لا تزال دول الكومونولث البيضاء تحاول الحفاظ على السلام . ومن اجل تأجيل الخلاف وخلق جوٍ افضل ، فان هارولد في حاجة الى مبادرة شخصية في اليوم الأول ومن هذا المنطلق فانه ليس لديّ شكّ بان الاستعراض كان

---

(١) عارضت الزيارة كل من هانوي ، وموسكو ، وبكين . على أية حال ، فان رئيس الوزراء كان مستعداً لمبادرة اخرى على الفور .

ناجحاً للغاية . لقد اجتاز المؤتمر دون ان يفرّط بشيء وحقق عملاً رائعاً للدبلوماسية في تلك الظروف ــ وهو البلاغ المشترك . وطلب موافقتنا في مجلس الوزراء يوم الخميس (وهو الشيء الهام الوحيد الذي جرى هناك) ليقول في البلاغ بأن بريطانيا سوف تأخذ بالاعتبار إمكانية عقد « مؤتمر دستوري » حول روديسيا البيضاء في الوقت المناسب . انني اشك فيما اذا كان مثل هذا التنازل البسيط بالنسبة لوجهة النظر الافريقية سوف يكسبه ذلك البلاغ المشترك دون مبادرة السلام في فيتنام في اليوم الأول .

وقد كسب الكثير ايضاً على صعيد السياسة الداخلية . كما تمّ تخفيف حدة التوتر في الجناح اليساري لحزب العمال ووُضع المحافظون في موقف الدفاع . وبالطبع كان دوغلاس هيوم يعلم بان هذا هو استعراض سياسي ، كما هي الحال بالنسبة لمشروع هارولد ماكميلان مع موسكو . وقد نجح هارولد ولسون في تسديد ضربة دبلوماسية كانت تتمتع بشعبية لدى الرأي العام ، وخفّف من حدّة الموقف داخل الحزب ومنع حدوث انهيار محتمل لمؤتمر الكومونولث . فلا عجب ان يبدو راضياً عن نفسه .

وكان للمبادرة ايضاً أثرها على خططي الشخصية ، لان كل شيء كان متوقفاً في هوايت هول . ولم يطلع احد بعد على المذكرة التي قدمتها عن طريق جورج ويغ ، ولم تتح الفرصة لِ هلسبي ان يطلع رئيس الوزراء على الفكرة التي اتفقنا عليها لارسال بروس فريزر الى وزارة الاراضي والثروات الطبيعية والاحتفاظ بالسيدة ايفلين على رأس عملها حتى الربيع القادم . وكان لابدّ من تأجيل الاجتماع الهام للجنة الأراضي الذي كان من المقرر ان

يعقد هذا الاسبوع وسبب ذلك هو ان رئيس الوزراء كان مشغولاً بتحضير مسودة البيان المشترك لمؤتمر الكومونولث .

أما بالنسبة للذين لا علاقة لهم بالمؤتمر ، فقد ظلوا طوال الاسبوع يعملون مرة اخرى بمشروع القانون المالي — وأنهينا تقريباً مرحلة عمل اللجنة في مجلس العموم . إن نجاح حكومة تتمتع بأغلبية مقلقلة في إنجاز مشروع قانون معقّد الى حدّ الارباك مثل مشروع القانون هذا عن طريق لجنة دون ان يتعرض لأية هزيمة هو في الواقع انتصار كبير . وهكذا تمكن هارولد ان يعلن يوم أمس في غلاسكو بأن الحكومة لا تنوي « التوجه الى الريف » هذا العام طالما أنها أثبتت ان اكثر التشريعات إثارة للجدل يمكن ان تنجز عن طريق مجلس العموم وأننا ، لهذا السبب ، نستطيع ان نحكم البلاد بشكل فعّال . إن الشخص الذي يستحق الثناء على كل هذا في مكتب زعيم الكتلة البرلمانية ليس تِدْ شورت (Ted Short) ، مع انه كفوٌ لكنه غير ملهم . إنه جون سلكن (John Silkin) ، وهو أصغر أبناء لويس سلكن الثلاثة ، الذي وضع قانون المدن والريف عام ١٩٤٧ [1] . وهناك ابن آخر هو سام سلكن (Sam Silkin) ، وهو محام قدير وشابٌ صلب ، وقد عمل معي في اخلاء العقارات المؤجرة . أما جون ، الأخ الأصغر لِ سام ، فهو قادم جديد الى مجلس العموم وهو زعيم برلماني حديث جداً ، لكنه أظهر ذكاءً ، وجاذبية ، ودبلوماسية حتى انه أُعطي

(١) مُنح السير لويس سلكن لقب لورد عام ١٩٥٠ . وهو محامٍ ، وكان عضواً عمالياً في البرلمان عن دائرة بيكهام (Peckham) منذ عام ١٩٣٦ . ومن عام ١٩٤٥ وحتى عام ١٩٥٠ كان وزيراً لتخطيط المدن والريف . توفي عام ١٩٧٢ ، وقد تخلّى ابنه الاكبر آرثر ، وهو موظف حكومي ، عن اللقب مدى الحياة .

مهمة تنظيم « النظام الضريبي المزدوج » بكامله خلال هذه الفترة الحرجة ، وأصبح صديقاً لي بالمصادفة اذ كان عليّ في احدى المرات ان أبقى طيلة الليل ، وفي اغلب الأحيان كان يدعني اذهب الى المنزل في منتصف الليل او في الثانية صباحاً ، ومع ان ذلك كان عملاً مرهقاً للغاية إلا انه جعل الأمر يختلف كثيراً .

إن انشغال هارولد قد أتاح لي وقتاً كي افكّر واحضّر للمعركة القادمة ، ومما تعلمته خلال الاسبوع المنصرم فانه لا يوجد لديّ شكّ مهما كان بأن الفترة من الآن وحتى نهاية تموز سوف تكون وقتاً عصيباً في حياة الحكومة ، وقد اخبرني جورج براون في حديث خاص عن تفاصيل الخطة ، اولاً ، لن يكون هناك بيان حول الإسكان قبل العطلة — وهذا أمر مقّرر ، ثانياً ، سوف تكون العطلة في نهاية تموز ، ثالثاً ، سوف تستخدم الحكومة العطلة من أجل إنهاء خطة جورج القومية ، حيث سيكون فيها فصول مستقلة حول الإسكان والخدمات الاجتماعية . ولتحضير ذلك ، فقد شكلت لجنة جديدة غريبة تتألف من خمسة وزراء قدامى ليس لديهم أعباء وزارية ، وستعمل هذه اللجنة فحصاً استقصائياً للنفقات في القطاع العام ، وهذا شيء كثير بالنسبة لخطة جورج براون القومية ، لكن توماس بالوغ أخبرني بأنه على الرغم من أن جورج براون قد اعتاد أن يكون حليفي القوي ضد كالاهان ، وأنه أيدّ برنامج إسكان

(٢) إن المسح الشامل الأول لخطط النفقات بعيدة المدى والتنبؤات بالزيادة قد جرى في عام ١٩٦١ ، لكن عام ١٩٦٥ ، نتيجة لنصائح لجنة مسح النفقات العامة ، كان اول عام اتخذ فيه قرار وزاري حول الموارد والاسبقيات .

موسّع ، فانه يقف الى جانب كالاهان في التفكير بأنه اذا كان هناك تخفيضات في الخدمات الاجتماعية ، فان الإسكان سيأخذها وأنا ، كوزير للإسكان ، فانني سوف أجني النتائج . ويرى توماس ان هذا هو بمثابة مؤامرة ، لكن في الحقيقة يوجد أسباب معقولة لماذا يتحتم على الوزير الأول ان يغيّر فكره حول إعطاء الإسكان الأسبقية الاولى وان يقرر الآن تجنب التخفيضات في الخدمات الاجتماعية بجعل الفأس يهوي بشكل رئيسي على رأسي . إن الفائدة السياسية من هذا الاجراء هي انه سيكون هناك عدد أقل من الاصابع للدعس عليها . إن جميع وزراء الخدمات الاجتماعية الآخرين قد ورثوا برامج التوسع التي التزم بها المحافظون . والذي خفّض من قبل المحافظين هو إسكان القطاع العام فقط . لذلك ، فان الطريقة الأسهل لتجنب خلاف غير محبَّب في مجلس الوزراء هي ترك إسكان القطاع العام في حالة مخفضة ، وجعل الازمة في القطاع الخاص تتطور ، وبعد ذلك ــ حيث نكون قد اجتزنا أزمة التضخم ــ ننعش برنامج الإسكان ونجعله يسير قُدُماً . على الاقل ، هذا هو نوع التفكير الذي اعتقد ان جورج براون قد برَّر فيه تغيير موقفه . لذا كنت طيلة ايام الاسبوع وانا افكر بكيفية الدفاع عن نفسي ضد هجوم مشترك يشنّ عليّ من قبل جيمس كالاهان وجورج براون .

على الأقل اعرف ان لدي حليفاً واحداً . فتكلمت مع فرانك كزنز ، الذي يشعر بان دوره ثانوي وهو يعرف بانه أقوى بكثير كسكرتير عام « لاتحاد العمال العامين وعمال النقل » من كونه وزيراً للتكنولوجيا في وزارة لا تعمل في الحقيقة شيئاً كثيراً . وقد تحدث الى هارولد كثيراً ،

واوضح لي بانه سيقف بثبات ضد محاولة تقليص الإسكان ويعتقد ان هذه الخطوة ستتخذ من قبل لجنة الخمسة ــ واستطراداً فهو عضو فيها ــ وهذا هو مجمل الدعم الذي أملكه ، وبالطبع فيما عدا رئيس الوزراء نفسه . وعندما يحين الوقت فانه سيكون من الممتع ان نرى الى اي مدى سيدافع هارولد عن حملة الإسكان على اعتبارها المظهر الرئيسي للخطة الوطنية .

وسأضيف ملاحظة واحدة : فقد كلفت يوم الخميس بعد الاجتماع الوزاري بحضور اجتماع « للمجلس الخاص » . وكانت هذه هي المرة الاولى التي أُجبرت فيها على الذهاب الى قصر باكنغهام . وكانت مهمتي ان أُسلم على ثلاثة اعضاء جدد في « مجلس شورى الملكة » سيتم التعريف بهم ، ومن ثمّ استمع الى اللورد رئيس المجلس وهو يقرأ للملكة المسكينة بصوت عالٍ قائمة بأوامر المجلس التي تمّ إصدارها . وهذا هو اكثر انواع التملق حماقةً ويجب ان اعترف بأنني اشعر بتفوقي على زملائي من الناحية الاخلاقية لانني أمقت ذلك . ولقد أفرطت في تمسكي بهذا النوع من الازدراء الواعي ، وهم الآن لا يهتمون بارسال بطاقات الدعوة لي . فأنا وآن مستثنيان من ذلك كلياً . حتى اننا لم نذهب الى حفلة مجلس العموم في لانكاستر في ذكرى الوثيقة العظمى [1] او الى الاجراءات التي تقام في القاعة الكبرى في وستمنستر [2] . وأنا اعلم بأن موقفي هذا هو

---

(١) وثيقة الحقوق التي أكره النبلاءُ الانكليز الملك جون على اقرارها في عام ١٢١٥ ــ المترجم

(٢) تميزت الذكرى (٧٥٠) لاصدار الوثيقة العظمى باقامة قداس في كنيسة القديس بولص في العاشر من شهر حزيران . وفي الثاني والعشرين منه استمعت الملكة الى خطاب في قاعة وستمنستر احتفالاً بالذكرى (٧٠٠) لتأسيس البرلمان الانكليزي الأول ، الذي دعاه سيمون دي مونت فورت (Simon de Montfort) للاجتماع عام ١٢٦٥ .

جزئياً عبارة عن عجرفة واعية ــ وما اريده هو ان اثبت لنفسي أنني لا أحب هذه الأشياء ، رغم انني اجد نفسي استمتع بها باعتدال في بعض الأحيان حتى أنني أكره نفسي الى حدّ ما لأنني ارفض حضورها . ومع ذلك ، فقد جعلني مجلس شورى الملكة أتحقق من أهمية وجود زوجة لي صادقة في رغبتها ان لا أقبل أياً من هذه الدعوات الرسمية وهكذا يتاح لي الكثير من الوقت والطاقة بينما يضيعها بقية الوزراء على ذلك . وعلى سبيل المثال فقد كان لديّ هذا الاسبوع وقت فراغ كبير نتيجة لرفضي حضور أياً من احتفالات الكومونولث الصاخبة .

الاثنين ٢٨ حزيران :

كان من الضروري ان استقل قطار الأحد المسائي لان اجتماع لجنة التطوير الاقتصادي سيبدأ في الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين من صباح هذا اليوم . ولم اكن افكر كثيراً بجدول الاعمال لانني كنت مهتماً الى حدّ بعيد بالتحضيرات لمرحلة التقرير لمشروع قانون الايجارات . اذ يوجد ثمان او تسع مواد جديدة . ولسوء الحظ ايضاً فسأكون اول من تُوجّه اليه الاسئلة يوم الثلاثاء ولدينا مناقشة حول توجيه اللوم بسبب فشلنا في تحقيق أهداف بناء المساكن يوم الخميس ، وهكذا سأجلس لمدة ثلاثة ايام متعاقبة في المقاعد الأمامية ، يعقبها يوم الجمعة وهو مكرّس بكامله للزيارات الرسمية وحضور عملية جراحية في كوفنتري ، ويوم السبت حضور معرض الريف الكبير الذي ينظم في كرويردي

(Cropredy) لصالح تمويل قاعة القرية ٠

كنت قلقاً جداً هذا الصباح ومضطرباً بسبب ما قد يحدث ٠ وهكذا لم أقم بدور كبير في الفقرة الكبيرة في جدول أعمال لجنة التطوير الاقتصادي ـــ وهي معالجة تدهور صناعة الفحم ٠ وقد ووجهنا بتوصية مميزة من « فردلي » ، وزيرنا العمالي للطاقة ٠ ويبدو أن اهتمامه الرئيسي كان منصبًا على ان لا نقدّم أبداً أي نوع من الإعانات المالية الهزيلة لمساعدة حقول الفحم الحجري ضعيفة الانتاج كتلك الموجودة في اسكوتلنده وجنوب ويلز ٠ وانه لأمر غريب كيف يمكن لوزارة ان تكره الوزير على عمل ما ٠ ولم يكن ممكناً منذ تسعة شهور خلت ان يفكر المرء بأن السيد « لي » سوف يواجه معارضة في طلبه لأية مساعدة للعاملين في مناجم الفحم وان يتم تجاهل الحقيقة وهي ان المساعدات المالية الهزيلة ضرورية من الناحية السياسية ٠

كنت مضطراً للخروج قبل ان ينتهي النقاش لحضور اجتماع هام في الوزارة لبحث موضوع تأمين سكن للمهاجرين من دول الكومونولث ٠ فقد حدث حادث غير اعتيادي في الاسبوع المنصرم عندما قدّم « موريس فولي » ، وهو رئيس اللجنة الفرعية الخاصة ، اقتراحاً الى لجنة مجلس الوزراء لشؤون الهجرة (اثناء غيابي) لتأجيل الدفع لفترة اثني عشر شهراً بالنسبة لجميع القادمين ، بما في ذلك الزوجات ، والاطفال ، والذين لا يستطيعون إعالة انفسهم ٠ ولكن هذا سيكون عملاً جنونياً بشكل كامل لأنه ببساطة سيزيد من الفوضى باقامته سدّاً سينهار بعد ذلك باثني عشر شهراً ٠ وناقشت مع « بوب مليش » فكرة طرحت علينا وهي ان

يقتصر قدوم الاشخاص الذين لا يستطيعون إعالة انفسهم على المهاجرين في بادىء الأمر ، ولكننا توصلنا الى نتيجة وهي انه من الناحية العملية فانها ستخلق مصاعب كثيرة للسلطات المحلية . وهذه السلطات سوف تحجم عن قبول مهمة التدقيق هذه الخاصة بالتأكيد فيما اذا كان سكن المهاجر لائقاً بشكل كافٍ كي يسمحوا بقدوم أطفاله . وعارضنا هذه الفكرة في الاجتماع وكذلك اقتراح تأجيل الدفع .

كان لدّي وقت قليل لالقاء نظرة على الاسئلة التي كان عليّ ان أُجيب عليها في اليوم التالي حيث ان وزارتي هي اول وزارة على جدول الأعمال ، ثم ذهبت الى حفل عشاء عجيب مع اللورد قاضي القضاة . كان هذا الحفل ترويحاً للنفس ، لكنه كشف عن شخصيته الغريبة . ووجدت أن الضيفين الآخرين هما « راي غنتر » ، وزير العمل ، وتشارلي بانل ، وزير الأشغال . لماذا جُمعنا نحن الثلاثة معاً ؟ اذ لم يكن هناك مسألة سياسية هامة يريد ان يبحثها . فقد كان هو وزوجته قلقين على منظفي النوافذ الذين يقومون بتنظيف نوافذ برج فكتوريا الهائل حيث يعيشان . وعلى ما يظهر لقد وضع منظفو النوافذ عارضة خشبية طويلة خارج النافذة ، ووضعوا المساند في الداخل ، ثم ساروا على العارضة وحيثما كان ضرورياً وضعوا سلّماً على نهاية العارضة وتسلقوا عليه من اجل تنظيف النوافذ . وشكا من ان الشركات التي تقوم بهذا العمل قد تسبّبت في حدوث إصابات مميتة وخطيرة وانه لا يوجد تأمين على الرجال ولا يوجد حماية من نقابات العمال . وهو يعتقد بوجوب ايقاف هذا العمل ، وأرانا قانون ولاية نيويورك الذي ينظم مثل هذا العمل والذي لا يوجد له مثيل في

هذه البلاد وذلك من اجل تنظيف نوافذ المباني الشاهقة . انني اجرؤ على القول بأن مخاوف « جيرالد غاردنر » لها ما يبررها لكنها استقبلت بشيء من الفتور . فأبدى المستر « غُنتر » معارضة شديدة لمعالجتها وزارياً ، واعطى المستر بانل تأكيداً بأن وزارة الاشغال سوف « تدرس المسألة بالطريقة العادية » أما بالنسبة لي ، فان لديّ عذراً يحول دون بحثها في الوزارة . ولم يعتقد أيٌّ منّا بأن جيرالد يريد فعلاً ان يكشف عن سيئة اجتماعية ينبغي على حكومة العمال ان تعالجها .

عدت بعد ذلك الى الوزارة وشرعت بقراءة جميع التعديلات والمواد الجديدة لمشروع قانون الايجارات ، ووضع خطة للجدول الزمني للنقاش وتوزيع المسؤولية على شاغلي المقاعد الأمامية . فعلت ذلك مع « جيم ماك كول » ، الذي كان لا يقدّر بثمن بالنسبة لمشروع القانون . وقررنا ان نصل الى نهاية القسم الثاني مساء الثلاثاء ، مهما تأخرنا ، اذا كنا سننهي « مرحلة التقرير » في الساعة السابعة من بعد ظهر الاربعاء . إن تحديد الوقت بيوم ونصف هو مجرّد عمل جنوني لان المواد الثمانية الجديدة والتعديلات الخمسين التي وضعتها الحكومة ـــ وهي اكثر من نصف المجموع الكلي ـــ سوف تأخذ الوقت المتوفر بكامله ، ولا تترك شيئاً للمعارضة . وعلى كل الاحوال ، فانه من الواضح أن علينا ان نجلس يوم الثلاثاء طيلة الليل اذا كنا سننهي العمل المطلوب منا . وفي الساعة الخامسة ذهبت الى مجلس العموم لمناقشة خططنا مع اعضاء البرلمان في المقاعد الخلفية المهتمين بمشروع القانون .

لسوء الحظ ، فان فريق العمل الذي كان يعمل معي خلال « مرحلة اللجنة » قد أنهى أعماله . وعليّ الآن ان اقابل اي عضو قديم في المقاعد الخلفية مهتماً بالايجارات . فوجدت حوالي ثلاثين شخصاً هناك ، من بينهم عشرة أعضاء لم يعملوا معنا قطّ في اللجنة . وهذا جعل الأمر صعباً لانني اجريت مناقشة مفيدة مع فريق العمل منذ بضعة أيام حول المسألتين اللتين اعرف انهما سبّبتا انقسامنا . وقد عارضوا المادتين بشدة . وأعطى احدهم سلطة للوزير كي ينهي آلية انظمة الايجارات الجديدة في اي جزء من البلاد ، او بالأحرى في جميع ارجاء انكلترا وويلز . وبدا لهم أمراً مضحكاً انه ينبغي على الوزير ان يكون قادراً على إنهاء قانونٍ بواسطة أمرٍ في المجلس ، ووافقت على أنه يتوجب علينا ان نحذف هذا من مشروع القانون . والمادة الاخرى التي قدمت فيها تنازلاً كبيراً كانت حول موضوع حاسم يتعلق بالمرحلة الثانية من القانون ، عندما أُدخل المستأجرون المسيطر عليهم ضمن النظام الجديد الخاص بتنظيم الايجارات ــ حيث ان السيطرة على هؤلاء المستأجرين مجمدة حالياً ــ والايجارات هي قيد المراجعة من قبل موظفي الايجارات ولجان التخمين . ومن الممكن ان تتضاعف الايجارات في هذه المرحلة الثانية او اكثر من المضاعفة لأن الهوّة ستكون كبيرة . ولمعالجة ذلك بشكل انساني ، فان المسودة الاولى لمشروع القانون قد منحت الوزير سلطة لتقديم مقاييس متدرجة يمكن تحتها للايجارات ان تزداد تدريجياً . واعتقد المؤيدون لي في المقاعد الخلفية بأن هذا ليس قويّاً بشكل كافٍ وقد وعدتُ في مرحلة التقرير بمادة جديدة مميزة تنص على أن الزيادة في أية سنة واحدة لا

يمكن ان تكون اكثر من ١٥٪ . وطلبوا ان تكون الزيادة ١٠٪ كحدّ أقصى ، واقترح « جيم ماك كول » ان تكون الزيادة ٢٥٪ واستقر رأيي على ١٥٪ . ووجدت الآن ان عضوين من فريق العمل القديم هما يوليوس سيلفرمان ، وفرانك ألون ، قد وضعا تعديلاً لمادتي الجديدة ينصّ على انه ينبغي ان تكون هناك زيادة واحدة وبعد ذلك لا يكون هناك اية زيادات . وهذا ، طبعاً ، سوف يكون تعديلاً مدمِّراً بشكل كامل . وكان عليّ ان استمع مرة اخرى الى خطابات مطولة من إريك هيفر ، وفرانك ألون ، تكرر ان مجمل الفكرة لمادة الايجارات العادلة ينبغي ان لا يسمح بها اطلاقاً لانها تعتبر خيانة لسياسة الحزب . وبعد ان أنهوْا خطاباتهم الرنانة قلت لهم : « انظروا ، انكم لا تستطيعون عمل ذلك بي . ففي الاسبوع الماضي اقترح بعضكم ١٠٪ بدلاً من ١٥٪ والذي لا استطيع ان افهمه هو هذا التعديل المدمِّر الذي وضعه يوليوس سيلفرمان على جدول الاعمال .»

كان هناك جوّ قاسٍ كثيراً لكنني اجتزت المساء بشكل جيد ، وانطباعي هو انهم لن يقاوموا كثيراً في مجلس العموم . ثم عدت إلى فنسنت سكوير واخذت آن لمشاهدة مسرحية جديدة للكاتب جون أسبورن (John Osborne) في وندهامز(Wyndhams) عنوانها : « الشهادة غير المقبولة » ـــ وهي عبارة عن كلام ، وكلام ، وكلام ، على الهاتف من قبل كاتبٍ غير جيد . ومن الناحية الفنية فهي عمل كبير ، ولكنها لا تبقى في الذاكرة بشكل عجيب . وتناولنا عشاءً هادئاً في مطعم آيفي (Ivy) وذهبنا الى المنزل في وقت مبكر لانني اعرف انه عليّ ان

استيقظ مبكراً في صباح اليوم التالي لتحضير خطاباتي حول المواد الجديدة في مشروع القانون .

الاربعاء ٣٠ حزيران :

وهكذا وفي الساعة السادسة صباحاً من يوم الثلاثاء كنت ما أزال جالساً في فراشي لأفرغ من العمل الاداري المعتاد في الصندوق الاحمر ومن ثم أعكف على الخطابات الثلاثة الرئيسية التي كان عليّ أن ألقيها هذا الاسبوع .

وكان من الضروري أن أمر بمكتبي بعد الساعة التاسعة بقليل نظراً لوجود كميات ضخمة من العمل الروتيني . وكنا نحضر لمفاوضات اخرى مع الجمعيات السكنية حول الخطة الاسكانية الوطنية ، وبالطبع كان من المفروض أن نفكر باقتراع توجيه اللوم يوم الخميس القادم . وكان علينا ايضاً أن نحل مشاكل لا حصر لها حول تعديل نظام العقارات المستأجرة ولجنة الأراضي . وعند الساعة الحادية عشرة والنصف سيعقد رئيس الوزراء اجتماعا كبيرا لمعالجة هذا الموضوع في المبنى رقم(١٠) . وتملكني الخوف عندما قرأت مسودة البيان الابيض الذي قدمه فرد ويلي لأنه بدا لي على انه تهديد باستخدام العصا الغليظة بينما كنا نعلم سراً بأنه لن يكون هناك عصا غليظة لمدة سبع او ثماني سنوات على الأقل . وأوعزت لي الوزارة بأن أدعم وزير المالية ، الذي كان يرغب في الاعتماد بشكل رئيسي على فرض ضريبة جديدة على أرباح رؤوس الأموال وأن يحافظ على ضريبة

التحسين منخفضة . وعلى اية حال ، كان هارولد يتمتع بأفضل حالات الحزم . فأذعن على الفور لِ فْرد ويلي ــ في غياب وزير المالية ، الذي كان خارج البلاد في نيويورك ــ على وجوب فرض ضريبة التحسين على جميع التحسينات وأن لا تفرض ضريبة على ربح رؤوس الاموال على الاطلاق . ثم أرضاني عندما وافق على أن نبدأ بفرض ضريبة تحسين منخفضة ونرفعها تدريجياً . وهكذا غادرنا المكان وكلنا راضٍ .

وكان عليَّ أن أبقى بعد نهاية الاجتماع لأرى رئيس الوزراء بخصوص مستقبل وزارتي ، وكنت آمل أن استطيع إقناعه بالاقتراحات التي وضعتها مع السيدة ايفلين وهلسبي . ولكنه بدأ يسألني على الفور عن أرقام الاسكان التي كانت أفضل بكثير مما توقعنا – وقد سجل رقم قياسي في الانجازات خلال الأشهر الخمسة الاولى . وحاولت أن احذره من الاعتماد كثيراً على هذه الارقام ، وذكرته بأننا نواجه أزمة كبيرة في القطاع الخاص بسبب نقص في رؤوس أموال الجمعيات السكنية . وبعد اثبات حقيقة هذا الامر ، قلت : « هل سيأتي هلسبي لمناقشة مستقبل وزارتي؟ » فأجاب : « أخبرت هلسبي ألا يأتي . فلم اعتقد بأنه سيكون لدينا الوقت الكافي لمعالجة الأمر . » ومن ثم تابع قوله : « ولكنني أتصور بأنك ترغب في الحديث عن المستقبل النهائي لوزارة الأراضي والثروات الطبيعية . » فقلت له : « كلا ، لا أرغب في الحديث عن ذلك . ولكنني أرغب في الحديث عن مستقبل السيدة ايفلين وعن العرض الذي تقدمنا به إليك وهو أنه على اعتبار أن السكرتير الدائم لوزارة الأراضي والثروات الطبيعية يرغب في الاشتراك في أعمال كبيرة فيجب ارساله

بأسرع ما يمكن . فلنتخلص منه هذا الصيف ونضع « بروس فريزر » في مكانه هناك ليساعدنا في إنهاء مشروع قانون لجنة الاراضي ، وهذا ما سيقوم به بشكل مرضٍ جداً . وفي أثناء ذلك ، فان السيدة ايفلين على استعداد للبقاء حتى شهر آذار القادم » . فقال « حسناً ، هل أنت على استعداد لتركه مفتوحاً ؟ » فأجبته ، « نعم ، فأنا لا أرغب في مناقشة المستقبل النهائي لوزارة الاراضي والثروات الطبيعية ولكني أريد أن أحذرك بأننا قد اتحدنا جميعاً ، هلسبي ، وبروس فريزر ، والسيدة ايفلين ، وأنا ، ونحن نعتقد أنه عندما يتم انجاز مشروع قانون لجنة الاراضي في مجلس العموم ، وقانون اخلاء العقارات المستأجَرة ، فإنه يتوجب عليك إما أن تنهي هذه الوزارة أو أن تعطيها سلطة أكبر بكثير . ولكننا لا نعتقد أنه يجب أن تتخذ قراراً بذلك الآن . فكل ما يجب أن تقوم به الآن هو أن تعين بروس فريزر هناك ومن ثم إذا أعدت وزارة الأراضي والثروات الطبيعية إلينا في وزارة الاسكان فيمكنني أن اضمه إلي أيضاً .»

وكم كانت دهشتي عندما قال بأنه موافق ، وعندما مررت به في ردهة الاقتراع في نفس المساء أخبرني بأنه أنهى الموضوع بكامله مع هلسبي .« لقد تم كل شيء ، » قال هذا وهو راضٍ جداً من نفسه . ووجدت بأن ذلك كان صحيحاً .

استغرقت هذه الاعمال كل وقتي حتى موعد طعام الغداء ولكنني لم اكن مستاءً عندما عدت الى الوزارة وجلست مع سكرتيريّ لشؤون البرلمان لتناول غداء بارد وتحضير اسئلتنا معهما . ويواجه المرء مسألة وضع الاسئلة مرة كل سبعة او ثمانية أسابيع فقط ، لذا فهي بمثابة تحضير

خطاب رئيسي . وقسّمنا الأسئلة بيننا نحن الثلاثة فكان نصيبي النصف تقريباً وكان نصيبهما النصف الآخر . كنت متضايقاً جداً كما كنت في المرة السابقة لان كل ما استطيع فعله هو ان أقف واقول : « ليس لديّ شيء اقوله بعد حول الرهونات العقارية » ، و« ليس لديّ شيء اقوله بعد حول الموارد المالية للحكومة المحلية » . في الحقيقة ، لا يوجد شيء استطيع عمل بيانٍ بشأنه كما ان المحافظين كانوا غير جريئين بحيث انهم لا يسألونني عن المسائل الصعبة التي تثير الجدل والتي اعالج مثلها دائماً ، مثل تصاريح التخطيط ، واوامر الشراء الاجباري . إنهم يتركون هذا الجانب من عملي لان كل ما يهتمون به الآن هو معدلات الرهن العقاري . لذا فالأمر ليس صعبا ، وبعد ذلك وقفت جانباً بينما قدّم هارولد ولسون أسئلته كرئيس للوزراء خلال ربع الساعة المخصص له . وتلا ذلك بيان مطول حول مؤتمر الكومونولث وآخر حول البحث الطبي . وبعد ذلك وقفت من اجل المواد الجديدة في مشروع قانون الايجارات التي تبحث في « مرحلة التقرير » .

امتدّت هذه الجلسة ، كما كان متوقعاً ، من الساعة ٣٫٣٠ بعد ظهر الثلاثاء وحتى الساعة ٥٫٥٠ من هذا الصباح . وكان متوقعاً ان تستغرق مجموعة المواد التي تمكنّ مالكي العقارات ــ وبنفس الوقت شاغليها ــ من العودة الى منازلهم التي اجرّوها بصورة مؤقتة مدة ثلاث ساعات ، وذلك بسبب معارضات المحافظين . وقد تم ذلك فعلاً . ثم جاء دور المادة الشهيرة حول الانتقال من الرقابة الى التنظيم التي بحثتها مع مؤيدينا في المقاعد الخلفية مساء الاثنين . وكنت أعلم ان هذه ستستغرق

ثلاث ساعات أُخر . وتم ذلك فعلاً . وتوليت زمام المناقشة التي اعتبرتها خطاباً خفيفاً ومسلياً ، وقد سارت بشكل جيد على الرغم من انني كنت حاداً ومتعجرفاً في التوبيخ الذي وجّهته لاعضاء جناح اليسار على ما أسميته بالنزوع الى مبادىء حزب المحافظين . على أية حال ، يبدو انهم اخذوا كلامي بحسن نية . وكنوع من الحيطة لم اذهب بعد ذلك لتناول طعام العشاء في الطابق السفلي مع ستان أُورم [1] (Stan Orme) ونورمان بوكان [2] (Norman Buchan) ، وهما عضوان بارزان من جناح اليسار . وكانت المقاومة لهذه المادة تعتبر احدى الثورات القليلة التي تحدث حول مسألة داخلية في ظل هذه الحكومة . لكن الخطابات التي قدمت من قبل يوليوس سيلفرمان ، وفرانك ألون ومن بقيتهم كانت عامّة نوعا ما . وكان واضحاً منذ البداية أنهم عملياً لن يحركوا التعديل الخاص بهم وانهم عندما يحين الوقت سيصوتوا الى جانبي ضد تعديل المحافظين . وقد قاموا بتنفيذ ذلك بعد العاشرة بقليل .

وعند منتصف الليل كنا نقترب من إنهاء المواد الجديدة حين وقف جون بويد ـــ كاربنتر طالباً الاسراع في العمل . فأجبته : « كلا ، كلا . فنحن نسير بشكل جيد » . وتابعنا العمل حتى انتهت البنود الجديدة حوالي الساعة الثانية صباحاً ، ومن ثم بدأنا بمناقشة التعديلات . وكنت على ما يرام وكنت اتمنى ان نستمر في العمل حتى بعد ظهر اليوم

---

(١) عضو برلماني عن دائرة سالفورد غرب منذ ١٩٦٤ ، وهو عضو في الاتحاد الهندسي المؤتلف .
(٢) عضو برلماني عن رنفروشاير (Renfrewshire) غرب منذ ١٩٦٤ ، وعضو سابق في الحزب الشيوعي .

التالي وان نلغي اعمال اليوم القادم كي ننهي مشروع القانون ، وهنا حدث شيء يثير الاهتمام نوعاً ما ، فبما أن المحافظين كانوا يحتفظون بعدد كافٍ من مؤيديهم في المقاعد الخلفية لمجلس العموم مما يمكنهم من طلب الاقتراع والحصول على مجموع محترم من الاصوات في ردهة الاقتراع السرّي فلم يحدث اي نوع من المماطلة ، ولكن وفي نهاية الأمر سمحوا لجماعتهم بالذهاب الى البيت واحتفظوا بمجموعة صغيرة هناك فقط من اجل إطالة فترة العمل ، ولم نحرز اي تقدم يذكر منذ تلك اللحظة ، وفي الواقع فانني اعتقد أننا أنهينا ثلاث تعديلات فقط خلال ثلاث ساعات .

وعند الخامسة صباحاً أصبح واضحاً اننا نضيع الوقت وتحدثت الى « جون سلكن » عن ذلك ، فهو ليس الزعيم البرلماني او نائبه ولكن يبدو لي انه الرجل الذي يدير أعمالنا الآن فعلياً ، فنصحني بحزمٍ ان أسمح له بالتفاوض مع بويد ـــ كاربنتر للتوصل الى افضل اتفاق ممكن ، فوافقت ـــ وبناءً على ذلك سرعان ما جاء ليخبرني بأن الزعماء البرلمانيين المحافظين قد وافقوا على اعطائنا مشروع القانون دفعة واحدة عند الساعة الحادية عشرة والنصف من مساء الاربعاء اذا تركناهم يذهبون الى منازلهم عند نهاية تلك المادة ، لقد استطاع « جون سلكن » أن يحصل على تنازل كريم بشكل غير اعتيادي ،

وذهبت للنوم قبل الساعة السادسة بقليل واستغرقت في النوم ، شكراً لله ، وكنت مضطراً للنهوض في الساعة الثامنة كي اذهب الى المكتب مبكراً لمعالجة أمور كثيرة ، وكذلك كي اعقد مؤتمراً صحفياً

لاعلان قراري بالنسبة للمناطق المزدحمة في السكان في غرب ميدلاندز [1] . ووجدت المؤتمر الصحفي والمقابلات التلفزيونية ثقيلة على نفسي وقيل لي انني كنت أبدو محطّماً . ورغم ذلك ، فقد أنهيتها كلها ومن ثم جلست في غرفتي لأحضّر للجلسة التي ستعقد بعد الظهر والتي كان من المتوقع ان تبدأ في الساعة الثالثة والنصف . وبعد ذلك مشيت الى مجلس العموم وهناك ارتكبت خطأً فادحاً . فقد جاء الى غرفتي تومي بالوغ ليتحدث معي حول اجتماع يوم الاحد الذي سأعقده مع « لجنة مسح النفقات العامة » . فقدّمت له كأساً من « الشّري » وشربت كأساً من « الجن » . ثم نزلت الى غرفة طعام أعضاء المجلس وشربت زجاجة من النبيذ الابيض مع طعام الغداء . وبعد الغداء بقليل انتابني ألم شديد في رأسي بسبب تناولي كمية كبيرة من الشراب وهذا سبب لي ازعاجاً كبيراً حيث كان ينتظرني عمل مستمر . وفي الواقع استمر هذا الألم في رأسي حتى الساعة السابعة مساءً . وبدأت أدرك ما الذي يحدث ل جورج براون . فقد كنت منهكاً جسدياً وعصبياً ومتوتراً الى درجة ان كأسين من الخمر وضعاني في جحيم لا يطاق ، وما كان ليكون لهما أي تأثير عليّ لو انني شربتهما في حفلة عشاء . ووجدت ان هذا أمراً عسيراً لأن عليّ أن اكون في المقاعد الأمامية من الساعة الثالثة وحتى التاسعة ، حيث ان هذا الجزء من مشروع القانون يعالج عدداً من المسائل التي يتوجب على الوزير

---

(١) لقد أوصت لجنة حدود الحكومة المحلية في تقريرها لعام ١٩٦٠ إنشاء خمس مدن جديدة تابعة للمقاطعات . وقد أستأنفت بعض السلطات المحلية التي خشيت الانقراض ضد التغيير ، لكن قرار كروسمان كان يقضي بتنفيذ توصيات اللجنة بالسرعة الممكنة .

ان يجيب على تساؤلات الاعضاء . فمثلاً ، عليّ ان اعالج جميع الأسئلة حول القيمة التي تخضع للضريبة وحول مادة الايجارات العادلة . لذا جلست هناك وأنا أشعر كالميت ولكنني على ما يبدو ألقيت سلسلة من الخطابات المناسبة . وفعلت ذلك فقط لكوني احفظ الموضوع الذي نحن بصدده عن ظهر قلب .

وبما ان المحافظين قد وافقوا على أعطائنا مشروع القانون حوالي الساعة ٣٠ر١١ مساءً ، فقد نظموا الجلسة بشكل جيد ، وحذفوا عدداً كبيراً من تعديلاتهم الخاصة . وكانوا يدفعون مشروع القانون الى الأمام طيلة الوقت وكذلك كان رئيس الجلسة ، ومع ذلك كنا نلهث خلف الجدول الزمني لوجود امور كثيرة في الحقيقة لمناقشتها . وكان واضحاً لي ان الوقت المخصص للجلسة يجب مضاعفته اذا كنا سنقوم بتحليل حقيقي لمادة البحث . وهكذا كان هناك خطأ كبير في الحساب من قبل بيرت باودن (الذي سيقع في مشكلة مرة اخرى عندما نواجه « مرحلة التقرير » لمشروع القانون المالي مالم يبادر الى توفير وقت من اجل مناقشة مفيدة .) وكنت في فراشي قبل منتصف الليل لانني كنت اعرف بأن يوماً حافلاً بالعمل ينتظرني في الصباح بالاضافة الى نقاش كبير بعد الظهر حول توجيه اللوم .

الخميس ، ١ تموز :

لم يكن بمقدوري سوى النظر الى اعضاء مجلس الوزراء والاستماع الى جزء من مناقشة سياسة فْرد لي حول مناجم الفحم . ووجد مجلس الوزراء ، شكراً لله ، ضرورةً لاعانات مالية معقولة ـــ وهذا مكّنه من عمل بيان مرضٍ في مجلس العموم قبل مناقشة توجيه اللوم لي . وفي الحقيقة فان مجلس الوزراء هو الذي أنقذ فْرد من وزارته .

عدت الى وزارتي حيث كنت على موعد مع هلسبي . وقد أُكّد بأن جميع الترتيبات قد اتفق عليها مع رئيس الوزراء بشكل راسخ . وليس ذلك فحسب ، بل إن المستقبل النهائي لوزارة الاراضي والموارد الطبيعية قد مُنح لنا بشرطٍ واحد ، وهذه ميزة هارولد ولسون ، وهو أن لا يعلم « فْرد ويلي » شيئاً عن هذا الأمر . ووجدت ان هذا شيئاً لا يمكن ابتلاعه ، ولكن ليس هناك ما يضيرني . حقاً ، إن من المحتمل ان تكون اكبر نجاح لي كوزير حتى الآن . لقد حصلت على ما أُريد . فتمكنت من الاحتفاظ بالسيدة ايفلين حتى الربيع القادم . وقد تمكنت من دفع بروس فريزر الى وزارة الأراضي والموارد الطبيعية وحصلت على قرار بانهاء تلك الوزارة الصغيرة . واخيراً حصلت على ترتيبات وهي انه قبل إنهاء تلك الوزارة ، فان مسألتي الارتباك السياسي المروّع ، واخلاء الاراضي المستأجرة يمكن ان تحالا اليها .

سار نقاش توجيه اللوم بعد الظهر بشكل جيد . ومن حسن حظي ان المحافظين قد اخفقوا في تحقيق غاياتهم بسبب تخصيص ثلاثة أيام

لبحث الاسكان ، كان مجلس العموم في الحقيقة خالياً وكان الجو يختلف تماماً عن جوّ نقاش توجيه اللوم الذي جرى فقط منذ بضع أسابيع . ولم ينجم ذلك عن تغيير في الموقف ولكن لأن شاغلي المقاعد الخلفية كانوا منهكين ولم يحضروا عندما كان ينبغي عليهم ان يتوجهوا الى ردهات الاقتراع . واليوم عرفوا بأن هناك تصويتاً في الساعة العاشرة فحضر معظمهم الى هناك في العاشرة . ابتدأ نقاش توجيه اللوم بخطاب عادي ألقاه غراهام بيج [1] (Graham Page) ، الذي كان الرجل رقم (٢) بعد جون بويد ـــ كاربنتر اثناء « مرحلة اللجنة » لمشروع قانون الايجارات . ثم وقف تشارلي بانل كي يردّ عليه . لم استمع الى الكثير من الردّ لانه كان يتوجب عليّ ان اذهب الى اللجنة الوزارية المختصة بشؤون الهجرة كي أهزم الاقتراح الداعي الى ادماج الإسكان في البيان حول الهجرة .

عدت الى المقاعد الأمامية حوالي الساعة السادسة واستمعت الى بقية النقاش . لقد زوِّدت بموجز جيد من قبل وزارتي ، ولحسن الحظ ، كنت قد اطلعت في الصباح على نشرة جديدة للمحافظين حول الإسكان أعدّها السّير فردريك كورفيلد [2] (Fredrick Corfield) ، وجيوفري ريبون

(١) هو عضو برلماني عن كروسبي (Crosby) منذ عام ١٩٥٣ . ثم اصبح وزيراً للحكومة المحلية والتطوير في دائرة البيئة عام ١٩٧٠ .

(٢) هو عضو برلماني عن دائرة غلوسسترشاير جنوب منذ عام ١٩٥٥ . وهو سكرتير برلماني سابق في وزارة الإسكان والحكومة المحلية (١٩٦٢ ـــ ١٩٦٤) ، واصبح وزير دولة في مجلس التجارة عام ١٩٧٠ ، وفي اواخر هذا العام اصبح وزيراً لتموين الطيران ، وفي ١٩٧١ ـــ ١٩٧٢ اصبح وزيراً للفضاء في دائرة التجارة والصناعة .

(Geoffrey Rippon) ، وكانت تدعو للسخرية لأنها لا تشتمل على اي شيء ايجابي ، وأنهى جون بويد ــ كاربنتر النقاش بكفاءته المعهودة ، وكان ردّي عنيفاً ، وقد ارتكبت خطيئة واحدة هي الجلوس وافساح المجال لِ كورفيلد للدخول في النقاش وبذلك لم اتمكن من عمل خاتمة للخطاب [1] ، وجاء جورج براون وهنأني على بقائي مخلصاً لوزارة المالية وعدم ذكري اي شيء غير ملائم حول تمويل الإسكان ، لقد كنت حريصاً على ابقاء مصيدتي مغلقة بسبب الاجتماع الحاسم الذي سيعقد مع الحكماء الخمسة يوم الأحد القادم .

أويت الى فراشي قبيل منتصف الليل بعد أن كلمت آن هاتفياً .

الجمعة ٢ تموز :

ليس هناك مثل الشعور بانجاز عمل ناجح لتمكين المرء من النهوض في الساعة الثامنة من صباح الجمعة للذهاب بالسيارة عبر «الاوتوستراد» رقم (١) من اجل القيام بزيارة رسمية الى ميريدن (Meriden) ، لقد عاملت هذه المقاطعة الريفية بشيء من القسوة وذلك بحرمان مشروع بناء بيرمنغهام من المدينة التابعة له في تشلمزلي وود ، كذلك اقتطعت قطعة ارض على الجانب الآخر واعطيتها الى كوفنتري ، لذا فقد وعدتهم ان آتي وأراهم وأبحث معهم مشاكل الحزام الأخضر ، وقضيت صباحاً رائعاً مع

(١) نالت الحكومة اغلبية ٢٨٦ صوتاً مقابل ٢٧٩ .

مجلس المدينة وتلا ذلك مؤتمر صحفي ، وبعد ذلك ذهبت الى كوفنتري لافتتاح احد مصانع اعمال المجارير الحديثة . وأمضيت ساعات بعد الظهر وأنا اتجول في المصنع ، واستمع الى شرح عن أساليب نقل مياه المجارير واقذارها . بعد ذلك قضيت ساعتين في مناقشة واخيراً أوصلني ألبرت روز الى برسكوت حيث تناولت طعام العشاء وشعرت فجأة بالتعب واستطعت صعود الدرج بصعوبة من اجل الايواء الى الفراش .

الأحد ٤ تموز :

بالأمس كان مهرجان قريتنا . وكانت الحلّة القشيبة التي ارتدتها «كرويردي» هائلة . لقد فتحت القرية شارعاً جديداً يعود طرازه الى القرن السابع عشر عند ملعب الكريكيت [١] ، ونظّمت معرضاً ريفياً رائعاً يعود ريعه لبناء قاعة قرية جديدة . وحضر المهرجان آلاف الاشخاص وأقنعت جون بيتجيمان [٢] (Betjeman) على المجيء من بيركشاير لافتتاح المعرض . ووصل لتناول طعام الغداء وكان ساحراً مع أطفالي . وعندما كنا نتناول الطعام فان القصيدة الوحيدة التي نستطيع تلاوتها كعائلة هي قصيدة الكونغو (The Congo) من تأليف الشاعر فاشيل لندسي . لكن لا يوجد لدينا نسخة مطبوعة منها . عندئذٍ ألقى جون القصيدة بكاملها عن ظهر قلب وذكّرنا ببعض أبيات منها لم نسمعها قطّ ووعد بارسال

(١) لعبة من ألعاب الكرة والمضرب — المترجم .

(٢) اصبح شاعر البلاط في عام ١٩٧٢ .

نسخة من «مقتطفاته الادبية المختارة» التي تتضمن هذه القصيدة ·
واخذته بعد الظهر ، بعد ان افتتح المهرجان ، في جولة لمشاهدة قرى نورثامبتون وكنائسها ثم هرولت لمشاهدة رقص اطفال كوفنتري ، الذين قاموا به بمنتهى الرشاقة · وفجأة هطلت الأمطار ، فأسرعت أنا وباتريك الى المنزل مبلَّلين بالمطر · لكننا حصلنا على الجمهور والأموال اللازمة لبناء قاعة القرية · وكان عليّ ان اغادر في الساعة ٢٫٢٧ من محطة يمنغتون من اجل اجتماعي مع الحكماء الخمسة ·

ملاحظة :

إن نجاح وزير المالية في اتخاذ الترتيبات لدعم الدولار للجنيه في نهاية شهر تموز قد شجّع فقط الشائعات حول تخفيض قيمة العملة · كما ان نشر الارقام التي تظهر نضوب احتياطي الذهب والذي استمر خلال حزيران ــ حوالي ٢٤ مليون جنيه استرليني ــ قد شكل ضغطاً آخر على الاسترليني · وكانت مخاوف المستر كالاهان واضحة عندما أبلغ مجلس العموم ، في الخامس عشر من تموز ، بأنه كان يقاوم الاغراء باتخاذ اجراءات لتقييد الاقتصاد ولكن الوزراء اخذوا منذ اول الشهر يعيدون النظر بميزانيات وزاراتهم ليروا اين يمكن ان تكون التخفيضات مع احداث اقل ضرر ممكن ·

وكانت النتيجة اصدار بيان في التاسع والعشرين من تموز يعلن عن توفير حوالي (٣٥٠) مليون في الاستثمارات العامة في العام القادم : (١٠٠) مليون اقتطعت من برنامج الدفاع لعام ١٩٦٦ · وأبلغت السلطات المحلية لتخفيض برامج البناء كما ان الرهونات العقارية للسلطات المحلية حددت بـ

(١٣٠) مليون جنيه استرليني في العام ، بالمقارنة مع أل (١٨٠) مليون جنيه التي أمّنها كروسمان لعامي ١٩٦٤ ـــ ١٩٦٥ ، كما ان المشاريع غير الصناعية ، وخاصة الطرق ، ينبغي ان تؤخر لمدة ستة أشهر ، وينبغي ان لا يكون هناك زيادة في الإسكان ، او في بناء المستشفيات والمدارس ، وينبغي اعطاء التصاريح لمشاريع الاستثمار الخاصة الجديدة التي قيمتها (١٠٠) ألف جنيه او اكثر ، كما ان فترات وفاء أقساط الشراء بالتقسيط قد خفضت ، كذلك فان القيود على عمليات الصرافة وانظمة الاستيراد أصبحت مشدّدة ،

لقد استُبعد تخفيض قيمة العملة مرة اخرى ، مع ان السعر بدا كأنه يخطو نحو فتور مؤقت في النشاط الاقتصادي ، وفي مجلس الوزراء ، كان الوزراء في حالة غضب واصيبوا بخيبة أمل بسبب التخفيضات في برامجهم واتهم وزير المالية بتهدئة رجال المصارف الأجانب وسلطات «الاحتياط الفيدرالي» في نيويورك على حساب التضحية بالاجراءات الاشتراكية الأساسية ،

الاثنين ٥ تموز :

كان اجتماع يوم الأحد في مكتب مجلس الوزراء شيئاً غريباً ، كان من المفروض ان اصل في الساعة الرابعة والنصف لكن قطاري غادر محطة بادنغتون قبل موعده المقرر بعشر دقائق لذا كان عليّ ان انتظر حوالي خمس وثلاثين دقيقة خارج باب غرفة لجنة الوزراء الرئيسية الشهيرة ،

واخيراً رأيت برباره كاسل وهي تخرج بوجه حزين ، وبعد ذلك رأيت «راي غنتر» وجورج براون الذي خرج لشراء حاجة ما ، وجاء دوري ، فدخلت ، ووضعت اوراقي على المنضدة وجلست في الجانب الخالي ، نحن الآن في غرفة اللجنة حيث توجد صورة نصفية لِ دوق ولنغتون من اعمال الرسام نوليكنز (Nolle Kens) وهي تبتسم اليك وانت تجلس حول المنضدة المربعة الضخمة ، وكان رئيس اللجنة ، وهو الآن جيمس كالاهان ، يواجه الصورة ، وكان جورج براون يجلس الى يساره ، وجلست أنا عند زاوية المنضدة ، وكنت اواجه موظفي وزارة المالية الجالسين على الجانب الآخر من المنضدة ، وكان يجلس الى جانبي فرانك كزنز ، وكان يبدو غير مرتاح ، والى جانبه كان يجلس دوغلاس هوتون الذي كان يواجه وزير المالية ، وجلس «راي غنتر» وجون دياموند الى يمينه ، وهؤلاء هم الحكماء الخمسة .

وللحكم على الأمور وفق ما قيل فيما بعد ، فقد كان لديّ انطباع بالعجرفة والغضب ، لكن المشكلة الحقيقية هي عدم وصولي الى قرار حول ما سأقول ، وبرزت مصاعبي بسبب عدم شعبية وزارة الإسكان هذا من جهة ، وبسبب الطريقة التي تطرح بها وزارة المالية قضيتها من جهة اخرى ، وقد وافق مجلس الوزراء على وجوب زيادة النفقات العامة بنسبة ٤ر٥٪ في السنة لجعلها تتلاءم مع زيادة أل ٤ر٥٪ في الدخل القومي الذي كنا نخطط له ، ولتحقيق ذلك بشكل متوازٍ علينا ان نخفض النفقات العامة من ٦ر٥٪ الى ٤ر٥٪ ، لذا فقد قُدم للحكماء الخمسة

خطط للسنوات الأربع من قبل وزارات : التعليم ، الصحة ، وتطوير ما وراء البحار ٠٠ الخ ، وحاول كل وزير عند عرض خطته للأربع سنوات ان يذكر الأسباب التي هي في صالح تجاوزه للبرنامج الأساسي الذي خصص له ٠ والآن فان البرنامج الأساسي لم يكن مخططاً من قبل حكومة العمال ، انه ببساطة عبارة عن المبالغ التي خططها المحافظون للصرف على الخدمات الاجتماعية المختلفة في السنوات الأربع القادمة ٠ وفي بياننا الأبيض الذي أصدرناه في تشرين الأول الماضي كان تخصيصنا الأساسي لكل وزارة هو نفس تخصيص المحافظين ٠ ويؤمن المحافظون ، بحكم التقاليد ، بشاغلي العقارات المالكين لها ويفضلون إسكان القطاع الخاص على إسكان القطاع العام ٠ لذا فقد خططوا لتوسّع معقول في جميع الخدمات العامة باستثناء واحد ـــ هو إسكان المجالس البلدية ، والذي حافظوا عليه منخفضاً حتى العام الذي سبق الانتخابات مباشرة ٠ وكل هذا يعني انه عند مقارنة برامج نفقات السنوات الأربع ، فان خطي الأساسي لإسكان القطاع العام سيكون ابعد بكثير من الخط الأساسي لأية وزارة اخرى تتعلق بالخدمات الاجتماعية ٠ هذه هي القضية التي ناقشتها في اجتماعين لمجلس الوزراء عندما حاولت اقناع زملائي الوزراء لاعطائي (٢٠) ألف منزل زيادة في برنامج الإسكان بدءاً من هذا العام ٠ ووافق الحكماء الخمسة بأن هذا الرقم ينبغي ان يظل ثابتاً لبضع سنوات قادمة ٠ ومن المحتمل ان يسمحوا بزيادة برنامج الاسكان الكلي حتى (٥٠٠) ألف منزل سنوياً من ١٩٦٩ ـــ ١٩٧٠ ، كما اقترحت أنا وهارولد ٠ ولكن خلال الفترة التي تكون فيها الأموال قليلة (والتي من المحتمل أن تستمر حتى ١٩٦٦ ـــ

١٩٦٧) فان برنامج الإسكان لا يمكن ان يتجاوز الرقم الذي أُعطيته مقدماً .

هكذا طرحت القضية من قبل الحكماء الخمسة ـــ قضية وزارة المالية . ان إعتراضي الأول ضد هذه القضية ، التي قدم لي ايجاز دقيق حولها من قبل توماس بالوغ والتي كان هارولد ولسون يتعاطف معها بشكل كبير ، هو ان أسلوب وزارة المالية في حساب عبء الإسكان يدعو للسخرية . وبشكل عادي ، لا يوجد اي تقديرات للإسكان كما للتعليم او للصحة لان الاموال التي نأخذها من وزارة المالية زهيدة . وكانت الحاجة اليها من اجل الاعانات المالية والتخطيط وما شابه ذلك .إن كلفة الإسكان الحقيقية هي نفقات رأس المال للسلطات المحلية ، هذا من جهة ، ونفقات رأس المال لشركات البناء وراهني العقارات من جهة اخرى . ومع ذلك فان وزارة المالية تميّز بين إسكان المجالس البلدية واسكان القطاع الخاص ، فهي تعتبر إسكان المجالس البلدية كنفقات عامة مشابهة لنفقات الصحة والتعليم بينما لا تعتبر ذلك بالنسبة للقطاع العام . وهذه طريقة غير صحيحة لسببين . اولاً ، من المعترف به الآن حتى في شروط الاعانات المالية الضيقة والصارمة ان كل منزل يُبنى من اجل البيع يتلقى من الحكومة امتيازات ضريبية اكثر مما يتلقى المنزل الذي يبنى للمجلس البلدي من الإعانات المالية . وفي الحقيقة ، فان المنزل الذي يبنى لشغله من قبل مالكه يكلف وزارة المالية اكثر من المنزل الذي يبنى للمجلس البلدي من اجل تأجيره للمستأجرين . ثانياً ، في شروط

الموارد القومية المنفقة من الواضح أن بناء المنزل الخاص يستهلك نفس المبالغ التي تستخدم لبناء المنزل العام ،

عندما طُرحت هذه القضية تجادلنا بعض الوقت ، ولكن سرعان ما اتضح بأن الحكماء الخمسة كانوا مهتمين كلياً بشأن اجراءات مسك السجلات ، وكل ما كان عليهم ان يفعلوه هو ان يروا بأن نفقات مجلس الوزراء — وهم يعنون النفقات المحدَّدة باسلوب وزارة المالية — وهي تخفَّض حتى تصل الى زيادة ٤٫٥٪ سنوياً ، وينبغي ان يتم ذلك بالطريقة العادية وهي تخفيض نفقات كل وزارة ، إن الحقيقة وهي انني بدأت من قاعدة أقل بكثير من زملائي الوزراء لم تسرَّهم ببساطة ، وبعد فترة من الوقت حاولت اسلوباً آخر ، فقلت بأنني استطيع ان أفهم بأنكم تخشون من ان القطاع العام سوف يسير بسرعة في العام القادم في كنف مشروعي للإسكان ، لكن صحيح ايضاً بأن القطاع الخاص ، الذي يسير حالياً نحو الاضطراب ، يمكن ان ينهار في العام القادم ، واذا كنا سنُواجه ببعض التضخم ، فإنكم تحتاجون الى إسكان القطاع العام للمحافظة على حسن سير الاقتصاد ، وتابعت قائلاً بأنه ليس لديّ اعتراض على الموافقة بأنني ينبغي ان لا آخذ اكثر من زيادة أل (٢٠) ألف منزل في العام القادم ، على شرط ان يذكر في الخطة القومية بأننا سنرفع العدد اولاً الى (٤٠٠) ألف منزل سنوياً وبعد ذلك (٥٠٠) ألف في عامي ١٩٧٠ — ١٩٧١ ، كما انني مقتنع تماماً بالتراجع عن الزيادة التي أُخطط لها للعام القادم شريطة ان يقسم نصف المليون الى ربع مليون لمشاريع إسكان القطاع الخاص والربع الآخر لمنازل المجالس البلدية ،

تمنّيت ان يكون كلامي هذا معقولاً ، لكنه لم يرضِ زملائي . وقبيل الانتهاء من النقاش ، حيث كنا نتجادل قرابة الساعة ، قال دوغلاس هوتون : « يجب أن اقول بأنني لا احبّ هذا على الاطلاق . لقد جاء الآخرون الى هنا وهم يخشون ان تخفّض براجمهم . وهذا الرجل يمشي الهوينى نحو الغرفة وهو يعطي انطباعاً باننا لا نجرؤ على تخفيض برنامجه الإسكاني لأسباب سياسية » . وطبعاً ، إن ما قاله « هوتون » هو عين الحقيقة . انني اعرف ان رئيس الوزراء يقف من ورائي . واعلم ايضاً ان برنامجي للاسكان ليس تحت رحمة اية تخفيضات يرغبون في تنفيذها ولكن بسبب قوى اقتصادية تهدِّد وتضغط وتشدّ الحزام على بطن هذه الحكومة المسكينة . إن الازمة جاثمة فوقها طيلة الأسبوع الماضي .

الثلاثاء ٦ تموز :

كان لدي اجتماع مع السيدة ايفلين وجيمس دنكان جونز عندما أُبلغت بأن « وادل » قد استدعي الى وزارة المالية . وعندما خرجنا للراحة جاء مندفعاً الى الغرفة وهو يحمل رواية غريبة . قال إنه عندما ذهب الى هناك أعلن رجل يدعى « بيتش » [١] أمام جميع الحاضرين بأن رئيس الوزراء

(١) كان السير لويس بيتش (Louis Petch) موظفاً حكومياً بارزاً انخرط في خدمة الحكومة عام ١٩٣٧ ، وكان في هذا الوقت سكرتيراً ثالثاً في وزارة المالية وكان موظف الحسابات فيها . واصبح في عام ١٩٦٦ سكرتيراً للخزانة ، وفي عام ١٩٦٨ سكرتيراً ثانياً دائماً في دائرة الموظفين . ومنذ عام ١٩٦٩ اصبح رئيساً لمجلس الجمارك والضرائب .

قد رغب في ان يرسم له خطة لتأجيل جميع العقود الجديدة لمدة ثلاثة أشهر . وبعبارة اخرى ، ينبغي على المرء ان لا يوقّع عقداً جديداً لمدة ثلاثة أشهر بالنيابة عن أية وزارة . وأشار «بيتش» بأن الدافع لهذه الفكرة الغريبة هو الخوف من ان تكون ارقام ميزان التجارة لهذا الشهر سيئة جداً وتُظهر للعيان ضغطاً آخر على الجنيه من قبل رجال المال في زوريخ : أراد رئيس الوزراء ان يفعل شيئاً من شأنه ان يؤثر عليهم مع تصميمنا على كبح التضخم المالي . استجوبتُ «وادل» فلم يكن هناك شك حول ذلك . إنه اقتراح خطير كي يقدم الى اجتماع مجلس الوزراء الذي سيعقد يوم الجمعة لبحث خطط مختلفة لمعالجة الازمة الاقتصادية . وقال «وادل» ان وزارة الأشغال قد بذلت جهدها ، وكذلك هو بذل جهده حول برنامج الاسكان ـــ ولم يكن واضحاً تماماً في نهاية الاجتماع ما اذا كان الاسكان سوف يكون مشمولاً في التأجيل ام لا . إن التحدث عن «التوقف ـــ الاستمرار» هو اعنف شكل من اشكال الغباء والبدائية يمكن التفكير فيه . وعلى الفور اتصلت هاتفياً بـ توماس بالوغ ، الذي جاء للتحدث معي . إنه يعرف القليل عن المشروع . وهو متأكد بانه نقل بشكل خاطىء وان فكرة هارولد الغامضة قد حُرِّفت من قبل وزارة المالية .

ذهبت الى مجلس العموم في فترة طعام الغداء ووجدت جورج ويغ مرة اخرى وهو يتناول طعام الغداء مع هارولد ولسون . تحدثنا حديثاً شيّقاً ومن الطبيعي انني لم اذكر هذا المشروع لِ هارولد . وفي الحقيقة ، لقد

انتظرت حتى ذهابه ومن ثم دقّقت الأمر مع جورج وعدت على الفور الى الوزارة وكتبت مذكرة شديدة الى رئيس الوزراء . وبعد ذلك أنذرت تشارلي بانل ، الذي كان يتناول طعام الغداء معي في ذلك اليوم ، وبدأ الجهاز يعمل بكامله . وفي اللحظة التي أُرسلت فيها مذكرتي إلى رئيس الوزراء مع نسخة منها الى تشارلي بانل وُزِّعت في دائرة الشؤون الاقتصادية وسرعان ما طلبت الوزارات الأخرى وكذلك جورج براون نسخة عن الأصل . وقبل انقضاء فترة بعد الظهر تلقيت تأكيداً شفوياً منه بأنه لا يوجد اي تفكير قطّ وتحت أي ظرف من الظروف لتخفيض برنامج الإسكان . مع ذلك ، عندما قابلت رئيس الوزراء والوزير الأول في الردهة اثناء احدى الاقتراعات على مشروع القانون المالي التي لا تنتهي في ذلك المساء ، أبدى جورج براون الملاحظة التالية : «كان هناك نقطة واحدة ، يا هارولد ، عندما فكرنا فعلاً في الغاء العقود» . انني اشكّ حقاً بأن هذا قد حصل .

تمت القراءة الثالثة لمشروع قانون الايجارات يوم أمس بين الثالثة والنصف والسابعة . وقد جرى ذلك بهدوء . وقد بدأ ماك كول النقاش وأنهيته أنا وسار كل شيء وفق الأصول . بعد السابعة عندما هدأت شكوك كل امرىء عدنا الى مشروع القانون المالي ثم فجأة حوالي الساعة الواحدة والنصف صباحاً وقعنا في المصيدة التي نصبها لنا المحافظون . إنها تشبه المصيدة التي نصبها لهم جورج ويغ منذ سنوات خلت ، عندما أحضرنا جميع الأعضاء سراً الى فنسنت سكوير ثم عادوا مرة اخرى الى

مجلس العموم بعد ان ظنت الحكومة أنهم ذهبوا الى منازلهم [1] . إن مثل هذه الاعمال الخداعية لا تسبب الأذى في الحقيقة الى الحكومة لكن هذه الخدعة سوف تعني طبعاً بأننا سنقضي يومين زيادة على مشروع القانون المالي : يوم الاثنين من الاسبوع القادم خصص لإنهاء « مرحلة التقرير » وخصص يوم الخميس للقراءة الثالثة .

الخميس ٨ تموز :

اليوم هو موعد اجتماع مجلس الوزراء ، وكان البند الرئيسي على جدول الاعمال هو الهجرة . ولكن قبل ان نصل الى هذا البند تكلم رئيس الوزراء عن بعثة هارولد ديفز إلى هانوي التي افتضح امرها في صحف الصباح[2] . مرة اخرى اتخذت مبادرة سلام بدون استشارة مجلس الوزراء . انني لا ألومه كثيراً على ذلك ، لكنني متأكد مرة أخرى ان هذه البعثة كانت مجرّد حيلة بارعة لتحقيق هدف معين وقد تصرف المحافظون بغباء بمهاجمتهم لها ، وكان «ألِك دوغلاس هيوم» يحث على ضرورة

(١) كجزء من حرب العصابات التي شنّها جورج ويغ على المحافظين في تشرين الثاني عام ١٩٥٣ ، هزمت الحكومة بأربع أصوات (حول قرار يتعلق باستيراد الزجاج) وفي هذه المرة تجمع المحافظون في غرف ومنازل قريبة الى ان رنّ جرس الاقتراع ، فهزمت الحكومة ب ١٨٠ صوتاً مقابل ١٦٧ .

(٢) يبدو ان هارولد ديفز كان يعرف « هوشه منه » وبدا من المحتمل أن يحصل على تأشيرة دخول لزيارة فيتنام الشمالية . وطبقاً لأقوال رئيس الوزراء فان الزيارة قد دُمّرت بسبب تسرب انبائها في لندن .

الدبلوماسية السرية بطريقة تغير الرأي العام . لذا فان هارولد ولسون سوف يكسب مرة اخرى بحيلته البارعة .مع ذلك ، فان الأمر ليس جدياً ، فهو فقط ينتقل من حالة طوارىء الى اخرى ، وبذلك تتجمع لديه افكار لامعة اثناء ذلك . إن هذا الأسلوب لا يسرّني ابداً .

كان لدينا مذكرتان بشأن مناقشة مسألة الهجرة . وتتضمن الاولى استنتاجات «بيرت باودن» ، وهي التي أُعدت في مكتب مجلس الوزراء ، والثانية مذكرة المسكين فرانك سوسكايس المطولة التي أعدتها له وزارته . ووضعت المذكرة الأخيرة جانباً ولم يلتفت إليها الا عندما يثير شخص ما الجدل حول احدى النقاط . وجرى النقاش باكمله حول الاقتراحات العشرة المحدّدة التي قدمها باودن . وكنت احضر اللجنة بانتظام حيث ان هذه السياسات قد وضعت تحت رئاسته وبحضور الوزير المسؤول ــ وهو وزير الداخلية . وبينما كنا نناقش مسألة الهجرة بدأت تبدو للعيان تدريجياً كمسألة سياسية هامة ، وهي الآن تسيطر على السياسات في ميدلاند الغربية ، وفي رايدنغ الغربية ، وكذلك في لندن وباقي المقاطعات . كنت اراقب باودن خلال الأشهر الأربعة الأخيرة وقد اصبح اكثر ميلاً للانتقال الى سياسة أقوى . انني أنا وجورج ويغ ، مثل بيرت ، عضوا برلمان عن ميدلاند ، ونظراً لاننا نرى التأثير في دوائرنا الانتخابية فاننا ندرك جميعاً بأن علينا ان نقوم بفرض الرقابة على معدّل الهجرة الى هذه البلاد ــ اذ اننا لا نستطيع ان نهضم العدد الذي يصل الآن الى ميدلاند الغربية . اننا لم نعارض بعثة مونتباتن (Mountbatten) عندما أرسلها هارولد لتجد ماذا يمكن ان تفعل كل دولة من دول

الكومونولث في وطنها من اجل الرقابة على الهجرة ، إنها عمل بارع من وجهة النظر السياسية لاننا نستطيع ان ننفذ سياستنا الخاصة بنا عندما نرى ان لا فائدة ترجى من الاعتماد على حكومتي الهند والباكستان ، لذا فبعد أشهر من النقاش ، قُدمت مقترحات باودن ، التي تتضمن تخفيض عدد وثائق السماح بدخول البلاد وتشديد الرقابة على الذين لا يستطيعون إعالة أنفسهم[1] ، كان النقاش غريباً ومشتتاً وجاءت المقاومة الوحيدة لخط باودن من الوزراء الثلاثة المسؤولين عن شؤون الكومونولث والمستعمرات وهم : بربارة كاسل ، وطوني غرينوود ، وآرثر بوتوملي ،

لكنني لاحظت حتى ان هؤلاء الثلاثة لم يتبنوّا الخط المؤيد للهجرة بنسبة ١٠٠٪ ولا المناقشات التي عارض خلالها هيوغيتسكل وجورج براون قانون الهجرة الذي وضعه المحافظون منذ ثلاث سنوات فقط ، عندئذٍ تغير جوّ النقاش ، ربما يقف الآن «إلوين جونز» ، المدعي العام العمالي ، الى جانب خط غيتسكل ، لكن لم يفعل ذلك أحد في مجلس الوزراء يوم الخميس ، وأيدّ طوني كروسلاند ، بصفته وزيراً للتعليم ، تشديد الرقابة ، كذلك فعل موريس فولي ، وكيل الوزارة الشاب الذي عين مسؤولاً عن اللجنة الفرعية التي كلفت بدراسة أساليب دمج المهاجرين بالمجتمع ، وكذلك فعل دوغلاس هوتون ، وكان الشخصان الوحيدان اللذان احتجاّ بشكل مبهم هما جورج براون واللورد قاضي القضاة ، لكن

(١) عندما جرى تجديد قانون المهاجرين القادمين من دول الكومونولث في تشرين الثاني عام ١٩٦٤ ، أعلن وزير الداخلية ان ١٦٠٠ ـــ ٢٠٠٠ وثيقة سماح بدخول البلاد تعطى شهرياً الى أرباب الأسر .

كلاهما كان ضعيفاً لانهما لم يستطيعا في الحقيقة تحدّي مقترحات باودن القوية .

في الحقيقة ، كانت النقطة الوحيدة الخطيرة في النقاش هي عندما اقترح رئيس الوزراء ، بناءً على تشجيع من جورج ويغ كما اعتقد ، بأنه ينبغي اضافة عبارة الى «البيان الأبيض» تطلب من المهاجرين في المستقبل تقديم إثبات بأن لديهم مسكناً ملائماً قبل اعطاء تصاريح الدخول لمن يعيلونهم . وكما قلت ، فهي فكرة جيدة نظرياً لكن من المستحيل عملياً ان تطلب من السلطات المحلية ان تقوم بذلك . واتخذتُ التدابير في مجلس الوزراء لإبطال هذه الفكرة والحصول للسلطات المحلية بديلاً عنها على شيء يريدونه كثيراً — انه تشريع يقضي بجعل تسجيل المساكن التي يشغلها أُناس عديدون إجبارياً .

كان اجتماعاً مفككاً وغير بهيج . وبصريح العبارة ، فانني متأكد بأننا قبلنا السياسة الصحيحة . لكنها قُبلت ببطء شديد ، حيث كان المحافظون يقودون النقاش طيلة الوقت ، ويعتمد الكثير على كيفية وضعها موضع التنفيذ بشكل قوي .

تمت القراءة الثانية لمشروع قانون الايجارات في مجلس اللوردات . ولدهشتي تمت الموافقة عليه بحرارة — في الحقيقة قُبل من قبل المعارضة الرسمية كإجراءٍ تشجيعي ، وهو افضل مما قد يتوقعون من حكومة عمال . ولو ان هذا حدث قبل انجازه في مجلس العموم لواجهت صعوبة حقيقية من انصارنا في المقاعد الخلفية ، الذين يشكّون دائماً بأنه في الحقيقة عبارة عن

مشروع قانون المالكين ، على اية حال ، فان ذلك لا يغير وجهة نظري وهي انه في الحقيقة مشروع قانون جيد وجريء سيعطينا على المدى البعيد شعبية كبيرة لانه سيكون منصفاً لكلا الطرفين . وفي غضون ذلك ، فقد سررت لسماعي بأننا لن نأخذ تعديلات مجلس اللوردات لمشروع القانون الى مجلس العموم حتى شهر تشرين الأول القادم . لذا سيكون لديّ شهران زيادة خلال عطلة المجلس استطيع خلالها القيام بالاعمال التنظيمية ، واختيار لجان تخمين الايجارات ، وكذلك اختيار موظفي الايجارات وتحضير الدعاية والاعلام .

من المفروض في هذه الليلة ان تكون آخر جلسة تستمر طيلة الليل حول مشروع القانون المالي ، لكننا عملياً كنا نذهب كل مساء هذا الاسبوع الى منازلنا في وقت أبكر واليوم انصرفنا الساعة الحادية عشرة وانتهت بذلك «مرحلة اللجنة» .

الجمعة ٩ تموز :

رتبت الامور هذا الاسبوع للذهاب خارج المدينة لمدة يومين ، لزيارة مدينة «هارلو» الجديدة ومشاهدة تطوير مدينة بيزنغ سبتوك (Basing Stoke) لكي نقارن بين الطريقتين . ووجدت انني افضّل طريقة تطوير المدينة — وقد تم ذلك بالنسبة لـ بيزنغ ستوك من قبل مجلس مقاطعة هامبشاير ، ومجلس لندن الكبرى ، ومجلس مدينة بيزنغ ستوك ، إنها تتوسع بسرعة من مدينة صغيرة تعدادها عشرون ألفاً الى مدينة

تعدادها ثمانون ألفاً . إن ما لاحظته في بيزنغ ستوك ، بالمقارنة مع هارلو ، هو عدم وجود جوّ الكبرياء والتسلط الموجود بالتأكيد داخل شركات المدن الجديدة . فالموظفون الذين يديرون هذه الشركات معتدّون بأنفسهم وهم يعملون ما يروق لهم ولا يسمعون الى آراء السكان المحليين ولا يشعرون بأي احترام نحو سلطات المقاطعة . وفي بيزنغ ستوك ، من جهة اخرى فان خبراء مجلس لندن الكبرى ومجلس المقاطعة اكثر عرضة للنقد الشعبي ، ويوجد علاقة افضل بين مخططي المدينة واعضاء المجلس البلدي المنتخبين .

سمعت كثيراً من الشكاوي التي يبدو أنها تقوم على أساس متين وهي ان تطوير المدينة لا يعطي نفس الشروط المالية التي تعطى للمدينة الجديدة . ففي الازمة الحالية ، مثلاً ، فان معدل الفائدة التي ينبغي على شركة المدينة الجديدة ان تدفعه عن اموالها قد جرت حمايته من قبل الوزارة ، بينما اكتشفت في بيزنغ ستوك ان معدلات الفائدة لم تجر حمايتها على الاطلاق . وهذا شيء ينبغي عليّ ان اتفحصه بعناية . انني اذا اريد ان افعل ذلك ، فسيكون هناك كثير من المقاومة في داخل وزارتي .

السبت ١٧ تموز :

قررت ان لا أدخل في تفاصيل الأحداث الجارية يومياً فيما يتعلق بالاسابيع الماضية لانني وجدت ان هذا عمل مضجر كي اقوم به خلال

اسابيع عديدة . لذا فانني في هذه المرة سوف اتحدث بشكل رئيسي عن اجتماع مجلس الوزراء الكبير الذي عقد يوم الخميس ، والذي كان ذا أهمية كبيرة ، وما عدا ذلك سأذكر إنطباعاً لي أو انطباعين .

من الحملات الأخرى التي قمت بها هي انشاء مدينة جديدة اخرى ، وهي براكنل (Bracknell) . وقد صُرف على هذه المدينة حوالي (٢٢) مليون جنيه وقد تحولت الى ضاحية جميلة تشبه الحديقه . وقد سررت جداً بمقابلة الشركة التي نفذت البناء ، على الرغم من ذهابي في يوم سيء اذ انني اعطيت الموافقة على مخطط اعادة تطوير مدينتهم الذي يتضمن هدم مركز براكنل القديم بكامله وبناء مجمّع (سوبر ماركت) حديث في مكانه ، على الرغم من ان التجار قد أكدوا بشدة منذ عشر سنوات بأن شيئاً من هذا القبيل لن يحصل . وبعد ان بحثت مشاكل براكنل مع رئيس لطيف لكنه غير فعّال ، اصبحت على علم تامّ بمغزى التشكيك في وجهة النظر القائلة بأن نظام المدن الجديدة يخفف في الحقيقة الضغط الواقع على قوائم الانتظار من اجل الحصول على منازل . واكتشفت ان ٤١٪ من سكان براكنل جاءوا من قوائم إسكان لندن ، وفوق كل ذلك ، فان هدف المدن الجديدة هو إخراج الناس من المدن وعبر الاحزمة الخضراء . لذا فان من الواضح انه يترتب علينا ان نضع في اعتبارنا كيفية تحسين أساليبنا من اجل تحقيق ذلك . ولكن ما هي فرصتي للتأثير على الوزارة ؟ انني اناضل بشدة من اجل ان ادخل في المجموعة القوية جداً ، التي تسيطر عليها السيدة ايفلين ، والتي تشرف على سياسة المدن الجديدة . فهي تعتبر ان هذه المدن هي من انتاجها

الشخصي وهي تشرف على السياسة عن كثب ، جنباً الى جنب مع جيمس دنكان جونز الذي هو في الحقيقة موظفها الشخصي ، والآن أضافت إليه الآنسة هوب — والاس من « مجلس المساعدة القومي » وقد اكتشفتُ انها من شلّة السيدة ايفلين . وهؤلاء الثلاثة على اقل تقدير لا يريدون ان يتدخل الوزير في اعمالهم ويقلبها رأساً على عقب .

هذا صحيح ايضاً بالنسبة لعلاقات الوزارة مع الحكومة المحلية ، وهنا ، برغم كل شيء ، فان السيدة ايفلين شخصية مسيطرة منذ عدة سنوات وقد حققت علاقات بارزة مع السلطات المحلية . وفي الحقيقة ، كنت قادراً على أن ادخل في الجوّ الخاص لعمل لجنة حدود الحكومة المحلية بشكل فعّال ، ولكن في معظم علاقاتي مع السلطات المحلية وجدت ان من الصعوبة بمكان شقّ طريقي . ومثال طريف على ذلك الفضيحة حول مدينة بوغنور ريجس (Bognor Regis) . فقد اتهم كاتب المدينة اعضاء مجلس المدينة بالفساد . وعندما أُجبر على الاستقالة على إثر ذلك ، شكّل جمعية لتطهير الحكومة المحلية . وأردت منذ أسابيع ان أجري تحقيقاً حول الموقف في مدينة بوغنور ريجس لكن السيدة ايفلين كانت تعارض ذلك بعناد . وقضيت اسبوعين حتى استطعت الحصول على رسالة مكتوبة الى المدعي العام نسأله فيها ما اذا كنا نستطيع ان نستخدم « قانون التحقيق القضائي » لعام ١٩٢١ . وردّ المدعي العام بعد ثلاثة أسابيع قائلاً بأنه يعتقد بأن ذلك سيكون مثل استخدام مطرقة لكسر بندقة . واقترح ، بدلاً من ذلك ، ان نطلب أحد محامي الملكة البارزين لاجراء تحقيق على

غرار تحقيق دييننغ (Denning) الذي جرى بعد فضيحة بروفيومو ، وعملت على ارسال الرسالة الى سلطات مدينة بوغنور ريجس[1] فقالت السيدة ايفلين عندئذ : «كان لي حديث معهم ، ويجب علينا ان نقدم لهم نصف قيمة التكاليف» ، وعندما قلت بأنني أمانع في ذلك كان واضحاً أنها فعلت ذلك مسبقاً وحتى انها اختارت محامي المكلة لهذه المهمة ، لقد كانت في الحقيقة مسؤولة عن كل العملية ولم اكن انا كذلك ، وكنت حريصاً دائماً على ان لا افقد السيطرة على نفسي في مثل هذه المناسبات ، وليس صحيحاً التفكير بأن وزيراً من المفترض ان يبقى في الوزارة لمدة سنتين او ثلاث فقط يستطيع ان يدير بنفسه سياسة جميع اعمال وزارته ،

وبصريح العبارة ، فان الموظفين الحكوميين يديرون الوزارة بالطريقة التي يريدونها ، واذا كنت مصمماً على إحداث تغيير ما فان ذلك سيستغرق زمناً طويلاً ، فمثلاً ، منذ أشهر أردت ان اعطي اعضاء

---

(١) بين اعوام ١٩٦٤ و ١٩٦٧ تقدم السيد كامبيون (Campion) ، وهو احد دافعي الضرائب ، بشكوى الى اعضاء مجلس المدينة ، وموظفي المجلس ، ومدير القضاء العام ، والصحافة وأناس اخرين وهي ان مجلس مقاطعة بوغنور ريجس غير كفؤ وغير ديمقراطي ، وان مجلس المقاطعة وموظفوه قد اقدموا على فعل أشياء كثيرة تسيء الى سمعتهم ، وفي احدى مراحل الصراع استقال كاتب المدينة المعيّن حديثاً بعد ان عارض المجلس عندما اقدموا على تلك الافعال ، وبناءً على طلب المجلس والحق العام أجرت وزارة الإسكان تحقيقاً حول الموضوع وقدم السيد جستس رامسي (Justice Ramsey) تقريراً يبرىء فيه المجلس ويرجو وضع حدّ لهذه النزاعات المحلية ، وعلى كل حال ، فقد أصرّ كامبيون على موقفه ، وفي عام ١٩٧٢ تقدم المجلس بطلب خاص ضد تشوه سمعة اعضائه ، ودفع للمجلس تعويضاً مقداره عشرون ألف جنيه كمعطل وضرر ، ومبلغ ٣٤٤٤٥ جنيه و ٢٤ بنساً نفقات الدعوى ، بالاضافة الى نفقات الشهود ،

المجالس البلدية نفس الحقوق والامتيازات والمسؤوليات التي يتمتع بها عضو البرلمان وان اجعلهم يعبّرون عن افكارهم بحرية عندما يتعلق الأمر بهم ، شريطة ان يعلموا ذلك . ففي الوقت الحاضر عليهم ان يأخذوا إذناً مني قبل ان يفعلوا ذلك . وارادتني السيدة ايفلين ان اعطي الإذن لمستأجري منازل المجالس البلدية ، وذلك للسماح لهم بالتكلم حول ايجارات منازل المجالس البلدية . فقلت إننا اذا كنا نريد ان نغيّر الأشياء فينبغي ان نجعلها تمتد الى جميع منطقة المصالح الخاصة لاعضاء المجالس البلدية ، وعلى الرغم من ان المذكّرة قد كتبت مسودتها واعيدت كتابتها فانها لم ترسل حتى الآن وانا متأكد تماماً بأن هذا من عمل السيدة ايفلين . وهي تريد ان ترسلها الى منظمات السلطة المحلية لانها تعرف ان اتحاد المجالس البلدية سيكون لديه اعتراضات كثيرة .

ونفس الشيء صحيح بالنسبة لمذكرة اخرى اهتممت بها أنا وبوب مليش ، اننا نريد أن نخبر السلطات المحلية بان الحظر المفروض من قبل حكومة المحافظين على البناء المباشر (اي البناء المشيّد من قبل المجالس البلدية باستخدام وسائطهم الخاصة) قد تم الغاؤه . واخيراً أُرسلت المذكرة الى السلطات المحلية من اجل النقاش وسوف تعود الينا بدون شك بعد فترة وجيزة . وعلينا ان نقاتل بشدة لاحداث تغيير من هذا النوع لان كل صعوبة ممكنة تكتشف ، وعلى الرغم من إمكانية التغلب على هذه الصعوبات في الوقت المناسب فانها تستغرق وقتاً اذا كانت الوزارة لا ترغب في الاتجاه الذي نسير فيه . ولكن اذا كنت أريد شيئاً تريده الوزارة ،

فانني اجد غالباً ان سرعة الانجاز قد ازدادت بواسطة تصميم شخص ما على القفز الى الأمام وكسب الموافقة ،

على اية حال ، فقد كانت المسألة الرئيسية هذا الاسبوع تتعلق بتخفيضات النفقات العامة وتخفيض برنامج الإسكان ، وكانت نتيجة المواجهات التي حدثت يوم الأحد في الرابع من تموز إرسال مذكرة من مجلس الوزراء وصلت الى الوزارات يوم الثلاثاء الماضي في الثالث عشر من تموز ، وكان على ظهر المذكرة ملخص للشهادة التي أدلى بها كلٌّ منا ، وعلى وجهها ، يوجد توصيات «لجنة دراسة النفقات العامة» التي قدَّمتها الى مجلس الوزراء ، وقد اوصت اللجنة كما جاء في الملخص باننا نستطيع ان نعطي حوالي (٢٠٠) مليون جنيه من النفقات زيادة عن البرنامج الأساسي الذي ورثناه عن حزب المحافظين ، ومن هذه الملايين المائتين ، ينبغي ان تذهب (١٠٠) مليون جنيه الى الإسكان على شكل (٢٠) ألف بداية بناء التي حصلت بشأنها على موافقة مسبقة من مجلس الوزراء ،

لكن مقترحات الاعانات الخاصة بالإسكان التي قدمتها قد خفضت الى النصف ، لقد حصلت على ما يكفي لتمكيني من اعطاء القطاع العام الاعانات المالية التي احتاجها فعلاً ، وهذا يعني زيادة مضمونة مقدارها ٤٪ على بناء منازل المجالس البلدية الجديدة ، لكنني استطيع ان أفعل هذا فقط اذا لم اترك شيئاً على الاطلاق لاعانات الرهونات العقارية وبذلك يتم التأكيد بأن الامتيازات التي ستعطى الى القطاع الخاص قد أُجلت

حتى عام ١٩٦٨ على الاقل . وهذا ليس شيئاً ، عملياً . اذا كنت اريد ان اكبح جماح توسع القطاع الخاص لكي أزيد حجم القطاع العام ، فان ذلك سيكون عملاً جنونياً في الوقت الحاضر لان من شأنه ان يثير مالكي العقارات وشاغليها باعطاء امتيازات مالية الى راهني العقارات . لذا فانني استطيع الصمود أمام تخفيض أل ٥٠٪ في مخصصاتي المالية . وفيما يتعلق بانتاج المنازل الفعلي ، فقد اوصت اللجنة بانه ينبغي ان يظل على نفس المستوى في السنة القادمة مثل هذه السنة ولكن بعد ذلك فانهم سيعطوني الزيادة التي اريدها ، وهي بالضبط نصف مليون منزل في عامي ١٩٦٩ — ١٩٧٠ . من الواضح من ملاحظات زملائي انهم يعتقدون بانني حصلت على حصة الأسد . فمثلاً ، جاءت بربارة المسكينة لتراني وهي على وشك البكاء . كانت تتناول طعام العشاء في قصر بكنغهام مع رئيس بيرو ، وجاءت تناشدني ان أساعدها في بيانها الأبيض . وتتلخص مشكلتها في انه خلال اجتماع مجلس الوزراء يوم الثلاثاء ، بعد أن انهينا العمل الروتيني ، اتخذ قرار لتأجيل نشر جميع البيانات البيضاء حتى شهر ايلول . وكانت توجد فوائد واضحة في ذلك بالنسبة لي طالما انني لست مستعداً لاعلان بياني الأبيض الآن . لكن بربارة المسكينة اوضحت لي بأن وزارتها الصغيرة قد بذلت جهداً كبيراً حيث كان الموظفون يعملون كل سبت في إعداد بيان أبيض جديد حول تطوير ما وراء البحار .

وقالت : «إن الزيادة التي اريدها من الآن وحتى عام ١٩٧٠ قد خُفضت الى لا شيء تقريباً . فاذا لم استطع الحصول حتى على بيان أبيض ،

فكيف استطيع ان أُبرّر بناء الوزارة ؟ وماذا بشأن ددلي سيرز [1] (Dudley Seers) ، وماريس [2] (Marris) وباقي الاقتصاديين الذين جلبتهم للوزارة ؟ وكيف اواجههم ؟ إن اندرو كوهن (Andrew Cohen) على وشك الانتحار ، انني اتوسل اليك ياديك ، انك تملك كل شيء ، حصلت على الاموال التي طلبتها ، وحصلت على التشريعات الكبيرة ، انك غني ، ووزير ناجح ، فاعطِ شيئاً ل بربارة المسكينة ، » إن المشاعر التي عبّرت عنها يشاطرها فيها الى حدّ اكبر او اقل كنيث روبنصون في وزارة الصحة ، وبيغي هربسون في التأمينات الاجتماعية ، ورغم ان بيغي يشعر بالغبن اكثر من بربارة إلا انها تشعر بان دوغلاس هوتون ، سيدها الأعلى ، ينكر عليها المكانة والأهمية اللتين تستحقهما ، وهي على الأقل محظوظة في هذا المجال ،

والآن سأتحدث عن اجتماع مجلس الوزراء الكبير ، لقد تحدثت طويلاً مع الوزارة وقررت ان افضل شيء يمكن عمله ، قبل ان ينتقل مجلس الوزراء الى بحث تقديرات كل وزارة افرادياً ، هو بدء الاجتماع بتحدي قاعدة العمل التي سارت عليها لجنة الخمسة ، وأرسلت توماس بالوغ ليحذر هارولد ولسون من انني سأفعل ذلك ، ابتدأ هارولد الاجتماع بمقدمة قصيرة حول حدود عمل اللجنة وبعد ذلك طلب مني ان اقدم بياني ، فهاجمت فلسفة التخفيضات واعطيت مثالاً على ذلك وزارتي ،

(١) مدير عام هيئة التخطيط الاقتصادي في وزارة تطوير ماوراء البحار ، وفي عام ١٩٦٧ أصبح مديراً لمعهد دراسات التطوير في جامعة سسكس (Sussex) ،

(٢) عضو الكلية الملكية في كامبردج ، واصبح مساعد استاذ لمادة الاقتصاد عام ١٩٧٢ ،

وبّينت مرة اخرى سخف معاملة إسكان القطاع العام بشكل منفصل تماماً عن إسكان القطاع الخاص ثم تابعت النقاش وقلت بأن الإسكان قد وضع في الفئة غير الصحيحة . لقد وضع خطأً مع الخدمات الاجتماعية ، بينما ينبغي ان ينتقل ، على سبيل المثال ، الى الفئة التي تضم الزراعة او الصناعات المؤممة وان ينظر اليها من تلك الزاوية .

وعندما قلت ذلك ، ظهر بعض الاحتجاج من جيمس كالاهان ولكن ليس كما يمكن ان يتوقع المرء لانني كنت اعمل جاهداً وراء الكواليس وكذلك كان هارولد . ثم تدخل جورج براون في النقاش . فقال بأنه اعتقد في بداية الأمر ان وجهة نظري مبالغ فيها كثيراً ، اما الآن فهو يرى انها معقولة . على أية حال ، فان خلاصة مذكرة مجلس الوزراء حسب وجهة نظره لا تستبعد ما أردت . فتدخلت في النقاش وكنت قادراً على اثبات انني على الرغم من انه يبدو أنني حصلت على ما أُريد فان المذكرة تظهر في الحقيقة ان سياستي يجب ان تُبطل ، وأصرّيت على انني لا استطيع ان اكون قانعاً برقم اجمالي هو نصف مليون منزل في السنة . ولكن اذا كان عليّ ان اكون كذلك ، فان الشيء المهم هو تقسيم نصف المليون مناصفة بين القطاعين الخاص والعام . وتوقفت عند هذه النقطة لانني في الحقيقة اعتقد بانني قد ساعدت كنيث روبنصون وبربارة والوزراء الآخرين باعطائي هذا المثل والاشارة الى القضية كي يعاد النظر بالموضوع بكامله . فلم ينبس احد منهم ببنت شفه . وعندما سألت كنيث روبنصون بعد ذلك لمَ حدث هذا ، أجاب بقوله : «لانه

لم يقدم لي ايجاز حول الموضوع» ، وكان هذا أمراً واضحاً ، لقد أتينا ولدينا موجز من وزارتنا لنقاتل من اجل ميزانياتنا ، وليس كوزراء يحملون وجهة نظر مجلسهم ، حتى أن طوني كروسلاند ــ افترض ان سبب ذلك يعود لأن تقديرات وزارة التعليم كانت في خطر ــ أظهر انهزامية مطلقة فيما يتعلق بوزارته ،

إن ما حدث عند هذه النقطة هو أن هارولد ولسون كسر الصمت قائلاً : «هناك شيء ما فيما يقوله الوزير ، لكننا بالتأكيد اذا كنا سنحصل على نصف مليون منزل ، ربع مليون منازل مجالس بلدية وربع مليون منازل قطاع خاص ، فان من الواضح ضرورة وجود رقابة على البناء ، » وعدنا الى النقاش القديم ، لان رئيس الوزراء كان قد منع الرقابة على البناء من قبل لجنة التطوير الاقتصادي ، عندما أُلحّ عليه بضرورة ذلك منذ شهرين ، وفي تلك المناسبة اتفقنا على انه بينما يجب علينا ان نطلب الرقابة على البناء ، ينبغي على وزير الأشغال ان يبذل جهده ويسعى للحصول على اتفاقية طوعية ، والآن ذكّرنا رئيس الوزراء بأننا يجب ان نكون مستعدين لإنشاء الرقابة اذا كان ذلك ضرورياً ،

بعد طرح هذه النقطة ، تابعنا اجراء نقاش منفصل لكل تقدير من التقديرات المالية ، وقد صُدمت قليلاً من موقف طوني كروسلاند ، فأشار الى أن التخفيضات المطلوبة منه تعني بأن تحسين المدارس الابتدائية الذي كان قد بدأ في عهد المحافظين يجب ان يتدنّى الآن ، وان عليه ان يفعل هذا لانه قبل بوجهة النظر وهي انه لا يستطيع ان يخفض نفقات التعليم الجامعي ويعطي الافضلية الى المدارس ، وكنت اتمنى ان اسمعه وهو

يحتج بقوة اكثر ، وجاء بعده كنيث روبنصون ، الذي قال إنه راضٍ بما حصل عليه للصحة ، كذلك كان فرانك سوسكايس راضياً بما حصل عليه للداخلية والشرطة ، ثم انتقلنا الى المعاشات ، ان المعاشات الآن ، طبعاً ، في موقف مماثل لموقف الإسكان ، وهي تشتمل على قطاع عام (تأمين قومي) وقطاع خاص ، يضم جميع مشاريع الرواتب التقاعدية ، إن التبرعات التي تمنحها من معاشك التقاعدي الخاص لا تحتسب كضريبة لكن تبرعك الى التأمين القومي يعتبر ضريبة ، وبنفس الطريقة ، فان التنازلات الضريبية التي تقدمها وزارة المالية الى مشاريع معاشات التقاعد الخاصة لا تعامل كإعانة مالية بل كجزء من نفقات الدولة ، بينما تعامل تبرعات وزير المالية الى التأمين القومي كذلك ، هل لدى بيغي هربسون استعداد كي ينسجم معي حول ذلك ، وهل لدى دوغلاس هوتون ايضاً استعداد لذلك ؟ أبداً ، وبدلاً من ذلك ، وقعا أثناء الاستجواب في مأزق رهيب وأكّدا مخاوفي بأن استراتيجية معاشات التقاعد ، التي وضعناها في عدة سنوات قبل الانتخابات ، قد تم التخلي عنها ، وكانت الفكرة الأساسية لهذه الاستراتيجية في انه ينبغي علينا ان ننتقل باسرع وقت ممكن من المعدل الثابت الى التبرعات التي تتعلق بالأموال المكسوبة وبهذه الطريقة تتجمع أموال طائلة في صندوق التقاعد يمكن ان نستخدمها لتنشيط المعاش التقاعدي الحالي الثابت ، ان هذا هو أمر أساسي ، على أية حال فقد قلب دوغلاس وبيغي الأشياءَ رأساً على عقب ، بسبب التنازل عن فائدة كبيرة للمعدلات الثابتة التي مُوِّلت بالتبرعات المحددة الكبيرة ، وكانت النتيجة النهائية اسوأ ما يكون لاننا لا نستطيع ان نرفع

تبرعات المعدلات الثابتة دون ان نفرض عبئاً لا يحتمل على العامل الذي يتقاض ادنى راتب . والأسوأ من ذلك ، ان ضمان الدخل الذي تعهدنا به في بياننا الانتخابي سيكون الآن على مستوى منخفض مجافٍ للعقل كنتيجة للأموال التي انفقناها على الزيادة الأولية الكبيرة للمعاشات التقاعدية المحددة . بعد انتهاء مناقشة مجلس الوزراء أصبحت متأكداً بأن الوقت قد اصبح متأخراً من اجل العودة الى الاستراتيجية الأصلية . والشيء الأقل ضرراً الذي يمكن ان نفعله هو التخلي عن ضمان الدخل لأن العلاوة الصغيرة التي يمكن ان نقدمها سوف تجعل من الفكرة كلها اضحوكة .

بلغت الساعة في هذا الوقت الثانية عشرة وكان على رئيس الوزراء ان يذهب للاشتراك في جنازة أدلاي ستيفنسون [1] (Adlai Stevenson) ، الذي جاء الى لندن ، وسقط على الأرض في الشارع ومات بشكل مأساوي يوم الاربعاء . لذا رفعنا الجلسة وسنتابع النقاش يوم الخميس القادم .

في غضون ذلك ، جرى نشاط كبير خلف الكواليس . وبعد نقاش مجلس الوزراء هذا شعرت بقوة أنه ، في الجو الحالي للرأي العام وفي الحالة الراهنة للاقتصاد ، فان اعلاناً بتنازلات كبيرة لراهني العقارات سيكون بمثابة حماقة اقتصادية كما انه يجعل خطتي الوطنية للإسكان لا تعني شيئاً . وبسبب التعهدات الانتخابية التي قطعناها على انفسنا حول

---

(١) محامي وسياسي امريكي ، رشح لمنصب رئاسة الولايات المتحدة عن الحزب الديمقراطي في عام ١٩٥٢ وعام ١٩٥٦ . وأصبح سفيراً للولايات المتحدة في الامم المتحدة عام ١٩٦١ .

معدلات الفائدة لشاغلي المنازل ومالكيها ، فان مجلس الوزراء كان يخشى الرأي العام . انني اريد ان اقنعهم كي يكونوا جريئين فيؤجلوا تنفيذ التعهد حتى عام ١٩٦٨ ، لكي استطيع ان اركز الإعانات المالية على بناء القطاع العام . وقد صممت الى درجة ما ان اجعلهم يقررون عدم دفع الأموال الى راهني العقارات وان يعملوا ما هو ضرورة اقتصادية حقيقة . ولكن هل استطيع ان اجازف بعمل شيء يعتبره زملائي غير شعبي بشكل يدعو لليأس ؟ عليّ ان افعل ذلك ، وبما انني قررت ذلك ، يجب ان اضع في الاعتبار استخدام التكتيكات . عليّ ان ارى جورج براون اولاً وقبل كل شيء لانني لا اريد ان اجد نفسي في موقف ضده ــ وهو الرجل الملتزم بعمق بمعدلات فائدة الرهن العقاري اكثر من اي عضو آخر في مجلس الوزراء . بعد ذلك عليّ ان اذهب الى كالاهان وأرى ماذا يمكن ان احصل من وزارة المالية . ماذا سيقدّم وزير المالية الى جمعيات البناء لقاء قبولهم بالتوزيع الاختياري لبدايات عمل القطاع الخاص ؟ ولم يقرّر شيء من هذه الأشياء مع أنها أصبحت متأخرة بشكل يدعو لليأس . واخبرتني السيدة ايفلين ان خطط أسلافنا المحافظين بخصوص البرنامج التشريعي للدورة القادمة ستكون منتهية عملياً في هذا الوقت . اننا لم نبدأ بعد حتى في وضع سياسة واضحة ، ناهيك عن التشريع . حقاً ، ان مناقشة مجلس الوزراء قد أظهرت عجزنا . وكانت اول مناسبة نبحث فيها «الخطة الوطنية» . ومن الواضح انه لغاية الآن لم يبذل جهد اكثر من مجرد محاسبة مسك الدفاتر ، وكان هذا بديلاً عن خطة اقتصادية ملائمة هذا العام . ومن اجل ذلك اعتقد اننا يجب ان نلوم شيئين : الشيء الاول ،

هو ان جورج براون في دائرة الشؤون الاقتصادية ليس مخطّطاً بطبيعته ، والثاني ، هو ان جيمس كالاهان مشغول لأقصى حدّ بمشروع القانون المالي بحيث لا يستطيع ان يعطي انتباهاً جاداً للتخطيط الاقتصادي . وبالنسبة لرئيس الوزراء ، فهو مدرّب اقتصادياً ، والله أعلم ، لكنه عاجز عن فرض استراتيجية . وخلال هذا الاجتماع الذي جرى يوم الخميس فقد جلس هناك وسمح للنقاش ان يدور وفي اللحظة الأخيرة وقف واجرى بعض التعديل . إنه لم يصرّ على هدف مركزي ثابت ومتفق عليه يمكن ان يؤدي الى بعث النشاط في جهاز هوايت هول بأكمله .

على أية حال ، يجب أن أُضيف بدون تحيز أن رئيس الوزراء في حدود امكانياته يظل رئيساً واسع الحيلة . لقد رأيته في أحسن أحواله في احد أيام هذا الاسبوع عندما استقبلنا وفداً يمثل أعضاء مقاطعة ويلز البرلمانيين الذي أراد ان يبحث مشكلة اخلاء الأراضي المستأجرة . وكم كان بارعاً في الدفاع عني أمامهم ولم يتهمني بشيء . وبعد ذلك تحدثنا حول برنامجي الإسكاني . انه جاهز لمساعدتي ، كما يفعل دائماً لكنه الآن يتوقع مني ان أشقّ طريقي بنفسي . لذا يجب ان أشنّ حرباً سياسية عنيفة في هوايت هول وان اناضل بنفسي دون أن اطلبه للمساعدة ، بقدر ما استطيع .

الأحد ١٨ تموز :

كان الاسبوعان الأولان من شهر تموز أبرد اسبوعين واكثرهما رطوبة

منذ زمن بعيد . وجاء يوم القديس سويثون [1] (St Swithun) وهو يحمل أمطاراً قليلة نسبياً ، لكن الطقس منذ ذلك الحين لم يتحسن كثيراً . لقد تحسن الطقس بعد ظهر أمس قليلاً أما اليوم فهو غائم وجاف ، لكن المزرعة تبدو اكثر اخضراراً والقمح ينمو بكثافة وتبدو فرصة حدوث حصاد صعب اكثر احتمالاً ، وفي غضون ذلك يبدو ان أطفالي كانوا يكبرون مع نموّ القمح والمزرعة والحيوانات ، واصبحوا اكبر وأشدّ وأخشن واكثر صحة ـــ بطريقة يصعب السيطرة عليهم . كان يستضيفنا في الليلة الماضية عائلة هارتري (Hartree) على العشاء مع عائلة جدج (Judge) المؤلفة من هاري مدير مدرسة بانبوري الثانوية وزوجته ماري ، وكان الحديث طبعاً يدور حول التعليم ، كما هي العادة دائماً . ويستطيع المرء أن يتصور الآن أنه سيكون هناك تعليم جيد في بانبوري حيث حصل هاري جدج على نظامه الثلاثي في مدرسة جديدة شاملة . ومن جهة اخرى ، دفعنا لِباتريك اجور التعليم للسنوات الأربع في مدرسة دراغون ، وكان مكانه محجوزاً سلفاً ، وكان تشارلز وماري وودهاوس يتطلعان بشوق ليكون هناك . مع صلاتنا بـ دراغون ، وونشستر فان تقليد عائلتنا سيأخذ طريقه الطبيعي .

مع ذلك فانه يبدو غير طبيعي كلياً عندما يكون هنا في المنزل حيث أن أمّه تريده هنا وقضيا معاً وقتاً ممتعاً . طبعاً سيكون هناك مشاكل اذا كان سيظل في المنزل ، فمجلس مقاطعة اكسفورد شاير يملك في

---

(1) في الخامس عشر من تموز .

الحقيقة نظاماً ممتازاً للتعليم الابتدائي ، لكن لا يوجد معلمون ذكور لـ باتريك الى ان يصبح في الحادية عشرة من عمره ، علاوة على ذلك ، فان مدارسنا الابتدائية تطبق نظرية التعليم العقلي المتقدمة للغاية التي تفترض عدم وجود طفل متأخر عقلياً ، وعدم بذل جهد كافٍ لتعليم الاطفال بكثافة . فطفليّ يحتاجان الى مدرسة تطلب منهما جهداً كي يستفاد من مواهبهما على افضل وجه . انني اشعر بضرورة ذلك واذا لم نستطع ان نجد لهما مدرسة ابتدائية مُرضية في بانبوري فانه من المفضل ان يذهبا الى مدرسة داخلية في آخر المطاف . على أية حال ، فان من الخير القلق حول ذلك . لكننا نقلق فعلاً ونطيل التفكير ، خاصة عندما تكون عائلة هارتري وعائلة جدج مدعوتان عندنا على العشاء . ومن الغرابة ، ان الموضوع أُحيل الى مجلس الوزراء في الاسبوع الماضي عندما قدم طوني كروسلاند مذكرة قصيرة يطلب فيها منحه صلاحية لإعداد بيانٍ حول إنشاء لجنة المدارس العامة [1] . لم اكن مسروراً جداً بها لانني لا أرى فائدة كبيرة في تشكيل لجنة او محاولة تحسين الصلة بين المدارس العامة ونظام الدولة . مع ذلك ، فانني لا اريد ان أدخل في شجار مع طوني ، وحصل على الصلاحية التي طلبها بسرعة . وهو سيعدّ بياناً مختصراً لا يلزمنا بأي شيء نحو لجنة مدارس عامة ولكن ببساطة سيتم الحصول على هذه اللجنة في غضون الاثني عشر شهراً القادمة . انني أشك كثيراً ما اذا كانت هذه اللجنة ستحقق ادنى فرق لتعليم باتريك أو فرجينيا .

يجب ان اسجل حادثة اخرى جرت في عطلة نهاية الاسبوع وهي

---

(١) لقد شكلت عملياً في عام ١٩٦٨ برئاسة البروفسور دونيصون .

اختيار مرشح عمالي جديد لِ بانبوري ، الذي استغرق بعد ظهر يوم السبت الجميل بأكمله . انني لا اعتقد بأنني حضرت مؤتمر اختيار مرشح من قبل . وأُبلغنا بأننا اذا لم نكن هناك في الوقت المحدد للاستماع الى اول خطاب للمرشحين فانه لن يسمح لنا بالتصويت ، لذا فقد ذهبنا الى هناك في تمام الثالثة بعد الظهر . كان هناك حوالي سبعة وثلاثين شخصاً ، بما فيهم أنا وآن كممثلين عن كروبردي . وكان وراء المنصة السكرتير الجديد للحزب ، ورئيس المؤتمر مارتن اينالز (Martin Ennals) ، وكذلك المنظم الاقليمي المساعد ممثلاً عن اللجنة التنفيذية القومية . هناك خمسة مرشحين سجلوا منذ وقت قصير وفشل اثنان منهم في الحضور . وبذلك بقي ثلاثة ، وكل منهم سيُعطى خمسة عشر دقيقة ليلقي خطاباً ومن ثمّ تطرح الأسئلة لمدة عشر دقائق . وفور الانتهاء من ذلك سيجري التصويت . فإذا لم نكن راضين ، نستطيع أن نلغي التصويت ونطلب مؤتمر اختيار آخر . واذا كنا راضين ، نتوجه مباشرة الى اقتراع سريّ . واثناء الاختيار يجب ان لا يكون هناك اي نقاش بين الممثلين ، كما أُعلمنا ، لان اولئك الذين يتمتعون بشخصية أقوى سيحصلون على فائدة غير عادلة .

وعلى اعتبار ان هذه العملية قد تكون مضجرة فقد أخذت معي تقرير مفتش الوزارة المتعلق بمرج كنيسة المسيح[1] . لكنني في الواقع لم

---

(١) لقد تصارع وزراء متعاقبون مع وجهات النظر المعارضة لمجلس مدينة اكسفورد والجامعة حول الاقتراح الخاص بشق طريق إنقاذ عبر مرج كنيسة المسيح . وبناءً على توصية تقرير المفتش ، قرر كروسمان ضرورة اجراء دراسات اخرى ، ونتيجة لتوصيات المستشارين ، فقد تم التخلي عن اقتراح شقّ الطريق .

أضجر . فكان الشاب الذي هو هذا العام رئيس فرع حزب العمال في بانبوري ظريفاً ، ولم يكن مرشحاً مشؤوماً . بعد ذلك كان هناك محام شاب من لندن ، وهو نوع من الأشخاص اليساريين الأمميين الذي يحضر دائماً . وتلاه رجل أعمال من برومزغروف (Bromsgrove) الذي قدّم نفسه بأنه يسافر الى الخارج كثيراً ، وكان من الواضح انه مشغول جداً كي يعطينا وقتاً كبيراً . ثم جاء دور رئيس الحزب في دائرتي الانتخابية ، وهو دافيد يونغ . وقد اخبرني فيما بعد أنه علم في وقت الغداء فقط بأن المؤتمر سيعقد فقفز الى سيارته على الفور ، ولم يكن مستعداً كلياً . على أية حال ، فقد كان واضحاً انه أقوى المرشحين .

بعد الخطابات جاءت فترة الأسئلة ، التي لم تكن محرجة ولا معقدة . وكان المرشح يُسأل أحياناً كيف سيدير الدائرة الانتخابية ، واحياناً أُخرى كان يُسأل كيف سيثير الحماس فيها . ولم يُسمح لنا ان نرى زوجاتنا او حتى ان نعرف شيئاً عنهن . في الحقيقة ، إننا لا نعرف شيئاً عن المرشحين سوى ما قدموه بأنفسهم عن تاريخ حياتهم الرسمي ، وعادة يكون عبارة عن قائمة طويلة من المناصب في حزب العمال المحلي . ويبدو أن المؤتمر كان يهدف الى التأكيد بأن المرشحين لا يحكم عليهم بالمعرفة الشخصية كأفراد او كسياسيين وانما ببساطة بالتأثير الذي تحدثه خطاباتهم واجاباتهم على الاسئلة التي توجه اليهم ــ ليس الحصول على افضل مرشح لكن لتأكيد المساواة الصارمة في المعاملة . إنها طريقة غريبة في عمل الشؤون السياسية ، لكننا في هذه المناسبة اخترنا الرجل

المناسب . واستطعت أنا وآن ان نهنيء دافيد بحرارة . وبالتأكيد ، لو لم نحضر المؤتمر لتسبّب عن غيابنا كارثة في كوفنتري شرق .

الاثنين ١٩ تموز :

وصلت الى لندن الليلة الماضية في آخر قطار لأنه كان عليّ ان أحضر صباح الاثنين عدداً من لجان مجلس الوزراء الصلبة . وعندما جلست هناك ، اولاً في لجنة التطوير الاقتصادي وبعد ذلك في لجنة الشؤون الداخلية ، تأملت في الطريقة التي أصبحت فيها لجان مجلس الوزراء وكذلك مجلس الوزراء نفسه جزءاً من الدستور الانكليزي العريق . إن هذه الطريقة تنفذ على نطاق واسع لآن الوزراء في ظل هذه الحكومة ، ومن المحتمل في ظل جميع الحكومات ، ملتزمون بسياسة وزاراتهم قبل المجيء الى هذه الاجتماعات . إن لجنة التطوير الاقتصادي برئاسة جورج براون ، وجيمس كالاهان يجلس بجانبه ، من المفترض ان تكون اللجنة الاقتصادية الداخلية الرئيسية ، التي تقوم بالتخطيط الاقتصادي . مع ذلك فهي تعالج في الحقيقة المسائل التي يريد الوزير طرحها أمام زملائه . ففي يوم الاثنين ، على سبيل المثال ، كانت الفقرة الرئيسية هي خطة تسويق فرد بيرت وباستثناء شخصي ، ليس لدى أي امرىءٍ أية قاعدة يستطيع ان يعلق على أساسها مالم يعط ايجازاً من قبل وزارته . ولن تقوم أية وزارة بإعداد ايجاز لوزيرها حول أي شيء خارج نطاق مسؤولية الوزارة .

وكان تومي بالوغ يقول دائماً إن القضية بالنسبة للوزير الذي يُحضر معه مسألة من الخارج لدراستها في مكتبه تكمن في ذلك التصرف للوزارة . وانني اعتقد بأن هناك سبباً قوياً لعمل ذلك ، فلو أنني ابتدأت مرة اخرى في تنظيم وزارتي لرغبت في ان يكون لدي ، بالاضافة الى الاشخاص الذين سبق ان احضرتهم الى الوزارة : (١) كاتب شبح [1] ، ليس لكتابة خطاباتي ولكن لرسائلي وبياناتي . وينبغي ان يكون هذا الكاتب قادراً على اخذ سياسة الوزارة وترجمتها الى نوع من الكلمات التي استخدمها . (٢) شخص اقتصادي . (٣) مستقص للحقائق تكون مهمته تقديم الملخصات لي بحيث استطيع ان أشارك في لجان مجلس الوزراء بكفاءة وكذلك في مجلس الوزراء حول المواضيع التي من خارج وزارتي . ويجب ان لا يقتصر عمل هؤلاء الرجال على الكتابة فقط ، بل عليهم ان يقرؤوا أيضاً ، لأن الوزير غير قادر على قراءة جدول اعمال مجلس الوزراء بأكمله قبل المجيء الى هناك ، او حتى جميع جداول اعمال لجان مجلس الوزراء ، واذا كان عليهم ان يقرؤوا المذكرات فينبغي عليهم قراءتها بعين لا تفشل في فهم وتحديد ماله صلة بالموضوع . إن تدخلاتي الناجحة في مناقشات لجان مجلس الوزراء وفي مجلس الوزراء كانت نتيجة الأحاديث التي أُجريها مسبقاً مع أُناس قلائل ممن لهم الحرية في الوصول الى جميع مذكرات مجلس الوزراء — مثل نيكي كالدور ، وتومي بالوغ ، وجورج ويغ — ويريدون تقديم وجهة نظر معينة . ونظراً لان معظم الوزراء لا يتم ايجازهم بهذه الطريقة فان مناقشاتنا تفتقر الى الحياة ، وتسيطر وجهة

---

(١) كاتب يكتب للوزير دون ان يعرف بأنه هو الكاتب — المترجم .

نظر هوايت هول بشكل اكبر ، مما كانت عليه منذ ستة أشهر مضت[1] .

الثلاثاء ٢٠ تموز :

كان اجتماعنا الثاني في مجلس الوزراء حول النفقات العامة . وبقي هناك برنامجان فقط للمناقشة ، هما تطوير ما وراء البحار ، والإسكان . وابتدأ هارولد ولسون بقوله : «دعونا الآن نعود للإسكان» . لم اكن مستعداً لذا أجبته : «إن دوري ليس الآن . إنه دور بربارة كاسل» . وهكذا كان . كان واضحاً في الاجتماع السابق أن هارولد ووزير خارجيته شعرا بأن التخفيضات في مساعدة ما وراء البحار كانت اكبر مما نستطيع ان ندافع عنه كحزب او كدولة . ويجب ذكر شيء يتعلق بـ بربارة . إن النظام الذي تعمل به لجنة دراسة النفقات العامة يضمن بأنه اذا كان احد الوزراء سيحصل على أموال اكثر فان وزيراً آخر بالمقابل سيخسر نفس المبلغ . ولا يوجد تساهل في هذا المجال ، إنه مجرد التزام صارم وغريب بالبرامج الأساسية التي ورثناها من حكومة المحافظين . كانت أفضليات المحافظين تسيطر على اتجاهاتنا الاشتراكية ، وان كل ما نطمح في فعله هو

(١) لقد أسست هيئة مراجعة السياسة المركزية من قبل حكومة هيث في عام ١٩٧١ لتزويد الوزراء ، كما قيل ، بانجازات وافية حول السياسة .

الاستمرار بتنفيذ برنامج المحافظين الأساسي للنفقات مع اجراء بعض التعديلات الطفيفة .

لقد قلت هذا كله في مستهلّ اجتماعي يوم الخميس الماضي وكان له تأثيره .

مع ذلك ، كان مجلس الوزراء في حالة إنهاء العمل وليس لديه ميل لإعطاء شيء الى بربارة . وقوي موقفهم عندما تكلمت لمدة خمس وثلاثين دقيقة وكان الشيء المعقول ان تتكلم لمدة خمس دقائق وتطلب بعد ذلك من مايكل ستيوارت ، وآرثر بوتوملي ، وأنطوني غرينوود أن يساعدوها في قضيتها . وعندما انتهت من القاء كلمتها قال كالاهان ببساطة : «انني آسف لهذا لكنني لا استطيع ان اعتقد انه توجد أية قضية خاصة ، وعلى كل حال ، اذا كان هناك مثل ذلك ، فما هي الوزارة التي سنقتطع منها لك ؟»

عند هذه النقطة تدخل هارولد ولسون قائلاً : «يجب علينا ان لا نكون متمسكين بهذه البرامج بشكل جامد . وعلاوة على ذلك ، فهي ليست برامجنا ــ لقد ورثناها فقط . واقترح ان نشكل فريق عمل لنرى ما اذا كنا نستطيع اعطاء بربارة بعض الزيادة على الأقل في المجالات التي يكون فيها انفاق الدولار ليس شديداً . عند هذه النقطة انتقل مجلس الوزراء فجأة الى شجار كبير . فرفض كالاهان ان يعمل في فريق عمل من هذا النوع وقال : «لقد تم نقاش جميع هذه النقاط ، وقد تأخرنا كثيراً حتى نعود الى البرامج الأساسية ونحن في نهاية تموز بعد ان درسناها خلال الأشهر الثانية الماضية . وانكم لا تستطيعون تحديها الآن .» وقد

أيده جورج براون ، الذي ذكرنا انه كان يتوجب عليه ان يأخذ الأرقام النهائية في نهاية الأسبوع لدرجها في الخطة القومية . وبعد ذلك حدثت مشادّة كلامية استمرت زهاء الساعة والنصف جلس معظمنا خلالها مرتبكاً . وكان واضحاً ان الوزير الأول ، ووزير المالية يعملان معاً بشكل من الأشكال ، وتهجما على هارولد مثل الكلب الذئبي الذي يهجم على طريدته للقضاء عليها [1] وأهاناه ، وحاولا ان يوهنا عزيمته بشكل عنيف . وكان واضحاً أن الاثنين يشعران بأن هارولد يتهرب من مسؤولياته كرئيس للوزراء وحاولا ان يخلقا مشكلة على نحوٍ غير ملائم . وطبعاً ذلك ما كان يفعله . إنه كان يحاول أن يساعد بربارة دون ان يقول ذلك صراحة وكان يخطط كي تحصل على (٢٠) مليون جنيه اخرى وبعد ذلك يوفر الأموال بتخفيض برنامج الطرق لـ توم فريزر ، الذي كان يجلس بجانبي . وعندما هُزم حاول ان يتظاهر بأنه لم يقدم الاقتراح وانه حصل على القصة كلها من محاضر جلسات مجلس الوزراء — وللتاريخ فان هذه المحاضر لا تخبرك بأي شيء لعين مما يدور في مجلس الوزراء الا اذا كان رئيس الوزراء وسكرتيرو المجلس يرغبون في نشر ذلك .

بعد ذلك انتقلنا الى الإسكان . وبعكس بربارة ، تكلمت باختصار . فقلت بأن الشيء الذي اهتم به هو الحصول على التزام مؤكد بمعدل بناء في عامي ١٩٦٩ — ١٩٧٠ يبلغ نصف مليون منزل في العام . وحالما أحصل على ذلك فانني سأكون قانعاً بالامتناع عن اي

(١) كانت هناك شائعات تدور في الصحف بأن وزير المالية يتآمر لقلب الزعامة ، وبلغت هذه الشائعات ذروتها في ١٦ تموز عندما كان رئيس الوزراء في موسكو لحضور معرض التجارة البريطاني .

التزام أكبر لزيادة برنامج إسكان القطاع العام في عامي ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧ عندما تكون الظروف صعبة . لكنني أضفت بأنني اريد من مجلس الوزراء ان يطلع على كيفية انخفاض إسكان القطاع الخاص بشكل مأساوي (وقرأت بصوت عالٍ الارقام لشهر حزيران التي تظهر النقص الكبير) . وهل يوافق مجلس الوزراء اذا استمر إسكان القطاع الخاص في الانخفاض ، أن يسدّ النقص الحاصل في المجموع الكلي من قبل الإسكان العام ؟ ثم انتقلت الى قرار تقسيم أموالي مناصفة للاعانات وقلت بأنني سأقبل القرار شريطة ان يوافق مجلس الوزراء على انه لا سبيل لتنفيذ كلمة الشرف التي أعطيت كضمانٍ للرهن العقاري قبل سنتين . وانفضّ الاجتماع بعد ذلك . وكان أسوأ اجتماع لمجلس الوزراء ، وأسوأ اجتماع لـ هارولد ولسون .

سمعت بعد الظهر شائعات تفيد بأن خطة التأجيل التامّ للعقود الجديدة قد نشطت من جديد بصيغة اخرى . وقد عاد « وادل » لتوه من اجتماع آخر مع وزارة المالية يتعلق بالتوزيع الجديد للمخصصات المالية . وأكد لي في هذه المرة بأن الاسكان ، والمدارس لن تتأثر بالتخفيضات . على أية حال ، أمليت على الفور مذكرة سرية الى رئيس الوزراء أحثّه فيها على التصرف حسب الضرورة ، وبدلاً من ان يدع اقتصادياته تستنزف جزءاً بعد جزء ، ان يذيع اعلانا كبيراً في نهاية ايلول بأنه سيخفض كل شيء ويطلب بذل الدم والعرق . وأرسلت هذه المذكره اليه حالاً .

ملاحظة :

من حسن الحظ بالنسبة لحزب العمال ، ولكن ربما ليست بالمصادفة ، ان يتم اعلان اجراءات وزير المالية لشهر تموز في نفس الوقت

الذي جرى فيه اقتراع المحافظين لانتخاب زعيم جديد للحزب ، وكانت هناك شائعات تدور منذ شهر او اكثر حول استقالة السير ألك الوشيكة . واصبحت هذه الشائعات في الثاني والعشرين من تموز حقيقة ، وكان وقتاً معقولاً بالنسبة اليه كي يتقاعد ، قبل مؤتمر الحزب في تشرين الأول وفي وقت كان فيه الحزب يتكتل مع بعضه اثناء اجراءات مشروع القانون المالي . وأعلن أيان ماكليود (Iam Macleod) أنه لن يخوض معركة الانتخابات وبرز مرشحون ثلاثة هم : ادوارد هيث ، وريجينالد مودلنغ ، وإينوخ باول .

حصل المستر باول ، وهو زعيم المشاريع الخاصة البارع ، على ١٥ صوتاً ، وحصل المستر مودلنغ على ١٣٣ صوتاً ، وحصل المستر هيث على ١٥٠ صوتاً لذا فقط سقط مودلنغ وفاز هيث ولم تدع الحاجة الى اجراء اقتراع سريّ ثانٍ . كان فوز هيث مفاجأة ، لان خلفيته لم تكن خلفية «محافظ تقليدي» وان نجاحه في قانون المحافظة على أسعار البيع بالتجزئة لم تحببّه الى جناح اليمين للحزب . لكنه كان زعيماً برلمانياً فعّالاً وقد عمل بعناد وبدون كلل او ملل في مفاوضات بروكسل عام ١٩٦٢ . ولاعطاء صورة اوضح ، فقد كان أقرب في السنّ (كان عمره تسعة وخمسين) الى المستر ولسون من السير ألك ، واظهر كثيراً من الكدّ مثل رئيس الوزراء .

وعُين مودلنغ نائباً لزعيم الحزب، واصبح ماكليود وزير ظل للمالية وباول للدفاع . وتولى السير ألك المسؤولية العامة للشؤون الخارجية .

الاربعاء ٢١ تموز :

هناك اجتماع آخر للجّنة الوزارية للخدمات الاجتماعية ، وبهذه المناسبة قُدم لنا اسلوبان بديلان لتحقيق التخفيضات التي طلبتها لجنة دراسة النفقات العامة ، وكان كل شخص حول المنضدة ، باستثناء دوغلاس هوتون ، متأكداً من ان هناك اسلوب عمل واحد ــ هو تأجيل ضمان الدخولات بينما تُقدَّم الاعانات المالية المرحلية للمرض والبطالة واعطاء ما تحتاجه الزيادات في المعدلات الثابتة ، وطلبت أنا وكروسلاند تغييراً جذرياً في الاستراتيجية من اجل تقديم تبرعات التأمين الوطني المتعلقة بالأموال المكسوبة باسرع ما يمكن ، عند هذه النقطة انفجر دوغلاس هوتون قائلاً بأنه لن يوافق : وبدلاً من ذلك فانه تقرير الاقلية للنشر في الصحف ، وهذا ما فعله تماماً ، فاذا كان فرانك سوسكايس رجلاً غير فعّال ، فان دوغلاس هوتون متفجر وغريب الاطوار ومتمسك برأيه ــ إنه اسوأ نوع محتمل كرئيس أعلى لـ بيغي هربسون ،

تلقيت في وقت متأخر من النهار آخر التفصيلات من «وادل» حول خطة النفقات العامة التي تمت مراجعتها ، والتي تؤكد انه لن يكون هناك تخفيضات في برامج الطرق ، والإسكان ، والمدارس ، ووجدت ان الخطة اكثر حماقة وابرع حيلة من ذي قبل وقررت ان ارسل مذكرة ثانية الى هارولد ، وأحثُ عليه فيها ان يؤكد على ثلاثة أشياء : تأجيل ضمان الدخولات ، وتأجيل تعهداتنا لمالكي الرهن العقاري ، واجراء

تخفيضات في مساعدة تطوير ما وراء البحار ، وقلت إن هذه التخفيضات سوف تترك أثراً حسناً لدى أصحاب المصارف الأجانب اذا كنا نريد ان ننقذ الجنيه ، وبعد ان أرسلت المذكرة ، ذهبت لرؤية «مارشيا» وقلت لها : «ببساطة يجب ان ارى الرجل العجوز» وبعد دقيقة او اثنتين ثبّتت موعد اجتماع في الخامسة والنصف بعد ظهر الخميس في مكتبه في مجلس العموم .

الخميس ٢٢ تموز :

كان هذا هو ثاني اجتماع لمجلس الوزراء خلال هذا الاسبوع ـــ وهو احد اجتماعات مجلس الوزراء الروتينية التي تتألف من خليط من الفقرات المتباينة الواردة من لجان مجلس الوزراء من اجل التحكيم النهائي ، وبشكل مميز ، أمضينا ساعة ونصف الساعة على مستقبل خدمة العائلة ، وهذه قصة طريفة ، فقد كان فرانك لونغفورد رئيساً لمجموعة دراسات منبثقة عن الحزب حول جنوح الاحداث عندما كنا في المعارضة ، حيث وضعت نظرية خدمة العائلة : وهي خدمة خاصة للنظر في مشاكل الطفل في المنزل والمحافظة عليه خارج محاكم الأحداث واعطائه نوعاً جديداً من النظام ، وعندما تسلمنا زمام السلطة بدأ فرانك بالالحاح على لجنة الخدمات الاجتماعية بضرورة تقديم مشروع قانون خدمة العائلة في الحال وهدّد بالاستقالة اذا أُخر المشروع على نحو غير ملائم ، وفي اللحظة التي

درسنا فيها الفكرة من وجهة النظر الوزارية كان واضحاً اننا لا نستطيع ان نقدم مشروع قانون الخدمة العائلية دون استشارة واعية مع السلطات المحلية . وكانت المرة الاولى التي اسمع فيها عن الموضوع هي عندما استلمت رسالة شخصية موقعة من قبل «تتموس» وعملياً من كل عالم اشتراكي اكن له الاحترام ، تحثني على الاصرار على اجراء تحقيق مستقل في خدمات السلطة المحلية من اجل معرفة كيفية توزيع المسؤولية . ووجدت نفسي ، مع كنيث روبنصون وانطوني كروسلاند ، كوزير للاسكان اعبّر عن شكوك خطيرة فيما اذا كنا نستطيع ان نلزم انفسنا بالخدمة العائلية في بيان ابيض . واقل ما يمكن عمله ، هو ضرورة استشارة السلطات المحلية اولاً ، ومن المحتمل ان يكون هناك تحقيق مستقل عندئذ . وقد فُرضت هذه الصفقة على دوغلاس هوتون ، كرئيس للجّنة ، ضد ارادته . وهذا هو سبب إثارة المسألة مرة اخرى في مجلس الوزراء . ولم يكن لدي هوتون ولونغفورد أية فرصة بوقوف ثلاثة وزراء ضدهما . وليس هناك أسهل من ايقاف أمرٍ في مجلس وزراء بريطاني . ولكن طبعاً على ضوء تلك المناقشة كان هناك رأي ، كل امرىء كان يفكر فيه ، وهو ان النزاع الرئيسي قد أُجل الى يوم الثلاثاء القادم .

اكتشفت بعد الظهر ان مارشيا قد خصصت لي نصف الوقت الذي كان محدّداً ل تومي بالوغ مع رئيس الوزراء . دخلت غرفة هارولد في الساعة ٥ر٥٠ وكنت أظن وقتئذٍ انه قرأ المذكرتين اللتين ارسلتهما اليه ، وكذلك مذكرة مماثلة كان كروسلاند قد وافق على ارسالها عندما كنا في

مجلس الوزراء ذلك الصباح . ظهر في بادىء الأمر وكأنه راضٍ عن نفسه وغير متكلف بشكل عجيب . وهو في الحقيقة رجل بعيد عن التكلف ، لانه غير خيالي الى حدّ كبير . وشعرت بأن عليّ ان استحثه وبدأنا نسير في الغرفة بينما تابعت القول : «لا تلجأ الى حيلة بارعة اخرى . أليس افضل شيء نفعله الآن هو التصرف حسب الضرورة ؟ وبما انك ستؤجلها كلها على كل حال ، فلماذا لا تعلن كمسألة سياسية تأجيل ضمان الدخولات ، وتأجيل المساعدة لراهني العقارات ، وتخفيض اموال تطوير ما وراء البحار .» وفجأة ظهر وكأنه وضع يده على المشكلة . فنهض عن مقعده وبدأ يسير حول المنضدة . ودرنا حولها مرتين او ثلاثة ، وكان يسير في الأمام ، وأنا أتبعه وأحاول ان أضع الأفكار في رأسه . ولا اذكر ان شيئاً آخر حدث سوى انني شكوت له ان جميع هذه التخفيضات قد نوقشت من خلف ظهري من قبل موظفي وزارتي بالتشاور مع وزارة المالية . فأجاب : «حسناً ، على كل حال ، سنبحث كل ذلك يوم الاثنين في اجتماع الوزراء . وكانت هذه اول مرة أسمع عن ذلك ، فقلت له : «هل أنا مدعو كأحد الوزراء ؟» فقال هارولد : «نعم ، واسمك على القائمة .»

كان السبب الرئيسي في كون حديثنا أجوف ، طبعاً ، هو أن هارولد كان يركز تفكيره على استقالة ألك دوغلاس هيوم . وعندما دخلت غرفته أخبرني أنه على وشك الاستقالة وقد صرفنا نصف وقتنا ونحن نناقش شيئاً قد أبعد فكره عن المسألة المركزية . وعندما تركت غرفته

وجدت ان الاستقالة قد فاجأت مجلس العموم وكانت المحور الرئيسي للحديث .

وكان لها نتيجة ثانوية مفيدة . فقد اختيرت الليلة للثورة الكبرى لجناح اليسار في الحزب حول رواتب القضاة . وكان النزاع قد بدأ يوم الاربعاء من الاسبوع الماضي عندما قُدم مشروع قانون لزيادة الرواتب بمقدار ٢٥٪ . وكان اللورد قاضي القضاة يصرّ على مشروع القانون هذا دائماً ، وكنت أُبلَّغ دائماً ان هناك صفقة اتفاق وافق المحافظون بموجبها على زيادة رواتب الاعضاء شريطة ان تكون هناك زيادة في رواتب القضاة ايضاً . وفجأة في الاسبوع الماضي أنكر المحافظون في المقاعد الأمامية صفقة الاتفاق هذه وقالوا بأنهم ليسوا ملتزمين بها ، وشنّ أنصارنا في المقاعد الخلفية ثورة عنيفة ضد تحريض ريجبي باغت ، ومايكل فوت وجون مندلسون . وحافظوا على استمرار الجلسة حتى الثالثة صباحاً وقدموا تعديلات مدمرة . وقد ألزموا أنفسهم بجلسة اخرى تستمر طيلة الليل ، وبقيتُ حتى الواحدة صباحاً لأسمع انها بدأت . وكانت جلسة هادئة ، ويعود الفضل في ذلك بدرجة كبيرة الى قرار هيوم المفاجىء بالاستقالة .

اتصلت « بام بيري» بي البارحة هاتفياً واخبرتني بأن هارولد ولسون قد لعب الدور الهام من وجهة نظرها في دفع الاستقالة لانه طاف في كل مكان وهو يقول بأن ألك دوغلاس هيوم كان مصدر قوته الأكبر . وكان أدلاي ستيفنسون أحد الاشخاص الذين اخبرهم بذلك قبل موته بفترة قصيرة ، وقد روى أدلاي ذلك لكل شخص قابله من

حزب المحافظين ، بما فيهم دوغلاس هيوم نفسه ، ومن المحتمل ان يكون هناك شيء من الصحة فيما قالته بام ، إن هيوم رجل يدعو للسخرية ، فربما كان متردداً حقيقة بالنسبة لبقائه لمدة ستة أشهر اخرى وكان دافعه للتصميم على ذلك هي القصة التي رواها أدلاي في لندن .

السبت ٢٤ تموز :

سمعت مساء الخميس ان جورج براون قد قرر فجأة ان يدعو لعقد اجتماع للوزراء المعنيين لمناقشة تخفيضات لجنة دراسة النفقات العامة ، وبما ان الاجتماع سيعقد في الساعة ١١ر٤٥ صباح الجمعة وانني سأذهب الى ولفرهامبتون (Wolverhampton) ، طلبت من بوب مليش ان يذهب لحضور هذا الاجتماع . وعندما أخبرت جورج في الردهة يوم الخميس بأنني متأسف لعدم تمكني من الحضور وانني سأرسل بوب قال : «ليس من المناسب ارسال بوب ، فهو رجل عديم النفع . فاذا كنت لا تتضايق من حضور اجتماعي ، فالأمر متروك لك . وانني اعتقد بأنك تهتم بالأمور حقيقة .» وتابع سيره . آه يا عزيزي !

انطلقت الى ولفرهامبتون بقطار الساعة ٨ر٢٠ صباح أمس ، حيث سأفتتح المنزل رقم (١٠٠٠٠) من منازل المجلس البلدي التي بُنيت منذ الحرب .

وقد تحول الطقس هذا الاسبوع من سيء الى اسوأ وجاء يوم الجمعة بمطر مدرار . وبينما كان المطر ينهمر بغزارة في «ميدلاند» رأينا المحاصيل

وهي تتلف في كل مكان ، قضينا الصباح ونحن نشاهد ممتلكات الإسكان تحت المطر ، إن ولفرهامبتون مدينة عمالية مميّزة ، وقد مرّ عليها فترتان قصيرتان فقط كانت فيهما تحت حكم غير عمالي منذ الحرب ، ويوجد ارض فضاء صغيرة استخدمت جميعها لأبنية المجلس البلدي ، إن فن العمارة ليس مدهشاً لكنه نفذ بشكل لائق ويتم تحسينه باطراد ، ويوجد عليه لمسة اشتراكية حقيقية في مشروع البلدية ، ولكن آه يا عزيزي ! إن رئيس لجنة الاسكان الذي استقبلني قد قضى (٣٨) عاماً في المجلس و (١٨) عاماً مسؤولاً عن الإسكان ، ورئيس البلدية ، الذي هو في نفس الوقت رئيس لجنة التخطيط ، في السبعينات من عمره ، إن جوّ مجلس المدينة بكامله هو جوّ ضعف اشتراكي بسبب الشيخوخة ، لقد فقدوا معظمهم في العام الماضي وهم يعتمدون الآن على أصوات اعضاء المجلس التشريعي للمدينة ، وكلهم يعتمدون على الادنى مرتبة ، وهذا نوع سيء لسياسات «ميدلاند» الغربية ،

وعندما أنهيت هذه الزيارة الرسمية اتفقت مع المنظّم الاقليمي لعقد اجتماع مسائي لاعضاء حزب العمال من اجله ، وقد دهشت قليلاً لسماعي بأنه لن يكون اجتماعاً عاماً وانما سأذهب الى حفل استقبال خاص لحوالي مائتي عضو من اعضاء الحزب في المنطقة ، ولم يكن لدي تصور قبل ان أصل الى مكان الحفل عن الشيء الذي حدث ، فقد جاء كل شخص في ذلك المساء وهو يشتعل غضباً من جرّاء قراري الخاص باعادة تنظيم الحكومة المحلية في «ميدلاند» الغربية بشكل كامل ، وهو ما اعلنته منذ بضعة أسابيع ، وينص القرار على اعادة تنظيم جميع منطقة

بلاك كنتري (Black Country) ، التي هي مقسمة الآن الى ستة عشر سلطة محلية ، في خمس مدن مقاطعاتٍ كبيرة . إن هذا النوع من اعادة التنظيم سوف يغضب عدداً كبيراً من اعضاء المجلس البلدي الحاليين الذين هم من حزب العمال في بلاك كنتري ١٠٠٪ . وقد بذلت محاولة من اجل تنفيذ القرار لأن ثلاثة من السلطات قد اتخذت اجراءات في المحكمة العليا ضد كيث جوزيف وهذه الاجراءات لا تزال تلقى صدى في محكمة الاستئناف ــ اننا سوف نأخذ حكماً يوم الخميس القادم . لكن على الرغم من احتجاجات اعضاء المجلس البلدي العماليين فقد قررت ، بعد ان اخذت رأي جورج ويغ ، ان سياسات أل بلاك كنتري في حالة يرثى لها وانه مهما حدث فانني سوف انفذ التوصيات بحذافيرها اعتباراً من الأول من نيسان عام ١٩٦٦ . وطبعاً كان ردّ فعل الكثير من هذه السلطات الصغيرة – مثل ونزبوري (Weanesbury) وسدجلي (Sedgley) ، ... الخ ــ غاضباً . وعندما ذهبت الى حفل الاستقبال، الذي جرى في مقصف كبير يدعى : «الدجاجة والكتاكيت» ، وجدت قاعة رقص كبيرة ويوجد حول القاعة مجموعة من الموائد المستديرة وعلى كل واحدة منها ثمانية او عشرة اشخاص يجلسون بهدوء ويتناولون الشراب . وعندما قُدمت للحاضرين وجدت ان ٩٠٪ من تلك القاعة مملوء باعضاء المجلس البلدي ، مع زوجاتهم واولادهم ، من اعضاء ألستة عشر مجلس مقاطعة ومدينة التي قررت الغاءها . وقد جاؤوا وهم مصممون على تمزيقي إرباً . لكنني لاحظت أمراً آخر . فكل مائدة كانت تضم مجموعة منفصلة عن الأخرى ــ واحدة لِ سدجلي ،

وواحدة لـ ونزبوري ، وواحدة لـ تتنهول ، وواحدة لـ دارلستون ، وواحدة لـ راولي ريجس ، وواحدة لـ أولدبري . إن الانقسام الموجود في بلاك كنتري قد انكشف من هذه الموائد . ورأيت ان الحاجة تدعو الى اعادة تنظيم جذري : انني لم اقابل قط مجموعةً من السياسيين المحافظين تشبه مجموعة الاشتراكيين التي قابلتها في بلاك كنتري . كما انني لم أشعر قطُّ بمثل هذا الجو الكئيب ، المشاكس .

على أية حال ، كما يحدث عادة في اجتماعات حزب العمال ، فقد تحول الى انتصار ساحق لأنهم أطلقوا البخار وهاجموني وقالوا إنني طعنتهم من الخلف وخنت حزب العمال . وبالمقابل أوضحت أن إعادة التنظيم سوف تتم في نيسان القادم سواء احبوا ذلك أم لا . وعليهم ان يذعنوا للأمر ويستفيدوا منها اكثر قدر ممكن . وبعد الساعة الاولى جعلتهم يفكرون في توقيتها وليس في حسناتها . وهل يريدون تأجيلها لكي يتاح لهم وقت لاعادة التنظيم ؟ فقالوا بأنهم قد لا يستطيعون تنظيم الانتخابات في كانون الثاني أو شباط . فقلت بأنني أرغب في الحصول على كل ذلك خطياً طالما ان هذا الأمر يمكن اعتباره مشكلة ادارية .

أوصلني والتر بيرلي (Walter Burley) بعد ذلك ، الذي هو وكيلنا هنا في بانبوري وهو الآن المنظِّم المساعد في بيرمنغهام ، الى برسكوت وتحدثنا طوال الطريق . لقد شعرت بأن الاجتماع كان مبهجاً ولكن الحقيقة أيضاً انني قد استيقظت في السابعة صباحاً ولم اذهب الى منزلي حتى منتصف الليل . وبعد أن تناولت طعام العشاء ، أويت الى الفراش واستغرقت في نوم عميق .

الأحد ٢٥ تموز :

وصل هذا الصباح مراسل راكب الى المنزل وهو يحمل مجموعة من الاوراق التي تحمل درجة سريّة عالية ، فألقيت عليها نظرة ، وكان واضحاً جداً ان مذكرة مجلس الوزراء هي وثيقة بائسة ، وهي مجرد مناشدة لتخفيض الانفاق العام ، وقد أعلن انه لا مجال للبحث في تأجيل الديون وكل ما حصلنا عليه هو مناشدة الصناعات المؤممة والسلطات المحلية كي تحاول ايقاف الانفاق باستثناء ما يتعلق بالاسكان والمدارس ، وهي تنطبق كثيراً مع خطة الطوارىء التي سمعت عنها كثيراً من «وادل» ، انني لا استطيع ان اشكو ، كما يفعل بعض الوزراء ، من عدم إشتراكي في المشاورات الرسمية السريّة ، مع ذلك ، تبدو السريّة شيئاً مضحكاً على ضوء ما حدث يوم السبت عندما أفشى هارولد مقدّماً جزءاً مما كان سيخبر به وزراءه يوم الاثنين ، لقد كشف عن نيته لالغاء النفقات العامة حتى ولو أدّى ذلك الى التخلي عن مشاريع معينة ، وعلى ما يبدو فقد ألمح الى التخفيضات في برنامج الطرق : كان مؤتمره الصحفي بمثابة تهديد ايجابي ، ولا يوجد شيء لعين سنقوم به لم يخبر به الصحف مقدماً ، فعلى سبيل المثال ، فقد تسربت أنباء زيارة هارولد ديفز الى هانوي بسبب حديث هارولد ولسون في غير موعده ، والآن هناك تسرب للأخبار حول تحسين العلاقات مع روسيا ، وبالنسبة لحديث هارولد يوم السبت فانني لا أرى فيه أية فائدة وهو سيخلق مشكلة كبيرة في مجلس الوزراء ،

يوجد لدي قليل من الشك أنه عندما ستقدم الينا مسودة بيانه غداً في مجلس الوزراء فانها ستكون كما اريد ، ولكنني قررت ان أذهب الى لندن اليوم كاجراءٍ وقائي ، وان اتناول طعام الغداء مع السيدة ايفلين وبعد ذلك أذهب الى تومي بالوغ كي آخذ ايجازاً جيداً قدر الامكان ، وكان جورج ويغ ، في كل هذا ، يقف الى الجانب المناهض لتخفيض العملة ، في الحقيقة ، انني أشك ايضاً في ان أفكار الطوارىء التي طبخت من قبل جورج براون وقدمت في الاجتماع الذي عقده صباح الجمعة كانت خطة مضادة مدعّمة من قبل كتلة جورج ويغ في مطبخ مجلس الوزراء بشكل متباين مع كتلة بالوغ ــ مارشيا . إن هذا طبعاً هو تخمين ، لكن ويغ بالتأكيد كان يعرف الكثير عن خطة الطوارىء اكثر من تومي بالوغ ، الذي كان يعرف مشاكل الاستيراد والتصدير .

عندما وصلت الى منزل السيدة ايفلين اخبرتني على الفور بأن بوب مليش قد قُدم له ايجاز ايضاً . فسألت : «أي ايجاز ؟» فقالت : «نفس المذكرات التي حصلت عليها .» استغرقت بعض الوقت كي أتأكد بأن مذكرة مجلس الوزراء غير المقنعة التي قرأتها كانت حصيلة اجتماع الوزراء الذي عقده جورج براون صباح الجمعة بعد ان غادرت إلى ولفرهامبتون . فذهب بوب الى الاجتماع ووجد ان كل شخص يعارض بشدّة أي شكل من اشكال تصاريح البناء وكذلك لأي شكل من اشكال التأجيل ــ الذي وصفه واحد منهم حرفياً بأنه يشبه وضع العصا في العجلات كأفضل طريقة للتغلب على أزمة اقتصادية . واخبرتني السيدة ايفلين ، بأنه ابتداءً من الأحد الماضي ، كان الموظفون يعملون بجهد كبير

في خطة طوارىء جديدة لانه يُخشى الآن بأنه حتى بدون تخفيضات قاسية فاننا سوف نواجه تخفيض قيمة العملة . وقد أُكد هذا إلى حدّ ما من قبل تومي بالوغ عندما ذهبت الى منزله في هامبستد . كان تومي ودوداً دائماً لكن في تلك الليلة كان هناك توقف غريب ومفاجىء في علاقتنا . وكان واضحاً اننا لسنا في فريق واحد . وهذه احدى الصعوبات الحقيقية التي تواجه الحكومة الحديثة . لقد قُدِّم لي ايجاز بعدد من الأسرار المتعلقة بالنفقات العامة ، وقُدِّم له ايجاز حول الأزمة الدولية . ولم يبلّغ أحد منا حول قطاع عمل الآخر ولم يكن احد منا متأكداً مما يعرفه الآخر . وقد عنى ذلك ان محادثاتنا قد توقفت . وقد تكلمت معه بحرية تامة حول سخف التأجيل لكنني كنت اعرف انه كان خائفاً من الاجابة بفظاظة . انني اشك بأن ذلك يعود جزئياً الى انني ارى جورج ويغ كثيراً وقد كرها بعضهما في هذه الأزمة بشكل خاص . كذلك كان جورج ويغ ، الذي اتصلت به هاتفياً فيما بعد ، غير راغب أيضاً في ان يخبرني الكثير ، وهو أيضاً غير واثق من نفسه ، ولم استطع ان استنتج حتى النهاية ما اذا كان قد أُوجز حول الجانب الداخلي من الأزمة .

الاثنين ٢٦ تموز :

عندما ذهبت الى المبنى رقم (١٠) هذا الصباح وجدت حشداً من الوزراء خارج الباب ، يضم جميع الوزراء المعنيين : الصحة ، والنقل ، والطيران ، وتطوير ماوراء البحار . وسرعان ما اكتشفنا ان هارولد يفكر

في منح التصاريح للإسكان ، لقد صمم بعد ان ألغى التخفيضات في برنامج الاسكان أن يصرف شركات البناء ، والأشخاص المسؤولين عن مواد البناء ، عن بناء الحوانيت والمرائب والمجمعات الاستهلاكية المركزية غير الأساسية الى الإسكان والمدارس والمستشفيات .

ما الفائدة من شخصية الوزير في ازمة من هذا النوع ، لقد سمعت «ناي» يقول هذه الجملة مراراً عن حكومة أتلي وكنت وقتئذٍ أميل الى الشك قليلاً ، انها صحيحة تماماً اليوم . ولا يوجد شكّ لو انه توفر لنا وزير نقل قوي لأنقذ الكثير من الطرق الرئيسية . لكن ذلك لم يحدث ، لقد قاتلت بشدّة وانقذت برنامج اسكاني ، وقاتل كنيث روبنصون بشدة وانقذ مستشفياته ، وقاتل طوني كروسلاند بجهد معتدل وانقذ بناء مدارسه على حساب تأجيل برنامج إسكان الجامعة ، وقاتلت بربارة كاسل وقاتلت وقاتلت وقد وجدت نفسها مهزومة لغاية الآن ، كان مجلس الوزراء مفككاً ومخيّباً للآمال ، وسبب ذلك بشكل رئيسي لأن هارولد لايزال يشعر بأنه غير قادر على وضعنا في الصورة بشكل كامل ، كنا نبحث في توقيت بيانٍ يفتقر الى الفكرة ، وكنت افترض بديلاً عن ذلك ، ان يذهب رئيس الوزراء الى مجلس الوزراء يوم الثلاثاء ومن ثمّ سوف يكون هناك مفاوضات قبل ان تجري بشكل نهائي يوم الخميس ، لكن هذا عملياً لم يحدث ، وسبب آخر لعدم سعادتنا هو الشعور بالشك العميق لدينا جميعاً بالنسبة لما اذا كان يوجد مسبقاً نوع من التعاون الوثيق بين كالاهان وبراون ضد رئيس الوزراء ، الذي سوف ينتج عنه تكرار للنزاع العنيف الذي جرى في اجتماع مجلس الوزراء الأخير .

قابلت في الساعة السادسة مساءً ، أنا والسيدة ايفلين ، تشارلي وموظفيه في مكتبه لكي نبحث في موضوع الرقابة على البناء . وكان اجتماعاً محزناً . وكان باستطاعة السيدة ايفلين ان تخبرني بأن شائعات هوايت هول تقول بأن البيان سوف يصدر بعد ظهر الثلاثاء مهما حدث ، لأن رئيس الوزراء وكالاهان وبراون قد اتفقوا على اصداره . وعندما تحدثنا معاً بدأنا نطلع على مسودات البيان ، التي وزعت على شكل اجزاء الى الوزارات المعنية . فعلى سبيل المثال ، كان اعطاء تصاريح البناء اكثر عنفاً مما تصورته وزارة الأشغال ، لأن رئيس الوزراء كان يصرّ على اعطاء التصاريح للعقود التي تزيد عن (١٠٠) ألف جنيه ، او بالأحرى اكثر من (٢٥٠) ألف جنيه . وعندما جلسنا هناك سمعنا ان الخزانة لم تبال بجميع احتجاجات تشارلز بانل . وكان واضحاً ان مراجعة « لجنة دراسة النفقات العامة » للانفاق العام قد تمت من قبل المجلس . والآن يجري تحضير اجراء حقيقي مرعب لايقاف التزاحم على المصارف ، من اجل سحب الودائع ، الذي بدأ في عطلة نهاية الاسبوع الماضي . وهذا جعل تأكيد كالاهان منذ اسبوعين هُراءً وهو انه لا يفكر باجراءات اخرى . نعم ! لقد كانت قصيرة الأجل . واصبح واضحاً لي بأن هذا سيكون آخر بيان ايجابي قبل ان نخفض قيمة الجنيه . وسوف يعلن البيان التالي عن تخفيض الجنيه ، او تعويمه .

وكان واضحاً ايضاً ان هارولد ولسون يفكر في تخفيض الجنيه قليلاً مثل جورج براون وكالاهان. فهم الآن متحدون . كما ان الاقتراع السرّي

سيكون بين هؤلاء الثلاثة مع مستشاريهم السياسيين ، مثل جورج ويغ ، والمستشارين الاقتصاديين . وكان جميع الاقتصاديين يحثّون على وجوب تعويم الجنيه ، بينما السياسيون الثلاثة ، يدعمهم جورج ويغ بشدّة ، يقاتلون من اجل الجنيه على أساس ان حكومة العمال تستطيع ان تُبقي تخفيض قيمة الجنيه قائماً في عام ١٩٦٥ بعد تخفيضات قيمة الجنيه في عامي ١٩٣١ و ١٩٤٩ .

الثلاثاء ٢٧ تموز :

عندما دخلت مكتبي في التاسعة والنصف وجدت مسودة جديدة للبيان الذي وافق عليه فقط رئيس الوزراء وبراون وكالاهان في الساعة الواحدة صباحاً ، ان ما حدث بعد ذلك يشبه الديكتاتورية المركزية التي من الممكن ان يجدها المرء في مجلس وزراء بريطاني . وفي مجلس الوزراء لم نعطَ وقتاً كافياً لبحث الاستراتيجية الرئيسية او حتى لدراسة الوثيقة ككل ، وقد أُبلغنا أن «نأخذها او نتركها كما هي[1]» . وقد كشف وزير المالية انه يوجد تزاحم على المصارف من اجل سحب الودائع في الاسبوع الماضي وان جزءاً كبيراً من احتياطنا ، بما في ذلك أل (٢٠٠) مليون جنيه التي حصلنا عليها من المانيا نتيجة مفاوضاتنا في بون ، قد اختفت . ومالم يصدر بيان بعد ظهر ذلك اليوم فان تخفيض الجنيه سوف يكون مسلطاً

(١) كان وزير المالية قادراً على زيادة أو تخفيض ضرائب معينة حتى ١٠٪ باعلان قصير ، كي « ينظّم » الاقتصاد . ان زيادة ١٠٪ ، مثلاً ، سوف تكون ضد التضخم ، نظرياً على الأقل .

فوق رؤوسنا ، كذلك فان هارولد وجورج قد تكلما باختصار مثل وزير المالية . وكرّر كل منهما القول بأن هذه هي صفقة اتفاق عقدوها فيمابينهم . انني أعرف ، طبعاً ، بأن كالاهان يريد الكثير ، بما في ذلك الاجراءات المنظّمة ، والتأجيل الكامل لجميع عقود البناء — وقد استبعدت هذه نتيجة جهود براون وولسون . وانني اعرف ايضاً أن منح رخص البناء لا يريده كالاهان ولا براون ، لكنه أمر كان يصرّ عليه هارولد ولسون .

لذا كان هناك صدع بين الثلاثة . وقد أوضح كالاهان بشكل خاص لو أنه كان حراً لفعل اكثر من ذلك لكن هذا قد مُنع من قبل الاثنين الآخرين . وكالعادة فقد سمح هارولد بالنقاش باسلوب «القراءة الثانية» . كان فرانك كزنز هو الشخص الوحيد الذي اتخذ موقفاً معارضاً للغاية . وقلت بأنني أشك في ان الصفقة بينهم قوية بشكل كافٍ . وكان يبدولي أن لها اضراراً جسيمة على البلاد وسوف تفشل في التأثير على رجال المصارف في الخارج ، وانني لا ارى سبباً لعدم استخدام وزير المالية «للاجراءات المنظّمة» . لكن شعوري العام في ذلك الصباح كان مرتاحاً لانه قد تمت الموافقة على مقترحاتي الرئيسية . وكان الجزء الرئيسي من البيان يتضمن اعلاناً باننا سنتخلى عن ضمان الدخولات لذوي الاجور المنخفضة ، واننا سوف نؤجل الرهونات العقارية الرخيصة ، واننا ايضاً سوف نخفض الرهونات العقارية للسلطة المحلية . وهذا طبعاً سوف يسبب صدمة شديدة لرجالنا لكنه من الممكن ايضاً ان يعطي التأثير المطلوب على رجال المصارف في الخارج . علاوة على ذلك ، ينبغي علينا ان لا نتنازل عن اي شيء لكنه مجرد اجراء أملته الضرورة . ولم يوافق

معظم اعضاء مجلس الوزراء ، وعارضوا بدرجات متفاوتة بالنسبة للصفقة كلها ، وكان هناك نقاش طويل وبائس حول الأهمية المتعلقة بالالتصاق بضمان الدخولات ومقارنته بالكسب المتعلق بالفوائد قصيرة الأجل ، على أية حال ، كان انطوني كروسلاند يشك مثلي فيما اذا كانت الصفقة مؤثرة بشكل خاص ، كما ان «روي جنكنز» ايضاً لم يكن متحمساً لها لنفس السبب ، واستمر النقاش حتى الثانية عشرة والنصف ، عندما اصبح واضحاً انه لا يوجد لدينا وقت كافٍ لقراءة المسودة بتفصيل كبير ، وكان من المحتم دفعها للأمام ، وهذا ما حدث ،

وفي الواحدة تم الوصول الى شبه اتفاق على النصّ الفعلي وبعد ذلك جاء السؤال حول من سيعدّ البيان ، وفجأة قال هارولد إنه لا يعتقد بأنه الرجل المناسب لعمل البيان الذي يتضمن التخلي عن الكثير من الوعود والتعهدات ، من المحتمل انه لا يستطيع ذلك ، وانني أُخمن ما يفكر فيه ، لقد عرفنا في هذا الوقت بأن البيان سيعدّ في مجلس العموم ، في الوقت الذي سينتخب فيه زعيم المحافظين الجديد ، علاوة على ذلك ، فان لدينا لا أقل من ثلاثة اقتراعات لتوجيه اللوم ، اثنان خلال هذا الاسبوع وواحد يوم الاثنين التالي[1] ، لذا كان واضحاً أن وزير المالية هو الشخص الذي ينبغي ان يعدّ بيان وزارة المالية ، وان هارولد سوف يردّ على اقتراع توجيه اللوم يوم الخميس عندما يكون زعيم المحافظين الجديد قد انتخب ،

(١) كان الاقتراعان الأولان حول تكاليف المعيشة وحول فشل الحكومة في تنفيذ تعهداتها الانتخابية ، والثالث كان توجيه لوم عام في اليوم الذي يسبق يوم تأجيل الجلسة وكان بمناسبة الخطاب الأول لـ هيث كزعيم للمحافظين ،

لكن بعد عشرين دقيقة استطاع كالاهان ان يتملص . وكنت أنا على الاقل مصمماً على ان أضعه في زاوية — وفوق كل شيء فهو مسؤول عن صياغته . أخيراً دعا هارولد ولسون لاجراء تصويت ، وكان واضحاً انه يريده ان يقوم بالمهمة ، ونادى اسماءنا . وكانت الغالبية ٢ الى ١ تدعو كالاهان الى أعداده . فأعدّه ، وكانت المقابلات في الاذاعة والتلفزيون جيدة للغاية . وفي الحقيقة لقد فرّ مرتكباً جريمة — لأن جميع اعضاء حزب المحافظين كانوا بعيدين عن الأزمة بسبب أزمة الزعامة لديهم . انني اشك بأن هذا كان احد العوامل الرئيسية في ذهن هارولد عندما أصرّ على اصدار البيان بعد ظهر الثلاثاء . فذلك سوف يجعل الحسابات ملائمة بالتأكيد .

كان لدي اجتماع هام بعد الظهر مع أمناء صندوق السلطة المحلية لبحث الشؤون المالية للحكومة المحلية . وكنت في الطريق عندما تلقيت رسالة تطلب مني ان اذهب مباشرة للاستماع الى بيان كالاهان . وعندما بدا واضحاً انه لا يوجد مجازفة باجراء اقتراع سريّ عدتُ الى اجتماعي واخذت معي نسخة من خطاب كالاهان . وكان لهذا تأثير هامّ على أمناء الصندوق . وعندما قرأته معهم ، كنت قادراً على تخفيف صدمة اعلان التخفيضات في أبنية السلطة المحلية ، باستثناء المدارس والمستشفيات والمنازل ، والتخفيض الكبير في الرهونات العقارية للسلطة المحلية ولمشتري المنازل الخاصة . وكانوا قادرين على التصرف تجاه هذا كله بطريقة ودية ، وانني اعتقد بأنهم يعرفون انه خلال المناقشات التي أدّت الى الاعلان ،

كان لديهم صديق وفيّ في الجلسة ، اخيراً ، فانني برجوعي اليهم وفّرت عليهم عناء العودة الى لندن لحضور اجتماع اخر .

بعد ذلك ، كان عليّ ان أعود الى مكتب هارولد لحضور اجتماع آخر حيث اننا انتهينا من عمل مجلس الوزراء قبل السابعة والنصف . وقضينا معظم الوقت على مسودة البيان الأبيض المتعلق بالهجرة ، حيث كنت دائماً ادافع عن وجهة نظر «ميدلاند» الغربية ، وكنت أُصرّ على أنه يجب ان يكون لدينا مراقبة فعّالة حقيقية وان نحاول ان نختار حلاً وسطاً بين الضعف الذهني لـ فرانك سوسكايس والشعور المتطرف ضد الهجرة من الكومونولث لدى هربرت باودن . كان الاجتماع سيء المزاج لأن كلا من بربارة كاسل والمدعي العام «إيلوين جونز» كان ينقض الفلسفة الكامنة وراء البيان . لكن الأمور سارت على ما يرام وان البيان سيصدر غداً[1] . انني اشعر في مجلس العموم بأن البيان سيقوم بالمهمة المطلوبة منه سياسياً . ولكي أُسهّل الموقف مع بربارة ساعدت في التأكيد على ان بيانها الابيض يجب ان يظهر في نفس الوقت وكان واضحاً ان من المعقول اصدارهما معاً كعملية دفاعية لكي نمنع المحافظين من كسب أصوات كثيرة في المسألة العنصرية .

ذهبت بعد ذلك بالسيارة الى منزلي في فنسنت سكوير حيث كنا نستضيف على العشاء (كانت آن في لندن) عائلة «ليولن ــ ديفيز» ، وعائلة «جيمي جيمس» لنبحث تقرير المجموعة الاستشارية للتخطيط . لقد جعلت هذه اللجنة تحت رئاسة ريتشارد في كانون الثاني الماضي لانني

(١) صدر البيان عملياً في الثاني من آب .

كنت اعتقد انه من الاهمية بمكان الحصول على برنامج ابحاث لمدة عشر سنوات من اجل وزارتي . وكان الحصول على تقرير منها هو اول فكرة لي قبل ان أهتم ببرنامج الإسكان وانني جدّ سعيد بأنني وضعت الأساس لها . وعلى كل حال ، وهذا من سوء الحظ ، عندما جاء هذا التقرير كان تقرير المجموعة الاستشارية للأبحاث عادياً ، او بالأحرى كان عبارة عن وثيقة عديمة الجدوى لا تضم مشاريع دقيقة كما أردت . وغضبت لذلك كثيراً . على كل حال ، فان ريتشارد سريع التخلص عندما تسوء الأمور . وعلى العشاء مباشرة قال بأنه راغب ، مع زملائه ، في ان يجعل الاقتراحات محدّدة ومفصّلة بأسرع ما يمكن . ثم انتقلنا لمناقشة تقرير المجموعة الاستشارية للتخطيط حيث ان مؤتمراً صحفياً سيعقد غداً .

الاربعاء ٢٨ تموز :

لقد تعادلت أنباء الأزمة الاقتصادية بأنباء هزيمة مودلينغ أمام هيث في الصراع على زعامة الحزب . ومن الطبيعي انني أردت ان يخسر الرجل الجيد . انني اعرف ان ذهاب دوغلاس هيوم كان كارثة حقيقية لنا (كان نافعاً لنا) وأردت مودلينغ بدلاً من هيث لان هيث سوف يكون زعيماً مرعباً . على أية حال ، لم أُفاجأ عندما أُعلن ان هيث قد فاز بالأغلبية في الاقتراع الأول ، وأن باول حصل على نتائج سيئة وان مودلينغ قد هزم . ونتيجة لذلك فقد اصبح لدينا في حزبي المحافظين والعمال زعيمان متشابهان . زعيمان سياسيان ، تغلب عليهما النزعة التكتيكية اكثر من

الاستراتيجية ، كان مودلينغ أفضل بكثير ، كما كان زعيما سياسياً متزناً ، وكان يبدو لي ان جميع مساوىء هارولد ولسون مُجسّدة في شخصية هيث ــ وكذلك معظم محاسنه ــ اندفاعه ، وطاقته ، وبراعته في النقاش ، وتخصصه في السياسة ، إن هذه الصفات جميعها ميزات نافعة ، وأجرؤ على القول بأن من المفيد للبلاد ، في فترة تكون فيها السياسات الكبرى والعليا من غير المحتمل تحقيقها ، الحصول على سياسيين تكتيكيين من هذا النوع في موضع المسؤولية ، وهذا يعني ، بالتأكيد ، ان المعركة الانتخابية سوف تكون عنيفة وانه لا مفرّ من حكومة وطنية اذا اضطررنا الى تخفيض قيمة العملة ، وان ديمقراطيتنا البرلمانية سوف تستمر في ادارة اشدّ خطوط الحزب تطرفاً .

كان المحافظون واثقين بأنفسهم بشكل كبير ، وشعروا بأنهم اقوياء ، وانهم يتقدمون علينا حقيقة ، وسألت «تام» كيف تسير الأمور فاعترف لي بأن بيان يوم الخميس كان ضربة عنيفة لرجالنا في المقاعد الخلفية ، وينبغي ان أُضيف بأن البيان الفعلي كان طبعاً موجّهاً لرجال المصارف ، وهو يؤكد على الجانب السلبي ووقْعُهُ عليهم أسوأ مما هو حقيقة ، ولم أُقدّر مدى الصدمة على الناس بشكل صحيح مثل «تام» بسبب التخلي عن ضمان الدخولات وتأجيل مخطط الرهن العقاري ، وكانت تلك الصدمة اقل تأثيراً بالنسبة لي لانني كنت اعرف أن ضمان الدخولات قد تم التخلي عنه مسبقاً من قبل دوغلاس هوتون ، وقد اطلعتُ على المذكرات ورأيت ان ما كانوا يقترحونه كان كارثة لا يجرؤون على طرحه ، وعرفت ايضاً أن تأجيل الرهونات العقارية الخاصة سيتم في الوقت

الحاضر من اجل توسيع برنامج إسكان القطاع العام . لكن هذه الأمور كانت معروفة لأناس قلائل في هوايت هول ، وكانت بالنسبة لكثير من رجالنا في الحقيقة بمثابة النهاية وكان لسان حالهم يقول : «إننا نسير نحو الهاوية ، وننزلق نحو تخفيض قيمة الجنيه . وعندما سنعود من عطلة الخميس فاننا سنجد ان الجنيه قد خُفِّض» .

في غضون ذلك ، كنت أقضي يوماً حافلاً بالمشاكل الوظيفية — كلا ، إنها اعمال ، وليست مشاكل وظيفية . وكان المؤتمر الصحفي حول تقرير المجموعة الاستشارية للتخطيط سهلاً لكن اجتماع لجنة الوزارة حول طريق مرج كنيسة المسيح لم يكن كذلك . وتوفر لديّ الآن وقت لدراسة تقرير المفتش — الذي أعادنا الى الوراء أربعة عشر عاماً . لقد افترضت في البداية انني استطيع معارضته وان أجعل مجلس المدينة سيء الحظ ان يقوم بشقّ طريق المرج . لكنني سمعت بعد ذلك ان هيو ولسون ، المهندس المعماري الرئيسي الذي أحضر الى الوزارة ، يشاطر المفتش وجهة نظره ، لذا فان علينا ان نعقد مؤتمراً خاصاً يوم الاربعاء مع وزارة النقل ممثلة بـ توم فريزر ، وستيفن سونجلر[1] . وقد أوضحا ان وزارتهما تعارض وجهة نظري كلياً . وبما أن موظفي وزارتي كانوا منقسمين على انفسهم ، فقد هزمت وأنا أدرك ذلك .

(١) عضو برلماني عن ستافورد من ١٩٤٥ — ١٩٥٠ ، وعن نيوكاسل — أندر — لايم عام ١٩٥٠ . وكان سكرتيراً برلمانياً في وزارة النقل من عام ١٩٦٤ — ١٩٦٧ ، ووزيراً للنقل من ١٩٦٧ — ١٩٦٨ . واصبح وزير دولة للصحة والتأمين الاجتماعي في عام ١٩٦٨ ، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته في شباط ١٩٦٩ ، وكان هو وكروسمان صديقين قديمين : حيث كانا معاً في الكلية الجديدة في أكسفورد ، وكلاهما كانا يلقيان محاضرات لصالح الاتحاد التعليمي للعمال في الثلاثينات .

لكن معظم النهار قد قضي في المفاوضات التي جرت مجدّداً مع جمعيات البناء ولم ادرك مدى سعادتهم الى أن قابلتهم . اولاً ، لقد أُنقذوا بمعجزة من الحصول على ترخيص بالبناء يشبه بناء المشاريع الخاصة والإسكان . ثانياً ، لقد فرضنا على السلطة المحلية قروض الرهن العقاري ، وهو أمر كانت الجمعيات تطلبه مني منذ أشهر . لذا وجدتهم يأكلون من خيري ومسرورين جداً في ابلاغ مجلس بلديتهم في الثاني عشر من آب أنهم يرحبون بخطة إسكاني الوطنية ويريدون ان يدرسوا التفاصيل معنا . على أية حال ، كانوا حريصين لاعطائي تحذيرين : أولاً ، يجب عدم وضع الخطة بإطار سياسي وان لا تكون جزءاً من تكتيك حزبي . ثانياً ، يجب ان أُقدر مدى عدم شعبية المحافظة على ثبات القطاع الخاص في منطقتهم بينما رفعت حجم القطاع العام . وأعطوني بهذين التحذيرين الشيء الذي اردته . وشعرت بعد ظهر ذلك اليوم انني قد حققت ما أخبرتني به الخزانة ، وكذلك المحافظون في مجلس العموم ، انه طموح غير ذي جدوى وفارغ . طبعاً ، كان ذلك حظاً كبيراً . وسبب ذلك هو الموقف الذي خلقته الأزمة ، حيث أُتيحت لي الفرصة لتحقيقه . لكن لم يكن جميعه بسبب الأزمة : فمنذ اسبوعين اخبرتني السيدة ايفلين أنها في محادثاتها الخاصة مع جمعيات البناء قالوا بأنهم يرغبون في المجيء بسرعة . والآن علي أن أُكمل المحادثات حول الصيف وبعد ذلك اللقاء مع شركات التأمين وصناعة البناء الذي لن يكون لطيفاً .

تناولت العشاء مساءً مع نيكي كالدور وكان قادراً على ان يبلغني بما يعرف من حوادث الاسبوع الماضي . واخبرني انه في يوم الجمعة الماضي

قام هو وتومي وروبرت نيلد بمسعى مشترك لدى هارولد ، من اجل حثّه على عدم السير في الاجراءات العنيفة والقبول بتعويم الجنيه . لكنهم فشلوا في مسعاهم وفضّل رئيس الوزراء الأخذ بنصيحة ويغ .

الخميس ٢٩ تموز :

كان من المفروض ان أرى رئيس الوزراء في التاسعة والنصف لبحث خطة الإسكان الوطنية والوضع المالي للحكومة المحلية . على أية حال ، وصلتني رسالة تطلب مني عدم الحضور لأنه كان لايزال مشغولاً في إعداد خطابه الكبير من اجل نقاش توجيه اللوم . وأدركت ان الخطاب كان موضع اهتمامه الوحيد خلال الصباح . في الحقيقة ، كان «انطوني باربر» هو الشخص الوحيد الذي أثار موضوع التصويت على توجيه اللوم ، لكن مع ذلك فان كل شيء يعتمد على الطريقة التي سيردّ فيها هارولد .

على أية حال ، لم يكن لديه متسع من الوقت ، لان مجلس الوزراء سيجتمع لمناقشة الانفاق العام ، وخاصة لمعالجة الموضوعين اللذين لم يُبتّ فيهما ــ وهما التأمين الاجتماعي ومساعدة ماوراء البحار . في هذا الوقت كان كالاهان يقف الى جانب برباره ــ وهذا يظهر مدى إلحاح هارولد عندما يريد شيئاً . ولدهشة جورج براون فقد أحضر وزير المالية واقنعه

بالتوصل الى «حلّ وسط» ، تحصل برباره بموجبه ، كما علمت ، حوالي (١٠) ملايين جنيه زيادة عن مخصصاتها ، وقال كالاهان بأن هذا أمر جوهري لاننا لا نستطيع ان ننكث بعهد قطعته الحكومة على نفسها ، وقد نتج عن ذلك الانفجار الذي كان متوقعاً ، وأشار العديد من الوزراء الى وجود التزامات اخرى هامة للحكومة تتعلق بالشؤون الداخلية قد تم التخلي عنها في البيان ، قاتل هارولد من اجل برباره ، وتكلمت برباره وتكلمت — وقد أضعفت موقفها — ثم جاءت لحظة مضحكة عندما قال جون دياموند فجأة : «لكنني اعتقد بأننا حصلنا على جميع الحسابات الخاطئة ، اننا لم نكن نحسب على اسعار عام ١٩٦٤ بل على الأسعار الحالية» ، لذا فقد أُجلت المسألة مرة اخرى ، وانتقلنا الى التأمين الاجتماعي .

لقد قدّم دوغلاس هوتون مذكرة طويلة يحتج فيها على التخلي عن ضمان الدخولات ، وبعد ان عمل الجَلَبة التي لا داعي لها أذعن بغضب ، لم تستغرق المذكرة وقتاً طويلاً ، لذا فقد أتينا نهائياً على الإسكان ، فقلت بأنني اوافق على التخلي عن الارقام الزائدة لعامي ١٩٦٦ — ١٩٦٧ ، اذا حصلت فقط على قرار واضح من مجلس الوزراء ، فلنفترض أن بدايات مشاريع الإسكان الخاص قد استمرت في الانخفاض تدريجياً ، عندئذٍ يجب ان اكون قادراً على ملء الفراغ بزيادة حجم الإسكان في القطاع العام ، وقد عارض كالاهان ، طبعاً بعنف ، ثم دخلت معه في جدال لمدة ثلاث او أربع دقائق ، وانتصرت ، وجعلتها تدون في محضر الجلسة ، لذا فان مثل هذا الموقف الحرج هو سياسة

مجلس الوزراء . والذي حسم الأمر لصالحي هو أن رئيس الوزراء سألني بحرص عن خطة الاسكان الوطنية وعن الوضع مع جمعيات البناء . قال هذا طبعاً ، لأنني كنت قد أخبرته عن نجاحي يوم الجمعة في المفاوضات التي تجددت مع جمعيات البناء . وكنت قادراً على إعطاء مجلس الوزراء صورة متفائلة حقاً .

عندما ترك الآخرون الغرفة تأخرت قليلاً وقلت لي هارولد : «إنك اذا كنت ستتفوه بكلمة حول خطة الإسكان هذه في خطابك بعد ظهر هذا اليوم فانك ستقضي عليها» . فبدت عليه خيبة الأمل . فهل يستطيع ان يغفل ذكر النصف مليون ؟ وقد روعني ذلك . لقد سمعت شائعات تقول بأنه يريد أن يفعل ذلك فقلت له : «بحق السماء ، لا تفعل ذلك» . وعندما عدت الى الوزارة وجدت مسودة الفقرة في خطابه الذي سيلقيه بعد ظهر ذلك اليوم وهي مكتوبة بخط يده وكذلك التصحيحات التي اجراها والتي صورها وأرسلها . (حصل عليها جون ديلافونز كذكرى لذلك الصباح) . يجب ان يكون قد أعاد كتابة المسودة مباشرة من اجل توزيعها بعد ظهر ذلك اليوم في الساعة ٣٫٣٠ لانني لاحظت انه نقلها من دفتر ملاحظاته .

كان لدي اجتماع آخر مع السلطات المحلية بعد ظهر ذلك اليوم — في هذه المرة كان الاجتماع حول مسودة المذكرة المتعلقة بعلم السلوك الخاص بأعضاء المجلس البلدي . وقد عدت في الوقت المحدد الى مجلس العموم للاستماع الى نهاية خطاب انطوني باربر — كان واضحاً انه غير فعّال . ثم جاء هارولد الذي حافظ على كلمته . فبالنسبة للإسكان فقد اتخذ الخط

الذي اردته اذ لم يذكر شيئاً عن النصف مليون منزل . لذا فقد احتفظت باعلان ذلك حتى شهر تشرين الأول ــ وهو ذو أهمية بالغة بالنسبة لي وللوزراة . وجلست لاستمع الى بقية الخطاب . وبدا واثقاً جداً من نفسه وهو يستند على الصندوق لكنني استطعت ان أرى من المكان الذي كنت فيه انه كان متعباً جداً وهو يقف متحاملاً على نفسه ، وكان يغمغم ويقرأ الخطاب بسرعة وبشكل غير جيد . مع ذلك كان عملاً مدهشاً بسبب ذكائه وسرعة خاطره ، وبسبب انه يلائم مستوى مجلس العموم ايضاً . وعندما جلس قال لي : « لم اكن جاداً ، انني سأترك ذلك ليوم الأثنين . فلنخدعهم اليوم » . وهذا ما فعله بالضبط .

لكنه فعل شيئاً اكثر . لقد رفع المستوى الأخلاقي لحزبه ــ وجعل اعضاء الحزب يزدادون ايماناً وثقة . وهذا مثال على كيفية تغيير موقف بواسطة خطاب . وافكر أن نادراً ما يحدث يوماً ما مثل ذلك . اذ لم تمرّ في حياتي السياسية فترة انحدرت فيها معنويات الحزب الى هذا الحدّ المتدني . وعندما جلس رئيس الوزراء أخذوا جميعاً يضجوّن بالهتاف والتصفيق خلفه ، وكان المحافظون مهزومين كلياً . لقد كان المنظر مريعاً .

كان من المفروض ان أرى وزير المالية حول الشؤون المالية المتعلقة بالحكومة المحلية في الساعة ٣٠ر٥ . لكنني جلست واياه خلال النقاش نستمع الى هارولد وهو ينهي خطابه ونشارك في التصفيق قبل ان نخرج لملاقاة موظفينا . استمر ذلك الاجتماع لمدة ساعة ، وهاجمتُ جيمس مرة اخرى حول الحاجة الى سياسة معدلات قصيرة المدى تتضمن حسماً في

المعدّلات تدفع من قبله . وساعدتني السيدة ايفلين ، و « كروكر » في هذا الهجوم ، وعندما خرجت من الاجتماع اسرعت الى هارولد ولسون . وقلت له ما أروع الخطاب الذي ألقاه ، لكنني ربما لم اهنئه بشكل كافٍ لأنه كان مفعماً بشعور النجاح . فسألني مباشرة ما اذا كنت لا أزال أُريد ان أراه ذلك المساء بسبب عدم تمكنه من رؤيتي في الصباح . فقلت له : « لا يوجد شيء احتاج ان أقوله ـــ لقد غيّرتَ الموقف ، ويجب ان استمر الآن بقدر ما استطيع» . فقال : « نعم ، اعتقد بأنني قمت بواجبي . لقد خفّفتُ من حدّة الموقف . لقد قمت بذلك بشكل صحيح ونحن الآن في سبيلنا الى ما هو أسوأ» .

لقد اتخذتُ الترتيبات كي اسافر بالسيارة الى « سالزبوري» بعد الاقتراع السري في الساعة العاشرة[1] ، لأنني اردت ان اوفّر وقتاً كبيراً لزيارة مجلس المقاطعة الريفي يوم الجمعة واذا ما اخذت قطار الصباح فانني لن أرى كل ما أريد . لذا فقد انطلقت في الساعة ١٠ر٣٠ ، وكانت « مولي» تقود السيارة وجون ديلافونز يجلس بجانبي . قمت بزيارة لفرع حزب العمال في « لونغ فورد» من منطقة « شيلسي» ، وقد اخذت جون معي ، ووجدت هناك عدداً كبيراً من اعضاء مجلس الوزراء ، من بينهم مايكل ستيوارت ، وكذلك بول جونسون من صحيفة ستيتسمان (Statesman) ، وكان جوّ الزيارة ودياً . واستمر اللقاء الى ساعة متأخرة من الليل وفي الساعة ١ر٤٥ صباحاً كنت في فراشٍ وثير في بيت ضيافة قديم وجميل يقع في منتصف سالزبوري .

(١) كانت نتيجة التصويت ٣٠٦ صوتاً ضد ٢٨٥ لصالح الحكومة .

الجمعة ٣٠ تموز :

استيقظت في الساعة ٣٠ر٦ حيث كان المطر ينهمر مدراراً . وكان هذا الاسبوع مريعاً بالنسبة للمزارعين . لكن لايزال لدينا متسع من الوقت لتجنب كارثة للمحصولات اذا توفر لنا اسبوعان من الطقس الجاف الآن ، لكن نشرة الارصاد الجوية التي تبثها الاذاعة أعطتنا أملاً قليلاً في ذلك . تناولت طعام الفطور في فراشي وأُحضرت اليّ صحف الصباح . كان واضحاً ان هارولد قد حقق انتصاراً جوهرياً . حتى ان صحافة المحافظين وصفت كيف أنه دمرّ المعارضة ، وكيف اعاد لنا معنوياتنا وغيّر الموقف . وطبعاً غيّر قيمة الجنيه الاسترليني أيضاً .

تحسّن الطقس وقضيت يوماً جميلاً في اول زيارة لي الى مجلس مقاطعة ريفي (كنت قد اعلنت بوضوح أنني أرغب في زيارة مجلس مقاطعة او مجلسين) . وهذه المقاطعة التي زرتها تغطي مساحة واسعة ، تبلغ حوالي (١٧٨) ميلاً مربعاً حول سالزبوري — ويتفرع من المدينة خمسة وديان أنهر متشعبة جميلة .

لقد أرادوني ان أُشاهد عدداً من المنازل الألف التي بنوها والمنازل التسعمائة التي حسنوها . ذهبت بعد الغداء ، بعد ان افتتحت بعض منازل كبار السن ، الى مبنى مجلس المقاطعة لاجراء محادثات خاصة مع اعضاء المجلس والموظفين . كان لديّ شعور كوزير للحكومة المحلية بأن هذا العمل يستحق ان ينفذ . وبعد ان انتهيت من مجلس المقاطعة الريفي ذهبت لألقي نظرة على المشاكل الموضوعية التي أرادت لجنة حماية

سالزبوري ان اطلع عليها . ومن ثمّ أعادتني «مولي» الى منزلي في برسكوت حيث وصلت في الساعة ٨٫٣٠ .

السبت ٣١ تموز :

ذهبت لرؤية جون بيتجيمان (John Betjeman) في منزله في وانتاج (Wantage) اليوم لانني أردت ان أبحث اعادة تنظيم القسم الخاص بحماية وتسجيل المنازل في الوزارة . لقد بدأت ذلك في الاسبوع الماضي من خلال حديث طويل مع اللورد هولفورد . واخبرته اثناءه كيف أنني اريد ان اوسع مدى عمل لجنته وان احاول ان اجعلها اقل حذلقة واكثر اهتماماً بالتخطيط الحقيقي للسياسة . كان هولفورد رجلاً متعباً منهوك القوى ويريدني بشكل واضح ان أزيحه من منصبه . وكنت ذكياً بشكل كاف للاحتفاظ به كرئيس للّجنة بينما قمت بتغييرات فيها . بحثت اعادة التنظيم مع جون بيتجيمان ، الذي اصبح الآن صديقاً لي ، ورأيت زوجته لأول مرة وهي غريبة الأطوار وتدعى بنيلوب (Penelope) ، وقد أرَتْ جيادها المختلفة الى فرجينيا وباتريك . ووجد باتريك ، طبعاً ان جون بيتجيمان هو خير صديق له واعتقد أنهما قضيا وقتاً ممتعاً معاً .

الأحد ١ آب :

ذهبت اليوم الى لندن مع الأطفال لقضاء عطلة أربعة أيام هناك ، وفي الطريق تناولنا طعام الغداء مع «بام بيري» في منزلها في أفينغ (Oving) وسبحنا في بركة السباحة التي تملكها في المنزل ، في الحقيقة اننا نتمتع بمسرات عائلية قليلة لتخفف قسوة الأزمات السياسية ، فزوجتي آن تشعر بأنها مهملة قليلاً ، لكنني اعتقد بأننا سنرتاح حيث أن شهر آب قد حلّ وان مجلس العموم سينهي دورته يوم الخميس ، وسوف يتوفر لي وقت كي أرتّب «بياني الأبيض» المتعلق بالإسكان وأحضرٌ لتقديم خطتي الوطنية للإسكان في الخطاب الذي سألقيه في مؤتمر الحزب ، انني استطيع ان أرى طريقي الآن بدون ضغط شديد وبدون توتر اعصاب ، نعم ان هذه الازمة بشكل خاص تقبع وراء ظهورنا ، انني افترض ، بشكل موضوعي ، انه لا يوجد سبب ، لمَ لا يكون هناك أزمة اخرى في ايلول أو تشرين الأول — مع تخفيض قيمة العملة هذه المرة ، مع ذلك ، فانني أشعر بأمل أكبر بعد خطاب هارولد الذي القاه يوم الخميس ، وفي الحقيقة انني أشعر بارتياح ، وهذا يعود لانني اعتقد بأن الصفقة التي نشرناها قد أحدثت توازناً افضل من اي شيء فعله مجلس الوزراء من قبل ، ولأول مرة نحصل على أفضليات مكتوبة في بيان سياسي والفرق بين الإنفاق الأساسي والانفاق الثانوي ، واذا أمعنّا التفكير ، فانني لا أعتقد الآن بأن أياً من ميزانيات كالاهان كانت بمثل هذه الدقة ! لذا فاننا نتعلم قليلاً ،

ملاحظة :
إن الارقام الرسمية التي نشرت في الثالث من آب أظهرت أن الاحتياطيات قد أنخفضت بمقدار (٩١) مليون جنيه في شهر تموز . ومنذ شهر تشرين الاول سُحب من لندن حوالي (١٠٠٠) مليون جنيه . على كل حال ، فقد ارتفعت الصادرات بمقدار (٤٤) مليون جنيه ومع ان الواردات استمرت في الارتفاع (بمقدار ١٢ مليون جنيه في تموز) فان الثغرة قد ضاقت الآن الى (٥٠) مليون جنيه . لكن خلال آب خسرت الاحتياطيات رسمياً (١٤٠) مليون جنيه اخرى وانخفضت ارقام التجارة ، وكانت اتفاقية المقايضة لبنك الاحتياط[1] الاتحادي قد اصبحت ضعيفة وتفاوض وزير المالية ، في زيارة لواشنطن ، على مبلغ (٥٠) مليون دولار اخرى . كما اتخذ التدابير ايضاً لاقناع جمعيات البناء للحفاظ على معدل اقراض مقداره ٦٫٧٥٪ .

لقد أظهر وزير المالية انه ناجح اكثر من زميله ومنافسه في دائرة الشؤون الاقتصادية . كان جورج براون لايزال يعمل في اعداد خطته الوطنية ، ولكن الأجور في غضون ذلك استمرت في الارتفاع . وفي آب ، ارتفعت معدلات الاجور الاسبوعية بمقدار ٤٫٥٪ في اثني عشر شهراً . لكن في المفاوضات مع الاتحادات ، حقّق وزير العمل «راي غنتر» على اقل تقدير نجاحاً واحداً . وقد ظهر تقرير اللورد ديفلن (Devlin) حول احواض السفن في الاسبوع الأول من آب ووافق على توصياته بشكل عام كل من ارباب العمل واتحاد العمال العاميّن وعمال النقل . وهي تنصح

---

(١) بنك الاحتياط هو مصرف مركزي يحفظ فيه احتياطيّ المصارف الاخرى ـــ المترجم .

بتخفيض العمل المتقطع للاستخدام ، واجراء تخفيضات في عدد المستخدمين ، ووضع اجور جديدة واساليب عمل محسّنة . وكان عمال البحث عن السفن الغارقة ، وهي جماعات غير رسمية زعيمها في لندن جاك داش (شيوعي) ، هم الذين عارضوا التوصيات واستمروا في المطالبة بتأميم الموانىء .

ومع ان المطالبات برفع الاجور استمرت بالازدياد ، استمرت الأسعار بالثبات ، وقد ساعد على ذلك تقارير مجلس الأسعار والدخولات . واستمرت معدّلات رسم النقل على الطرق منخفضة ورُفضت الزيادة في أسعار صناعة الطباعة . وفي ايلول تمت الموافقة على ارتفاع سعر الخبز لكن رفضت زيادة اخرى على هذه الأسعار . على أية حال ، كانت الحكومة (والشعب) عالمة بأن الأسعار قد انخفضت مؤقتاً بينما ارتفع الدخل ، وان ارتفاعاً في الاسعار هو امر لا مفرّ منه .

الاثنين ٢ آب :

عدت الى وستمنستر وأنا واثق ان خطاب هارولد ولسون قد ساعد الجنيه حقيقة . حسناً ، إنه لم يفعل ذلك . والحقيقة ان جميع الصفقة لم تكن فعاّلة . فالجنيه اليوم لايزال غير مستقر ، ولايزال كالاهان يبدو انتحارياً وولسون يبدو مرهقاً . كان لدينا جميعاً ، في هوايت هول

ووستمنستر ، شعور لا يدعو للارتياح بأن الميزانية الثالثة لهذا العام لاتزال لا تحقق التأثير المطلوب . وبالنسبة لاعضاء الحزب في مجلس العموم ، كان لديهم شعور يائس ، في جوّ نهاية الدورة البرلمانية ، بأن شيئاً مدمراً قد يحدث بينما يكون البرلمان في عطلة . من جهة اخرى كان يبدو ان المحافظين واثقون من ان البرلمان سيدعى مرة ثانية . انني لا اعتقد بأنهم يتوقعون او حتى يريدون ان يأتوا الى السلطة في تشرين الأول القادم ، لكنهم يشعرون بأن الحكومة مُساقة الى جدار ، ومهاجَمة بعنف بسبب فشلها في تحقيق الثقة وبسبب اضطرارها لاجراء تنازل بعد تنازل . يمكن للمرء ان ينظر الى الخلف الى انتصار هارولد الكبير يوم الخميس الماضي كحادث ماضٍ فقط ـــ مع ان دواءً يائساً آخر قد أُدرك مسبقاً وقُهر بالحوادث التي تلت .

لدينا بعد ظهر اليوم اعداد بيان حول الهجرة ونشر البيان الابيض[1] . وكان هذا العمل من اصعب المهام التي كان على الحكومة ان تقوم بها . واصبح أفق تفكيرنا ضيقاً وخفّضنا الحصة (الكوتا) في وقت نقاسي فيه من نقص حادّ في اليد العاملة . ولا عجب ان نرى جميع صحف الأحد الناطقة بلسان حزب الاحرار تهاجمنا بشدة . مع ذلك ، انني مقتنع لو لم نفعل كل هذا لكنا ووجهنا بهزيمة انتخابية معينة في ميدلاند الغربية وفي المنطقة الجنوبية الشرقية . يعتبر الخوف من الهجرة اقوى تيار تحت سطح الماء الآن من وجهة النظر السياسية . علاوة على

---

(١) خُفضت تصاريح دخول البلاد من (٢٠٨٠٠) في السنة الى (٨٥٠٠) .

ذلك ، لقد تخلينا مسبقاً عن موقف غيتسكل عندما جدّدنا قانون الهجرة . وأية محاولة الآن لمقاومة طلبات تخفيض «الكوتا» ستكون مميتة . شعرنا ان علينا ان نفوق المحافظين بعمل ما كانوا سيعملونه وبذلك نحوّل سياستهم الى سياسة متعلقة بحزبين . اخشى ان نكون على صواب ، وانني اعتقد هكذا لانني مؤيد للصهيونية عتيق الطراز اعتقد بأن اللاسامية والعنصرية هما مرضان مستوطنان ، ينبغي على المرء ان يعالجهما بتحديد الهجرة عندما تتجاوز حداً معيناً . من جهة اخرى ، انني لا استطيع ان اغالي في تقدير الصدمة للحزب . وهذا سوف يؤكد الشعور بأن حكومتنا ليست اشتراكية ، وأنها تستسلم للضغوط ، وانها لا تسيطر على قَدَرها . لو أن لدينا فقط وزير داخلية يستطيع ان يفعل ذلك كمسألة مبدأ وان يفعله بقوة وبوقت مبكر ! لكن الامور خرجت من أيدينا ، تماماً مثل تنازلاتنا الاقتصادية امام الأمر الواقع التي خرجت من ايدينا ايضاً . انني أعتقد أن من الصعب جداً ان نعالج الصورة البائسة التي خلقناها في اجتماع المؤتمر . عندما تضيف مسألة الهجرة الى مسألة فيتنام فانك تدرك لماذا يبتعد جمهور الشعب الذي نكثنا بتعهداتنا نحوه عن الاشتراكية . ربما كان البيان الابيض يحمل في طياته تأثيراً مدمراً على القوة الاخلاقية لزعامة هارولد ولسون اكثر من اي شيء آخر فعلناه .

بعد مناقشة البيان حول الهجرة جاء دور النقاش الكبير حول توجيه اللوم حيث سيقوم «تِذْهيث» خلاله بالظهور لأول مرة كزعيم لحزب المحافظين . وكان ظهوره هذا مخفقاً . حيث تبين ان هيث خطيب من الدرجة الثانية ، وهو يستطيع ان يحول نفسه من خطيب من الدرجة الثانية

الى خطيب كفؤ بطريقته الخاصة ، ولم يكن قوة هجومية مريعة ، ولا رجل دولة ، وهمس الكثيرون من حزب المحافظين بأسى : « يا إلهي ، الآن عرفنا ميزة مودلنغ » . علاوة على ذلك ، كان التباين بين هيث وكالاهان ، الذي كان يردّ عليه ، طريفاً جداً . وتكلم كالاهان جيداً . فشخصيته جيدة ، وهو رجل دولة وله سيطرة هادئة .

بما ان اليوم هو الخميس ، فهناك اجتماع عادي للحزب في الساعة السادسة ، ولكن في هذه المناسبة أُبلغنا انه وداع من قبل الزعيم قبل عطلة المجلس . وجدت ان ترتيبات « ماني شنويل » المتعلقة باعداد الحفلة بغيضة قليلاً .

وألقى هارولد خطاباً جامعاً في نهاية الدورة البرلمانية مهنئاً الحزب على اعماله الرائعة ، وتحدث عن ثقتنا في الأشياء المنتظرة القادمة والزم نفسه باستمرار النضال حتى عام ١٩٦٧ . وكان هناك مقاطعة مدروسة جيداً لخطاب هارولد من قبل والتر مونسلو[١] (Water Monslow) ، وبرنارد تايلور[٢] (Bernard Taylor) ، وهما من اعضاء جناح اليسار القدامى ، قدّما فيها ولاءَهما لزعيمهما .

---

(١) عضو برلماني عن دائرة « بارو — إن — فيرنس » من ١٩٤٥ — ١٩٦٦ ، حيث اصبح نبيلاً مدى الحياة . وكان سكرتيراً برلمانياً في وزارة الطيران ووزارة التغذية في حكومة العمال التي تولّت السلطة بعد الحرب . توفي في تشرين الأول عام ١٩٦٦ .

(٢) عضو برلماني عن « مانسفيلد » من ١٩٤١ — ١٩٦٦ ، حيث اصبح نبيلاً مدى الحياة . تولى بعض المناصب في وزارتي انتاج الطائرات والتأمين الوطني في حكومة الائتلاف اثناء الحرب وفي حكومة العمال بعد الحرب .

كان عليّ في المساء ان اصطحب السيدة ايفلين لحضور عشاء مع اعضاء مجلس مقاطعة هامبشاير . وكان الهدف من ذلك هو اقناعي بملاءمة اقتراح المجلس الخاص بوجوب اعتبار مجلس المقاطعة كسلطة تتمتع : « بجميع الصلاحيات » وتضم مدينتي المقاطعة وهما بورتسماوث وساوثامبتون .

وكنت قد أُقنعت بالسماح بذلك ، لكنني اقتنعت اثناء العشاء بشكل نهائي بأن ذلك عمل غير حكيم . تعتبر هامبشاير في حالات معينة من افضل المقاطعات التي زرتها — خاصة فيما يتعلق بتطوير مدينتها . مع ذلك ، فهي تخضع قليلاً لحكم الأقلية ، وهو ليس نوع الحكم الذي اريد ان أراه كنموذج للادارة المحلية . ففي الأشهر العشرة الماضية كنت اقول دوماً انه لا مناص من اعادة تنظيم الحكومة المحلية ، ولكن كلما تجولت في البلاد بشكل اكبر كلما ادركت صعوبة تنفيذ سياستي الخاصة بانهاء الحرب الباردة بين المقاطعة ومدينة المقاطعة والوصول الى تعاون حقيقي بينهما . على أية حال ، تحققت حتى انه في حال نجاحي في اتخاذ سلسلة من القرارات الحكيمة حول الحدود المحلية فانهم في الحقيقة سوف لن يحلّوا هذه المشكلة . واذا كنت اهتم بالتخطيط حقيقة ، يجب ان أجد طريقة تشريعية يكون فيها التخطيط الاقليمي فعّالاً خلال فترة بقاء هذه الحكومة .

هُرعت من العشاء للاستماع الى الدقائق الأخيرة من خطاب هارولد ولسون — الذي وصفته صحيفة التايمز بأنه ضربة قاضية لـ هيث . وكان

ذلك الخطاب النهاية الفعالة لهذه الدورة البرلمانية[1] . والآن لم يبق سوى مواضيع قليلة قبل ان نعطّل يوم الخميس .

الثلاثاء ، ٣ آب :

اليوم موعد اجتماع مجلس الوزراء . والفقرة الرئيسية على جدول الاعمال هي خطة جورج براون الوطنية . ويوجد أمامنا أربعة فصول هامة ، بما فيها الملخص في البداية ، وكان السؤال المطروح هو ما اذا كنا ، على ضوء انقاص حجم العملة المتداولة الذي ذكره في بيانه في الاسبوع الماضي ، سننشر الخطة في ايلول القادم كما كنا زاعمين . وكان طوني كروسلاند يضع هذا في اعتباره عندما سأل كيف يمكننا التكلم عن خطة ترتكز على معدل زيادة ٤٪ للانتاج كل عام ونحن نعرف تماماً ان الانتاج خلال الأشهر الثمانية عشر القادمة لن يرتفع بمقدار ذلك بأي شكل من الأشكال — في الحقيقة عندما كانت الحكومة تخفض الانتاج باجراءاتها الخاصة بانقاص حجم العملة المتداولة ، كان طوني كروسلاند العضو الوحيد في مجلس الوزراء الذي يقول ذلك بشكل صحيح فيما يتعلق بهذه الاجراءات الاقتصادية المخلصة . ثم اردف قائلاً : « إننا نبدأ بانقاص حجم العملة المتداولة وأنا اعرف أن عليّ ان اعيد كتابة جميع الفصل الخاص بي في خطة جورج براون الوطنية . وهذا ليس له

---

[1] حصلت الحكومة على اغلبية ١٣ صوتاً .

معنىً » . وكان فرانك كزنز ، الذي تكلم بعده ، غير فعّال كالعادة[1] .

وجلس الآخرون يحملون ايجازات وزاراتهم ، وبما انه لا يوجد ايجاز عن الموضوع الرئيسي لم يتكلم أحد الى ان قال كالاهان : « كل ما حصلتم عليه هو تأجيل لمدة ستة أشهر وانني لا استطيع أن أفهم لماذا لا يستطيع اي وزير كفوء ان يخطط هذا التأجيل اذا كان مسيطراً على وزارته » . عندئذٍ أبديت الملاحظة التالية : « في الحقيقة ، كان موظفو وزارتي خلال الأيام الخمسة الماضية يتباحثون مع موظفي وزارتك ، يا عزيزي جيمس ، في نصّ مذكرة تصرّ فيها وزارة المالية على ان يكون هذا التأجيل ليس لمدة ستة أشهر فقط بل لمدة اطول من ذلك . فاذا كنت تستطيع ان تؤكد لي بأن ذلك سيتوقف بعد ستة أشهر فانني سأغادر الغرفة وأُخبر موظفي وزارتي بذلك» . فقال جيمس : «ينبغي ان لا تفعل ذلك ، كما انني لا أُريد ان أُخاطب بمثل هذا الاسلوب» . هذا ما حدث .

بعد ذلك انتقلنا الى مناقشة اخرى مضجرة تتعلق بالحواسب الالكترونية من قبل فرانك كزنز . بقيت استمع للنقاش مدة ساعة ثم خرجت قبل ان يبدأ بحث الفقرة الكبيرة المتعلقة بأسعار الفحم ــ وهو

---

(١) انني أُحب كزنز شخصياً ، وعندما عملت معه على مستوى العمل الوزاري ادركت مدى تشوش وزير التكنولوجيا بحصوله على تشارلز سنو كوزير دولة يعمل لديه (انه عالِم فعال لكنه ليس سياسياً) ، على اية حال ، بدأت أشعر ان كزنز مقرّب الى رئيس الوزراء اثناء مناقشات سياسة الحاسب الالكتروني ، وانني تأسفت ، بينما أنا احترم وقفته الصلبة ضد سياسة الدخولات والأسعار الثابتة . وربما هذا يفسر موقفي المتعارض معه .

اقتراح تقدمت به وزارة الوقود والطاقة لاعلان زيادة كبيرة في الأسعار في الأول من ايلول ، لكنني سأكون بعيداً اثناء هذا النقاش لانني كنت مصمماً على العودة الى مكتبي ومن ثمّ سآخذ أطفالي الى «قصر البلّور» ، وكان غرضنا بشكل خاص هو مشاهدة نماذج من وحوش ما قبل التاريخ في الجزيرة – وهي النماذج التي وضعت هناك من قبل الامير « كونسرت » عندما نقل قصر البلور من حديقة الهايد بارك في عام ١٨٥٤ ، وقد احبها الأطفال كثيراً ، وكان باتريك يدرك تماماً انه ابن وزير ، مع أنني لست واثقاً بأن ذلك مفيد له : منذ بضعة أيام ، عندما تعطلت السيارة بالعائلة على الاوتوستراد رقم (١) قال باتريك لأمه : «هل سينشر ذلك في الصحف ايضاً ؟» انني لا أعتقد بأن ذلك سوف يؤذيه وهو بالتأكيد ليس معقداً من وجود أب له ينشر اسمه دائماً في الصحف ويتنقل في سيارة وزارية ، وفي المساء ذهبنا جميعاً لمشاهدة الفيلم الجديد «للخنافس» الذي عنوانه «النجدة» ، كنت أظن بأن الفيلم سيكون مخيفاً لكنه كان أفضل فيلم شاهدته منذ فيلم «الاخوان ماركس» ، إنني أحببته كثيراً .

الأربعاء ٤ آب :

يوجد لدي اليوم لجنتان وزاريتان حاسمتان ، في الصباح يفترض أن تبحث لجنة الشؤون الداخلية مذكرتي الهامة حول تمويل الاسكان ، وبعد

الظهر ستبحث لجنة خاصة برئاسة جيمس كالاهان مذكرتي المتعلقة بتمويل الحكومة المحلية. كان الحصول على سلطة للمضي قدماً في بحث مشروعي القانونين المذكورين أمراً حيوياً قبل أن تبدأ العطلة .

كان اجتماع الصباح للجنة الشؤون الداخلية مجرد اجراء رسمي . فبعد أن وافقت وزارة المالية على خطتي لتمكين السلطات المحلية من استقراض أموال للاسكان الجديد بفائدة ٤ في المئة وأخذ الفرق بين ذلك وبين معدل الفائدة السائد من وزير المالية ، لم يكن هناك نقاش آخر .

كان اجتماع بعد الظهر المتعلق بالحكومة المحلية يتطلب حذراً أكثر لأنني اقحمت هنا مسألة اصلاح المعدلات قصداً بالكلام والكتابة علناً — وهذا أغضب زملائي . على كل حال ، تحول اجتماع لجنة التطوير الاقتصادي الذي سبقه الى كثير من الأهمية . لم أكن انوي الذهاب ولكنني تلقيت رسالة من جورج براون بأنه في حاجة ملحة إليّ لمساعدته ضد كالاهان ، لذا حضرت إلى غرفة المؤتمرات الوزارية الكبيرة في مجلس العموم حيث وجدت التجمع المعتاد للجماعة ، فكان جورج في كرسي الرئاسة وكالاهان الى جانبه . بعد أن تركت مجلس الوزراء صباح أمس حدث اخفاق في التوصل الى اتفاق حول أسعار الفحم لذا فقد حولت المسألة الى لجنة التطوير الاقتصادي بعد ظهر هذا اليوم . كان النقاش الدائر والمنطق الى جانب كالاهان ، وقد تحدث «فردلي» ، وزير الطاقة ، قائلاً بأنه في آذار الماضي كان قد طلب الزيادة الضرورية لكنها أجّلت بسبب الانتخابات البلدية ، وطالب بها مرة اخرى في حزيران لكنها أجلت أيضاً بسبب سياسة الدخولات ، ثم قال : «ان كل تأجيل

يكلفنا عدة ملايين من الجنيهات اسبوعياً . فبحق السماء أعطونا الزيادة بسرعة وفي الأماكن المناسبة . ارفعوا أسعار الفحم في المناطق غير الرابحة — ويلز ، ، واسكوتلندة ، ولانكاشاير — بينما حافظوا على أسعاره حيث يحقق الفحم ربحاً مؤكداً — في «ميدلاند الشرقية وفي غرب رايدنغ» .

وكانت اجابة جورج براون بأن الزيادة في الوقت الحاضر سوف تكون بمثابة انتحار سياسي . وذكّرنا بأن اسعار الفحم لم ترفع خلال اربع سنوات من حكم المحافظين . فكيف نجازف بأن ترفع نقابات العمال صوتها في وجوهنا في مؤتمرهم الذي سينعقد في ايلول ؟ فوقف كالاهان وقال : «في بعض الاوقات يتحتم علينا ان نواجه الواقع وقد حان هذا الوقت الآن . وينبغي أن نرفع الأسعار وأن نحافظ على ثبات الأجور» . فأجاب جورج براون : «سيكون ذلك نهاية سياسة الدخولات» فقال كالاهان : «قد يأتي ظرف سيتوجب عليك أن تفعل ذلك» . فأجاب براون :«ليس لديك حق أن تخاطبني هنا بهذه الطريقة» . وشعرت من أعماقي ان جورج كان على حق . وكان كالاهان يظهر للمرة الثانية أنه أصبح الوزير المختص بمسألة انقاص حجم العملة المتداولة ، بنفس الطريقة التي حاول رامسي ماك دونالد أن ينفذ انقاص حجم العملة المتداولة في عام ١٩٣١ .

لذا حدث شجار عنيف بين الاثنين ثم قام جورج براون عن مقعده وتجول بين المقاعد طالباً الآراء . كان وزير العمل الى جانبه ، طبعاً ، لأنه يقف الى جانب نقابات العمال . وكذلك كان «ويلي

روس» ، وزير الدولة لشؤون اسكتلندة . من جهة أخرى ، حصل كالاهان على أصوات توم فريزر ، ووزير الطاقة السابق ، وفردلي . ثم جاء دوري . كان واضحاً أن ما أقوله قد يقلب التوازن فقررت أن أسأل مجرد سؤال . فسألت : « هل صحيح ، كما قال جورج براون ، أننا نستطيع أن نجعل عجز ال (٥٠) مليون في هذا العام في مجلس الفحم جزءاً من الحذف العام ؟ هل نستطيع أن نفعل ذلك ؟ إنني لا أستطيع أن أقرر موقفي مالم أعرف الجواب » فقال كالاهان ، وكان مجبراً على الاجابة : «حسناً ، ذلك ممكن طبعاً من الناحية الفنية » فقلت عندئذ : « حسناً ، في هذه الحالة ، فانني أقف الى جانب جورج براون » . وعندما انتهى جورج براون من عد الاصوات قال بأن الأغلبية إلى جانبه . فقال كالاهان : « انني اعتقد بأن الأغلبية هي إلى جانبي بصوت واحد » . فأجاب جورج : «إنك عددت كرسي الرئاسة على ما أعتقد » ثم بدأ بقراءة لائحة الأسماء وذكر اسم « فرد بيرت » ــ الذي لم يكن موجوداً ــ إلى جانبه . فقال كالاهان : ماذا بشأن فرد بيرت ؟ » فأجاب جورج : « لدي ورقة في جيبي ... » (كنت أعرف أنه يملك هذه الورقة فعلاً لأن فرد كتب لي ذلك ، أيضاً) كان صوت فرد هو الصوت الزائد الذي أعطانا أغلبية سبعة إلى خمسة في مسألة تتسم بالجنون الاقتصادي والعقلانية السياسية . كل هذا قد دفع للأمام لجنتي الخاصة حول تمويل الحكومة المحلية أربعين دقيقة . وتحولت إلى اجتماع آخر مضحك . كانت المسألة الرئيسية ما إذا كان سيسمح لي بمشروع قانون قصير المدى يوفر حسميات في المعدلات قبل صدور قانون

المعدلات طويل المدى . ابتدأ وزير المالية ، الذي كان جالساً على كرسي الرئاسة ، بقوله : « لقد تخلينا منذ قليل عن (٣٠) مليون جنيه من الاعانات المالية للفحم هذا العام . ويريد وزير الاسكان الآن (٤٠) مليون جنيه أخرى لحسميات المعدلات . فأجبته : « إنني لا أريد بنساً واحداً من الضريبة الاضافية هذا العام أو أي عام آخر . انني أريد فقط تحويلاً من شكل ضريبي إلى آخر . انني أريد أن اخفف العبء عن كاهل دافع معدل الفائدة على حساب دافع الضريبة » . أوقفته عند هذه النقطة وشققت طريقي . كانت اللجنة تعرف جيداً أن حسميات المعدلات هي شيء يجب أن نعطيه للناخبين اذا اردنا ان نكسب الانتخابات البلدية ، لكنهم لم يكونوا على استعداد لاهانة وزير المالية باعطائي ذلك رسمياً . وما حصلت عليه هو اتفاق يسمح لي بموجبه باعداد مشروع القانون قصير المدى حيث يصدق عليه مجلس الوزراء في تشرين الأول وفي الوقت المناسب لخطاب الملكة .

ذهبت إلى البيت لتناول عشاء خفيف مع آن في الساعة ١٠ر٣٠ ، وتركت مجلس العموم كالعادة يستعد لجلسة تستمر طيلة الليل . كان « تام داليل » هناك ، يعاني من تورم في أحد اجفانه بسبب الارهاق العام الناشيء عن نهاية الدورة البرلمانية . كان « تام » بطلاً بصفته أصغر أعضاء مجلس العموم سناً . فكان يظل في الجلسة التي تستمر طيلة الليل حتى نهايتها وفي النهار كان أفضل سكرتير برلماني خاص ، وهو أفضل من يحضر لي فطوري عند ما تكون آن غائبة عن المنزل . ومع أنني كنت أمزح معه في بعض الأحيان ، فانني شاكر له بما

قام به من عمل خلال الأشهر الثمانية الماضية ، وإذا كنت أريد أن أصور الاخلاص والصداقة فهي ممثلة فيه بشكل واضح ، وكثيراً ما أخبرته برأيي هذا .

الخميس ٥ آب :

عقدنا آخر اجتماع لمجلس الوزراء قبل العطلة بينما كان مجلس العموم يسير في آخر مراحله وينهي نقاشه ، وكان المكان مشغولاً بأكمله ، لكننا سوف نعقد اجتماع مجلس الوزراء في غرفة رئيس الوزراء الخاصة لأنه كان هناك اسئلة في الحادية عشرة ويترتب عليه هو « وطوني كروسلاند » وأخرون أن يذهبوا إلى المقاعد الأمامية للاجابة عليها ، ونظراً لغياب كل من الوزير الأول ووزير المالية فقد طرح هارولد ويلسون في البداية لاشغال الوقت مذكرة يقترح فيها تخفيض حظر نشر وثائق الدولة من خمسين عاماً ـــ الى ثلاثين ، وكان هذا اصلاحاً متواضعاً ، وقد جاء متأخراً عن موعده ، مع أنني أنا وطوني كروسلاند فقط كنا مستعدين لدعم رئيس الوزراء و « جيرالد غاردنر » ضد الموظفين ، وقد قرىء لنا بصوت عال ، أولاً من قبل مايكل ستيوارت وبعد ذلك من قبل جيمس كالاهان ، الايجازات الوزارية التي أعدت لهما من قبل موظفيهما ، هنا وزير خارجية عمالي يعترض على تخفيض الحظر على النشر الى ثلاثين سنة لأن ذلك من شأنه أن يدمر سمعة الموظفين المدنيين الذين كانوا فعالين خلال فترة « ميونيخ » بينما لايزالون أحياءً ، فأشرت الى ان الحظر الحالي ، بغض

النظر عن جميع العوائق الأخرى ، قد جعل لايطاق بالتصريح الذي يستطيع الوزير ، وبشكل خاص رئيس الوزراء ، بمقتضاه أن يحصل على الوثائق الرسمية المحظورة على المؤرخين النظريين والموضوعيين من أجل كتابة سيرة حياته . فإذا كنا سنستمر في ممارسة الحق لكتابة سيرة الحياة التي هي عبارة عن جدل شخصي ، هناك قضية هامة وهي السماح للمؤرخين بالحصول على وثائق بأسرع وقت ممكن . وكان هذا الموضوع هو محور النقاش الرئيسي ، ولم اندهش عندما وجدت أنه لم يحتفظ بكلمة واحدة من نقاشي في محاضر مجلس الوزراء .

انتقلنا أخيراً الى الفقرة الرئيسية في جدول الأعمال ، وهي النقاش المؤجل حول تخفيضات النفقات العامة في مساعدة ما وراء البحار . وقد قُدم لمجلس الوزراء النتيجة النهائية لعدد من المساومات التي جرت وراء الكواليس . ستحصل بربارة على (١٠) ملايين جنيه اضافية في السنة الصعبة حقاً (١٩٦٦ — ١٩٦٧) . وبشرط ان لا تلقي علينا خطاباً آخر لمدة (٢٥) دقيقة ، فاننا مستعدون جميعاً لقبولها . لكنني سألت بخبث من أين ستأتي الملايين العشرة ومن أية ميزانية ستقتطع . فأوضح هارولد بأنها لن تؤخذ من أية ميزانية لذا فقد تمت الموافقة على الاقتراح . ثم انتقلنا مرة أخرى الى أسعار الفحم . وكان جورج براون قد كتب تقريراً حول اللجنة التي اجتمعت بعد ظهر اليوم السابق . كانت فقرة صعبة بسبب غياب جورج ، الذي بقي في مجلس تطوير الاقتصاد الوطني خلال الصباح بكامله وترك هارولد ويلسون يبحث في الجانب الخاص به من القضية . كرر « جيمس كالاهان » و« فردلي » خطابيهما وسألا

ما إذا كنا مستعدين ان نقدّم ببساطة مساعدات مالية الى صناعة الفحم . وقبل أن يستطيع أحد آخر التكلم تدخل « طوني كروسلاند » في النقاش قائلاً : « علي أن أذهب للاجابة على سؤال ، ولكن قبل أن أذهب أريد أن أقول أن كالاهان ، طبعاً ، هو على حق تماماً ، فإذا كنا سنسير على سياسة انقاص حجم العملة المتداولة ـــ التي لن أوافق عليها ولكننا قبلناها ـــ فإنه ينبغي علينا أن نقبل بزيادة الأسعار الآن ، ولكن » ، وهنا توقف قليلاً ، « ينبغي أن نرى هذه الزيادة كجزء من صفقة الاسبوع الماضي ، وعلينا أن نقبلها كما هي ، بالاضافة الى الصفقة » ، وكان واضحاً أن هارولد ويلسون لم يكن مرتبكاً وقال بأنه يعتقد أن طوني قد عكر صفو الماء ، وليس من العدل الاقتراح بأن أسعار الفحم لها علاقة بالصفقة ، عندئذ أقحمت نفسي وقلت : « لكن دعونا ننظر الى الحقائق ، كيف تستطيع أن تصدر هذا الاعلان قبل أن يجتمع مؤتمر نقابات العمال في ايلول القادم ؟ فاذا فعلت ذلك فإنك ستدمر سياسة الدخولات » ، في الحقيقة ، طرحت القضية التي أقنعت الغالبية بالتصويت فيها الى جانب جورج في اللجنة ، ولم يقل أحد من مؤيدي جورج في اللجنة كلمة واحدة ، وبقي « راي غنتر » صامتاً ، كذلك بقي « ويلي روس » صامتاً أيضاً ، وبقي الجميع بعيدين عن معركة مجلس الوزراء ، لذا تركت وحيداً للتكلم من أجل اللجنة ، وقد أيدني « فرديبرت » بشدة ، وكذلك « بربارة كاسل » ، والزعيم البرلماني ، عندئذ قال هارولد ويلسون بأن من الخطأ اعتبار اسعار الفحم جزءاً من صفقة الاتفاق ، وقلت بأنني لست مستعداً لقبول ذلك إلى أن يتم اجتماع

الاستراتيجية الاقتصادية الذي وعد به رئيس الوزراء « بربارة كاسل » .
وكحل وسط ، اقترح رئيس الوزراء بأن القرار ينبغي ان يتخذ الآن لكن الأسعار ينبغي ان ترفع فقط في شهر كانون الأول . بعد ذلك كان عليه ان يغادر الغرفة ، وتولى رئاسة الاجتماع « بيرت باودن » بينما كان النقاش محتدماً . وسرعان ما اتضح أن الأغلبية في مجلس الوزراء تقف وراء جورج براون ، وحصل كالاهان على تأييد أقل . حتى أن مايكل ستيوارت انضم الى جانبنا . وبالنسبة للحل الوسط الذي اتخذه رئيس الوزراء ، كان واضحاً أنه غير عملي لأن القرار سوف تتسرب أنباؤه طويلاً قبل كانون الأول . على أية حال ، عندما عاد هارولد قال بيرت باودن : « أيها الرئيس ، اعتقد انه توجد أغلبية لصالح اقتراحك من اجل اتخاذ قرار الآن لزيادة الأسعار في كانون الأول » . وسبّب هذا شجاراً آخر وفي النهاية اذعن رئيس الوزراء . لقد حُدد الآن اجتماع خاص لمجلس الوزراء في التاسع من أيلول (اللعنة لأن ذلك سيصادف في منتصف عطلتي) وفي ذلك التاريخ سوف يتخذ القرار الخاص بالفحم . كان مجلس الوزراء منهكاً وكشف مرة أخرى عن الضغوطات الضمنية والاقتراعات السرية . وكملجأ أخير ، عندما يعمل رئيس الوزراء وكالاهان معاً حقيقة ، فانهما سيظلان قادرين على جذب الأغلبية اليهم . من جهة أخرى ظهرت الآن « مجموعة وسط » قوية في مجلس الوزراء وهي ترفض أن تجبر على انقاص حجم العملة المتداولة .

تحدثت إلى طوني كروسلاند بعد ذلك واتفقنا على ان الشيء الحيوي هو جعل مجلس الوزراء يجازف في التخلي عن الجنيه من أجل

الخدمات الاجتماعية لكن عملَ ذلك شيء صعب جداً لأن جيمس كالاهان وهارولد ولسون ملتزمان شخصياً بالدفاع عن الجنيه بدرجة غير اعتيادية .

اذا نظرنا الى الوراء خلال الاسبوعين الماضيين وجمعنا الأحداث معاً فانني أدرك أن المسألة الضمنية كانت دائماً هي القتال من أجل الجنيه . وسمعت عنها لأول مرة اثناء تناول طعام العشاء مع نيكي كالدور عندما اخبرني كيف انه هو وتومي وروبرت فيلد قد كتبوا الى رئيس الوزراء يرجونه بضرورة تعويم الجنيه ، عندما أعدت الحديث على مسامع جورج ويغ انفجر قائلاً بأنني كنت أتحدث الى خونة هنغاريين . كان جورج أحد الرجال الذين كانوا ينصحون هارولد بشدة كي يقف الى جانب الجنيه وأن يطرد أي شخص يحمل وجهة نظر مغايرة كهنغاري خطر أو كأداة للهنغاريين . أن التحدث مع جورج ويغ جعلني أدرك بأن المرء اذا الزم نفسه بوجهة نظر وهي أن تخفيض قيمة الجنيه هي نهاية كل شيء وبعد ذلك يفشل في الدفاع عن الجنيه ، عندئذ تكون النهاية حقيقة وتحل به الكارثة ، إنني اتفق مع الهنغاريين بأن الفشل في الدفاع عن الجنيه لا يعني نهاية كل شيء ، لقد دفعنا مقدماً ثمناً باهظاً في الجهود الرامية لدعمه . في الحقيقة إن السماح بتعويم الجنيه والقبول بالاجراءات التي يتحتم علينا اتخاذها بعد تخفيض قيمة الجنيه سيكون لها معنى أما أن ندافع عن الجنيه بتخفيضات جنونية وبعد ذلك نجد انفسنا مجبرين على تخفيض قيمة الجنيه فإن ذلك لا معنى له على الاطلاق .

كان طوني كروسلاند عاطفياً حول هذا الموضوع ، ووافقت على

أن أكتب رسالة إلى هارولد في محاولة لاستخدام نفوذي معه من أجل تعويم الجنيه عندما يأتي الضغط التالي ، سوف يعني هذا طبعاً أن سمعة كالاهان الشخصية سوف تدمّر بشكل يتعذر اصلاحها وهذا هو سبب اهتمامه بالموضوع بشكل كبير والذي لا يعرفه كل منا هو ماذا يكون تأثير ذلك على سمعة هارولد ويلسون الشخصية ، عليّ أن أكتب له وأخبره بأنه هو الشخص الوحيد المرن بشكل كافٍ والقوي الذي يقدر على تعويم الجنيه ويبقى في منصبه ، مع ذلك ، فإن هارولد ويلسون وجورج ويغ سوف يقرّان تخفيض قيمة الجنيه كهزيمة اكثرمما أفعل أنا ، في الحقيقة في اجتماع مجلس الوزراء هذا كنت أتزعم هؤلاء الذين يقولون بعدم التخلي عن السياسة الاشتراكية من أجل انقاذ الجنيه ، إنني أتوقع أن هارولد ويلسون سوف يجيبني بأن ترجمة كروسلاند لصفقة الاتفاق الأخيرة غير عادلة وأنها ليست في الحقيقة انقاص حجم العملة المتداولة ، لكن الصفقة القادمة ستكون كذلك ، لذا فإن ما سيحدث خلال هذه العطلة سيكون هاماً في كل جوانبه ، طبعاً من الممكن ان تكون معدّلات البورصة ثابتة بعد أن يكون مجلس العموم قد انفضّ من أجل العطلة ، اذا كان لديك اغلبية ضئيلة فان عدم الاستقرار الذي تقدمه للشخص الغريب هو عامل سيء ، لذا فإن البرلمان عندما يختفي من أجل العطلة وعدم الاستقرار لا يظهر يوماً بعد يوم في وستمنستر فان لدى الجنيه فرصة ثبات أفضل ، وبدأت أشعر بذلك الآن مع كل شخص خارج بعيداً ، لقد مُنينا بهزيمة شنيعة ، ورجالنا مثبطو العزيمة والصحافة لاذعة ، انها اوقات عصيبة ، وإننا مانزال نستطيع أن نلتقط انفاسنا ، لكنني متأكد بأننا سوف لا

نستطيع ذلك بعد الصفقة التالية التي يريد كالاهان أن يعقدها دفاعاً عن الاسترليني .

السبت ٧ آب :

قال لي هارولد ماكميلان ذات مرة : « عندما يكون لديك خطاب جيد حقيقة قدمه مرة تلو الأخرى الى أن يتم طبعه جميعه » لذا عملت بياناً صحفياً ، وافقت عليه السيدة ايفلين ، كررنا فيه خطاباً القيته في عطلة نهاية الاسبوع الماضي يتعلق باسكان السلطة المحلية ، وتأكد بيتر براون ان ممثلي الصحافة ، والاذاعة ، والتلفزيون موجودون في مدينة داولي الجديدة صباح الجمعة .

إن عمل كل ذلك ، بعد اجتماع مجلس الوزراء ، يوم الخميس ، كان نشاطاً كبيراً ، أخذت قطار الساعة ٧ر١٠ من محطة بادنغتون وتناولت عشاءً لذيذاً مع السيدة ايفلين ، حيث استعرضنا خلاله عدداً من حالات القرارات الصعبة ــ تصريح التخطيط للمباني الآجرية في ووبرن ساندز (Wobwrn Sands) بشكل خاص .

وقابلنا في شروزبري (Shrewsbury) نائب كاتب المدينة الذي أخذنا على الفور الى منزل القضاة حيث قضينا ليلتنا . بعد أربعة عشر عاماً ، فان السيدة ايفلين تعرف كيف تعمل هذه الاشياء ــ لا فنادق بالنسبة لنا . ففي كل مدينة مقاطعة يوجد فيها مساكن للقضاة في منازل مريحة ، في الدورتين القضائيتين خلال العام . فمنزل القضاة في شروزبري

كان فخماً ويوجد به شخص مسؤول عن ادارته وتمت العناية بنا جيداً .

غادرنا شروزبري صباح الجمعة في طقس جميل ، حيث كانت ريكن (Wrekin) على جانب ، وكنيسة « سترتون » (Stretton) على الجانب الآخر وتلال ويلز تقبع بعيدة وراءنا . كانت منطقة ريفية تستعيد نشاطها بعد المطر والرياح . إن شركة داولي هي مظهر مميّز للمدن الجديدة . ويوجد أكثر من (١٠٠) مساعد وكل منهم يسكن في منزل مقاطعة كبير ، ويملك سيارة خاصة ، وليس هناك منزل منفرد واحد أو حتى في المستقبل المنظور . وكانت مهمتي اجراء تغيير تام للخطة ، نتيجة نشر تقرير يتعلق بـ « ميدلاند » الغربية في الاسبوع الماضي والتوصية بأن « اوكن جيتس » « Oaken gates » وولنغتون ، منطقة الحديد الخام القديمة المجاورة ل داولي ، ينبغي أيضاً أن تتطور من أجل توسع بيرمنغهام . وعليّ أن أقنع الشركة أن تقبل فكرة أن المنطقة المخصصة لها هي المنطقة الخاطئة وانه ينبغي علينا ان نحصل على منطقة مدينة جديدة كلياً ، تشمل اوكن جيتس وولنغتون ، وربما اسماً جديداً .

وفي منتصف النهار وصلنا مدينة داولي الصغيرة حيث كانت الصحافة بالانتظار وقلت كلمتي ثم تناولنا طعام الغداء مع جميع عناصر السلطة المحلية المعنيين ومع اعضاء مجلس بلدي من ولنغتون ، واعضاء مجلس بلدي من اوكن جيتس واعضاء مجلس بلدي من مجلس مقاطعة شروبشاير . وتناولنا الغداء وقوفاً وكنت ماهراً في التجول والتحدث إلى كل مجموعة على حدة .

بدأت بعد الظهر أدرك مدى جنون المفهوم القديم لمدينة داولي الجديدة . زرت أولاً وادي سفيرن (Severn)العميق ، الذي يمتد فوقه الجسر الحديدي الشهير ـــ وهو أول جسر حديدي في البلاد ، وكان من المعتاد أن يصنع الخزف الصيني على الجسر الحديدي وعمل أهالي داربي (Darby) اكتشافهم الأصلي ، وهو كيف يصهرون الحديد باستخدام الفحم. انها قطعة عجيبة من البلاد فهي ليست زراعية وليست سكنية ، بل هي منطقة ربما كانت اقدم ثورة صناعية في جميع البلاد . وكان أهالي هذا الجزء يعملون في التعدين وصهر المعادن منذ أكثر من مائتي عام ويبدو لي أن اختيار الوزارة لها لتكون موقع مدينة جديد هو ضرب من الجنون ، لأن السطح غير المستوى حافل بالانخسافات من جرّاء المناجم . والأغرب من ذلك الآن ان نضيف اليها ولنغتون و « اوكن جيتس » حيث يعيش حوالي أربعين ألفاً ، معظمهم في بيئة خربة للغاية . افترض أن هدف السيدة ايفلين هو اختيار منطقة ليست زراعية فالنقود ليست هدفاً في غايتها طالما أنها سوف تكلف ثروة لتحويل هذه الى منطقة سكنية حديثة . وعندما تجولنا تحركت في مخيلتي بعنف مرة اخرى حسنات تكنيك المدن الجديدة المطوّر من قبل السيدة ايفلين وتكنيك تطوير المدينة كما عُمل من قبل مجلس لندن الكبرى بالتعاون مع هامبشاير و« بيزنغستوك » . ان « المدينة الجديدة » هي مفهوم أكثر طموحاً لكنه استبدادي ويمكن أن يُسَيطَر عليه كلياً من قبل وزارة الاسكان . لكن « تطوير المدينة » هو من مسؤولية الحكومة المحلية ، وانني احبه اكثر لانه مسؤول أمام هيئات منتخبة ، انني متأكد أنه يوجد في ذهن السيدة

ايفلين الفكرة القائلة بأنه مالم تدير الوزارة وتسيطر على البناء الجديد فان السلطات المحلية سوف تفشل في عملها ، لذا فإنها اقامت مجالس بلديات المدن الجديدة باهظة التكاليف . وهي بالتأكيد مبجلّة بسببها اينما ذهبت . أمضيت أربعين دقيقة في « اوكن جيتس » مع أعضاء حزب العمال المحليين ، الذين سرّوا لوجود الوزير معهم على الشاي ، ثم عدت الى مسكن القضاة في شروزبري لتناول العشاء مع اعضاء مختارين من مجلس مقاطعة شروبشاير لبحث الخطة المغيّرة للمدن الجديدة وتقرير ميدلاند الغربية . كانت نتيجة المساء هي ان ممثلي المقاطعة قبلوا نهائياً مفهوم المدينة الجديدة للسيدة ايفلين ، مع انني حذرتهم من أن عمل مدينة كبيرة حقاً تستوعب (٢٠٠) ألف نسمة فان ذلك يعني غزوات واسعة الى الاراضي الزراعية . طبعاً دفعنا ثمن قبولهم . فعندما بدأنا بدراسة مقترحاتهم لتقسيم شروبشاير الى مقاطعات من جديد سرعان ما اذعنت لمطالبهم وجعلتهم يأخذون ما طلبوا .

عُدت بالسيارة الى « بانبوري » في ساعة متأخرة من الليل . وعندما نظرت الى صحف الصباح اليوم تحققت أنني قد حققت هدفي في مؤتمري الصحفي . كان خطابي الافتتاحية صحيفتي التايمز والتليغراف . واصبحت هذه المرة مفيداً لوزير المالية لانني اكدّت على شدّة الضغط على مشاريع الحكومة المحلية من أجل دور البلديات الجديدة وحمامات السباحة ، وجادلت بأن تخفيض مبانيهم الضخمة سيكون له تأثير حسن على الاسكان . ان هذا اشتراكية جيدة للغاية وهي ايضاً عمل سليم ، وهي تساعد المستر كالاهان .

الأحد ٨ آب :

عندما تجولت في المزرعة تحققت ان الطقس في الايام الثلاثة او الاربعة الماضية كان جيداً . وعندما غادرت هنا يوم الاثنين الماضي كانت المزرعة مغمورة بالمياه وكان الحشيش المجفف للعلف متعفناً حولنا . والآن ، بتحسن الطقس ، اصبح لدينا حشيش أخضر رائع وحقول قمح ، وقد عصفت بها الريح في الاسبوع الماضي ، لكنها بدأت فعلاً بالنضج . لقد حصلنا على بعض العلف المحفوظ الجيد ولكن ليس حشيشاً مجففاً للعلف وان على رجالنا ان يملؤوا في الوقت المناسب السياج من الشجيرات وحفر المصارف (للمياه) . كان « برتشت » المسكين حزيناً جداً لكن معنوياته خلال الأيام الاربعة الماضية قد ارتفعت .

في غضون ذلك أستطيع أن انظر الى الاسبوع الاول من العطلة عندما بدأت العمل في الوزارة . اولاً مشروع قانون الايجارات : بعد أن انتهى من مجلس العموم كنت أميل الى وضعه جانباً . مع ذلك فهو لغاية الآن اهم شيء فعلته ومن الطريف أن اراه في الاسبوع الماضي يذهب الى مجلس اللوردات . اعتقد انني سبق ان ذكرت كيف أُثني عليّ اثناء القراءة الثانية لشجاعتي من قبل مجلس اللوردات بطريقة مربكة . ثم جاءت مرحلة اللجنة حيث هزمت الحكومة خلالها ثلاث مرات والتي من الضروري معالجتها عندما تعود تعديلات مجلس اللوردات الينا في نهاية عطلة المجلس .

طبعاً ، نستطيع أن نمرر مشروع القانون في مجلس اللوردات وان نعالج أيضاً التعديلات في مجلس العموم قبل أن ينفض المجلس من اجل العطلة الصيفية . لقد اعتبرت هذه الامكانية لكنني رفضت ذلك لانني اردت شهرين زيادة لاخطط انجاز القسم الثاني من مشروع القانون ، وهو الجزء الخاص بتعيين موظفي الايجارات ولجان الايجارات . وبالمناسبة فإن أحد الاشياء التي كنت قادراً على فعلها في الاسبوع الماضي ، هو اعلان اسماء الاعضاء الأربعة الهامين في لجنة تخمين الايجارات لمدينة لندن ، الذين ، اذا نجحت خطتنا ، سوف يفوقون سابقيهم بقراراتهم لجميع لجان تقويم الايجارات في البلاد . وقد دُعّم رئيس اللجنة لتلوود (Little Wood) الآن بعضوين من لجنة ملنر هولاند ، وبلشر ودونيصون ، وكذلك ادواردز ، الذي كان نائب مثمن للحكومة . وقد شكلوا معاً هرماً للمسؤولية .

خلال آب يجب أن أبدأ مهمة جمع أسماء الأشخاص المناسبين لوضعهم في اللجان في المقاطعات . وقد اكتشفت شيئاً واحداً حول الحكومة وهو مدى صعوبة ايجاد الوقت للمرء أو ايجاد زملاء يساعدون المرء . فعلى سبيل المثال مدينة ليفربول .

لقد سألت وسألت ، فحصلت على اسم واحد من السيدة بيسي برادوك ، ولم احصل على شيء من آرثر ارفين[1] . وسوف أذهب الى رئيس الوزراء وبدون شك سوف يعطيني شيئاً ما . ولننتقل الى حديث البيت ،

---

(١) عضو برلماني عن « ادج هيل » ، وليفربول منذ عام ١٩٤٧ ، وكان المحامي العام من ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠ .

حيث انني دعوت بترورث (Butterworth) ، نائب رئيس جامعة ووريك (Warwick) ، على الغداء اليوم وأنا متأكد انه سوف يعطيني بعض الاسماء في منطقة بيرمنغهام . وبالنسبة لكوفنتري فقد حصلت على موظف الايجار المناسب ، واسمه دودسون (Dodsun) ، وهو رئيس دائرة الاسكان المحلي . ولكن عندما يرى المرء كيفية تنظيم التعيين في الوظائف في البلدان الأخرى فان من المدهش أن نرى عدم تنظيمه هنا . ونتيجة لذلك فان السيدة ايفلين تشق طريقها في هذه الاختيارات . فاذا لم احصل على افكار ، فهي دائماً لديها اسماء لتقدمها وطبعاً فان الاشخاص الذين تقترحهم من ذوي عقليات المؤسسات الرسمية .

انني آمل،خلال آب،في الوزارة أن أتمكن من اعداد مشاريع القوانين لدورة الخريف البرلمانية : مشروع قانون تمويل الاسكان ومشروعا القانونين حول تمويل الحكومة المحلية ، بالاضافة الى البيان الأبيض حول الاسكان الذي سيكون أساس خطابي في مؤتمر حزب العمال . وعندما قلت بأنني سأبقى خلال شهر أب تذمرت السيدة ايفلين ، لكنها شجاعة ، فانها ستبقى معي . وكان لدينا عدد قليل من المساعدين ، حقاً ، في الاسبوع الماضي عندما تكلمت عن التحضيرات من أجل البيان الأبيض كانوا على وشك الاضراب عن العمل — الى أن قلت بأنني سأفعلها بنفسي ، عندئذ سارعوا الى مساعدتي .

الأحد ٢٢ آب :

من المفروض أن تبدأ عطلتنا يوم الثلاثاء في بولزيث (Polzeath) حيث استعرنا كوخ ويلفرد كيف[1] (Wilfred Cave) . منذ أن كتبت سابقاً في هذه اليوميات انني أرتب الأمور بعد بيان كالاهان الخاص بضغط النفقات وأنا أحاول اعداد مشاريع القوانين للخريف . إن ترتيب الأمور بعد بيان ضغط النفقات يعني اصدار توجيهات الى السلطات المحلية حول كيفية تخفيض النفقات العامة ، وقد تم ذلك من قبل الوزارة . وبالنسبة للتحضير من أجل الخريف ، بصراحة إن ذلك غير ممكن ، لان الكثير من الموظفين في العطلة والسيدة ايفلين متعبة بحيث أنجزت القليل جداً ببقائي في لندن . من جهة أخرى ، من الطريف أن أرى كيف تدار الوزارة في فترة روتينية وبذلك أعرف عملها بشكل أفضل .

على أية حال ، كنت قادراً على اجتياز عدد من القرارات الصعبة . وعلى سبيل المثال ، فقد ألغيت بناء على استئناف قدم لي ضريبة اضافية على ثمانية أعضاء من مجلس مدينة اكسفورد شاير ، فرضت من قبل فاحص حسابات المقاطعة . لكن ربما كان الاقتراح الخاص ببناء تنّور ضخم من الآجر بمدخنة كبيرة في اسبلي غايز (Aspley Guise) وويرن ساندز (Wopurn Sands) التي أعرفها جيداً خلال

---

(١) هو من أكبر وأنجح المزارعين في الجنوب الغربي ، ومساعد متحمس لتأميم الأراضي وهو اشتراكي متحمس ، وقد فشل في دخول البرلمان كمرشح عن منطقة ديفزس (Devizes) لكنه استمر في العمل في لجنة سياسة حزب العمال .

الحرب هو أصعب قضية وبواسطة حظ غريب يدعو للسخرية أرسل مفتش صعب المراس ، كان يعمل ايضاً كمخمن ضرائب ، تقريراً غاضباً عن التحقيق حيث اعطي القرار في صالح الشركة . وعندما قرأت التقرير على الفور أدركت أن عليَّ أن الغي التحقيق ، وأن أجعل الوزارة تتحمل فاتورة الحساب ، وان اجري تحقيقاً جديداً بمخمن ضرائب مستقل . فواجهت مقاومة عنيفة من السيدة ايفلين ومن الوزارة ، لكن تم ما طلبته . من الناحية المثالية ، كنت أرغب في رفض تصريح التخطيط كلياً لكنني كنت أخشى من فاتورة حساب مربحة كتعويض اذا تجاهلت تقرير المفتش .

ـ مع وضع الوزارة هذا الذي يسير بهدوء كنت قادراً ان ابقى في المنزل وقتاً أطول وأن اقوم بسلسلة من الزيارات الرسمية الممتعة . قضيت يوماً رائعاً في الاسبوع الماضي مع الأطفال في كوربي (Corby) ، في دراسة تعدين خام حديد الزهر المكشوف هنا في اكسفورد شاير حيث ان الكنائس ذات لون بني وذهبي . وفي كوربي فان القرى بيضاء مثل خراف كوتزوولد[1] لان خام الحديد عبارة عن طبقة موجودة تحت طبقات أخرى من حجر الكلس الابيض . وكان اهتمامي الرئيسي ينصبّ على مشاهدة الطريقة التي يستصلحون بها الأرض ويجعلونها جيدة بعد ان تكون قد جرفت في تلك الخنادق الهائلة ، التي يتراوح عمقها بين ١٠٠ و ١٤٠ قدماً ، بواسطة الحفّارات والجرّافات التي يقال إنها اكبر آلات في العالم .

(١) خراف كوتزوولد (Cotswold) = خراف انكليزية كبيرة طويلة الصوف ــ المترجم ــ

وأحب الأطفال مشاهدتها خاصة بعد أن جلسوا داخلها وهي تتحرك ببطء مثل وحوش ما قبل التاريخ :

ذُكِرَت اثناء تناول الغداء كيف تمت ترتيبات استصلاح الريف . وقد نشأت الفكرة عندما قام هيودالتون[1] بزيارة الى المنطقة في عام ١٩٥٠ حيث تسلّم بعد فترة قصيرة منصب وزير تخطيط المدن والريف . وقد صدف ان زار كوربي اثناء زيارته هذه ، وعاد الى لندن قائلاً بأنها تبدو مخيفة مثل جبال القمر ويجب عمل شيء من اجلها . ونتيجة لذلك أصدرت الوزارة قانون عام ١٩٥١ . وبموجب هذا القانون فُرض مبلغ معين على عائلتي ستيوارت ، ولويد ، اللتين تصنعان الفولاذ ، وهو ثلاثة فارذنغ[2] على كل طن يعدّنونه . كما أن وزارة المالية تدفع بالمقابل مبلغاً يساوي المبلغ المدفوع من قبل عائلتي ستيوارت ولويد ، وبهذا المبلغ المتجمع يتم استصلاح الاراضي بتكلفة مقدارها (٣٠٠) جنيه تقريباً للفدان[3] الواحد .

ونتيجة لهذه الترتيبات الفريدة في نوعها ، نشأت أفضل علاقة بين المنتجين ، ومجلس المقاطعة ، الذي كان سابقاً يتحمل المسؤولية الكاملة

---

(١) رجل اقتصادي ومحام ، وعضو برلماني عمالي عن منطقة بيكهام من ١٩٢٤ ــ ١٩٦٠ ، عندما أصبح نبيلاً مدى الحياة . مات في عام ١٩٦٢ . تولى مناصب عديدة في مجلس الوزراء ، اشهرها وزير الحرب الاقتصادية من ١٩٤٠ ــ ١٩٤٢ ، ورئيساً لمجلس التجارة من ١٩٤٢ ــ ١٩٤٥ ، ووزيراً للمالية ١٩٤٥ ــ ١٩٤٧ .

(٢) الفارذنغ = قطعة نقد بريطانية تساوي ربع بنس ــ المترجم .

(٣) الفدان : يساوي ٤٨٤٠ ياردة مربعة أو نحو اربعة آلاف متر مربع المترجم .

نحو هذه الاراضي المهملة ، ومفتشيه المعادن في وزارتنا ، وأخيراً وليس آخراً ، مزارعي المنطقة ، الذين دفع لهم لاستخدام أراضيهم وحصلوا عليها مستصلحة بشكل كامل .

إن ما يحيرني هو فشلنا لعمل ترتيبات مشابهة بالنسبة لأشكال اخرى من التعدين المكشوف ، خاصة حفر الحصى ، ان مشكلة اصلاح الخراب الناشيء عن نزع الحصى يغطي مساحات شاسعة من البلاد ، خاصة في وادي نهر التايمز ، وفي الحقيقة يستخرج في العام حوالي (٢٠٠) طن من الحصى . طبعاً في حالة خام الحديد ، حيث أن الطبقة التي تنزعها هي أربعة اقدام عمق والخندق الذي تحفره هو ١٤٠ قدم عمق ، فان معظم ما تستخرجه تستطيع أن تعيد معظمه ومشكلة الاستصلاح أسهل بكثير . بينما في حالة الحصى ، فان الكمية التي تستخرج كبيرة جداً والشقّ الذي تتركه اكبر بكثير أيضاً . لهذا السبب كنت أفكر منذ عهد بعيد حول فكرة النطاق الأزرق . وعندما سألت في الوزارة عن هذا الموضوع أخبروني ، كما توقعت ، بأن هذه المشكلة تعود الى لجنة رسمية .

وفي اليوم التالي غادرنا كوربي الى مقاطعة بيك (Peak) عبر نورثامبتون ، وروتلاند ، ونوتنغهام ، حيث قضينا الليل في ماتلوك (Matlock) . لقد تحسّن الطقس وقضينا يوماً جميلاً في مشاهدة المناظر الجميلة وفي الاطلاع على مشاكل « الحديقة العامة الوطنية » . فقد حدث لها خراب مريع بسبب استخراج الأحجار الكلسية من المقالع ، من أجل صناعة الاسمنت بشكل رئيسي أو من أجل « الصناعات الكيماوية الامبراطورية » . والآن جاري عمل شيء ما لمنع

أسوأ النتائج على المناظر الطبيعية الريفية وذلك بوضع مداخن المقالع بعناية . مع ذلك ، هذه هي الصناعة الوحيدة في المنطقة ومسموح لها ان تحدث خراباً كبيراً دون أية محاولة جادة للاصلاح . وفي الحقيقة ، وجدت أثناء التجوال مع الموظفين ان شكواهم الرئيسية مدهشة قليلاً . اخبروني ان مشكلتهم تتلخص في أن مقاطعة بيك تقع في حدود ٥٠ ميلاً عن أكثر من نصف السكان الذين يعيشون في لانكاشاير ، ويوركشاير ودير بيشاير والريف الأسود . لذا فانهم يستقبلون أعداداً هائلة من الزائرين العاديين . لكن ما يريدونه فعلاً ، للمحافظة على جمال الحديقة العامة الوطنية ، هو استقبال الزوار من الطبقة العالية ، وطبعاً فإن الزوار من هذه الطبقة لا يذهبون الى هناك مالم يوجد فنادق من الدرجة الممتازة . والفنادق الممتازة لا تقام هناك مالم يوجد زوار من الطبقة العالية . تلك هي معضلتهم غير المحلولة !

كان الحدث الكبير الآخر هذا الشهر هو المؤتمر الذي عقد في كلية تشرتشل ، في جامعة كامبردج ، حيث وضعنا حجر الأساس « لمركز دراسات البيئة » . استمر المؤتمر أربعة أيام وكان لدينا صحبة مختارة ــ مثل المهندسين المعماريين ، « هيوولسون » ،« وروبرت ماثيو »[1] من أدنبره ، ومثل مخطط المدن ، « بور »[2] من ليفربول ومثل الاقتصاديين ،

(١) كان بروفسوراً للهندسة المعمارية ١٩٥٣ ــ ١٩٦٨ ، ورئيساً للاتحاد الدولي للمهندسين المعماريين من ١٩٦١ ــ ١٩٦٥ .

(٢) مهندس معماري لمدينة ليفربول من ١٩٦٢ ــ ١٩٦٦ ، وعضو المجموعة الاستشارية للتخطيط من ١٩٦٤ ــ ١٩٦٥ .

« تيدي جاكسون » ، ودافيد وورويك[1] . ومُثلت الوزارة بـ « ريتشارد ليولين ــ ديڤز » ، الذي أحضر معه البروفسور « بيتر سِلْف » . وأرسلت مؤسسة فورد يابانياً ، وهولندياً ، وبروفسوراً أمريكياً على مستوى عالٍ . وجدت أن الاقامة في كلية تشرتشل نفسها لا تطاق . وكان واضحاً أنها صممت بتكاليف باهظة من قبل مهندسين معماريين يكرهون حياة الكلية والا فانهم لا يعرفون شيئاً عنها . ومما يدعو للسخرية أن يتم بحث الهندسة المعمارية وتخطيط البيئة في مثل هذا المكان الكئيب وأن أنام في غرفة يتحتم علي ان اختبىء في الخزانة من أجل نزع ملابسي لئلا أشاهد من قبل الناس الموجودين في باحة الكلية وحيث ضُحيّ في كل شيء على حساب الحيلة البارعة وعدم أصالة فن البناء التيوتوني .

سارت أعمال المؤتمر بشكل هادىء وجيد وترأسته معظم الوقت . وفي منتصفه ذهبت إلى لندن ، ولكنني عدت لترأس الجلسة الختامية . والذي جعلها جديرة بالاهتمام هو أن كل شخص ، مع أنه كان خبيراً ، جاء الى هناك وهو يحمل افكاراً محددة ، وجَعَلنا المؤتمر نفكر حقيقة . وكان هناك أناس يريدون مجلس ابحاث على غرار « مجلس الابحاث الطبية » ، ثم كان أولئك الذين أصروّا على معهد يشبه « المعهد الوطني للأبحاث الاقتصادية والاحصائية » وثالثاً ، وليس آخراً ، كانت هناك جماعة مؤسسة فورد ، التي كانت تريد ببساطة منظمة أخرى مثل المنظمات التي أسسوها في فرنسا واليابان . وقد وقفت الوزارة الى جانب ممثلي مؤسسة فورد . وقد بيّنا اننا ينبغي ان نضغط من اجل معهد لا

(١) مدير المعهد الدولي للبحث الاقتصادي والاجتماعي منذ عام ١٩٦٥ .

يكون ملحقاً لجامعة ولا يقوم بالابحاث الخاصة به . وسيكون عمله توزيع الأموال على أولئك الذين يقومون بالابحاث في الجامعات دون اثارة ريبتهم وكذلك تأمين منتدى عام للمناظرة والمكتبات والمعلومات . فاذا حصلنا على منحة مؤسسة فورد التي مقدارها (٧٥٠) ألف جنيه التي نهدف إليها ، اعتقد بأنني سأكون قادراً على القول بأنني كوزير لدي الكثير مما له علاقة بانشاء هذا المعهد .

ذهبت بعد المؤتمر الى لندن لحضور حفلة زفاف « مارغريت غرين » . وهي الموظفة التي يتلخص عملها بترتيب مواعيدي وهي ستتزوج الآن من طالب سنة رابعة لذا فهي ستترك مكتبي الخاص . فأخبرتها بأن باستطاعتها ان تدعو خمسين شخصاً الى حفلة تقام في غرفتي وجعلتها حفلة من الطراز الأول .

وفوجئت السيدة ايفلين بنبأ الحفلة ولم تحضر ، ولكن « جيمس دنكان جونز » ، ووادل جاءا وأضفيا على الحفلة شيئاً جديداً .

ان المكتب الخاص برئاسة جون ديلافونز يسير الآن بكفاءة عالية . وبدأ عمله بحماس زائد من أجلي . ولم يقتصر الأمر على كونه متحمساً كثيراً بل أصبح سكرتيراً خاصاً مدهشاً . لقد نجحت في اجراء تغيير واحد باصراري على توقيع اجابات اكثر على المراسلات الكبيرة التي ترسل الى الوزير أو إليّ شخصياً ، والتي عادة تحجب عني . لكنني مازلت فاشلا في ايجاد امرىء يستطيع ان يكتب رداً شخصياً مني باسلوبي ، وذلك يحدّد عدد الرسائل التي اوقعها . لقد اتخذت التدابير كي احوّل اسكان لندن الى «بوب مليش» كلياً وطلبات الاستئناف

الخاصة بالتخطيط الى جيم ماك كول (باستثناء عدد قليل جداً من الطلبات الهامة تأتي إليّ) . واحتفظت لنفسي بشكل كامل بالقرارات المتعلقة بتوصيات لجنة حدود الحكومة المحلية ومعنى ذلك استخلاصها من ايدي السيدة ايفلين .

التغيير الآخر الذي قمت به هو تقديم شخص غريب ، هو بيتر ليدرر ، الذي مازال يسافر في ارجاء البلاد من أجل اكتشاف موقف البناء الحقيقي . وقد برهن مسبقاً على انه متحفظ جداً داخل الوزارة وهو يحاول الآن ان يحسّن علاقاتنا مع « وكالة البناء الوطنية » ، التي من المفروض انها غير مسؤولة أمام أحد . لقد وجد هارولد ماكميلان أنّ عليه أن يكون لديه مشورة خارجية حول البناء لذا فقد جلب بيرسي ميلز[1] (Percy Mills) . انني اعتقد أن « ليدرر » جيد بالاسلوب الخاص به . وسأرى الكثير منه بعد العطلة وبعد أن يكون قد استقرّ حقاً ، سوف أصر على الاجتماع به مرة كل اسبوعين على الأقل لكي يملأني بأخباره ، على الرغم من أن هذا سوف يسبب له كرهاً شديداً بين الموظفين .

قبل حفلة زفاف مارغريت استلمت خبراً مفاجئاً سيئاً ، مفاده ان مجلس اتحاد جمعيات البناء قد درس خطتي الوطنية للاسكان ورفضها بدون

(١) لقد عين ماكميلان ، بصفته وزيراً للاسكان ، بيرسي ميلز مستشاراً فخرياً لوزارته في عام ١٩٥١ ، وقد بقي في هذا المنصب لمدة عام . وقد خدم في وزارة الانتاج خلال الحرب ، وبين ١٩٥٠ و ١٩٥٥ كان رئيساً لشركة الابحاث والتطوير الوطنية . ومنح في عام ١٩٥٧ لقب كونت ، وعين وزيراً للطاقة من ١٩٥٧ ـــ ١٩٥٩ ، والمحاسب العام من (١٩٥٩ ـــ ١٩٦١) ، ووزيراً بدون حقيبة من ١٩٦١ ـــ ١٩٦٢ .

تحفظ . وكانت هذه أسوأ ضربة تلقيتها منذ أن أصبحت وزيراً . لقد كان الاجتماع الأخير الذي عقدته معهم قبل انتهاء الدورة البرلمانية مباشرة من الدرجة الأولى وفي الحقيقة شعرت بثقة أن كل شخص موجود سوف يعود ويوصي المجلس بقبول الخطة من حيث المبدأ ويساعدني في عمل تفاصيلها . وهنا ، على أية حال ، توجد الرسالة التي تخبرني برفضهم الصريح . وأوضحتْ هذه الرسالة أن القرار كان نتيجة صراع داخلي لكنه ايضاً تم الوصول إليه لدوافع سياسية . طبعاً ، كنت دائماً افترض بأن البنّائين الذين رأيتهم ، مرة أخرى في الاسبوع الماضي ، سوف يكونون عائقاً . لكن جمعيات البناء كانت في الحقيقة مساعدة لكنها سارت الآن بنفس الطريق .

بعد دراسة الأمر ، على أية حال ، اعتقد بأنني استطيع ان استخلص بعض الفائدة من هذه الكارثة . من المحتمل انني كنت ساذجاً للغاية في الموضوع كله ، معتقداً بأنني استطيع شخصياً ان انجزها بنجاح رغم المصاعب ، على الرغم من ان وزارة المالية لم تؤمن بامكانية تحقيقها ولم تُرِدْها قطّ ، كذلك فان معظم زملائي لا يريدونها ايضاً وكان موظفو الوزارة يشكّون فيها . انني املك الآن الميزة الصلبة وهي انني حاولت بشكل حقيقي ان اقنع البنائين وجمعيات البناء ان تعمل معي في خطة إسكان وطنية . وبما ان الخطة قد رفضت ، فإنني حرٌّ تماماً في ايجاد اساليبي الخاصة لتنفيذ تعهدنا ببناء نصف مليون منزل دون الاهتمام كثيراً بالعمل من خلال جمعيات البناء .

لذلك فقد كتبت لهم رسالة لبقة أعبّر فيها عن أسفي واخبرهم أنه

طالما أن بمقدورهم العودة اليّ دائماً ، فإنني سأسير قدماً وانقذ خطتي بشكل مستقل ، انني استطيع ان أتصدى لعمل هذه الخطة برباطة جأش لان فرصة اشتراك صناعة بناء القطاع الخاص بأكثر مما خصصنا لهم هي الآن بعيدة للغاية وخلال الثمانية عشر شهراً القادمة فانه من المحتمل أن نواجه انخفاضاً في بدايات الاسكان الخاص ، وهذا يعطيني وقتاً لتعزيز القطاع العام وتنفيذ خططي ، تحدثت عن كل هذا مع جورج ويغ ، وقبل أن أذهب في العطلة سوف ارسل مذكرة الى رئيس الوزراء ، الذي سيعود من جزر السيليز Scillies[1] في الاسبوع القادم ، بحيث انني عندما اعود في التاسع من ايلول فانني أجد شيئاً محدّداً أبحثه معه .

هناك فقرة أخرى طريفة جداً سأذكرها قبل أن أنساها ، لقد كنت منذ فترة وجيزة مدعواً على الغداء من قبل هيو ماسينغهام[2] (Hugh Massingham) في مطعم سافوي ، وأكدّ لي على الهاتف بأنه لا يريد أن يتحدث في السياسة وحالما جلسنا قال لي «أريد أن أقدم لك عرضاً نقدياً لقاء نشر يومياتك في صحيفة « الصنداي تليغراف » عندما يأفل نجم حكومة العمال ، ووجدت بالمناسبة أنه قد قدم عرضاً نقدياً أيضاً ل جورج ويغ لقاء الكتابة عن الأحداث الماضية ، حاولت ان أشرح له بأنني لا اكتب من أجل البيع بهذا الاسلوب ومن المحتمل انني لا اريد أن اكتب نوع المقالات التي يدفع لي لقاءها مبلغاً كبيراً من المال ،

(١) مجموعة جزر (حوالي ٥٠ جزيرة صغيرة) تقع على بعد ٢٥ – ٢٦ ميلاً أو ٤٠ – ٨٥ كم عن شاطىء مقاطعة كورنوول .

(٢) كاتب روائي كان سابقاً يعمل في صحيفة الأوبزيرفر .

ان يومياتي هي القاعدة لكتاب جديّ يتحدث عن وجهة النظر من الداخل للسياسة ولم يكن مصمماً لمعالجة الموضوعات المثيرة كي يتم الدفع على أساسها ، انني لا اعتقد بأنه صدّق كلمة واحدة مما قلت وموقفه يؤكد فقط انطباعي بأن شارع الصحافة بلندن ، شأنه شأن هوايت هول ، اصبحت لديه قناعة بأن حكومة العمال هذه لن تعمرّ طويلاً .

إن هذا الاقتناع بأننا قد انتهينا من طبخ وزّتنا وان المحافظين سيعودون للحكم قد قوي بالتأثيرات الاولى لأزمة ضغط النفقات من قبل كلاهان . فعلى سبيل المثال ، فنحن مجابهون بمدة عمل قصيرة في صناعة السيارات ، ويوجد عملياً ارتفاع خفيف في نسبة البطالة في ميدلاند الغربية . وعندما يعود مجلس الوزراء لبحث ذلك في التاسع من ايلول فان موقف المعارضين لانقاص حجم العملة المتداولة مثل كروسلاند سيكون قوياً . وعلى مجلس الوزراء أن يواجه وجهة نظر أناس مثل « هيو ماسينغهام » ويدرك اننا اذا مضينا في إعاقة تقدم الصناعة البريطانية وسمحنا للبطالة ان ترتفع إلى (٧٠٠) ألف عاطل عن العمل فاننا سننتحر سياسياً .

من جهة أخرى فان الخطر المباغت لتخفيض قيمة العملة يبدو أنه قد تلاشى ، ربما كان ذلك نتيجة الأثر الذي تركه على العالم الخارجي ضغط النفقات الذي أعلنه كالاهان . لكنني أشك في أن السبب الاكبر هو نتيجة غياب رئيس الوزراء من وستمنستر ، واختفاء رئيس الوزراء في جزر السيليز واختفاء الجدل العلني بين جورج براون وجيمس كالاهان كما

أن غياب سياسة الحزب قد سهلت الموقف في الحقيقة وسهّلت بالتأكيد الضغط الفوري على الجنيه . ولكن لا أحد يستطيع أن يقول شيئاً سوى أننا في ورطة محفوفة بالخطر .

ملاحظة :

قطعت العطلة في الأول من ايلول عندما دعي الوزراء للاجتماع في لندن للاستماع الى الوزير الأول وهو يلخص خططه لمشاريع القوانين لانشاء نظام انذار مبكر إجباري لزيادة الاسعار والمطالبة بالاجور . إن السياسة الطوعية قد فشلت . اعتقد بعض الوزراء ان الاقتراح سيلقى حظاً قليلاً من النجاح عندما طرح على المجلس العام لمؤتمر اتحاد نقابات العمال اثناء انعقاد المؤتمر في « برايتون » في الثاني من ايلول ، ولكن بعد اثنتي عشرة ساعة من الجدال قبل قادة الاتحاد السياسة بـ ٢١ صوتا مقابل ٦ .

على اية حال ، في اليوم التالي ، اقترح السكرتير العام للمجلس العام لمؤتمر اتحاد نقابات العمال ، جورج وودكوك[1] (Woodcock) بأنه ينبغي على مؤتمر اتحاد نقابات العمال ان يدير بنفسه نظام الانذار المبكر الطوعي الخاص به . وبعد كثير من المساومة ، وافق زعماء الاتحاد على وضع خطة كحل وسط تجمع بين خطة جورج براون وخطة جورج وودكوك أمام اعضائهم . وفي الثامن من ايلول ، صوّت مؤتمر اتحاد نقابات العمال على قبول تقرير المجلس العام ، بـ ٥٫٢٥١٫٠٠٠ مقابل

---

(١) سكرتير عام لمؤتمر اتحاد نقابات العمال من ١٩٦٠ — ١٩٦٩ . وكان عضواً في مجلس تطوير الاقتصاد الوطني من ١٩٦٢ — ١٩٦٩ ، ورئيساً للجنة العلاقات الصناعية من ١٩٦٩ — ١٩٧١ .

۳٫۳۱۲٫۰۰۰ صوتاً ، لكن المعارضين أعلنوا أنهم سيتجاهلون ببساطة النظام الطوعي . علاوة على ذلك ، فان على الوزير الأول الآن أن يؤمن موافقة حزب العمال .

فهرس الجزء الاول

الصفحة

مطبعة الإنشاء

دمشق - مرجة - هاتف: ١١٥٣٢٤ - ٢٢٤٨٣٢ ص. ب: ٥٧٤

هذا الكتاب

يتضمن يوميات المؤلف ريتشارد كروسمان ، أحد قادة حزب العمال البريطاني ووزير الاسكان في الفترة ١٩٦٤ ـــ ١٩٦٦ .

وهي تعكس بأمانة الحقائق الكاملة التي عاش أحداثها ، في مجلس العموم واللوردات البريطانيين وفي مجلس الوزراء ، بأسلوب شيق ورصين .

خرج ريتشارد كروسمان عن المألوف في العرف البريطاني حينما نشر هذه اليوميات قبل انقضاء المدة القانونية ـــ وهي ٣٠ عاما ـــ التي يسمح بعدها بنشر مثل هذه الوثائق .

تعطي هذه اليوميات صورة واضحة عن الحياة البرلمانية في بريطانيا ، وفكرة عن أسلوب طبخ القرارات في مجالس اللوردات والعموم والوزراء ، وترسم صورة حقيقية لشخصيات بريطانية بارزة شغلت دوراً هاماً في الستينات والسبعينات في تاريخ بريطانيا وبعض دول العالم الأخرى .



السعر الجزائين [illegible] أو ما يعادلها